

الرواية الرابعة بقلمى :
بنوتة أسمرة "منى سلامة

العشــق الممنــوع
" مهند &سمر "

تنويـه

معلوماتى عن المسلسل .. مصدرها موقع ويكيبيديا و جوجل و الفيس بوك .. بالإضافة الى بعض من أعرفهن ممن شاهدن المسلسل

رجـــاء

عدم بناء أحكام مسبقة عن محاكاتى لقصة المسلسل قبل التعمق فى أحداث الرواية

مقدمـــة الروايـــة

حبك وعشقـك كاللعب بالنـــار
سأتـــرك خلفى ألف دار ودار
سأهرب بقلبى فى وضح النهـــار
حبـــك وعشقـك سراب فى سراب
خيانـــــة وألـــم وذل وعــذاب
إذا عشقك حضر فالفضيلة فى غيـــاب
حبـــك وعشقـك غير مشروع
اشتـهائي لقربك هو الممنوع
شوقى اليـــكِ من الخنوع
اسمعى فصوتى عالى مسموع
حبـــك خطيئة يندى لـها الجبين
سأذكر نفسى بذاك كل حين
أنـــكِ أفعـــى حتمـــاً يقيـــن
وإن نادى قلبى بحب الأفاعى
وإن ذكر اسمك من بين الأسامى
وإن خفق بحبـــك وزاد الحنين
فسأكون حتمـــاً من المغرقين
!كيف لمستِ قلبـــي الحصين ؟
كيف وأنتِ من الجاحدين
!لستِ حلالى فهل تذكرين ؟
حبـــك خيانـــــة ومرار السنين
سأقتل بقلبـــى أى لـهفة وحنين
أيـــا عينـــي لا تلمحيها
أيـــا شفتـــى لا تناديها
أيـــا قلبـــى اترك أراضيها
فتلك وردة لـها أشـــواك
ستجرحنى بعمـــق بلا ادراك

ستودى بى حتمــاً نحو الهلاك
ستندم إن تَبعتَ يومــاً هواك

أرحب بالنقد البناء

حسابي على الفيسبوك :

https://www.facebook.com/rewayat.bannota.asmara

رابط مدونة روايات بنوتة أسمرة

http://rewayatasmara.blogspot.com

الفصل الأول

دوى صوت طلق النار عالياً حتى كاد أن يصم الآذان .. نهضت فزعة وجلست على فراشها تحاول تنظيم ضربات قلبها التى تسارعت فى جنون .. مدت يدها الى المصباح بجانبها وبحركات عصبية حاولت اضاءته دون جدوى .. حاولت تلمس الطريق الى هاتفها الى أن وجدته .. لعبت فى أزراره بعصبيه وصوت

تنفسها المتقطع يتسرب الى أذنيها ليزيدها رعباً .. أضاءت الكشاف الصغير بالهاتف فأنار وجهها ذو البشرة البيضاء وذلك الشعر الأشيب الذى يظهر من مقدمة رأسها ..دوى صوت الطلق النارى مرة أخرى لتنتفض فى فراشها وهى تتمتم:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. يارب استر يارب........

أزاحت الغطاء لتنهض .. فحدث ما لم يكن فى الحسبان .. انتهى شحن الهاتف لتُظلم الغرفة مرة أخرى بظلام دامس .. حاولت تلمس طريقها الى الباب بأيدى مرتعشة وقلب ينبض رعباً .. فتحت الباب لترى الظلام بالخارج .. نادت بصوت مضطرب:

" -عدنان" .. "عدنان "

لم تجد رداً على نداءاتها المتكررة .. تلمست طريقها ووضعت كفيها على الجدار لتسير بمحاذاته حتى وصلت الى باب مغلق .. طرقت عليه عدة طرقات بإضطراب .. ثم بعنف أكبر .. ثم أدارت المقبض وفتحت الباب .. كانت الغرفة مظلمة كما هو الحال خارجها .. عبر ضوء القمر المتسلل من الشرفة استطاعت تبين أن الفراش فارغاَ .. وفجـــأة .. سمعت وقع خطوات على السلم المؤدى الى المكان الذى تقف فيه .. شعرت بالهلع .. دخلت الغرفة ووقفت خلف الباب تنظر علها تتبين القادم .. رأت دائرة برتقاليه كبيرة تتحرك على الأرض يميناً ويساراً لتضئ المكان .. قفز قلبها فى حلقها .. أخفت نفسها خلف الباب المفتوح وصدرها يعلو ويهبط بسرعه شديدة .. ماذا لو كان لصاً .! .. لو صرخت مستنجده سيجدها قبل القاطنين فى المنزل .. كادت أن تغلق الباب لكنها خشت أن يصدر صوتاً يُنبئه بمكانها .. نظرت مرة أخرى من الباب المفتوح .. تبـــأ .. هذا اللص فى غرفتها .. ماذا يفعل فى غرفتها ؟ .. عادت مرة أخرى تقف خلف الباب المفتوح وهى تحاول كتم أنفاسها .. وفجـــأة .. رأت الدائرة البرتقالية تلعب فى محيط الغرفة التى تقف فيها .. كتمت أنفاسها بصعوبة .. اللص يقف بمحاذاتها لا يفصل بينه وبينها سوى الباب الذى تختبئ خلفه .. شعرت بالهلع والفزع .. تستطيع أن ترى ظله الملقى على الفراش وهو يحمل الكشاف يسبح به فى فضاء الغرفة .. فجأة وبدون تفكير أمسكت الباب جيداً

ثـــــم .. دفعته بقوة كبيرة ليرتطم به اللص صارخاً:
-آآآآآآآآآآه
حاولت أن تدفع الباب لتدفع اللص الى الخارج وتغلقه عليها .. لكن عيناها اتسعت دهشة وهى تنظر الى ذلك الجسد المنحنى واضعاً كفه فوق جبينه يتحسس موضع الألم .. وقد أوقع الكشاف منه .. أمسكت الكشاف وسلطته على وجهه لتتسع عيناها أكثر وهى تهتف:
" -لميس! "
وضعت "لميس" ذراعها فوق جبينها تحاول حماية عينها من ذلك الضوء المسلط عليها وهى تئن بألم .. قالت بصوت متألم:
-أيوة أنا يا "انعام" هانم
قالت لها "انعام" معتذرة:
-آسفة جداً يا "لميس" افتكرتك حرامى .. كنت مرعوبة
قالت "لميس" وهى تحاول فرك جبينها بقوة حتى لا تترك الكدمة أثراً ظاهراً:
-لما سمعتك بتنادى على "عدنان" بيه طلعت عشان أطمن عليكي
سألتها "انعام" بلهفة:
-ايه اللى حصل .. ايه صوت ضرب النار اللى تحت ده ؟
قالت "لميس: "
-اتصلت بالسيكيوريتي على البوابة قالولى حرامى كان بيحاول ينط عندنا فى الفيلا .. بس معرفش لأن السور عالى .. هما شافوه وجريوا وراه وضربوا نار فى الهوا عشان يخوفوه
قالت "انعام" بدهشة :
-ايه الجرأة دى
ثم قالت:
-ومسكوه ولا لأ
-مش عارفه .. أنا عرفت منهم كده وجيت عشان أطمن عليكي .. أعتقد هو اللى فصل النور عن البيت .. ممكن يكون لعب فى الكبلات اللى بره الفيلا .. عامة أكيد حد من السيكيوريتي هيجى يطمنا
فجأة أنار ضوء المصابيح المكان كله .. عادت الكهرباء مرة أخرى .. فوضعت

"انعام" كفها على صدرها وهى تتنهد قائله:
-الحمد لله
ظهر الارتياح أيضاً على وجه "لميس" التى احتفظت بجمالها رغم سنوات عمرها التى تجاوزت الخامسة والأربعون .. خرجتا من الغرفة وأغلقتها خلفها .. التفتت اليها "انعام" مستفهمة:
-فين "عدنان" ؟ .. افتكرته نايم
قالت "لميس" بأدب:
" -عدنان" بيه لسه مجاش
هتفت "انعام" بدهشة:
-معقوله .. فى الشركة لحد دلوقتى .. هروح أكمله
قالت "لميس" وهى تنزل الدرج:
-وأنا هروح أعرف آخر الأخبار من السيكيوريتي
دخلت "انعام" غرفتها وأخرجت الشاحن وأوصلته بهاتفها .. اتصلت بـ "عدنان" وهى جالسه فوق فراشها تضع ساقاً فوق ساق .. أتاها صوت رجولى أجش يقول:
-ألو .. أيوة يا "انعام"
هتفت بإستنكار:
-انت فين يا "عدنان" ؟
-فى الشركة
-معقوله لحد دلوقتى
-عندى شغل كتير يا "انعام" .. انتى ايه اللى مصحيكي لحد دلوقتى
قالت وهى تتذكر حالة الفزع التى أصابتها منذ قليل:
-اسكت يا "عدنان" .. كان فى حرامى بيحاول ينط على الفيلا عندنا .. وقطع النور عن الفيلا كلها
هتف "عدنان" بحده:
-ايه .. حرامى .. وانتوا كويسين .. حد جراله حاجة
قالت بسرعة:

-لا لا متقلقش .. تقريباً السيكيوريتي مسكوه
-أنا جاى حالا
لم يعطيها فرصة للرد .. بل أنهى المكالمة على الفور

****

تنتقل الى مكان آخر .. الى تركيـــا .. تحديداً العاصمة "اسطنبول" .. وفى أحد الشوارع الراقية .. عبرت سيارة رياضية بسرعة كبيرة .. ثــم زحفت السيارة بقوة على أرض الأسفلت لتتطلق صريراً مرعباً عالياً قبل أن تتوقف .. كادت الفتاة بجوار السائق أن يرتطم رأسها بالتابلوه أمامها من قوة الرجه .. كانت تلهث بشدة .. التفتت الى الرجل بجوارها وهى ترجع شعرها الأسود الى الخلف وتنظر اليه بنظرة غاضبة تشع من عينيها البنيتين ثم هتفت:
" -باهر" .. قولتلك ١٠٠ مرة بخاف من السواقه بسرعة كدة
ضحك الرجل بجوارها ومد يده الى وجنتها مداعباً .. أشاحت بوجهها مبتعده عن يده ودفعت يده تبعدها عن وجهها .. ثم عادت تنظر اليه بغضب .. فقال دون أن يتوقف عن ضحكاته:
-يا بنتى جمدى قلبك بأه هتفضلى فافى كده لحد امتى
ازدادت حدة نظراتها وهى تقول:
-أنا مش فافى .. بس بترعب من السواقه المجنونة بتاعتك دى
اقترب منها مقبلاً وجنتها وهو يقول:
-آسف يا "سمر" معدتش هسوق كدة تانى
تنهدت بحدة قائله:
-كل مرة تقولى كدة وبرده تسوق بالشكل المرعب ده .. أنا كل ما اركب معاك أفضل حطه ايدي على قلبى وأقول يارب متحصل حاجه وحشة
قبلها مرة أخرى قائلاً:
-متخفيش يا حبيبتى .. انتى مش عارفه خطيبك ولا ايه
نظرت اليه قائله:

-لأ عارفه .. عارفه انك بطل من أبطال سباق السيارات .. بس ده فى السبق لكن هنا فى ناس حوالينا وعربيات لو انت محترف سواقه فى غيرك ممكن يكون بيسوق على أده .. ولا قدر الله ممكن تحصل حاجه وحشة
زفر بضيق قائلاً بتبرم:
-أوووف يا "سمر" .. دمك بيبقى تقيل لما بتقلبى وتسمعيني محاضرة من بتوعك
تنهدت فى يأس وابتسمت قائله:
-مفيش فايدة فيك .. مش بتسمع نصيحة من حد
نظر اليها مبتسماً يرفع أحد حاجبيه قائلاً بمكر:
-بس بتحبينى وبتموتى فيا مش كدة ؟
أطلقت ضحكة ناعمه وهى تمرر أصابعها فى خصلات شعرها قائله وهى تنظر اليه بحب:
-أهاا .. بحبك وبموت فيك .. نصيبى بأه أعمل ايه
قبل يدها ونظر اليها بسعادة وقال مبتسماً:
-ده نصيبى أنا .. أحلى نصيب
نزلت "سمر" من السيارة والتفتت تنظر اليه من الشباك وابتسمت قائله:
-باى أشوفك بكرة
أرسل لها قبلة فى الهواء وهو يقول:
-تصبحى على خير يا حبى
-وانت من أهله
التفتت لتتوجه الى البناية خلفها .. وقبل أن تعبر أبوابها .. سمعت صوت صرير السيارة مرة أخرى فإلتفتت لتجد "باهر" منحرفاً بسيارته فى أحد الشوارع بطريقة مرعبة .. هزت رأسهاً بحنق وزفرت بضيق وهى تعبر البوابة الى داخل البناية

****

أشرق الصباح بضوئه على تلك الفيلا الكبيرة التى شهدت أحداث محاولة الإقتحام بالأمس .. وفى غرفة الطعام حول المائدة .. جلس على رأس الطاولة رجل خط الشيب رأسه فأختلطت شعيراته الرمادية بجاراتها السوداء فأعطته مع شاربة الأنيق مظهراً وقوراً .. جلس بحلته الأنيقة الكلاسيكية يتصفح جريدة الصباح ..يرتشف من كوب الشاى بجواره دون أن يحيد نظره عن الجريدة .. التفت وابتسم عندما دخلت "انعام" غرفة الطعام وهى تقول:

-صباح الخير يا "عدنان"

-صباح النور يا "انعام"

جلست فى مكانها المعتاد فى مواجهته على رأس الطاولة .. وأمسكت بالنابكن المطوى فوق الطاولة بعناية وفردته لتضعه فوق قدميها .. ثم تبدأ فى تناول طعامها وهى تقول:

-عملت ايه .. مفيش جديد ؟

ترك "عدنان" الجريدة من يده وتجعد جبينه فى ضيق وهو يقول:

-لا للأسف .. معرفوش يمسكوا الراجل

هزت "انعام" رأسها وهى تقول متذكرة أحداث الليلة الماضية:

-ده أنا كنت هموت من الرعب لما سمعت ضرب النار .. واللى زاد وغطى النور اللى اتقطع ده

قال "عدنان" شارداً وهو تناول رشفه من فنجانه:

-بس حرامى جرئ أوى اللى يقرب من الفيلا بتاعتنا .. أى حرامى المفروض انه بيختار مكان سهل يقتحمه .. لكن الفيلا سورها عالى وكمان عليها حراسة ..معقول يكون فى حرامى غبى للدرجة دى

قالت وهى تدس الطعام فى فمها وتلوكه ببطء:

-أنا برده استغربت قولت ايه الجرأة دى

ثم ضحكت بخفوت قائله:

-يا عيني "لميس" اللى راحت فيها .. افتكرتها الحرامى وخبطتها بالباب

لم تكد تنهى جملتها حتى عبرت "لميس" مديرة المنزل غرفة الطعام .. نظر "عدنان" بإشفاق الى تلك الكدمة فوق جبينها وهو يقول:

-ألف سلامة عليكي يا مدام "لميس"

ابتسمت قائله بأدب:
-الله يسلمك يا "عدنان" بيه
قالت "انعام" بأسف وهى تنظر الى كدمتها الظاهرة:
-آسفة مرة تانية يا "لميس "
التفتت اليها "لميس" قائله:
-لا مفيش حاجة يا "انعام" هانم .. وحضرتك كنتى هتعرفى منين انها أنا
نظرت اليها "انعام" بإمتنان أن تقبلت اعتذراها .. قالت "لميس" مشبكة يديها خلف ظهرها وهى تنقل نظرها بينهما:
-بخصوص حفلة الآنسة "نهال" أنا انتهيت من ترتيب كل حاجة .. واتفقت على التورت والجاتوه والأكل اللى هيتقدم ان شاء الله
هز "عدنان" رأسها قائلاً برضى:
-ممتاز
قالت "انعام" وهى تنظر اليهما:
-كلمتها الصبح .. ان شاء الله هترجع من الرحلة بكرة هى والجماعة .. طبعاً أنا مجبتش سيرة عن الحفلة اللى هنعمهالها بمناسبة دخولها الجامعة .. حبيت انها تكون مفاجأة
اتسعت ابتسامة "لميس" وهى تنظر اليها قائله:
-أكيد هتفرح أوى
ثم صفقت يبيدها قائله بحماس:
-أروح أنا أشوف اللى ورايا .. فى تجهيزات كتير لازم أعملها .. عن اذنكوا
عادت "انعام" الى اكمال طعامها ثم نظرت الى "عدنان" قائله:
" -مهند" هيحضر الحفلة بكرة ؟ .. ولا هيطول فى السفر ؟
قال "عدنان" وهو ينهض حاملاً هاتفه:
-لا ان شاء الله هيرجع قبل معاد الحفلة .. يلا سلام أشوفك بعدين
أومأت "انعام" برأسها وأكملت طعامها فى رضا

****

خرجت "لميس" من الفيلا .. ونظرت الى ذلك الشاب الذى وقف يمسح تلك السيارة الفارهة التى تقف أمام الفيلا .. توجهت اليه مبتسمة وهى تقول:

-صباح الخير يا "بشير"

التفت الشاب اليها وقال بإحترام:

-صباح النور يا مدام "لميس"

قالت بإهتمام:

-عملت ايه فى اللى قولتلك عليه

قال "بشير" بحماس:

-متقلقيش يا مدام "لميس" .. كل حاجة هتبقى مظبوطة ان شاء الله .. والطلبات اللى حضرتك كتبتيهالى جبتها كلها وحطتها عندنا تحت

اتسعت ابتسامتها وهى تقول:

-تمام أوى .. تسلم يا "بشير"

التفتت .. فرأت "عدنان" الذى خرج من الفيلا متوجهاً اليهما .. أسرع بشير فى فتح باب السيارة قائلاً:

-اتفضل يا "عدنان" بيه

ابتسم له "عدنان" و ركب فى السيارة بينما توجه "بشير" الى مقعد السائق وانطلق بالسيارة خارج الفيلا تودعهما نظرات "لميس"

****

تقلبت "سمر" فى فراشها وهى تفرك عينيها متمطعة .. كادت أن تعود الى نومها مرة أخرى لولا ذلك الصياح الذى سمعته فى الخارج .. جلست فى فراشها لبرهة وهى تستمع الى تلك الأصوات الصاخبة فى تبرم .. أزاحت الغطاء ونهضت عن فراشها مرتدية ذلك الروب الموضوع على أحد المقاعد .. خرجت من غرفتها وهى تفرك عينيها لتتضح لها الأصوات أكثر .. توجهت الى غرفة المعشية .. كان هناك رجل وامرأة يقفان فى مواجهة بعضهما البعض

ويبدو أن نقاشاً حاداً يدور بينهما .. تمتمت "سمر: "
-صباح الخير
لم يجيبها أحد .. فكلاهما منشغل بالشجار مع الآخر .. صاح الرجل:
-اللى أنا أقوله يتنفذ .. الست دى مش عايز تعرفيها تانى
صاحت المرأة :
-ليه بأه .. انتى فاكرنى جاريه عندك ولا ايه .. لا فوق .. من امتى وانت بتقولى اعرفى دى ومتعرفيش دى .. احنا فى تركيا مش فى مصر
-اللى قولته يتنفذ يا "فيروز "
-انت ملكش حق فى انك تدخل فى علاقاتى وصداقاتى يا "حمدى"
-لا ليا الحق .. طالما علاقاتك وصداقات هتأثر على شغلى يبأه لازم أتدخل
تمتمت "سمر" بوهن والتى كانت تنقل نظرها بنيهما:
-فى ايه ؟
لم يجيبها احد تلك المرة أيضاً .. صاحت "فيروز: "
-أنا مش فاهمة اشمعنى الست دى اللى عايزنى أقطع معاها
صاح "حمدى" بغضب هادر:
-عشان ست زبالة وسمعتها زى الزفت .. وعندها شقة مفروشة وفيها قمار وسكر ومسخرة وقلة أدب ..أقول كمان يا "فيروز" .. أظن كفاية كده لانك عارفه كويس أوى بلاوى صحبتك
رفعت "سمر" حاجبيها فى دهشة وهى تنظر الى "فيروز" التى صاحت بحنق:
-دى اشاعات
قال "حمدى" بحده:
-لا مش اشاعات وأنا واثق انك عارفه أخلاق صحبتك كويس وعارفه اللى بتعمله .. وواثق ان هى اللى مضيعه الفلوس اللى بتسحبيها منى كل شوية والتانى لما خلاص قربت أبقى على الحديدة
زفرت "فيروز" بحدة :
-بطل بأه .. بطل كل شوية تفكرنى اننا خلاص هنفتقر
-اسمعى يا "فيروز" أنا داخل فى صفقة مهمة ومش مستعد أخسرها عشان

مراتى مصاحبه واحدة سمعتها قذرة زى دى
-يا سلام وايه علاقة صحبتى بصفقاتك ان شاء الله
-العلاقة ان سمعتى مش عايزها تتأثر بأى حاجة .. شكلى هيبقى ايه لما شركائى فى الصفقة يعرفوا ان مراتى مصاحبه واحده زى دى وداخله خارجه معاها
-حياتى الخاصة ملكش دعوة بيها يا "حمدى"
-هى كلمة واحدة ومش هكررها تانى يا "فيروز" .. اقطعى علاقتك بيها فوراً
غادرت "فيروز" المكان فى تبرم بينما جلس"حمدى" متهالكاً فوق الأريكة شارداً حزيناً بائساً .. اقتربت منه "سمر" وربتت على كتفه قائله:
-بابا انت كويس
أومأ برأسه دون أن ينظر اليها .. ثم نهض وغادر البيت وأغلق الباب خلفه بقوة .. أسندت "سمر" ظهرها الى الأريكة وهى تتنهد فى حسرة .. لم تكن تلك الشجارات جديدة .. ولا حتى مضمونها غريباً .. ففى الغالب تحدث تلك الشجارات عدة مرات شهرية ويكون سببها الأول والأخير هو .. المـــال .. لا تذكر أنها رأتهما يتشاجرات حول أى شئ آخر .. فكل منهما همه مصالحه الخاصة ..

****

وقفت "سمر" أما المرآة متأنقة تتمم على ملابسها التى أبرزت مفاتنها بذاك البنطلون الذى حدد تفاصيل ساقيها مرتدية فوقه بلوزة ضيقه تغطى بصعوبة نصفها العلوى ! .. نظرت الى لمسات المكياج التى زينت بها وجهها وعادت ضبط أحمر الشفاه على شفتيها .. ثم حملت زجاجة العطر وأخذت تعطر نفسها برشات خفيفه .. قبل أن تحمل حقيبتها وتتوجه الى الباب .. أوقفتها "فيروز" قائله بلامبالاة وهى تحمل كوباً من العصير:
-خارجه ؟
قالت "سمر" وهى تعبث فى هاتفها دون أن تنظر اليها:

-أيوة .. "باهر" مستنيني تحت
قالت "فيروز" بتبرم:
-مش ناويين تتجوزوا بأه .. خليكي ناصحة اتجوزيه قبل ما يهرب منك أو تيجي واحدة تانية ترسم عليه الرجاله ملهمش أمان
نظرت اليها "سمر" بحده ثم خرجت وهى تغلق الباب خلفها بعنف .. وقفت للحظة أمام الباب وهى تتمتم:
-مستفزة
توجهت الى المصعد ومنه الى أسف البناية لتجد "باهر" جالساً فى سيارته المكشوفة ..نظر اليها وأخذ يتأمل تفاصيل جسدها مبتسماً .. ركبت بجواره وقبلت وجنته قائله:
-معلش اتأخرت عليك
عدل من جلسته خلف المقود وهو ينطلق بالسيارة قائلاً:
-بس ايه الحلاوة دى .. موزه موزه يعني
أطلقت ضحكة رنانه تنم عن استمتاعها بكلماته ثم قالت:
-دى أقل حاجة عندى
توقفت سيارته أمام أحد المقاهى .. هبطا معاً محيطاً كتفيها بذراعه .. فظهرت السلسلة الذهبية المتدلية من عنقه من قميصة النصف مفتوح .. أشار لهما أحد الشباب فتوجها الى تلك الطاولة التى ضمت شباب وفتيات يتضاحكون ويتمازحون معاً بالألسن ..وبالأيدى!
كانت سهرة ككل السهرات التى حضرتها "سمر" برفقة "باهر" .. وبدونه .. كانت تلك أكثر اللحظات التى تشعر فيها بالسعادة .. فأصدقائها حولها لا يشغل بال أى منهم متاعب الحياة .. فجميعهم من تلك الطبقة التى تنام ملء جفونها لا يشغل بالها التفكير فى رزق الغد ! .. بعض تلك الوجوه مصرية وبعضها تركية .. لكن العامل المشترك بينهم .. هو تلك الأحاديث التافهة التى تدور بينهم .. وتلك الجرأة التى يتعاملون بها مع بعضهم البعض شباب وفتيات .. نظر أحد الشباب الى "باهر" يغيظه قائلاً:
-خلاص يا ابنى انت وقعت فى الشبكة خلاص .. معدتش طير حر زى الأول .. راحت عليك

قال "باهر" وهو ينظر اليها بلامبالاة:
-راحت على مين يا ابنى .. اتكلم على أدك
اقترب الشاب من "سمر" بجرأة واضعاً ذراعه حول كتفيها وهو يقول بمرح:
-طيب قولى انتى يا "سمر" .. "باهر" حر ولا متكتف بحبك ياقمر ؟
أزاحت "سمر" ذراعه ووقفت تواجهه وهى تنظر اليه بحده قائله:
-انت عارف كويس انى مبحبش الطريقة دى
نظر اليها الشاب بإستخفاف وهو يتناول رشفة من الكأس فى يده وهو يقول:
-طريقة ايه .. هو أنا عملت حاجة
ازدادت حدة "سمر" وهى تقول بوضوح:
-مبحبش حد يحط ايده عليا
صاح أحد الشباب ضاحكاً:
-الا "باهر"
تعالت الأصوات بالضحك .. فتوجهت "سمر" متبرمة الى الخارج مبتعدة عن الموسيقى الصاخبة شيئاً فشيئاً .. مالت احدى الفتيات على الأخرى قائله:
-مالها قافشه النهاردة كده
هزت الفتاة كتفيها بلامبالاة وقالت بحنق:
-سيبك منها .. أصلاً مش عارفه "باهر" معجب بيها على ايه .. دى حتى ميتقالش عليها حلوة .. هى بس شوية الشعر اللى هيا فرحانه بيهم .. وأنا واثقه حتى انه مش طبيعي أكيد بتعمل فير قبل ما تنزل كل يوم
قالت الأخرى ضاحكة:
-انتى بتغيرى ولا ايه
هتفت بإستنكار:
-هغير ايه انتى كمان هى دى واحدة يتغار منها
ثم قالت بثقة شديدة:
-واحد زى "باهر" بوسامته ومستواه وشخصيته المجنونه دى .. أكيد بعد فترة هيمل منها وهيرميها .. وبكرة تشوفى

لحق بها "باهر" وجذبها من ذراعها قائلاً:
" -سمر" .. ايه فى ايه
زفرت "سمر" بضيق وقالت:
-معرفش اتخنقت .. انت عارف انى مبحبش حد يرخم عليا كده
قال "باهر" وهو يزم شفتيه:
-هو كان بيهزر معاكى مكنش قصده حاجه
قالت "سمر" بحنق:
-اضايقت وخلاص
ثم نظرت اليه بأسف قائله:
-معلش يا حبيبى أنا هروح .. بجد مزاجى وحش النهاردة
اقترب منها قائلاً:
-ماشى يا حبى زى ما تحبى .. بس لازم تتعوض بكرة
لمعت عيناها بمرح واتسعت ابتسامتها وهى تقول بدلال:
-كل سنة وانت طيب يا حبيبى
لمعت عيناه بخبث وهو يرفع حاجبيه قائلاً:
-لا مينفعش كده .. بكرة ان شاء الله هعمل حفله صغيره عندى فى البيت .. أنا وانتى وبس .. وتبقى تقوليهالى ساعتها
قالت بمرح:
-اتفقنا
توجها الى السيارة ففتح لها الباب وأحنى قامته وأشار بيده بطريقة مسرحية .. فضحكت وركبت .. وانطلق بها الى بيتها
قبل أن تنام توجهت الى خزينتها وتممت على الهدية التى اشترتها لـ"باهر .. " ارتسمت ابتسامه على شفتيها وهى تتخيل فرحته بهديتها .. أعادتها الى خزينتها وتوجهت الى فراشها وقد داعب النوم جفونها

****

فى ظهيرة اليوم التالى .. بينما كانت "انعام" جالسة فى شرفة غرفتها .. سمعت زمور سيارة يطلق بقوة .. قامت ونظرت الى الأسفل فارتسمت ابتسامة واسعة على شفتيها وهى ترى السياراتان اللاتان عبرتا بوابة الفيلا .. نزلت الى الأسفل ..توجهت احدى الخادمات لفتح الباب .. اندفعت من الخارج فتاة جميلة شقراء ممشوقة القوام .. ارتمت فى أحضان "انعام" وهى تهتف:

-وحشتيني يا عمتو .. وحشتيني أوى

عانقتها "انعام" بقوة وهى تقول:

-حبيبتى "نهال" .. وحشتيني جدا جدا جدا

رفعت الفتاة رأسها لتنظر اليها مبتسمة .. فى تلك اللحظة دلف من الخارج رجلين وامرأة استقبلتهم "انعام" قائله:

-أهلا أهلا .. حمدالله على سلامتكوا

قبلها أحد الرجلين قائلاً:

-ازيك يا عمتو وحشتيني

ابتسم له قائله:

-وانت كمان يا "علاء" .. وحشتيني أوى

تقدمت الفتاة وعانقتها قائله:

-وحشتيني أوى يا طنط .. الرحلة كانت عايزاكى

ضحكت "انعام" وهى تعانقها قائله:

-حبيبتى "بيسان" انتى كمان وحشتيني أوى

ثم نظرت الى الرجل خلفها وقالت:

-ازيك يا "نهاد"

اقترب منها مبتسماً وقبلها قائلاً:

-ازيك يا عمتو .. وحشتيني أوى

-تسلم يا حبيبى

ثم نظرت اليهم قائله:

-اتفضوا على الصالون

دخل الجميع الى حجرة الصالون الواسعة والتى تقع فى الدور الأول من الفيلا ..

قالت "نهال" بمرح وهى تجلس على يد المقعد الذى تجلس عليه "انعام: "
-متتصوريش يا عمتو فرحنا ازاى .. بجد الرحلة كانت رهيبة
قالت "بيسان" بمرح وهى تضع يدها على بطنها المتكور:
-كنت خايفة أوى أولد هناك .. كانت هتبقى مصيبة بجد
جلس "نهاد" على طرف المقعد بجوارها وأحاطها بذراعه قائلاً:
-متقلقيش يا حبيبتى لسه على ولادتك شهر بحاله
هتفت قائله بإستنكار وعيونه تتسع خوفاً:
-يا "نهاد" مسمعتش عن ستات بتولد فى السابع وفى التامن .. أنا بجد مرعوبة
قام "علاء" وقد بدا عليه الضجر .. فقالت له "انعام: "
-على فين يا "علاء" ؟
قال وهو يحك رأسه:
-شوية كدة يا عمتو
هتفت "نهال" بغيظ:
-آه شوية كدة يا عمتو .. وحشتك السرمحه مع صحابك مش كده
اقترب منها وجذبها من شعرها بمزاح وقال:
-عيب لما تتكملى مع أخوكى الكبير كدة
هتفت "نهال" تستنجد بعمتها:
-يا عمتو خلى البنى آدم ده يسيب شعرى
نظرت اليه "انعام" بحزم وقالت:
-عيب يا "علاء" هو انت صغير .. سيب أختك ميصحش كده
ترك شعر "نهال" وهو ينظر اليها مغتاظاً .. ثم خرج من الغرفة .. تابعه "نهاد" بنظره ثم قال بحنق:
-الواد ده مش هيعقل أبداً
قالت "انعام" مبتسمه:
-معلش يا "نهاد" .. أخوك لسه صغير ..بكرة يكبر ويعقل
هتف "نهاد" بإستنكاء:

-صغير ايه يا عمتو .. اللى أده فتحين بيوت دلوقتى
قالت "بيسان" وهى تنهض بصعوبة بمساعدة "نهاد: "
-معلش يا جماعة أنا هطلع أرتاح شوية قبل معاد الـ..........
قطعت حديثها ووضعت يدها على فمها بعدما نظرت اليها "انعام" بإستنكار ..
فهتفت "نهال" وهى تصفق كالأطفال:
-فى حفلة مش كدة .. عاملينلى حفلة بمناسبة دخولى الجامعة .. صح صح .. قولوا صح
نظرت "بيسان" الى "انعام" بخجل وهى تقول:
-والله آسفة يا طنط .. معرفش الكلام خرج منى ازاى .. باين الحمل خلانى غبية أوى
نظر اليها "نهاد" قائلاً:
-ولا يهمك يا حبيبتى .. حصل خير
ابتسمت انعام" وهى تقول:
-ولا يهمك يا "بيسان" .. أصلاً كان لازم تعرف من دلوقتى عشان تلحق تحضر نفسها للحفلة
قفزت "نهال" بمرح وعانقت عمتها وهى تقول:
-يا حبيبتى يا عمتو
ضحكت "انعام" وهى تقول:
-كنت واثقة انك هتفرحى كدة .. يلا اطلعى استعدى للحفلة
-ماشى
خرجت "نهال" متوجهة الى غرفتها عندما استوقفتها "لميس" وهى تقول بسعادة:
-حبيبتى "نهال" وحشتيني أوى .. اتبسطتى فى الرحلة ؟
قالت بمرح:
-جداً جداً يا مدام "لميس" .. انتى عارفه ان فى حفلة النهاردة عشانى ؟
ضحكت "لميس" ثم قالت:
-إلا عارفه .. طبعاً عارفه .. ده أنا اللى مرتبالك الحفلة بنفسى
قالت "نهال" بسعادة وحماس:

-طيب تعالى ساعديني بأه عشان أستعد للحفلة كويس .. أكيد هيكون فيها كل العيلة
أمسكت "لميس" بكفها الممدود ثم صعدتا معاً الى غرفة "نهال "

****

نظر "باهر" فى المرآة يتمم على تصفيفة شعره التى استغرقت ما يقرب من نصف ساعة لضبطها .. ثم ألقى نظرة على الطاولة فى الشرفة .. نظر بعين الرضا الى المفرش الأحمر والى الكاسين الفارغين والثلج الموضوع به زجاجة الخمر .. والى الشموع و العشاء الشهى .. نظر الى ساعته لبرهه ثم .. سمع جرس الباب .. فعلت شفتيه اتسامه خبيثه وتوجه مسرعاً الى غرفة النوم يلقى نظرة على الشموع التى أعدها وعلى المفرش النارى الموضوع فوق الفراش .. ثـم توجه الى الباب وفتحه وهو ينظر اليها متأملاً اياها فى فستانها الأنيق الذى كشف عن ساقيها ذراعيها .. ثم قال مبتسماً وعيناه تلمع بخبث:
-سمــر!

وقفت فى الشرفة وكأنها تنتظر أحداً .. دخلت "لميس" الغرفة وهتفت بإستنكار :
" -نهال" بتعملى ايه عندك .. يلا الضيوف كلهم تحت
أطلقت نظرة قلقة على ساعتها ثم على الطريق وهى تقول:
-ثوانى بس يا مدام "لميس" .. ثوانى ونازله .. قوليلهم ثوانى
قالت "لميس" بحزم وهى تخرج:
-طيب متتأخريش عشان ميصحش كدة
عادت تتطلع الى الطريق خارج الفيلا .. ثم ما لبثت أن اتسعت ابتسامتها ولمعت عيناها بسعادة وهى تنظر بلهفة الى تلك السيارة السوداء الفارهة التى عبرت

بوابة الفيلا .. وهتف قلبها وهو يقفز فرحاً:
-مهنــد!

الفصل الثاني

توقفت السيارة أمام الفيلا .. انحنت "نـهال" لترى الفتاة التى ترجلت من ثم تسير السيارة بضع خطوات بعيدة عن الفتاة لكى تصطف السيارة ..السيارة بعيدة عدة أمتار عن باب الفيلا حتى لا تعيق مرور سيارات الضيوف التى ستدخل وتخرج من الفيلا .. رأت "بشير" وهو يسرع بإتجاه السيارة ويفتح الباب .. اتسعت ابتسامتها وهى تنظر الى ذاك الرجل الذى ترجل من السيارة بحلته الكلاسيكية و شعره المصفف بعناية .. كان يوليه ظهرها ويضع ذراعه على كتف "بشير" الذى رأته يبتسم بسعادة وهو يتحدث اليه .. ربت الرجل على كتف "بشير" مرتين قبل أن يلتفت فى اتجاه الفيلا .. تأملته بوجهه الذى لوحته الشمس فأكسبته سمره محببه زادت من اسمرار بشرته .. وتلك الملامح التى وإن خلت من الوسامة الظاهرة إلا أنـها تشع قوة ورجولـة .. اقترب من الفتاة التى نزلت من السيارة ووقفت تنتظره .. أحاط كتفيها بذراعه وتوجها معاً . الى داخل الفيلا
نـهال" تلقى نظرة سريعة فى المرآة لتتأكد من أنـها تخرج فى أبـهى "التفتت هبطت الدرج بسرعة .. رأت احدى الخادمات تفتح الباب ليدخل منه .. زينه ذالك الرجل مع تلك الفتاة .. اتسعت ابتسامتها وتوجهت اليهما لتستقبلهما ..
: ابتسمت الفتاة فى وجه "نـهال" وقالت
نـهال" .. ازيك .. وحشتيني أوى" -
: عانقتها "نـهال" قائلـه
انتى كمان يا "فريدة" وحشتيني أوى -

: التفتت "نهال" تنظر الى الرجل قائله
"حمدالله على السلامة يا "مهند -
: تأملته عن قرب بتلك العينين الثاقبتين وهو يقول بصوت رخيم
"الله يسلمك يا "نهال -
ترك الفتاتان معاً وتوجه الى الداخل مما سبب الحسرة فى قلب "نهال" .. ابتسم
: "عدنان" بمجرد أن رآى "مهند" مقبلاً عليه وتعانقا .. قال "عدنان"
"حمدالله على السلامة يا "مهند -
: ابتسم "مهند" قائلاً
الله يسلمك يا عمى -
توجه "مهند" ليسلم على عمته الجالسه تتحدث الى احدى النساء فهتفت قائله
:
"مهند" حبيبى .. حمدالله عى السلامة .. فين "فريدة" -
: قبلها قائلاً
"بره مع "نهال -
: توجه الى رجلين يقفان معاً .. ابتسم "نهاد" وسلم عليه قائلاً
"حمدالله على السلامة يا "مهند -
"الله يسلمك يا "نهاد -
ثم التفت لينظر الى "علاء" الذى نظر اليه ببرود وهو يحتسى العصير فى يده
: قائلاً
ايه أخبار السفرية -
: قال "مهند" بإقتضاب
الحمد لله -
: احتد "علاء" قليلاً
أيوة الحمد لله ايه يعني .. اتفقت معاهم على ايه .. والأسعار مشتها زى ما -
احنا عايزين ولا فى اتفاقات جديده
: قال "مهند" بصرامة وهو ينظر اليه بثبات
المعلومات دى هتعرفها فى الإجتماع يا "علاء" .. بس لما تتعرض على عمى -
الأول .. هو صاحب الشغل يعني لازم يكون أول واحد عارف بتفاصيل الصفقة
اللى هتم بينا وبينهم

علاء" وجه بغيظ ورفع كوب العصير الى فمه ينهيه فى رشفة واحدة "أشاح
استأذن "مهند" ليسلم على بعض الأشخاص فى الحفل .. التفت .. كبيرة
: ""علاء" يرمقه بنظرات حقود ثم قال لأخيه "نهاد
شايف بيتعامل معانا ازاى .. الشحات ده -
: قال "نهاد" محذراً
ششششششش وطى صوتك احنا فى حفلة .. لو حد سمعك مش هتبقى ظريفة -
: قال "علاء" محتداً بغضب
هو فاكر نفسه ايه بالظبط .. هو ناسى ان أنا وانت شغالين فى الشركة دى -
زينا زيه .. بيتعامل كده ليه معانا أكنه مشغلنا عنده .. الشركة دى بتاعة عمى
عدنان" وكلنا بنشتغل فيها زى بعض محدش أحسن من حد عشان يتعامل "
معايا كدة
: قال "نهاد" بحنق
يا ابنى انت غاوى مشاكل وخلاص .. "مهند" مقالش حاجة .. قال ان لازم -
عمى "عدنان" يعرف التفاصيل الأول وبعدين هنعرف كلنا فى الإجتماع
: وضع "علاء" الكأس الفارغ بقوة فوق أحد الطاولات قبل أن يغادر قائلاً
بكرة يبقى "مهند" الكل فى الكل ونتركن أنا وانت على الرف يا "نهاد" .. -
بكرة تقول "علاء" أخويا قال
توجه "علاء" الى احدى الفتيات يتحدث معها .. بينما نظر "نهاد" فى اتجاه
! "مهند" بريبه .. وقلق .. وخوف من المجهول

****

باهر" فى المرآة يتمم على تصفيفة شعره التى استغرقت ما يقرب من "نظر
نصف ساعة لضبطها .. ثم ألقى نظرة على الطاولة فى الشرفة .. نظر بعين
الرضا الى المفرش الأحمر والى الكاسين الفارغين والثلج الموضوع به زجاجة
والى الشموع و العشاء الشهى .. نظر الى ساعته لبرهه ثم .. سمع .. الخمر
فعلت شفتيه اتسامه خبيثه وتوجه مسرعاً الى غرفة النوم يلقى .. جرس الباب
نظرة على الشموع التى أعدها وعلى المفرش النارى الموضوع فوق الفراش

.. ثـم توجه الى الباب وفتحه وهو ينظر اليها متأملاً اياها فى فستانها الأنيق
: الذى كشف عن ساقيها ذراعيها .. ثم قال مبتسماً وعيناه تلمع بخبث
! سمـر -
: ابتسمت وهى تدخل البيت .. أغلق الباب خلفه .. فقالت بنعومة
"كل سنة وانت طيب يا "باهر -
: أمسك يدها مقبلاً اياها وهو يقول
وانتى طيبة يا حبيبتى -
أعطته تلك العلبة التى كانت تحملها فى يدها .. فتحها مبتسماً ليجده نموذج
: مصغر لأحد سيارات السباق .. لمعت عيناه بشغف وهو يتفحصه ويقول
راااائع يا "سمر" بجد رائع .. والأروع ان معدنيش زيها فى المجموعة -
بتتعتى .. جبيتيها منين دى
: نظرت اليه بسعادة تتأمل فرحته بهديتها وقالت بحماس
"وصيت عليها حد من معارف بابا .. بجد عجبتك يا "باهر -
: ابتسم وهو مازال ينظر الى النموذج يقلبه بين كفيه بإعجاب
طبعاً عجبتنى -
توجه بها الى الشرفة .. وأخرج زجاجة الخمر يفتحها ويصب منها فى الكأسين
: ويعطى أحدهما الى "سمر" وهو يبتسم قائلاً
أحلى عيد ميلاد مر عليا .. عشان ده أول عيد ميلاد يمر عليا وانتى معايا -
ابتسمت فى سعادة لكلماته التى أطربتها .. ثم ما لبثت أن نظرت بقلق الى
محتويات الكأس .. رفع "باهر" كأسه الى فمه ينهيه .. فنظرت اليه بأسف
: قائله
معلش يا "باهر" انت عارف انى مليش فى الشرب -
: وضعت كأسها فوق الطاولة .. فقال "باهر" بضيق
بس النهاردة عيد ميلادى .. يعني يوم مميز -
: قالت برجاء
عشان خاطرى متزعلش مش بحب أزعلك .. بس فعلاً مش بطيق البتاع ده -
: قال متظاهراً بعدم الغضب
خلاص يا روحى ولا يهمك -
جلسا معاً وشرعا فى تناول عشائهما .. قالت "سمر" بسعادة وهى تتأمل ما

: أعده باهر لها على الطاولة من زهور وشموع
انت اللى عملت كل ده -
: نظر اليها بهيام قائلاً
طبعاً يا روحى .. حبيت يكون العشا مع حبيبتى وخطيبتى رومانسى على - الآخر
تناولت عشائها فى استمتاع وهى سعيدة بتلك المعاملة وذاك الإهتمام .. بعد العشاء وقفت تستند على سور الشرفة بينما أحضر "باهر" كوبين من العصير تناولته منه مبتسمة .. ثم التفتت تنظر الى ظلمة السماء شارده .. وقف "باهر" : بجوارها قائلاً
مالك يا "سمر" شكلك مش فى المود النهاردة -
: تنهدت بحسرة .. وصمتت .. ثم ما لبثت أن قالت بحزن
عارف يا "باهر" .. أنا نفسى أرجع مصر أوى -
: قال وهو يبتسم بسخرية
ليه بأه .. حد يسيب تركيا ويرجع مصر -
: تنهدت مرة أخرى وقالت شاردة
وحشنى ناسها أوى .. شكلهم .. ملامحهم .. طيبة قلبهم .. أخلاقهم .. - وحشنى أماكن كتير كنت بروحها مع ماما الله يرحمها .. نفسى ..طباعهم أروح الأماكن دى تانى
: قال "باهر" بلامبالاة وهو يحرك كوبه فى يده
ما فى هنا مصريين كتير نعرفهم -
: قالت "سمر" وفى عينيها نظرة حزن
لا المصريين اللى بنشوفهم هنا مش زى اللى كنت بشوفهم فى مصر وأنا - كانوا حاجة تانية .. تحس انك بتحبهم من غير ما تعرفهم .. تحس .. صغيرة انك عارف وشوشهم وحافظها .. ممكن تقابل واحد لأول مرة فى حياتك بس تحس انك تعرفه من زمان
: ثم سرحت بخيالاتها الى عدة سنين للوراء وقالت بنبرة حالمة
زمان وأنا صغيرة .. أفتكر فى يوم كنت راجعه من المدرسة .. وكالعادة ماما - كانت واقفة فى المطبخ بتعمل الأكل .. فجأة سمعت صوت صويت .. كان فى حريقة فى العمارة بسبب ماس .. والستات عماله تصوت .. الشارع كله اتلم

والرجالة طلعت وسط النار وطفوا الحريقة ونزلونا كلنا تحت .. ماما فضلت كنت مرعوبة أوى .. بصيت على وشوش الناس وهما ..شيلانى وحضانى بيطبطبوا عليا عشان أبطل عياط .. السكان خافوا يرجعوا العمارة تانى قبل ما ييجى حد يكشف على سبب الماس عشان متحصلش حريقة تانى .. جيرانا فى الشارع فتحولنا بيوتهم نعد نستنى فيها بدل وقفتنا فى الشارع .. سعتها حسيت ان الناس دى كلها عيلة كبيرة أوى .. ومتقسمة على بيوت جمب بعض ..
حتى لو فيهم ناس وحشة .. وناس مؤذية .. بيحبوا بعض وبيخافوا على بعض .. هفضل الأغلبية طيبة وكويسة
بدا على "باهر" الضجر وهو يستمع الى حديثها .. لم ترى تعبيرات وجهه لأنها كانت شاردة تنظر أمامها .. ران الصمت بينهما الى أن قطعته وقالت :
- عارف يا "باهر" أنا ايه اللى خلانى أحبك ؟
نظر "باهر" اليها .. فالتفتت تنظر اليه وابتسامه صغيره على ثغرها وقالت :
- من يوم ما ماما اتوفت وبابا اتجوز "فيروز" وجينا عيشنا هنا .. وأنا بحس انى مختلفة شوية عن الناس هنا .. عارفه ان العلاقات ممكن تكون فى بلد زى اللى احنا فيه حاجة عادية .. حتى المصريين لما بينزلوا هنا بيفتكروا ان خلاص عشان سبت مصر وعشت هنا يبأه هتصرف زى ناس كتير هنا وهسمح بعلاقات زى دى
صمتت قليلاً ثم قالت وهى تتطلع ايه بحب :
- اللى عحبنى فيك انك مكنتش زيهم .. من أول مرة شوفتنى فيها جيت وقفت بجرأة قدامى وقولتلى عايز أتجوزك .. ساعتها فرحت أوى .. حسيت انك مختلف عن كل الناس هنا وبتدور على حاجه غير اللى الناس بتدور عليها
مط "باهر" شفتيه وحك رأسه فأكملت "سمر" :
- عارف لو كنت عملت زيهم وحاولت انك تدخلنى معاك فى علاقة كده أنا كنت كرهتك أوى وكنت سيبتك فوراً
بدا عليه الحنق لكنها لم تنتبه لذلك وأكملت شاردة وهى تنظر أمامها الى السماء الحالكة :
- عارف يا "باهر" رغم انى عشت هنا سنين طويلة .. وبقيت بقلدهم فى بس فى حاجة جوايا بتخليني أفتكر "سمر" الصغيرة اللى كانت ..حاجات كتير عايشة مع مامتها وباباها فى مصر .. حاجه بتخليني ساعات بحس نفسى

ضايعه .. ساعات بحس انى مش لاقيه نفسى .. نفسى ضايعه جوايا من عارفه أوصلها .. وفى نفس الوقت مش عارفه اتجاهلها واشيلها من جوايا .. عارف لما تحس انك بردان وحران فى نفس الوقت ؟ .. أنا حسه بكدة حسه انى بردانه وحرانه فى نفس الوقت .. لا أنا عارفه أتغطى ولا عارفه أشيل الغطا

ظهرت تعبيرات وجه "باهر" واضحة جلية بمدى ضجره من ذلك الحديث وتلك الطريقة التى آلت اليها السهرة والتى لم تكن مثلما خطط ! .. نظرت اليه "سمر" متأملة ثم قالت معتذرة :

- صدعتك مش كده .. انا آسفة يا "باهر" .. النهاردة عيد ميلادك وطول الوقت قضيناه فى الكلام عنى

رست بصعوبة بسمة على شفتيه وهو يقول :

- لا أبداً يا روحى أنا بحب أسمعك وانتى بتتكلمى

نظرت "سمر" الى ساعتها ثم قالت :

- أووف الوقت اتأخر .. لازم أمشى

هتف "باهر" بإستنكار :

- هو احنا لحقنا نعد مع بعض يا "سمر"

قالت معتذره وهى تحمل حقيبتها :

- معلش يا حبيبى .. انت عارف ان من يوم ما انت ركبت عربيتي وعملت بيها الحادثة وأنا بابا مجبليش غيرها .. وأنا بخاف اركب تاكسيات فى وقت متأخر أوى .. انت عارف الحوادث اللى بنقراها كل يوم فى الجرايد

قال "باهر" بإستسلام :

- خلاص يا حبى ولا يهمك

قبلته مودعة وقالت مبتسمة :

- كل سنة وانت طيب يا حبيب قلبى .. ان شاء الله كل أعياد ميلادك الجايه نقضيها مع بعض

- اهااا

خرجت "سمر" وهى تلوح له قبل أن تركب المصعد .. أغلق "باهر" الباب ووقف خلفه للحظات وهو يزفر بضيق قائلاً :

- ده ايه البلوه اللى بليت نفسى بيها دى !

****

خرج آخر ضيف فى الحفلة فأغلقت الخادمة الباب خلفه .. كانت العائلة مازالت مجتمعه فى الغرفة التى أقاموا بها الحفل الصغير .. قبلت "نهال" وجنتى "عدنان" وقالت :

- تسلم يا عمو فرحت أوى بالحفلة دى ربنا ما يحرمنى منك

ابتسم "عدنان" وهو ينظر اليهم جميعاً فى حنان ويقول :

- تعرفوا يا ولاد بفرح أوى لما بشوفكوا متجمعين حوليا

ثم تحولت نظرته الى الحزن وقال :

- من يوم ما فقدت زوجتى وابنى وأنا كنت حاسس انى وحيد أوى فى الدنيا دى لحد ما جمعتكوا حوليا .. يومها حسيت ان ابنى لسه عايش .. وبشوفه فى .. كل واحد فيكوا .. وبحبكوا أكنكوا ولادى من صلبى مش بس ولاد أخواتى

اقترب منه "مهند" مربتاً على كتفه قائلاً :

- واحنا كمان يا عمى بنعتبرك كأب لينا

ثم التفت ينظر الى "فريدة" قائلاً :

- بالذات أنا و "فريدة" بنعتبرك بجد أب لينا

صدقت "فريدة" على كلام "مهند" قائله وهى تنظر الى "عدنان" فى تأثر :

- فعلاً يا عمى .. من يوم ما بابا وماما اتوفوا محدش حن علينا أنا وأخويا "مهند" زيك كده .. ومن يوم ما جبتنا نعيش معاك هنا وأنا بحس اننا فعلاً ولادك .. يمكن "نهال" و "نهاد" و "علاء" بيحبوك وبيعتبروك مثل أعلى ليهم بس هما ربنا يبارك فى والدهم ووالدتهم لسه عايشين وما داقوش مرارة .. اليتم زيي أنا و "مهند" .. عشان كدة أنا حسه أد ايه اننا فى نعمة اننا نباه تحت وصايتك ورعايتك

ألقى عليها "علاء" نظرة ساخرة بينما قال "نهاد" :

- فعلاً يا عمى كلنا بنعتبرك أب ومثل أعلى لينا

اتسعت ابتسامة "انعام" وهى تنظر اليهم جميعاً وقد غلبتها عبراتها فترقرت فى عينيها وهى تقول :

- الكلام ده كله لعمو "عدنان" .. طيب مفيش حاجة لعمتو "انعام"
أقبلت عليها "نهال" فى مرة مقبله اياها قائله :
- ازاى بأه يا عمتو .. ده احنا كلنا كده من غيرك ولا حاجة خالص
ابتسمت وهى تربت على رأسها قائله :
- ربنا يبارك فيكوا يا "نهال"
أشارت "بيسان" لـ "نهاد" فأسرع يمسك يدها ليعينها على النهوض .. قالت والنوم يداعب جفونها :
- معلش يا جماعة بس أنا تعبت النهاردة ومحتاجه أرتاح
قالت "انعام" على الفور :
- طبعاً يا حبيبتى اتفضلى اطلعى ارتاحى
قالت "بيسان" وهى تلتقط حقيبتها :
- معلش يا طنط أنا حبه أروح أنا و "نهاد" بيتنا
قال "عدنان" فى استنكار :
- ليه يا "بيسان" الوقت اتأخر وانتى عارفه ان فى الفيلا أوض كتير فاضية .. باتوا هنا وبعدين ابقوا روحوا الصبح
اعتذرت قائله :
- معلش يا عمو بس فعلاً أنا حبه أروح البيت
قال "نهاد" على الفور :
- خلاص يا عمى مفيش مشكلة نروح البيت وان شاء الله نجيلكوا بكرة
قالت عمته محذره:
- لا بلاش تخرجها بكرة يا "نهاد" خليها مرتاحه خاصه انكوا لسه راجعين من السفر النهاردة .. يلا خد مراتك وروحها
ثم نظرت الى "بيسان" مقبلة اياها وهى تقول :
- هبأه أتصل بيكي الصبح أطمن عليكي يا حبيبتى
- شكراً يا طنط
رحل "نهاد" مع زوجته مودعاً الجميع .. توجه الى سيارتهما فقال لـ "بيسان" وهو يعاونها على ركوب السيارة :
- مكنا استنينا هنا يا حبيبتى وروحنا بكرة
قالت "بيسان" بضيق :

لأ عايزه أروح .. انت عارف انى مبرتحش وآخد راحتى الا فى بيتنا -
: ابتسم "نهاد" ونظر اليها من شباك السيارة بعدما أغلق الباب وقال
ولا يهمك يا حبيبتى .. متضيقيش نفسك -
: نظرت اليه معتذره وهى تقول
معلش يا "نهاد" استحملنى .. أنا الحمل مخليني حساسه أوى ودمعتى قريبه -
أومأ برأسه وأظهر لها تفهماً أسعدها ورسم بسمة على ثغرها

: "قالت "نعام" موجهة حديثها لـ "علاء" و "نهال
اوعوا تقولولى انتوا كمان انكوا عايزين تروحوا .. بابا وماما مسافرين مش -
معقول هتعدوا فى البيت لوحدكوا .. خليكوا معانا هنا
قالت "نهال" على الفور وهى ترمق "مهند" الواقف مع "عدنان" مندمجاً فى
: الحديث معه
طبعاً يا عمتو هنستنى هنا .. زى ما حضرتك قولتى بابا و ماما مسافرين -
فخلينا هنا أحسن
: نهصت "انعام" بإعياء وقالت
أنا سهرت النهاردة أوى يلا يا ولاد تصبحوا على خير -
: نهضت "فريدة" وقالت وهى تسير بجوارها
أنا كمان هطلع أنام .. تصبحوا على خير -

"نهال" فى مكانها تتظاهر باللعب فى الموبايل بينما كانت ترمق "مهند"جلست
.. بنظراتها من حين لآخر .. بعد لحظات استأذنهم "عدنان" للصعود الى غرفته
: أغلق "مهند" باب الشرفة ثم نظر الى "علاء" و "نهال" قائلاً
تصبحوا على خير -
توجه الى بداية الدرج للصعود الى غرفته فأوقفه "علاء" ممسكاً ذراعه فى يده
التفت "مهند" ينظر الى ذراع "علاء" الممسكة به .. ثم نظر اليه ليجد نظرة ..
: تحدى فى عينه وهو يقول متهكماً
اوعى تكون فاكر بالكلمتين الحلوين اللى قولتهم انت وأختك من شويه -
هتعرف تضحك على دماغ عمك وتطلعنا من المولد بلا حمص .. انسى يا

""مهند
ازدادت حدة نظرات "مهند" الثاقبة المسلطة على عيني "علاء" .. وبدون أن تتباعد أعينهما أزاح "مهند" يد "علاء" بحزم قبل أن يلتفت ليصعد الى غرفته دون أن يتحدث ببنت شفه .. شعر "علاء" بالغيظ وهو يتابعه بنظراته .. أتت : "نهال" من خلفه قائله بضيق
ليه قولتله الكلام ده يا "علاء" .. ليه تضايقه كده -
: نظر اليها "علاء" بحده قائلاً
وانتى مالك انتى .. يلا اطلعى نامى -
: ثم توجه الى الباب الخارجى فهتفت "نهال" بإستنكار
انت مش هتنام -
: التفت اليها قبل أن يخرج ليقول بسخرية
ليه هو أنا زيكوا .. فى حد ينام دلوقتى .. دى السهرة لسه بتبتدى -
أغلق الباب خلفه .. فصعدت "نهال" الى الغرفة التى خصصها عمها لها بالذات كلما أرادت المبيت فى الفيلا

مهند" الى غرفته التى تتميز ببساطه أثاثها .. خلع الجاكت وفتح نافذة "دخل الشرفه ووقف بها قليلاً مستنداً الى السور بقبضتى يده .. ألقى نظرة فى الأسفل على "علاء" الذى ركب سيارته وانطلق بها خارج أسوار الفيلا .. ضاقت عيناه وهو يتابعه بنظرات غاضبه .. ثم التفت الى القمر الذى زين السماء بطلته وحلته الفضية .. بدا شارداً .. مهموماً .. كما لو كان يحمل عبئاً ثقيلاً فوق عاتقيه .. أفاق من شروده على دقات صغيره على بابه .. دخل غرفته وفتح الباب ليفاجئ بـ "نهال" .. التى وقفت تنظر اليه مبتسمه .. عقد جبينه وهو : ينظر اليها ..فقالت وهى تقدم له ما بيديها
"أنا جبت هدية لكل واحد فى العيلة .. ودى هديتك يا "مهند -
نظر "مهند" الى الهدية بمزيج من الضيق والتردد .. ثم أخذها من يدها وقال : دون أن ينظر اليها
"متشكر يا "نهال -
اتسعت باتسامتها كما لو كان أسمعها قصيدة غزل .. خط خطوة الى الخلف وهم : بغلق الباب قائلاً

بعد اذنك يا "نهال" .. الوقت متأخر ميصحش نقف نتكلم مع بعض كده -
: اختفت ابتسامتها وبلعت ريقها بصعوبه بينما احتمرت وجنتاها وهى تقول
آه طبعاً .. أنا بس كنت عايزه أديلك الهدية .. تصبح على خير -
أومأ برأسه دون أن ينظر اليها .. أغلق الباب .. نظر للحظه الى العلبة التى يحملها بيده .. ثم وضعها بلامبالاة على احدى الطاولات .. وعاد الى مكانه فى الشرفة .. يسبح بخياله مرة أخرى بين القمر والنجوم !

بينما كانت "سمر" نائمة تسبح فى أحلامها سمعت صرخات مدوية تملأ المكان .. هبت جالسه على فراشها فى هلع .. وأرهفت أذنيها لتجد أن مصدر هذا الصوت .. هو غرفة والدها و "فيروز" !

الفصل الثالث

نهضت "سمر" من فراشها مسرعة متوجهة الى غرفة والدها .. لتجد أن هى مصدر ذلك الصراخ .. كان والدها .. نائماً على ظهره على ""فيروز الأرض لا يتحرك وفيروز واقفه على بعد خطوات منه تصرخ ولا تجرؤ على سمر" وجثت على ركبتيها بجوار والدها وهى تحركه "الإقتراب .. اندفعت
: هاتفه
بابا .. بابا -
: نظرت الى "فيروز" بلوعة وقالت
فيروز" ايه اللى حصله" -
: قالت "فيروز" وهى تبعد ناظريها عنه
.... معرفش .. معرفش .. كان بيتكلم معايا وفجأة وقع -

نهضت "سمر" مسرعة الى الهاتف واتصلت بالإسعاف .. جلست جواره تبكى وتحاول أن تحركه وتناديه دون أى استجابه منه .. أتت سيارة الإسعاف وحملته الى المشفى وتبعته مع "فيروز" بسيارتها .. انهمرت العبرات من عيني "سمر" وهى تخشى فقد والدها .. فهو كل من بقى لها فى هذه الدنيا .. رغم البعد والجفاء بينهما .. إلا أنه يبقى والدها .. وحاميها .. ودرع الأمان لها .. أخذت تدعو الله أن يعود سالماً من أجلها .. لأنها تحتاج لوجوده فى حياتها .. توقفت سيارة الإسعاف أمام المستشفى ومن خلفها سيارة "فيروز" جرت "سمر" فى اتجاه والدها المحمول على النقاله .. أسرعوا بإدخاله الى احدى الغرف ومنعوا دخولها .. وقفت فى الخارج دموعها فى عينيها .. وهى تشعر بإنقباض فى صدرها.. أخرجت هاتفها من جيبها واتصلت بـ "باهر" قائله بصوت باكى :

- "باهر" .. أنا فى المستشفى"

هتف "باهر" بدهشة :

- مستشفى .. ليه ايه اللى حصل

أجهشت فى البكاء وقالت :

- بابا تعب فجأة وقع على الأرض .. أنا خايفة عليه أوى يا "باهر" .. خايفة أوى

وضع كفها على فمها عندما قالت لها "فيروز" بعصبية :

- بطلى بأه .. عياطك موترنى

قالت برجاء :

- "باهر" ممكن تيجي .. أنا محتجالك جمبى"

- أه أه طبعاً .. قوليلى فى مستشفى ايه وأنا أجيلك

أملته عنوان المستشفى وجلست على أحد المقاعد .. أسندت ظهرها وأخذت تنظر الى السقف وهى تتخيل أسوأ التخيلات .. ثم تمتمت :

- يارب .. يارب ميحصلوش حاجه

****

جلس "علاء" مع مجموعة من أصدقائه على كورنيش النيل يتسامرون معاً حتى آذان الفجر .. بدا على "علاء" الشرود .. فاقترب منه أحد أصدقائه قائلاً :

ايه يا ابنى مالك .. مش عاجبنى .. متخانق مع عمك ولا ايه -

قال "علاء" بسخرية :

لا طبعاً .. انت عبيط يا ابنى .. أنا على أد ما أقدر بحاول أحسن علاقتى بيه -

أمال شكلك مخنوق ليه -

أخذ "علاء" يشرب لفافة المتبغ الملفوفه والتى يحملها بيده .. ثم زفر بضيق قائلاً بغضب :

الزفت اللى اسمه "مهند" .. من ساعه ما عمى جابه يعيش معاه هو - والمحروسه أخته .. وهو بأه الكل فى الكل .. هو اللى يسافر .. هو اللى يتكلم مع العملا الكبار .. هو اللى يتفق على الصفقات .. كأن بقدرة قادر بقيت أنا و "نهاد" و بابا ملناش أى لازمه

مط صديقه شفتيه قائلاً:

انت خايف عمك يكتبله حاجه من غيركوا -

صاح "علاء" بغضب :

ده لو حصل ده هرتكب جنايه .. احنا كلنا ولاء عم ولازم نبقى متساويين لما - التركه تتوزع

ضحك صديقه قائلاً :

بتوزع التركه والراجل لسه عايش -

قال "علاء" بغيظ :

متبت فى الدنيا بإيديه وسنانه .. امتى الواحد يورث ويعيش حياته بأه -

اختفى المزاح من وجه صديقه وقال له بجديه :

بس يا "علاء" أنا شايف ان عمك مش حارمك من حاجة ولا انت ولا حد من - واخواتك

هتف "علاء" وهو يضرب الأرض بحذائه :

يا ابنى انت فاكره راجل عبيط .. ده مصحصح أوى .. وكل حاجه عنده - ممسكنى الشؤن الماليه بس ايه عنيه مفتحه أوى مفيش حاجه ..بحساب وبعدين هو بيتفضل عيلنا يعني بحاجه من جيبه ما كله تمن .. بتخفى عليه

لشغلنا فى شركته ليل ونهار .. ده حتى العربية اللى جابها لكل واحد فينا بيخصم من مرتبنا كل شهر جزء من تمنها .. عمى ده لو عينوه وزير الماليه .. مصر هتقضى ديونها وهيفيض كمان .. راجل مش سهل القرش بيطلع بحساب .. عارف هو رايح فين وجاى منين

: هتف صديقه بإستنكار

طبعاً يا ابنى مش فلوسه وشركته لازم يدير كل حاجه .. أمال يسيبكوا تنهبوه -

: هتف "علاء" غاضباً

ايه تنهبوه دى متحسن ملافظك .. وبعدين خليك فى حالك لانك متعرفش حاجه - ده حساب قديم أوى أوى بين عمى وبين كل اخواته .. عمتى "انعام" عرف .. يضحك عليها ويطويها تحت جناحه .. لكن بقيت اخواته محدش بيطيقه .. حتى اللى ماتوا مكنوش بيطيقوه

: استند بذراعيه على السور ونظر الى النيل وقال بعزم واصرار

بس لو "مهند" فكر يعمل معايا زى ما عمل عمى "عدنان" مع اخواته .. يبأه - ميلومش الا نفسه

****

تنامى الى مسامعه آذان الفجر فأخذ يردد خلف المؤذن فى خفوت .. وعيناه التى تختلط سوادها بسواد الليل شارده سابحه فى مكان آخر .. تنهد وكأنه يعلن لعقله وصوله الى نهاية المطاف .. دخل "مهند" الى غرفته ومنها الى الحمام القريب .. توضأ وخرج يجفف وجهه فإصطدم بـ "فريدة" التى قالت بعينين ناعستين:

كنت خايفه مصحاش عشان نمت متأخر -

: قال "مهند" وهى يغلق أزرار أساور قميصه

لو مكنتيش صحيتى كنت هخبط عليكي -

: ثم نظر حوله قائلاً

كالعادة محدش فى البيت صحى مش كده -

: هتفت قائله

يا ابنى حاولت مع عمتو و "نهال" لحد ما روحى طلعت .. وفى الآخر يئست -

وبقتتش بحاول أصحيهم .. هما حرين بأه
دخلت الحمام فتوجه "مهند" الى غرفته وأخذ مفاتيحه .. ثم نزل الدرج ومنه الى خارج الفيلا .. أثناء خروجه من البوابه قابل "بشير" فإبتسم له هذا الأخير وقال :
- وحشتنى يا بشمهندس الأيام اللى فاتت
أحاط "مهند" كتفيه بذراعه وسارا معاً الى المسجد الذى يبعد عدة أمتار عن الفيلا .. دخلاً فى الصف الأول والذى لم يكن مكتملاً ! .. وبعد الإنتهاء من الصلاة تحدثا معاً فى طريق العودة .. سأله "مهند" قائلاً :
- أخبار دراستك ايه يا "بشير" ؟
قال "بشير" بحماس :
- الحمد لله ماشى كويس أوى يا باشمهندس .. هانت السنة دى آخر سنة ان شاء الله
ابتسم له "مهند" مشجعاً وهو يقول :
- خلص انت بس السنة دى وخد شهادتك وان شاء الله نشوفلك شغلانه تانيه فى شركة عمى
اتسعت ابتسامة "بشير" وهو ينظر اليه قائلاً بحماس :
- ان شاء الله يا باشمهندس .. ان شاء الله
عادا معاً الى الفيلا .. توجه "بشير" الى الدور السفلى من الفيلا والذى يحوى غرف الخدم والعاملين بالفيلا .. صعد "مهند" الى غرفته وتمدد على فراشه ليسرق تلك الساعات التى تفصله عن موعد عمله

****

دخل "باهر" المستشفى بعدما تأخر عدة ساعات فى احدى حفلاته متعللاً بأعذرا واهية أرسلها فى رسالة الى "سمر" .. يبرر فيها أسباب تأخره .. نظر حوله بتبرم فأكثر مكان يكرهه هو تلك المستشفيات برائحة المرضى والمرض !
نظر الى "سمر" والتى كانت متكومة باكية على أحد المقاعد .. رفعت رأسها فرأته مقبلاً عليها .. نهضت مسرعة وجرت نحوه وألقت نفسها بين ذراعيه

: وهى تهتف باكيه
بابا مات يا "باهر" .. بابا خلاص مات -
: ربت "باهر" على رأسها قائلاً
معلش يا "سمر" .. معلش -
ثم التفت الى "فيروز" التى جلست فوق أحد المقاعد تفرك جبينها بقوة لتخفف
: ألم الصداع الذى أصابها قائلاً
معلش يا طنط -
نظرت اليه ببرود وأومأت برأسها .. رفعت "سمر" وجهها المبلل بالعبرات
: وهى تقول بصوت متقطع متألم
باهر" معدليش غيرك اوعى تسيبنى .. معدليش حد غيرك .. خليك معايا" -
ألقت "فيروز" نظره ساخره على كليهما قبل أن تتناول دواء الصداع الذى
: أحضرته لها الممرضه .. قال "باهر" برقه
حبيبتى متقلقيش .. أكيد هفضل معاكى .. متقلقيش -
: وضعت رأسها فوق صدره وبكت بحرقه وهى تقول
ليه يا رب كده .. ليه يارب كده .. ليه تحرمنى منه -
: "بدل على "باهر" الضيق من وجوده فى المشفى .. فقال لـ "سمر
طيب تعالى نغير جو بره وجودك هنا هيتعبك أكتر -
: صاحت "فيروز" بحده
هتروحوا فين وتسيبونى لوحدى .. استنوا لما نشوف هنستلم الجثة امتى -
وندفنها امتى أنا معرفش الاجراءات بتتم ازاى .. مش هعرف اتصرف لوحدى
انفجرت "سمر" فى البكاء مرة أخرى .. فلقد تحول والدها الآن .. الى مجرد
! جثة

****

فى صباح اليوم التالى التف الجميع على مائدة الفطور .. جلس "مهند" على
قالت "انعام" .. "يمين "عدنان" وفى مواجهته "نهال" و بجوارها "فريدة
:مازحة

طبعاً الأستاذ "علاء" مستحيل يصحى دلوقتى -
: التفتت اليها "نهال" قائله
طبعاً يا عمتو ده راجع وش الصبح .. سمعته وهو داخل أوضته -
: قال "عدنان" وهو يهز رأسه بإستنكار
مش عارف الولد ده هيعقل امتى .. هو عارف كويس ان عندنا اجتماع مهم - النهاردة .. وبرده راجع متأخر ونايم متأخر
: قالت "نهال" ملطفة لمزاج عمها
معلش يا عمو بكره يعقل -
حانت من "نهال" التفاته الى "مهند" الذى يتناول طعامه فى صمت .. رسمت
: ابتسامة على شفتيها وهى تقول بلهفة
مهند" ممكن توصلنى لواحده صحبتى .. "بشير" مش فاضى سألت عليه " - تحت قالولى راح يجيب طلبات
: توقف "مهند" عن تناول طعامه وبدا عليه الضيق لكنه قال
ماشى مفيش مشكلة -
: اتسعت ابتسامة "نهال" وهى تنهض قائله بحماس
طيب هروح أجهز نفسى عشان معطلكش -
: هتفت "انعام" بإستنكار
"كملى أكلك يا "نهال -
: قالت وهى تنصرف
شبعت يا عمتو -
.. توجه "مهند" الى سيارته وأخرجها من الجراش ليوقفها أمام باب الفيلا
خرجت "نهال" والسعادة على محياها .. ركبت بجواره وانطلق بالسبارة بعدما
أملته العنوان الذى تود الذهاب اليه .. حانت منها التفاته اليه لتجده ناظراً مامه
: لا ينظر تجاهها .. سألته بتوتر
عجبتك هديتي ؟ -
توقعت أن يجيب على الفور .. لكنها أخطأت .. لم يجيب .. فتوترت أكثر ..
: وقالت
مهند" .. بقولك عجبتك هديتي ؟" -

كان قد وصل الى العنوان المطلوب .. فأوقف السيارة .. ثم التفت اليها قائلاً بهدوء :
- مفتحتهاش يا "نهال"
ظهر على ملامحها الضيق .. فأكمل بحزم:
- بصى يا "نهال" .. انتى بنت عمى وبخاف عليكي زى "فريدة" أختى بالظبط .. انتى لسه صغيره .. والحياة أدامك .. وانتى دلوقتى داخله على مرحله جديدة فى حياتك .. ركزى فيها أوى
أنهى حديث والتفت ينظر أمامه .. قالت "نهال" بإضطراب :
- انت ليه بتقولى الكلام ده
قال بصرامة دون أن ينظر اليها :
- بقولهولك وخلاص .. بنصحك زى ما بنصح "فريدة" .. لانى بعتبرك أختى زيها بالظبط
لمعت العبرات فى عينها .. فتحت الباب ونزلت من السيارة .. انطلق "مهند" دون أن ينظر وراءه .. تابعته بعيناها الدامعتان .. وقد فهمت رسالته جيداً !

****

تمددت "بيسان" بظهرها على الفراش وهى تعقد جبينها فى ألم .. دخل "نهاد" الغرفة وأعطاها كوباً يحمله وقال :
- اشربى ده يا حبيبتى
نظرت اليه بشك وقالت :
- ايه ده يا "نهاد"
قال بثقه وهو يعطيها اياه :
- متقلقيش دى خلطة ماما قالتلى أشربهالك
قالت "بيسان" وهى ترشف من يده :
- هما كل اللى بيحملوا بيتعذبوا كده
ابتسم "نهاد" ومسح على شعرها وقال :
- معلش يا حبيبتى .. كلها شهر ان شاء الله ويشرف ولى العهد و ترتاحى

: ابتسمت "بيسان" وهى تسحر بخيالها قائله
تفتكر هيطلع شبهى ولا شبهك -
: ضحك "نهاد" وقال
لا أنا عايزة يطلع قمر زى أمه -
: قالت "بيسان" بمرح
لسه لحد دلوقتى متفقناش على اسمه .. البيه هيشرف بعد شهر ولسه - محتارين فى اسمه
: قال "نهاد" وهو يتمدد بجوارها
"بصراحة من كل الاسماء اللى اخترتيها .. عجبنى اسم "فريد -
: ثم ضحك قائلاً
"عشان يبقى فى عيلتنا "فريد" و "فريدة -
: ردتت "بيسان" الاسم وكأنها تتذوقه
فريد" .. "فريد" .. أنا كمان عاجبنى الإسم" -
: ثم اختفت ابتسامتها وقالت بتبرم وهى تنظر اليه بنظرة ذات مغذى
على الله بس حماتى العزيزة متعترضش على الإسم -
: قال "نهاد" بثقه
حتى لو اعترضت ده ابننا احنا .. واحنا نسميه زى ما احنا عايزين -
: ابتسمت فى وجهه ونظرت اليه بحب قائله
عارف لو كل الرجالة زيك كان زمان كل الستات عاشت مبسوطة -
: بادلها نظرة بنظرة وقال
ولو كل الستات زيك كان زمان كل الرجالة عايشة مبسوطة -

****

تمددت "نهال" على الفراش تلعب بدمية صديقتها التى دخلت عليها حاملة
: أكواب النسكافيه طيب الرائحة .. قدمت اليها كوبها وقالت
"اتفضلى يا مدموازيل "نهال -

اعتدلت "نهال" فى جلستها وبدا عليها الوجوم .. نظرت اليها صديقها وهى تقول :

خلاص كبرى يا "نهال" .. هو كده واضح انه بيقفل الباب فى وشك -

قالت "نهال" بحزن :

بس أنا بحبه يا "مها" .. بحبه أوى -

قالت "مها" بتبرم :

والله يا "نهال" انتى غريبة وذوقك غريب .. مش عارفه ايه عجبك فى - مهند" ده .. ده عقد يا بنتى .. تبصيله تحسى ان الدنيا اسودت فى وشك فجأة " ده غير انه مش حلو خالص .. وشكله كبير .. وانتى حلوة وصغيره والشباب .. بتجرى وراكى

قالت "نهال" شارده :

بس يا "مها" .. تحسى انه راجل .. هو آه جد شويه .. وناشف شويه .. بس - برده تحسى انه حنين .. وكمان طيب .. متتصوريش بيتعامل مع "فريدة" ازاى اكنهم اتنين صحاب مش اخوات .. عمر ما "نهاد" و "علاء" عاملونى كده ..

أخذت "مها" رشفة من كوبها فعقد جبينها بسرعة وهى تتلمس لسانها الذى احترق من سخونة المشروب .. ثم قالت :

بصى يا "نهال" من الآخر كده .. ان كيدهن عظيم .. وده عايش معاكى فى - بيت واحد .. يعني لو عايزه توقعيه هتوقعيه

نظرت اليه "نهال" بإستنكار وقالت :

انتى شكلك اتهبلتى فى عقك ايه اللى بتقوليه ده -

ثم نهضت الى الحاسوب الموضوع فوق مكتبها وقالت :

الواحد يعد شويه على النت أحسن ما يسمع كلامك المريض ده -

التفتت "مها" ونظرت اليها هاتفه :

أنا كلامى مريض .. بكره تطلبى نصايحي وتترجينى أقولك تتصرفى ازاى -

قاطعتها "نهال" قائله :

ششششششش .. أنا غلطانه أصلاً انى اتكلمت معاكى -

****

أنـهى "مهند" عمله بالشركة وتوجه الى سيارته ليخرجها من الجراج الملحق بالشركة عندما استوقفه صوت "علاء" وهو يقول :

- نهيت الإجتماع بدرى ليه يا "مهند" ؟

التفت "مهند" ليقف فى مواجهة "علاء" الذى صاح بغضب :

- عشان محضروش مش كده ؟

سدد اليه "مهند" نظرات ثاقبه ثم قال ببرود :

- الإجتماع خلص .. عشان الإجتماع خلص

التفت ليفتح باب سيارته .. لكن "علاء" الذى بدا وكأنه لا يستطيع التحكم فى غضبه جذبه من ذراعه ليوقفه .. التفت اليه "مهند" ينظر اليه بحده فقال "علاء" بحقد :

- مش هنولك اللى فى بالك .. أنا عارف كويس انت بترسم وبتخطط لايه من ساعة ما جيت فيلة عمى .. مش هيحصل طول ما أنا عايش يا "مهند"

جذب "مهند" ذراعه بعنف من بين يدي "علاء" ونظر اليه صائحاً بتهكم :

- العب بعيد يا "علاء" .. انتى مش شايف الا نفسك وبس .. وفاكر كل الناس نيتها حقيرة زيك

التفت "مهند" وكاد أن يجلس خلف المقود عندما صاح "علاء" بإحتقار وبتحدى صارخ :

- ماشى أنا واحد نيتى حقيرة زى ما بتقول .. بس على الأقل مقتلتش مراتى زيك يا "مهند"

تجمد "مهند" فى مكانه للحظات .. ثم أغلق باب السيارة بعنف ووقف فى مواجهة "علاء" وعيناه تشعان غضباً .. وبدا على وشك الإنفجار !

الفصل الرابع

التفت "مهند" وكاد أن يجلس خلف المقود عندما صاح "علاء" بإحتقار وبتحدى صارخ :

- ماشى أنا واحد نيتى حقيرة زى ما بتقول .. بس على الأقل مقتلتش مراتى زيك يا "مهند"

تجمد "مهند" فى مكانه للحظات .. ثم أغلق باب السيارة بعنف ووقف فى مواجهة "علاء" وعيناه تشعان غضباً .. وبدا على وشك الإنفجار

ظهر بعض الخوف على "علاء" وهو يتطلع الى نظرات "مهند" الغاضبة .. ولكن قبل أن يفهم ما يحدث .. جذبه "مهند" من بدلته وألصقه بالسياره خلفه .. نظر اليه "مهند" بنظرات أرهبته وأفزعته .. ندم على مضايقة عش الدبابير .. قال "مهند" بنبرة مهددة :

- الحاجة الوحيدة اللى مصبرانى عليك هى انك ابن عمى .. لكن لو فتحت الموضوع ده تانى ......

قطع كلامه وأخذ نفساً عميقاً يهدئ به بركانه الثائر .. ثم قال بصرامة :

- رد فعلى هيكون عنيف يا "علاء"

ظلا ينظران الى بعضهما البعض للحظات .. نظرات رهبه من "علاء" .. ونظرات غضب وتهديد من "مهند" .. تركه "مهند" فجأة كما انقض عليه فجأة .. وركب سيارته منطلقاً بها .. عدل "علاء" من ملابسه وعيناه تشعان حقداً وكرهاً

****

بدت ملامح "مهند" قاسية .. جامدة .. ونظراته مثبتة على الطريق .. لكن عقله يسبح فى عالم آخر .. وكلما تعمق فى هذا العالم .. كلما ازدادت قوة انقباض قبضتى يده على المقود .. امتدت يده الى المذياع .. لينساب صوت ذلك المقرئ يرتل آيات الذكر الحكيم .. بدا الغضب ينطفى فى عيناه شيئاً فشيئاً .. تخف حدة امساكه بالمقود .. حتى بدت عضلاته أكثر استرخاءاً .. ونظراته تحولت من الغضب الى .. الحزن .. تحركت شفتاه ببطء .. ثم أعقبها صوت شجئ بنبره هادئه يشارك القارئ فى ترتيله .. سرى صوته العذب داخل

السياره حتى بدا وكأنه شحن طاقته من جديد .. لانت ملامحه .. واستعاد قوة نظراته ورباطة جأشه
..كاد "مهند" أن يتوجه الى الفيلا .. لكنه فجأة أدار المقود .. وانطلق بسرعة بعد ما يقرب من ثلاث ساعات .. وصل الى مكانه المنشود .. عروس البحر الأبيض المتوسط .. وصل بسيارته الى ذاك الشاطئ .. ذالك المكان الذى شاركه طفولته وصباه وشبابه .. خرج من السيارة ووقف أمام البحر الذى اشتاق الى رائحته وصوته ولون قطراته .. دار حديث خاص بينه وبين البحر .. حديث يفهمه كليهما .. بدا وكأن البحر يناديه .. ينادى ذلك الصديق العزيز الذى فارقه وجافاه .. اعتذر منه .. آسف أيها البحر شغلتنى عنك هموم الحياة .. لكن سعادتى اليوم لا توصف .. لأنك مازلت تذكرنى .. خشيت أن تنسانى .. فكم من أناس يأتون ويشكون لك همومهم ويذهبون .. خشيت أن أتوه فى زحمة ذكرياتك أيها البحر .. اجابه البحر بحبور كيف أنساك صديقي العزيز .. كيف أنسى من زارنى وودنى طوال سنوات عمره .. كيف أنسى من بثنى همومه كيف أنسى من كان يزورنى ليلاً ليحدثنى ويسليني ..وأحزانه وأحلامه وأفراحه ويقص على ذكرياته .. لاحت ابتسامه صغيره على شفتيه وهو يتأمل البحر بأعين مشتاقه وقلب حر كالطير فى سماه .. كنت أعلم أيها البحر أنك خلاً وفياً .. مهما بعدت فسأعود لأجدك تفتح لى ذراعيك وتستقبلنى بشوق ولهفة .. نظر اليه البحر متأملاً ما بك يا صديقي ... يبدو عليك الحزن والغم .. ما أصابك تكلم .. ماذا أقول لك أيها البحر .. انها الحياة .. لا تأخذ منها الا ما قسم لك .. أحياناً تتساءل لماذا أنا .. لكنك تجد شيئاً بداخلك يهتف .. أتعترض على قضاء ربك .. فتشعر بالخجل من نفسك .. وتكتم تلك الأسئلة التى لا تجد لها اجابه .. أحياناً تشعر وكأن السعادة كالطفل الذى يتنقل بمرح بين الناس يمزح معهم ويداعبهم لكنك تشعر وكأن السعادة نسيتك فجأة .. نسيت أن تداعبك أنت الآخر .. .. نسيت أن تطرق بابك .. عندها ترفع رأسك الى السماء .. لتقول بقلبك .. هكذا وهكذا قضيت .. لك حكمة .. لعلى أفهمها يوماً .. ولعلى لا أفعل .. لكن ..أردت سواء فهمت أم لم أفهم .. فلا أملك سوى شيئين .. الصبر .. والرضا .. دار الحديث بينهما طويلاً حتى بدأت الشمس فى الغروب .. نظر "مهند" الى ساعته ثم ألقى على البحر نظره أخيره يودعه .. ويعده بلقاء قريب .. !

****

وقفت "سمر" فى شرفة غرفتها .. يداعب الهواء خصلات شعرها الأسود .. فتعيده بيدها الى الوراء .. تنظر بأعين دامعة الى تلك البنايات الشاهقة التى تحيط بها .. أخذت تتخيل وكأنها ترى الناس من خلف تلك الجدر الأسمنتيه .. فتلك عائلة سعيدة يتلف فيها الأبوان مع صغارهما على تلك المائدة .. يتناولون طعامهم ويمزحون معاً .. يسكب الطفل الصغير الطعام على ملابسه .. فتنهره ثم تعود لتربت على رأسه بعدما ترى الدموع فى عينه .. نظرت يساراً ..أمه الى احدى الشرف .. تخترق جدرانها بنظراتها .. فتتخيل .. تلك المرأة التى تقف فى المطبخ تحضر الطعام .. ها هو زوجها يعود من عمله .. فتبتسم وتسرع فى استقباله .. يفتح لها ذراعيه .. فيتلاقيان بشوق .. وفى الشقة ترى بخيالها سيدة كبيرة تشاهد التلفاز .. فتدخل ابنتها الشابة .. المجاورة تتغنج الفتاة وتتوسد قدمى والدتها .. فتمسح تلك الأخيرة ..تجلس بجوارها على شعرها فى حنان .. نظرت الى البناية المقابله .. فرأت طفله جالسه على الأرض تلهو بدميتها .. ترفعها الى الأعلى لتسقط بين يديها والإبتسامه على فتأتى تلك المرأة لتخطف منها دميتها .. تنظر الطفلة بأعين ملتاعة .. ثغرها الى دميتها التى شرعت المرأة فى تمزيقها بالمقص .. دميتها التى صاحبتها سنين طوال .. تلهو معها وتنام معها .. دمعت عيناها وهى ترى صديقتها الصدوق تتمزق الى قطع وأشلاء .. ثم يُلقى بها على الأرض .. وتأمر المرأة الطفلة بلهجة لاذعة أن تذهب الى غرفتها لتؤدى واجباتها .. تلملم الطفلة عروستها الصغيرة وتجلس فى غرفتها باكية .. تحاول جمع أشلائها ببعضها البعض .. علها تعود كما كانت .. لكن هيهات .. انكسر البلور .. ولا فائدة من تنهدت فى أسى .. فذلك المشهد الأخير .. لم يكن من بين .. محاولة تجميعه تخيلاتها .. بل من بين ذكرياتها !

****

دخل "مهند" الفيلا ليسمع صوت حديث قادم من غرفة الطعام .. توجه الى العائله المجتمعه على العشاء وحياهم قائلاً :

- السلام عليكم

وعيكم السلام -
وعليكم السلام -
جلس "مهند" على مقعده على يمين "عدنان" .. وفى مواجته جلس "علاء" الذى أسند ظهره الى الوراء واضعاً ذراعه على الطاوله وهو يرمق "مهند" بنظرات حنق من حين لآخر .. ويجوار "علاء" جلست "نهال" التى رمقت "مهند" بنظراتها قبل أن تعود لتلتفت الى طعامها .. وبجوار "مهند" جلست "انعام" بمرح وهى توجه حديثها الى "نهال""فريده" أخته .. قالت :
اتصلت بماما وبابا النهاردة يا "نهال" .. وقالولى ان شاء الله هيرجعوا آخر الاسبوع -
ابتسمت "نهال" وهى تقول :
كلمونى يا عمتو .. ييجوا بالسلامة -
التفت "علاء" قائلاً لـ"عدنان" :
ايه اللى حصل فى اجتماع النهاردة يا عمى -
ثم رمق "مهند" بنظرة غيظ قبل أن ينظر الى "عدنان" مكملاً :
أصله خلص بدرى -
نظر اليه "عدنان" وقال:
لأ مخلصش بدرى يا "علاء" انت اللى اتأخرت على معاد الإجتماع .. ومكنش ينفع ننتظر جنابك .. ده شغل يا ابنى .. الواحد لازم يبقى زى الألف فى شغله وأكتر حاجة تحدد الانسان الناجح هى التزامه بمواعيده -
ثم التفت الى "مهند" مبتسماً وقال :
زى "مهند" كده .. على طول ملتزم فى مواعيده .. عمرى ما شوفته متأخر دقيقة عن أى اجتماع -
ازداد غيظ "علاء" عدنا وجد عمه يقارنه بـ "مهند" ويشيد به .. فقال على الفور :
أنا آسف يا عمى .. ان شاء الله هتلاقيني أحسن من كده .. وههتم بموضوع المواعيد دى -
نظر اليه "عدنان" قائلاً بجديه :
يا ابنى لازم تعرف انى بعمل كده عشان مصلحتكوا .. عايزكوا تكونوا رجال أعمال ناجحين .. لو تعبت أو اضطريت أسافر هنا ولا هنا أبقى مطمن ان ولاد -

اخواتى رجاله يعتمد عليهم .. أسيب شغلى فى ايدهم وأنا مطمن
: أوما" علاء" برأسه وقال بحماس
ان شاء الله يا عمى هتلاقيني عند حسن ظنك .. وتقدر تسيب شغلك معايا -
وانت مطمن
: قالت "انعام" بإستنكار
ايه يا جماعة كلام فى الشغل حتى على العشا -
: ثم نظرت الى "نهال" و "فريدة" مبتسمة وهى تقول
طيب ذنب ايه الجنس اللطيف اللى آعد معاكم .. احنا لا لينا فى الشغل ولا فى -
الصفقات
: ضحك "عدنان" وقال بوقار
معاكى حق .. خلاص يا ولاد كفاية كلام عن الشغل .. عشان الجنس اللطيف -
اللى بدأ يمل من صحبتنا
التفتت "فريدة" الى "عدنان" مبتسمة وهى تضع احدى اللقيمات فى فمها ..
: فبادلها ابتسامتها قائلاً بحنان
قوليلى يا "فريدة" .. مش ناقصك حاجه يا بنتى -
: قالت على الفور
تسلم يا عمو .. حضرتك مش مخليني محتاجه حاجة -
يا بنتى انتى الوحيدة اللى مبتطلبيش منى أى حاجة -
: قالت بتأثر
يا عمو حضرتك بتديني مصروف كل شهر .. ورغم انى قولت لحضرتك انه -
كبير عليا بس أصريت .. وأنا مش بعمل بيه حاجة .. أنا أعده هنا فى البيت
مش ناقصنى حاجه
: ثم نظرت الى أخيها بإمتنان وقالت
وكمان "مهند" مش مخليني محتاجه حاجة -
ابتسم لها "مهند" مربتاً على كتفها .. كانت "نهال" تنقل نظرها بينهما وهى
تشعر بغصة فى حلقها .. التفتت تنظر الى "علاء" الذى كان يتناول طعامه بلا
: مبالاة .. قالت بشى من الأسى
"تعرفوا انى كان نفسى يبقى عندى أخ زى "مهند -
التفت اليها "علاء" بعدما ترك الملعقة فى طبقه فجأة لتصدر صوتاً ثم قال

: بضيق
يعني ايه يعني .. أنا و "نهاد" مش عاجبينك -
: قالت بجدية
لا ما قولتش مش عاجبنى .. بس شوف "مهند" بيعامل "فريدة" ازاى .. - وبيخاف عليها ازاى
: قالت "فريدة" على الفور
حبيبتى يا "نهال" انتى أختى انتى كمان وأنا بحبك وبخاف عليكي -
: نظر "مهند" الى "نهال" قائلاً بصوته الرخيم
"انتى عارف يا "نهال" انى بعتبرك زى "فريدة -
ضايقتها جملته مرة أخرى .. فإستأذنت للإنصراف .. نظر الجميع اليها وهى
: تغادر .. قالت "انعام" بوقار
عادى يا جماعه .. "نهال" فى سن بتستكشف فيه مشاعرها .. طبيعي انها - أنا ..تكون حساسه لأى حاجه .. وطبيعي انها تحس بذبذبه فى مشاعرها تتكلم معاها وتشوف ايه اللى مضايقها .. هى و "لميس" "هخلى "لميس قريبين أوى من بعض

****

وقفت "بيسان" أمام المرآة تضع كريماً على بشرة وجهها .. سمعت المفتاح يدور فى الباب .. فخرجت من غرفتها لتجد الخادمة قد سبقتها وفتحت الباب لـ نهاد" الذى أعطاها حقيبته قبل أن يدلف الى البيت ويبتسم فى وجه زوجته "
: قائلاً
ازيك يا حبيبتى النهاردة -
: قالت وهى تمسح بديها على تكور بطنها
الحمد لله يا حبيبى .. انت ضربت الجرس ليه .. فين مفاتيحك -
: قال وهو يخلع جاكيت بدلته
نسيتها فى المكتب -
: أمسكت الجاكت لتأخذه منه .. فقبل يدها قائلاً
لا خليكي يا حبيبتى متتعبيش نفسك -
توجه الى غرفته لتبديل ملابسه بينما ذهبت "بيسان" الى المطبخ للإشراف

على تحضير المائدة بما لذ وطاب .. جلس الإثنان معاً يشرعان فى تناول
: بدا على "نـهاد" الشرود فسألته "بيسان" وقالت .. طعامهما
خير يا "نـهاد" فى حاجة مضايقاك فى الشغل -
: خرج "نـهاد" من شروده ليقول لـها
لا أبداً يا حبيبتى متشغليش بالك -
: قالت وهى تنظر اليه متفحصه
بس شكلك فى حاجه مضايقاك .. معقول تخبى عليا -
: تنـهد قائلاً
مش موضوع بخبى عليكي .. هو مفيش حاجه حصلت .. بس حاسس كده -
....
: قطع حديثه فحثته قائله
حاسس ايه -
: ترك ملعقته وقال بضيق
حاسس ان عمى بيميز "مهند" فى الشغل عنى وعن "علاء" .. بابا لما -
يرجع مش هيعجبه أبداً الصلاحيات اللى عمى اداها لـ "مهند" فى الشغل
: أطرقت "بيسان" برأسها تفكر فيما قال .. ثم قالت
بس يا "نـهاد" "مهند" مهندس معمارى .. وشركة عمك شركة مقاولات -
كبيرة .. يعني "مهند" الوحيد فيكوا اللى دراسته مناسبة للشغل مع عمك
: قال "نـهاد" بحده
.. يعني ايه .. عشان دارسته مناسبه للشغل مع عمى نتركن احنا على الرف -
احنا اللى شلنا الشركة دى فوق كتافنا .. ييجى فى الآخر واحد يتنطط علينا
: قالت "بيسان" بهدوء تحاول امتصاص غضبه
لا يا حبيبى أنا ما قولتش كده .. أنا بس قصدى ان ممكن يكون عمك -
بيميزه شويه عشان هو محتاج لخبرته فى المجال ده بحكم دراسته .. ""عدنان
لكن طبعاً انت و "علاء" و باباك .. هتفضلوا الكل فى الكل .. "مهند" مهما
كان ناقصه الخبره العمليه .. وانتوا عندكوا الخبرة دى .. مستحيل عمك
يخسركوا .. انتوا زى ما بتقول اللى شيلتوا الشركة دى على كتافكوا
بدا على "نـهاد" الإرتياح قليلاً لكلام زوجته وإن كان لايزال يساوره بعض القلق
: .. وضعت كفها فوق كفه وابتسمت قائله

- حبيبى متشغلش بالك .. مستحيل عمك يفرط فيك .. وبعدين هو بيحبكوا كلكوا ومجمعكوا حوليه .. ها

أومأ برأسه راسماً ابتسامه صغيره على شفتيه وعاد الى اكمال طعامه من جديد

****

دخلت "سمر" البيت لتسمع صوت "فيروز" هاتفه :

- "سمر" استنى عايزاكى

التفتت لها "سمر" التى كانت ترتدى السواد .. قالت لها "فيروز" بحنان لم تألفه :

- انتى كويسه يا حبيبتى

رفعت "سمر" حاجبها دهشة لكلمة "حبيبتى" .. لكنها ردت بهدوء :

- أهاا كويسه .. عن اذنك

وقفت "فيروز" أمامها تعترض طريقها وهى تبتسم قائله :

- عايزين نتكلم مع بعض يا "سمر"

شبكت "سمر" ذراعيها أمام صدرها وهى تقول :

- خير .. نتكلم فى ايه ؟

قالت "فيروز" برقه :

- حبيبتى دلوقتى انتى عارفه ان مفيش حد يدير الشركة .. وكده مينفعش لازم نبتدى نشوف مصالحنا

نظرت اليها "سمر" ببرود فأكملت "فيروز" بحماس وهى تمسح على ذراعيها :

- حبيبتى مش عايزاكى تشغلى بلك بأى حاجه .. أنا قررت أنزل من بكرة أشوف الشغل فى الشركة .. مش معقول هنفضل سايبنها كده .. بس ....

قطعت حديثها ثم ارسمت ابتسامه ناعمة على شفتيها وهى تقول :

- محتاجه بس تعمليلى توكيل عشان أعرف حبيبتى آخد القرارات عنك فى الشركة .. أنا كلمت المحامى وهييجى بكرة

ثم مسحت على وجنتها بأصابعها وهى تقول :

- ماشى يا "سمر"

تحولت نظرات "سمر" من البرود الى التحدى وهى تقول :

"محدش هيشوف شغلى غيري يا "فيروز -
: اختفت ابتسامة "فيروز" وظهر فى عينيها الغضب وهى تقول
وانتى تعرفى ايه عن الشغل .. طول عمرك أعده فى البيت مبتشتغليش -
: قالت "سمر" بتهكم
وانتى بأه اللى تعرفى حاجه عن الشغل .. من يوم ما بابا اتجوزك وانتى أعده -
فى البيت معززه مكرمة طلباتك مجابه بدون أى مناقشة
: عقدت "فيروز" جبينها بشدة وقالت بحده
يعني ايه .. هتنزلى الشغل -
: رفعت "سمر" حاجبيها وقالت بصرامة
"أيوة هنزل الشغل .. وأدير شركتى بنفسى يا "فيروز -
: ثم اقتربت منها خطوة وربتت على وجنتها قائله بنعومه ممزوجة بالبرود
ريحى نفسك انتى .. ماشى -
دخلت غرفتها وتركت "فيروز" خلفها تغلى من الغيظ .. فنصيبها من الميراث
لا يعطى لها حقاً فى ادارة الشركة .. فالنصيب الأكبر .. لـ "سمر" .. والتى
! تصبح هى رئيس مجلس ادارة الشركة

****

سمعت "فريدة" طرقات على باب غرفتها .. نهضت من أمام الحاسوب وفتحت
: الباب .. ابتسمت قائله
نهال" .. تعالى ادخلى" -
: دخلت "نهال" وقالت بمرح
حسيت بالملل وأنا أعده لوحدى قولت آجى أعد معاكى شويه -
: أغلقت "فريدة" الباب وتوجهت الى اللاسلكى فى غرفتها وقالت
هطلبلنا حاجه نشربها ونعد نرغى مع بعض شويه -
اتبمست "نهال" بمرح قاله وهى تجلس فوق الفراش وتضع الوسادة فوق
: قدميها
ماشى -
: انتهت "فريدة" من طلب العصير وجلست بجوار "نهال" قائله
ها قوليلى أخبارك ايه .. مستعده لبدء الدراسة -

مممممم يعني .. بصراحة قلقانه شوية -
ليه بأه -
: قالت "نهال" بنبرة حالمة
يعنى أكيد الجامعة غير المدرسة .. حياة تانية وجو تانى .. نفسى أبقى - معروفة ومحبوبه وليا صحاب كتير .. وخايفة ده ميحصلش
: أطرقت "فريدة" قليلاً ثم قالت
بصى يا "نهال" .. أكتر حاجة بتميز البنت هى أخلاقها وتمسكها بدينها - ومبادئها .. فى بنات كتير فاهمة الموضوع غلط .. فاهمة انها كل ما اتنازلت عن مبادئها أكتر كل ما كانت ستايل وروشه ومحبوبه .. لأ بالعكس .. كده هيبقى زيها زى أى بنت تانية بتعمل زيها .. لكن اللى عايزه تتميز فعلاً تتميز بأخلاقها .. بالحدود اللى تحطها مع اللى بيتعاملوا معاها .. بإسلوبها فى الكلام .. بدينها وتمسكها بيه .. ده هو الى بيميز بنت عن التانيه
: ثم قالت
بصى يا "نهال" .. زى ما قولتى الحياة فى المدرسة وفى ثانوى غير الجامعة - فى الجامعة بتختلطى بمختلف البيئات والشخصيات والطباع .. وطبعاً بنات .. على شباب .. لازم تبقى داخله الجامعة وانتى حطه لنفسك مبادئ معينه تمشى عليها .. وخطوط حمرا مينفعش تتجاوزيها .. مينفعش تبقى معدومة الشخصية وتسيبى نفسك ماشيه مع التيار .. كلمة تجيبك وكلمة توديكي .. ساعتها مش هتخسرى اللى حوليكي بس .. لا .. انتى هتخسرى نفسك كمان
كانت "نهال" تستمع اليها بعدم اقتناع .. نهضت فجأة وكأنها تريد اسكاتها عن : ذاك الحديث الذى لم تجد فيه نفعاً .. توجهت الى حاسوبها وهى تقول
فريدة" أنا الأكاونت بتاعى على الفيس فى حظرفى الرسايل .. وعايزة أبعت " - رسالة ضرورى لوحده صحبتى .. ممكن أبعتها من عندك .. عندك أكاونت على الفيس مش كده
: سمعتا طرقات على الباب .. قالت "فريدة" وهى تنهض لفتح الباب
أهاا .. هتلاقيه مفتوح أدامك .. كنت لسه داخله عليه حالاً -
: فتحت "فريدة" الباب وتناولت صنية العصير من الخادمة مبتسمه
شكراً تسلم ايدك -
ابتسمت الخادمه وهزت رأسها بأدب .. كانت أصابع "نهال" تعبث بسرعة فى

فريدة" على الفيس بوك .. وأخيراً وصلت الى مبتغاها .. حساب "حساب "مهند" الذى وجدته مضافاً فى قائمة أصدقاء " فريدة" .. حفظت الإسم والإيميل ثم أرسلت رساله لصديقتها حتى تغطى على استخدمها الحاسوب .. ثم نهضت ولمعت عيناها وهى ترشف من العصير ببطء

****

: التفتت "سمر" الى "باهر" الجالس بجوارها فى السيارة وقالت

- محتجاك أوى يا "باهر" .. "فيروز" عايزه تستغلنى .. الهانم عايزه منى توكيل عشان تعرف تدير الشركة وتسرقنى براحتها

: ثم قالت وهى تنظر اليه بحب

- مليش غيرك أثق فيه يا "باهر" .. أنا هعملك انت التوكيل .. أنا مليش فى الشغل ومعرفش حاجه أبداً عن شغل بابا الله يرحمه .. عشان كده عايزاك انت تدير كل حاجه

: أمسك "باهر"بيدها مقبلاً اياها وهو يقول

- حبيبتى مش عايزك تقلق طول ما أنا جمبك .. والشركة أمرها سهل .. من بكرة هروح أشوف الدنيا ماشيه ازاى

: ارتسمت ابستامه على شفتيها وهى تقول

- كنت واثقة انك مش هتسيبنى لوحدى .. ان شاء الله بكرة هاجى معاك الشركة ونكلم المحامى ونمشى فى اجراءات التوكيل

: قبل يدها مرة أخرى وهو يقول مبتسماً

- ماشى يا حبيبتى زى ما تحبى

: نظرت اليه وقد لمعت عيناها بالعبرات قالت

- باهر" مليش غيرك دلوقتى .. اوعى تسيبنى"

: قال لها "باهر" مستفهماً

- ليه دايماً بتكررى الجملة دى .. مين قال انى هسيبك

: تنهدت وابتسمت بتوتر وهى تقول بأعين دامعه

- مفيش بس أنا طبعى كده .. لما بحب حاجه بخاف تضيع منى .. يمكن عشان طول عمرى كل حاجه حبتها ضاعت منى .. فبقيت على طول بحس بخوف وبقلق .. متزعلش منى .. لما بقولك كده مش معنى كده انى مش واثقه فيك ..

لأ .. أنا بس بحب أسمعك دايماً وانت بتقول هفضل معاكى يا "سمر" .. مش الكلام ده بيطمنى وبيقلل الخوف جوايا .. "هسيبك أبداً يا "سمر
: اتسعت ابتسامته وهو يقول
"هفضل معاكى يا "سمر" .. مش هسيب أبداً يا "سمر -
اتسعت ابتسامتها هى الأخرى ومسحت العبره التى فلتت من عينها ونظرت اليه وهى تشعر بالراحة والأمان

****

التف الجميع حول طاولة الإجتماعات بالشركة .. وبعدما انتهى الإجتماع رحل المدراء بإستثناء "عدنان" و "مهند" و "نهاد" و "علاء" .. قال "عدنان"
: وهو يستند بذراعيه فوق الطاولة
فى موضوع حابب أكلمكوا فيه اي ولاد -
نظر الجملع اليه وقد أرهفوا آذانهم
: صمت "عدنان" قليلاً .. ثم قال بعزم
أنا فكرت ألغى مرتباتكوا من أول الشهر الجاى -
: نظر الجميع الى بعضهم البعض فى دهشة .. قال "علاء" بإستغراب
ازاى يعنى يا عمى .. هنشتغل من غير مرتب ؟ -
: قال "عدنان" بحزم
أيوة هتشتغلوا بدون مرتب .. هتشتغلوا بنسبه -
ضاقت عينا "مهند" وهو يتطلع الى عمه .. بينما نظر اليه "نهاد" و "علاء"
: بدهشة .. فأكمل "عدنان" مبتسماً
دى طريقة فكرت فيها عشان تتحمسوا للشغل أكتر أكن كل واحد بيشتغل فى - شركته الخاصة .. وزى ما يدى زى ما هياخد .. زى النبته اللى لو اهتميتوا بيها وراعيتهوها هتكبر وهتزهر وهتبقى أحلى وردة
: ثم فتح ملفاً وأعطى لـ "مهند" ثلاث ورقات وقال
"واحدة ليك يا "مهند" وو احدة لـ "نهاد" وواحدة " لـ "علاء -
: أخذ كل منهم ورقته يقرأها .. أكمل عدنان
ده عقد بنسبة كل واحد فيكوا .. اللى موافق يشتغل معايا بالنسبة اللى حددتها - .. يمضى العقد دلوقتى

: "صاح "علاء" بحنق وهو يرى بطرف عينه ورقة "مهند" و "نهاد

بس يا عمى حضرتك مديني أقل نسبه فيهم .. ومدى "مهند" أعلى نسبه -

: تجعد جبين "نهاد" وهو يستمع الى كلام أخيه .. قال "عدنان" بحزم

"أنا كتبت لكل واحد النسبة اللى يستحقها يا "علاء -

: صاح "علاء" بغضب مكتوم

بس يا عمى احنا شغالين فى الشركة دى من قبل ما "مهند" يشرف .. يعني - احنا اقدم منه وأحق منه

: هتف "عدنان" بغضب

انت بتتكلم أكنى مت يا "علاء" .. وانتوا أعدين بتوزعوا فى الميراث .. أنا - لسه عايش ممتش

: قال "مهند" بجديه

.... عمى "علاء" معاه حق .. أنا أجدد واحد فيهم فى الشركة ومينفعش -

: ضرب "عدنان" على الطاولة بيده وهو يقول بغضب

دى شركتى ودى فلوسى وأنا حر فيها .. كل واحد معاه العقد بتاعه اللى - أنا لسه بعقلى وبصحتى ..عاجبه يمضى عليه واللى مش عاجبه يقطعه ويرميه يعني عارف كويس أوى بتصرف ازاى

: ران الصمت بعد كلماته الغاضبة .. قطعه قائلاً بحزم

الإجتماع انتهى -

: نهض الجميع متثاقلاً .. فنظر الى "مهند" قائلاً

"خليك شوية يا "مهند -

جلس "مهند" فى مكانه مرة أخرى بينما رمقه "علاء" بنظرات حقود وهو "ينصرف بصحبة "نهاد" الذى عقد حاجبيه بضيق .. فى الخارج هتف "علاء :

مش قولتلك .. مش قولتلك يا "نهاد" ان عمك هيخليه الكل فى الكل على - حسابنا .. أهو اداله نسبه أرباح اعلى منى ومنك .. مين أولى بالنسبه اللى أخدها دى .. ولسه لما بابا يعرف

: قال "نهاد" بضيق شديد وهو ينظر الى الورقة فى يده

علاء" أنا مش ناقصك .. سيبنى دلوقتى" -

: قال "علاء" بحده قبل أن ينصرف

- خلينا كده أعدين حطين ادينا على خدنا لحد ام عمك يكتب كل حاجه بإسم "مهند"
رفع "نهاد" رأسه ينظر الى "علاء" الذى غادر غاضباً يزن كلماته فى عقله والتى زادت من تقطيبة جبينه

بدا على "مهند" الضيق .. قال "عدنان" :
- مش هتمضى العقد بتاعك
قال "مهند" بأدب :
- عمى .. أنا مش عايز مشاكل مع ولاد عمى .. هما معاهم حق .. يعني هما شغالين فى الشركة قبلى و ....
هتف "عدنان" بصرامة شديدة :
- دى شركتى يا "مهند" وأنا اللى أقيم شغل كل واحد فيكوا .. وأنا اللى أحدد نسبة أرباح كل واحد فيكوا .. مش بالأقدمية يا "مهند" .. أنا ليا عنين بشوف بيها .. وعقل بيميز بيه .. انت من يوم ما جيت الشركة ونسبة الأرباح وصلت لأعلى معدلاتها .. ثقة العملا الكبار فيك بقت من غير حدود .. قدرت تكسب عملا معرفناش طول سنين شغلنا اننا نوصلهم .. وده نتيجة تعبك ومجهودك وذكاءك ولبقاتك وجديتك فى العمل .. ميهمنيش مين اشتغل قبل التانى أنا ليا النتايج
ثم أشار الى الورقة قائلاً :
- اقرا العقد كويس .. فى بند بينص على انى الوحيد اللى ممكن أغير النسبة وفى الوقت اللى أنا عايزه .. يعني لو قصرت فى شغلك نسبتك هتقل .. وهما لو اجتهدوا فى شغلهم نسبتهم هتزيد
أومأ "مهند" برأسه وبدا مقتنعاً بكلام عمه .. قال "عدنان" بصوت أقرب للهمس :
- اللى أنا عايزك فيه دلوقتى أهم من الشغل
ضاقت عينا "مهند" وهو ينظر الى عمه مستفهماً :
- خير يا عمى
صمت "عدنان" قليلاً .. ثم قال بحزم وبعض القلق :
- وانت مسافر .. فى حرامى حاول ينط فى الفيلا والسيكيوريتي معرفوش

يمسكوه
أومأ "مهند" برأسه وعقد ما بين حاجبيه فقال "عدنان" وهو يضرب على الطاولة بكفه :
أنا واثق ان دى مش محاولة سرقة عادية .. مين اللى يجرؤ انه يقرب من - عدنان زياكيل" .. الفيلا عليها سيكيوريتي والسور عالى .. ومعروف ان "فيلا فيها ناس عايشة
قال "مهند" وهو يمعن التفكير :
أمال ايه يا عمى .. حضرتك شاكك فى ايه -
قال "عدنان" شارداً :
مش عارف يا "مهند" بس قلبى مش مطمن -
قال "مهند" بحماس :
يبأه نزود السيكيرويتي .. وممكن نركب أجهزة انذار حولين سور الفيلا -
أومأ "عدنان" برأسه قائلاً :
ده اللى فكرت فيه فعلاً -
ثم أشار بإصبعه بحزم قائلاً :
بس الموضوع ده هيفضل بيني وبينك مش عايز حد يعرفه -
أومأ "مهند" برأسه ..ثم استأذن للإنصراف .. أرجع "عدنان" ظهره الى الخلف يسند به على المقعد شارداً ينقر بأصابعه فوق الطاولة .. كان يشعر بداخله بالقلق .. الريبة .. والشك .. والخوف .. ولم يكن يدرى وقتها .. الى أى مدى كانت شكوكه فى محلها !

الفصل الخامس

سمع الجميع من غرفة الجلوس صوت زمور سيارة فى الخارج .. فقفزت "نهال" وجرت بإتجاه الباب فتحته وخرجت وهى تصيح بلهفه :
بابا .. ماما -
توقفت السيارة أمام باب الفيلا لتترجل منها امرأة فى نهاية العقد الرابع من

: العمر .. اقتربت منها "نهال" معانقة اياها بلهفة وهى تقول
ماما وحشتيني -
: عانقها المرأة قليلاً ثم ابعدتها قائله
وانتى كمان .. "نهال" حسبى أنا تعبانه من السفر -
: قالت بحماس
آسفة .. آسفة معلش .. أصلكوا وحشتونى أوى -
انتقلت "نهال" الى المرأة التى ترجلت من المقعد الخلفى والتى كان يبدو عليها
..... الصحة والنشاط رغم سنوات عمرها التى تجاوزت الستون

: بلهفة قائله "قبلتها "نهال
عمتو "كوثر" وحشتيني أوى -
: عانقتها "كوثر" بحرارة وهى تمسح على ظهرها قائله
نهال" حبيبتى انتى وحشتيني أكتر .. ما شاء الله عليكي احلويتي فى الفترة " -
اللى غبناه عنك
: ضحكت "نهال" بسعادة وهى تقول
حضرتك على طول شايفانى حلوة يا عمتو -
: ضحكت "كوثر" وقالت وهى تداعب وجنتها
عشان انتى فعلاً حلوة يا حبيبة عمتو -
انطلقت "نهال" مسرعة الى الرجل الذى ترجل من السيارة وأحاطت عنقه
: بذراعيها قائله
وحشتيني يا بابا .. وحشتيني أوى -
: ربت على ظهرها قائلاً
وانتى كمان يا "نهال" .. جبتلك حاجات حلوة أوى هتعجبك -
: صفقت بيديها وصاحت كالأطفال
هى فين يا بابا وريهالى -
: قالت أمها بضجر
هتفضلوا واقفين كتير كده .. انا داخله -
توجهوا الى الداخل وبعد الترحيب وتبادل عبارات المجاملة والسلام .. جلس
الجميع فى غرفة المعيشة يتجاذبون أطراف الحديث .. قال "عدنان" موجهاً

: حديثه الى أخيه
"ايه الأخبار يا "حسنى -
: قال أخيه "حسنى" وهو يرجع ظهره الى الخلف ليسترخى
كله تمام يا "عدنان" .. وبعدين ما انت كنت متابعنى أول بأول ولسه متكلمين - امبارح .. يعني مش هيلحق يحصل حاجة جديدة من امبارح للنهاردة
: قال "عدنان" بشرود
"الاتفاقات الجديدة مش مريحانى يا "حسنى -
: اعتدل "حسنى" فى جلسته على الفور وهتف قائلاً
ليه يا "عدنان" .. ما أنا قايلك على كل حاجة .. حاولت معاهم لكن ده آخر ما - قدرت أوصله .. وبصراحة أنا شايف الصفقة كدة ممتازة وخايف تضيع مننا
: شرد "عدنان" وهو يحك ذقنه بأصابعه وهو يقول
بس ايه اللى خلاهم يغيروا الاتفاق والنسب .. ما احنا كنا متفقين على كل - حاجة
: قال "حسنى" على الفور
انت عارف يا "عدنان" ده بيزنس .. يعني أكيد جالهم عرض أحسن مننا .. - وأنا بصراحة شايف نتوكل على الله بدل ما الفرصة تضيع
: "قالت "نهال" بحماس وهى تنظر الى عمتها "كوثر
قوليلى يا عمتو تركيا حلوة زى ما بنشوفها فى التى فى -
: قالت "كوثر" مبتسمه
آيوه يا حبيبتى جميلة .. ان شاء الله نطلعها سوا -
: قالت "نهال" بحزن
كان نفسى أروح معاكوا المرة دى -
: قالت أمها وهى تبحث عن هاتفها داخل حقيبتها
احنا مكناش رايحين نتفسح يا "نهال" .. بابا كان عنده شغل -
: ابتسم "عدنان" بسخرية وهو يقول
بس الفاتورة اللى جاتلى بتقول غير كدة -
: غلت الدماء فى عروقها وهى تتطلع اليه .. بينما قال "حسنى" بحرج
يعني احنا نزلنا فى الفندق ده لان ده أرقى فندق هناك .. عشان يعرفوا اننا - جامدين .. أمال كنت عايزنا ننزل فى أى فندق والسلام

: قال "عدنان" بجدية ظاهرها مزاح وهو يعقد ما بين حاجبيه

بس المفروض دى رحلة عمل .. يعني انت اللى تطلعها يا "حسنى" .. ايه -
اللى طلع "كوثر" و "يسرية" معاك الا اذا كانت رحلة العمل اتحولت لرحلة
استجمام

: قالت "يسرية" زوجة "حسنى" بترفع

احنا مكناش رايحين نتفسح .. أنا و "كوثر" كان فى حاجات مهمة لازم -
نعملها

قال "عدنان" وهو ينظر الى وجهها المشدود ثم تنتقل نظراته الى وجه أخته
: "كوثر" ثم قال بسخرية

واضح -

شعرت كلتا المرأتين بالحنق الشديد .. جاءت "لميس" فى تلك اللحظة لتقول
: بأدب

الغدا جاهز -

نهض الجميع والتفوا حول الطاولة والتى اضطر الخدم الى احضار المزيد من
المقاعد لتكفى هذا العدد الغفير .. تراهم من بعيد بضحكهم وحديثهم فتظن أنهم
عائلة كبيرة سعيدة .. لكن لو كان لك القدرة لتشق صدر وعقل كل منهم لوجدت
أن مشاعرهم وأفكارهم متباينة للغاية

: بعدما انتهى الجميع من تناول الطعام .. قال "عدنان" وهو ينظر الى اخوته

أنا عايزيكوا كلكوا فى حاجة مهمة .. تعالوا ندخل المكتب -

: هم "علاء" و "نهاد" بالتوجه الى المكتب فنظر اليهم "عدنان" وقال

جيل الأبناء يعدوا مع بعض .. أنا محتاج أتكلم مع اخواتى بس -

نظر الجميع الى بعضهم البعض فى دهشة .. توجه اخوته الى مكتبه وقبل أن
: يغلق الباب عاد أدراجه مرة أخرى ونظر الى "مهند" قائلاً

مهند" تعالى لو سمحت" -

: نهض "مهند" ودخل المكتب خلف عمه ..صاح "علاء" بحقد

مش قال عايز يجتمع بإخواته .. ليه دخل "مهند" الاجتماع -

: ظهر الضيق على وجه "نهاد" الذى زفر بحنق .. فأكمل "علاء" بحده شديدة

"شوفت مش قولتلك يا "نهاد -

: التفت اليه "نهاد" وصاح بحده

- كفاية بأه يا "علاء" أنا اللى فيا مكفيني
نظرت "نهال" و "بيسان" و "فريدة" الى بعضهم البعض .. بينما نهضت "يسرية" واقتربت من ابنيها قائله :
- فى ايه .. متعرفوش عمكوا عايز اخواته ليه
التفت اليها "علاء" وقال :
- المشكلة مش انه يجتمع باخواته .. المشكلة فى "مهند" اللى طلب منه يحضر الاجتماع
نظرت "يسرية" اليه وقالت :
- عادى .. يمكن ....
قاطعها "علاء" قائلاً بحدة :
- لا مش عادى يا ماما انتى متعرفيش اللى حصل .. عمى لغى مرتباتنا واتعامل معانا بالنسبة . ونسبة "مهند" ضعف نسبتى أنا و "نهاد"
رفعت "يسرية" حاجبيها فى دهشة واتسعت عيناها وهى تقول :
- ازاى عمك يعمل كده
ابتسم "علاء" بسخرية وهو يقول :
- بيقول فلوسه وهو حر فيها
كان التوتر قد وصل مبلغه فاستأذنت "فريدة" وخرجت بصحبة الفتيات الى الحديقة .. بينما جلس "نهاد" و "علاء" مع أمهما "يسرية " فى حجرة المعيشة كما هم وكل منهم يغلى من الغضب

****

فى داخل المكتب .. جلس "عدنان" خلف المكتب ونظر الى اخوته .. "انعام" .. "حسنى" .. "كوثر" .. وهو يقول :
- أنا جمعتكوا النهاردة عشان أتكلم فى موضوع مهم .. موضوع قديم .. بس آن الأوان اننا نتكلم فيه
رمق "حسنى" "مهند" بطرف عينه ثم قال :
- بس انت يا "عدنان" انك عايز تجتمع باخواتك .. "مهند" بيعمل ايه هنا ؟
بدت تعبيرات "مهند" جامدة .. خاليه من أى تعبير .. قال "عدنان" :

مهند" موجود فى الاجتماع بدل أبوه الله يرحمه" -
: رفع "مهند" رأسه لينظر الى عمه الذى أخذ نفساً عميقاً ثم قال
وده .. زمان .. بابا الله يرحمه فرق بينى وبينكوا فى المعاملة وفى الميراث -
السبب اللى خلانا بعيد عن بعض سنين طويله .. بصراحة أنا مكنش قطع
.. العلاقات بينى وبينكوا فارق معايا .. كان ليا حياتى وبيت ومراتى ولابنى
لحد ما ربنا شاء انى أفقدهم هما الاتنين .. ساعتها حسيت بالوحدة وفكرت
أجمع اخواتى حوليا مرة تانية
: ثم نظر الى "انعام" وقال
انتى يا "انعام" أول واحدة فتحتلى دراعها .. وقالتى انها مسامحانى .. -
ويمكن لان ظروفك كانت شبيهه بظروفى قدرنا نفهم بعض كويس
ابتسمت "انعام" وهى تنظر اليه .. التفت "عدنان" لينظر الى "حسنى" و
: "كوثر" وهو يقول
انتوا بأه مكنش الموضوع سهل أبداً بس الحمد لله عرفت أكسبكوا تانى -
واجمعكوا حوليا
: ثم نظر الى "مهند" بأسى وهو يقول
أما أبوك ما "مهند" أنا للأسف ملحقتوش .. كان اتوفى .. وعشان كدة -
صممت ان انت و "فريدة" تيجوا تعيشوا معايا هنا يمكن أقدر أعوض بيكوا
وأعمل معاكوا اللى مقدرتش أعمله مع أخويا ..اللى فات
: ثم أخذ نفساً عميقاً وهو يقول بحزم
أنا قررت أريح ضمرى أدام ربنا وأرجع الحقوق لاصحابها-
: "نظر الجميع الى بعضهم البعض فى دهشة .. فأكمل "عدنان
الورث اللى أبونا الله يرحمه كتبه كله بإسمى .. هيتوزع من أول وجديد بينا -
بقسمة العدل
: ضاقت عينا "حسنى" وهو يقول
بسعر اليوم ؟ -
: تجمدت ملامح "عدنان" وهو يقول
طبعاً لأ .. هيتحدد المبلغ زى ما كان وقتها .. هو ده الميراث اللى هيتوزع -
: هتف "حسنى" بمزيج من الدهشة والحنق
بس يا "عدنان" ده مش عدل .. ازاى عايز تقسم الميراث زى ما كان يوم ما -

بابا مات .. الأسعار اختلفت .. والدنيا اتغيرت .. مينفعش تحاسبنا بنفس أسعار زمان

: ضرب "عدنان" بكفه فوق المكتب وهو يقول بحزم

"ده اللى عندى يا "حسنى -

: ثم أشار الى ما حوله قائلاً

كل اللى انت شايفه حواليك ده شقايا وتعبى أنا .. أنا اللى كبرت الورث وخليه - بأه امبراطورية كبيرة .. ده تعبى ومجهودى .. اللى هيتوزع هو الورث اللى "أبونا سابه .. مش ورثى أنا .. أنا لسه عايش يا "حسنى

: ساد التوتر بينهم فأسرعت "انعام" تقول

عدنان" فيش مشكلة .. اللى انت شايفه صح اعمله" -

: رمقتها "كوثر" بحنق شديد لكنها التزمت الصمت .. قال "عدنان" بحزم

بعد ما الورث يتوزع .. أنا هكتب وصيتى ان شاء الله -

نظر اليه الجميع بدهشة بينما ظلت تعبيرات "مهند" مبهمة .. قالت "كوثر" : بقلق

وايه هى وصيتك ؟ -

: ارتسمت ابتسامه على شفتيه وهو يقول

هتعرفوها لما أموت -

شعرت "كوثر" بفصة فى حلقها .. انتهى الاجتماع وخرج الجميع .. بدا على حسنى" و "كوثر" الوجوم .. تأملتهما "يسرية" بإهتمام .. ثم تعللت بشعورها " وانطلقوا فى "بالتعب واستأذنت للانصراف .. صاحبها .. "حسنى" و "كوثر طريقهم الى بيتهم الذى يأوى جميعهم .. بينما انطلق "نهاد" الى بيته برفقة بيسان" زوجته .. أما "علاء" فقرر الخروج برفقة أصدقائه .. وفضلت " المبيت هذا اليوم أيضاً فى بيت عمها ""نهال

****

: صاحت "كوثر" بغضب

أخونا المحترم بيقولك قسمة العدل .. عدل ايه ده ميعرفش عن العدل أى - حاجه

: قالت "يسرية بحقد

- وأنا اللى كان عندى أمل ان ضميره يصحى ويدى لكل واحد حقه .. ازاى عايز يوزع الميراث اللى كان من سنين بسعر زمان .. يعني مش هينوبنا الا ملاليم

نظرت الى زوجها وقالت بحنق :

- متقول أى حاجة يا "حسنى" هتفضل ساكت وأخوك عمال يشترى ويبيع فينا كده

قال "حسنى" شارداً :

- تفتكروا هيكتب ايه فى الوصية ؟

جلست "كوثر" على أحد المقاعد منهارة وهى تقول:

- آه يا خوفى .. آه يا خوفى يعمل معانا زى ما أبونا عمل

قالت "يسرية" وهى تنظر اليهما :

- تفتكروا ممكن يميز "مهند" عن الباقيين

نظر اليها "حسنى" وقال بحده :

- ازاى يعني

قالت "يسرية" ساخرة :

- انتوا متعرفوش ولا ايه .. أخوكوا المحترم لغى مرتبات الولاد .. وقالهم هيتعامل معاهم بالنسب .. ونسبة البشمهندس "مهند" ضعف نسبة "نهاد" و "علاء"

هب "حسنى" واقفاً ولمعت عيناه بغضب وهو يقول :

- يعني ايه ضعف نسبة "نهاد" و "علاء" ؟

قالت "يسرية" عاقدة ذراعيها أمام صدرها مستندة بظهرها على ظهر الأريكة :

- يعني يا "حسنى" .. مجموع نسبة "علاء" و "نهاد" تضربهم فى ٢ .. تطلع دى نسبة "مهند"

هتفت "كوثر" بغضب :

- ده أخويا اتجنن فى عقله

نظرت "كوثر" الى "حسنى" وقالت :

- كده "عدنان" معدش طبيعي يا "كمال" يعنى ايه النسبه دى كلها لـ "مهند" .. "مهند" ابن أخويا أيوة .. بس زي ولادك .. ليه يميزه عنهم .. معنى كده بأه

انه كمان هيميزه فى الوصيه .. ومش بعيد يعمل زى ما أبونا عمل ويكتبله كل حاجه بإسمه

هتف "حسنى" بغضب :

- ده أنا كنت أولع الدنيا .. يعنى ايه يكتبله كل حاجه بإسمه .. أنا طافح الدم فى الشركة دى وبشتغل عنده زى الكلب المذلول عشان فى الآخر يكتب كل حاجه لـ "مهند" .. لا ده أنا أقلب عليها واطيها

قالت يسرية بقلق :

- يا جماعة لازم نشوف حل .. انتوا عارفين الديون اللى علينا .. لازم نتصرف بسرعة .. أنا كان عندى أمل ان أخوكوا يفوق .. لكن كده من الواضح ان عمره ما هيفوق .. ولو عرف بالديون اللى علينا مستحيل يساعدنا

قالت "كوثر" بإحتقار :

- طبعاً مستحيل يساعدنا ده أخويا وأنا عارفاه .. مبيطلعش الجنيه الا بطلوع الروح

قالت "يسرية" بحدة :

- طيب وبعدين هنتصرف ازاى .. هنفضل ساكتين لحد ما يكتب وصيته فعلاً .. لو كتب الوصيه خلاص كل حاجة ضاعت

نظرتا لى زوجها "حسنى" والذى بدا عليه الإنهماك فى التفكير .. قائله :

- "حسنى" رد علينا .. فكر معانا

لم يجيبها "حسنى" بل أخذ مفاتيحه وتوجه مسرعاً الى خارج البيت وهى تصيح خلفه :

- "حسنى" .. "حسنى"

****

- ليه عمى عمل كده .. كده النفوس هتشيل من بعض

قالت "فريدة" تلك العبارة شاردة وهى جالسه مع "مهند" فى غرفته .. فمسح "مهند" وجهه بكفيه وهو يقول :

- أنا مضايق جداً يا "فريدة" .. حاسس ان عمى بيخلق مشاكل بينى وبين ولاد عمى من غير ما يقصد .. "نهاد" و "علاء" مضايقين من موضوع النسب دى

وبصراحة معاهم حق يضايقوا ..

- طيب هو ليه عمل كده ؟

- سألته قالى انه ادى لكل واحد نسبة على حسب كفائته فى الشغل وان النسبة قابله للتغير فى أى وقت هو يختاره على حسب مجهود كل واحد فينا

قالت "فريدة" شاردة من جديد :

- هو معاه حق .. بس المشكلة ان "نهاد" و "علاء" مش هيفهموا كده

زفر "مهند" بضيق وهو يقول :

- أنا مليش فى جو الصراعات ده .. خاصة لو كان على فلوس .. عشان كدة أنا متردد ولسه ممضتش العقد لحد دلوقتى

نظرت اليه "فريدة" قائله :

- وكمان موضوع الميراث ده اللى زود الطينة بله

ضحك "مهند" بسخرية وهو يقول :

- مشفتيش اللى حصل فى المكتب كانت هتبقى حريقة .. ولسه لما "يسرية" تعرف .. هتبقى حريقة بجد

تنهدت "فريدة" قائله :

- ربنا يهديهم كلهم .. والله الدنيا مش مستاهله ده كله .. ده النبي صلى الله عليه وسلم قال انها لا تزن عند ربنا جناح بعوضه

ثم التفتت الى "مهند" وقالت :

- بس يا ترى اللى عمله عمى ده صح ولا غلط .. يعني المفروض يوزع الميراث القديم زى ما كان زمان ولا بأسعار دلوقتى ؟ .. يعني العمارات والأرض المفروض تتحسب بأنهى أسعار .. زى ما هو عمل ولا زى ما هما عايزين ؟

قال "مهند" فى حيرة :

- بصراحة مش عارف بس هسأل فى الموضوع ده .. لازم أسأل

قالت "فريده "بأسى :

- حتى لو سألت .. عمو "عدنان" عنيد أوى مبيمشيش الا اللى فى دماغه

التفت "مهند" اليها ليقول بحزم :

- بس على الاقل مبقاش شوفت الغلط وسكت عليه .. الساكت عن الحق شيطان أخرس .. أنا ليا ان أنا أنصحه .. استجاب مستجبش هو اللى هيتحاسب أدام

ربنا
: صمتت "فريدة" قليلاً ثم قالت بحنق
شوفت اللى طنط "يسرية" و عمتو "كوثر" عاملينه فى نفسهم .. اتصدمت - أول ما شوفت بشرتهم مشدودة كدة .. أنا افتكرت سافروا تركيا مع عمو يتفسحوا .. أتاريهم ريحين يعملوا عملية تجميل ويشدوا بشرتهم ""حسنى
: تنهد "مهند" وهو يهز رأسه قائلاً
ربنا يهديهم .. سبحان الله الشيطان وعد ونفذ -
: نظرت اليه "فريدة" بإستغراب قائله
مش فاهمة يعني ايه ؟ -
: التفت اليها "مهند" يقول بهدوء
وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ" .. الشيطان توعد انه يغوى الناس انهم يغيروا " - فى الدين والشكل والفطرة اللى ربنا خلقنا عليها
: قالت "فريدة" وهى تزم شفتيها
ممكن يكونوا مش عارفين انها حرام -
: قال "مهند" ناظراً اليها بحزم
المفروض تقوليلهم يا "فريدة" عشان متتحمليش الوزر معاهم .. شوفتى - حاجة غلط المفروض تنصحى صاحبها .. كلامى أنا معاهم ممكن يكون محرج اتكلمى انتى معاهم .. بس بهدوء متجادليش ..بالنسبة لهم
: أومأت برأسها قائله وهى تستثقل المهمة
طيب مع انى هتحرج أتكلم معاهم فى حاجه زى كده .. بس زى ما انت قولت - يا "مهند" هكلمهم بهدوء ومش هجادل
: نهضت وهى تتثائب قائله
يلا تصبح على خير -
: ابتسم قائلاً
وانتى من اهل الخير -
أغلقت "فريدة" الباب خلفها بينما تمدد "مهند" بجسده فوق فراشه واضعاً ذراعيه خلف رأسه مستغرقاً فى تفكير عميق

****

فى الصباح جلست "سمر" أمام مكتب والدها بالشركة تتفحص الملفات أمامها علها تفهم كيفية سر العمل بالشركة .. لكن ضاع وقتها سدى .. كانت البيانات والدراسات أكبر من ادراكها .. أغلقت اللفات فى حنق وهى تشعر بمرارة الفشل فى حلقها .. لكم تتمنى أن تثبت لـ "فيروز" أنها تستكيع ادارة أعمال والدها بنجاح ودون أن تحتاج اليها .. فى تلك اللحظة دخل "باهر "المكتب فنهضت "سمر" قائله بلهفة :

- "باهر" كويس انك جيت .. أنا محتاسه جداً .. مش عارفه أعمل أى حاجه .. فى ورق كتير حطتهولى السكرتيرة على المكتب وقالتلى محتاج امضتى .. وأنا أصلاً مش فاهمة ورق ايه ده ولا عارفه آخد أى قرار فى أى حاجه

ربت "باهر" على ذراعيها قائلاً:

- متقلقيش يا روحى أنا هتصرف فى كل ده .. خلاص التوكيل معايا .. ارجعى انتى البيت ارتاحى

قالت "سمر"و هى تحمل هاتفها :

- لا أنا هلف على الشركة شوية وأتعرف على الموظفين وشغلهم

قال "باهر" بضيق :

- طيب وايه لزمته .. قولتلك أنا هتضرف

قالت "سمر" بحده :

- يا "باهر" ايه اللى هيرجعنى البتي ويبقى وشى فى وش "فيروز" .. أنا خلاص جبت أخرى من الست دى .. خلينى هنا أحسن .. أهو ألاقى أى حاجه تسليني

قالت "باهر" بتبرم :

- زى ما تحبي .. أنا كان قصدى راحتك

خرجت "سمر" من المكتب .. وبدأت فى المرور على مكاتب الموظفين مكتب تلو الآخر .. تحاول أن تستوعب طريقة سير العمل فى الشركة

****

فى الظهيرة خرجت "انعام" من الفيلا وتوجهت الى مرسم "عدنان" والذى كان

.. يقع فى حديقة الفيلا فى مكان منعزل .. يدخل اليه وينعزل عن العالم أجمع يتنمج فى ريم لوحاته الفنية والتى أصبحت هواية ملازمة له منذ الصغر .. كان للمرسم بابان .. أحدهما على الجدار المواجه للمكتب مباشرة .. والآخر على الجدار خلف المكتب .. توجهت "انعام" الى الباب المفتوح دوماً ألا وهو ذلك الواقع على الجدار المواجه الى المكتب .. طرقت طرقات خفيفه .. فرفع الجالس على المكتب رأسه لينظر الى "انعام" من خلف الباب ""عدنان الزجاجى وأشار لها بالدخول .. دخلت "انعام" وقالت مبتسمة :

"هعطلك عن حاجة يا "عدنان -

: خلع نظارته الطبية قائلاً

"لا أبداً يا "انعام -

: أغلقت الباب خلفها وجلست على أحد المقاعد أمام المكتب وهى تقول بجديه

بصراحة يا "عدنان" عايزة أتكل معاك فى موضوع مهم -

: شبك يديه فوق المكتب وقال

"خير يا "انعام -

: صمتت قليلاً وهى تحاول أن تنتقى كلماتها بعناية ثم قالت

شوف يا "عدنان" بخصوص كلامك امبارح عن توزيع الميراث .. فدى - أنا مش هتكلم فى نقطة زى دى .. بس اللى يهمنى دلوقتى هو .. حريتك علاء" . .متعملش معاهم زى ما أبونا عمل معانا يا ""مهند" و "نهاد" و ""عدنان

: ظهر الغضب على وجه "عدنان" وقال

مش فاهم يا "انعام" وضحى كلامك -

: أخذت نفساً عميقاً ثم قالت

شوف يا "عدنان" أنا عارفه انك شخص عقلانى جداً وبتحسبها دايماً بعقلك - وعارفه انك طالما اديت النسبة دى لـ "مهند" يبأه هو فعلاً يستحقها . .بس .. بلاش النفوس تشيل من بعضها بسبب حاجة زى كدة .. متخليش ولاد العم "يخسورا بعض يا "عدنان

: أرجع "عدنان" ظهره الى الوراء وهو ينظر اليها بإمعان قائلاً

عرفتى منين .. "علاء" و "نهاد" اشتكوكى منى ؟ -

: قالت على الفور

- لأ عرفت من "فريدة" .. "مهند" كمان مضايق .. لانه حاسس ان الموضوع ده سبب مشاكل بينه وبين ولاد عمه .. بصى يا "عدنان" انت حر فى شغلك .. بس أنا هقول اقتراح لو عجبك نفذه لو معجبكش خلاص انت حر

أشار اليها أن تكمل الحديث فقالت :

- قطع ال ٣ عقود اللى انت كبتتها وادى التلاته نسبه زى بعض .. واديهم مهلة وليكن مثلا ٦ شهور تقيم خلالها شغلهم واللى يستحق ان نسبته تعلى واللى يستحق ان نسبته تفضل زى ما هى خليها زى ما هى .. واللى ..عليه يستحق ان نسبته تقل قللها ..

صمت "عدنان" يفكر فى ذلك الإقتراح .. تأملته "انعام" تتمنى أن يوافق حتى لا يعطى فرصة للشيطان للدخول بين أبناء العم .. وأخيراً تحدث "عدنان" قائلاً :

- خلاص يا "انعام" هعمل زى ما قولتى

اتسعت ابتسامته اوهى تتنهد فى ارتياح .. لكنه عقد جبينه قائلاً :

- بس كده "مهند" هيضايق

قالت على الفور مبتسمة :

- لا متخفش "مهند" عاقل .. وأساساً فريدة قالتلى انه لسه ممضاش العقد وانه متردد

أومأ "عدنان" برأسه وهو يقول :

- خلاص النهاردة بعد السهرة اللى عاملها فى البيت للعيلة كلها .. هجمع "مهند" و "نهاد" و "علاء" وأعرفهم قرارى الجديد

نهضت "انعام" وقد انفجرت أساريرها وهى تقول بمرح :

- خلاص وأنا مش هجيب سيرة .. بعد السهرة انت تقولهم بنفسك

****

ألقى "علاء" بمحتوى كأسه فى فمه ومسحه بظهر يده قبل أن يقول بحنق :

- ابن التيييييييييت .. لسه فى روح يناهد ويناكف

قل له صديقه :

- الراجل ده باين عليه مش سهل أبداً .. ماغه متكلفه ومحدش عارف هو ناوى

على ايه
: قال "علاء" وهو يضع كأسه الفارغ فوق البار أمامه
- بيقول هيكتب وصيته بعد ما يوزع على اخواته ميراثهم من جدى .. الميراث القديم اللى عمى نهبه لوحده .. يا اخوفى من وصيتك يا عمى
: قال صديقه مستفهماً
- تفتكر هيكتب ايه فى الوصية ؟
أخرج "علاء" احدى اللفافات من جيبه ثم نظر حوله وفى غفلة من الآخرين استنشق المسحوق كاملاً وأخذ يمسح أنفه ينفضه من المسحوق الأبيض ثم قال :
- مش عارف .. بس شكله بيزن على خراب عشه
نهض متثاقلاً وأخرج رزمة نقديه وضعها فوق البار ثم التفت مغادراً فناداه
: صديقه
- على فين العزم .. ده السهرة بتبتدى
: التفت اليه "علاء" وفرد ذراعيه قائلاً بلهجة مسرحية
- عمى العزيز عامل سهرة للعيلة عنده فى الفيلا .. ولازم الرعايا كلهم يكونوا موجودين فى سهرة سموه
: افرج صديقه ضاحكاً .. ثم قال
- وناوى تعمل ايه يا حضرة الرعيه .. هتسيب سمو الملك يوزع ممتلكاته زى ما هو عايز
: قال "علاء" رافعاً حاجبيه
- ده لما يشوف حلمة ودنه
التفت مغادراً وهو يلوح له بيده من فوق رأسه

****

: فتح "حسنى" باب بيته ودلف ليجد "كوثر" تنهض عن مقعدها قائله
- ايه يا "حسنى" .. ايه كل التأخير ده .. هنتأخر على "عدنان"
: مط "حسنى" شفتيه قائلاً بوجوم
- جاهزين ؟

: قالت وهى تحمل حقيبة يدها من فوق الطاول
آه جاهزين -
: ثم التفتت تنادى قائله
يسرية" .. يلا "حسنى" جه" -
خرجت "يسرية" من غرفتها وهى تمسك بذيل فستانها وتشير الى احدى البقع
: الزيتيه وتهتف بحده
وديت الفستان امبارح المغسله ورجعلى زى ما هو .. هروح ازاى بالمنظر ده -
: قالت "كوثر" وهى تتفحص البقعة
خلاص يا "يسرية" البسى فستان تانى -
: نظرت "يسرية" اليهما قائله
طيب روحى انتى مع أخوكى وأنا هغير وأحصلكوا بعربيتي -
خرجت "كوثر" برفقة "حسنى" .. وبينما هما فى طريقهما الى الفيلا .. أتى
: "حسنى" اتصالاً فرد فوراً
ألو .. أيوة .. تمام .. لا مفيش فرصة غير دى .. زى ما اتفقنا .. على تليفون -
كان "حسنى" يجيب بكلمات مقتضبه ويرمق "كوثر" بالنظرات من طرف
عينيه أثناء حديثه .. أنهى المكالمة ووضع هاتفه فى جيبه .. بدا متوتراً
: فالتفتت اليه "كوثر" قائله
فى حاجة يا "حسنى" ؟ -
: قال دون أن ينظر اليها
لأ عادى شغل -
: قالت وهى تتأمله
بس اسلوب كلامك كان غريب .. اكنك مش عايزنى أعرف بتتكلموا فى ايه -
بداعليه الإضطراب حتى أنه كاد ان يصطدم بإحدى السيارات والتى أخرج
: سائقها رأسه ليطلق سبه على "حسنى" .. قال "حسنى" بحده
هيكون فى ايه يعنى يا "كوثر" .. قولتلك شغل .. دى "يسرية" مراتى -
مبتحاسبنيش كده
نظرت "كوثر" أمامها على الطريق .. وهى تشعر بأنه يكذب .. وبأنه يخفى
أمراً ما .. لا يريدها أن تعلمه

****

توجه الجميع الى غرفة المعيشة بالطابق الثانى .. دارت الخادمات بالحلوة .. والعصائر لتمضية الأمسية .. أداروا شريط فى التلفاز يعرض أحد الأفلام فتح "مهند" الشرفة ووقف فيها بمفرده .. كثيراً ما كان يشعر بالحاجة الى الانفراد بنفسه .. بعيداً عن الجميع .. لكن عينان كانت تتابعانه بإهتمام عينا "نهال" .. طال وقوفه .. وشروده .. ووجومه .. قمت من مقعدها وتوجهت الى حيث يقف .. أجفل "مهند" عندما رآها .. ثم أدار وجهه لينظر الى الحديقة متنهداً .. ابتسمت "نهال" وهى تقف بجواره قائله :

مالك يا "مهند" واقف لوحدك ليه ؟ -

قال بإقتضاب دون أن ينظر اليها :

شويه وهدخل -

قالت برقه :

ينفع أقف معاك -

التفت "مهند" ونظر اليها بحده قائلاً :

نهال" لو سمحتى اتفضلى اعدى معاهم .. أنا حابب أكون لوحدى " -

التفت مرة أخرى لينظر الى الحديقة متجاهلاً اياها .. ظهر الأسى على محياها وهى تنظر اليه لا تبعد عيناها عن وجهه .. ثم قالت بنبره حزينه :

لسه بتحبها ؟ -

التفت اليها "مهند" بحدة شديدة .. اخترقتها نظراته الحاجة الثاقبة والتى بدا فيها غضبه جلياً .. ثم تحركت شفتاه ليقول بصرامة وحزم :

دى حاجه متخصكيش .. اوعى تتكلمى معايا فى الموضوع ده تانى -

أخافتها نظراته الحادة فالتزمت الصمت .. دار على عقبيه ودخل حيث يجتمع الجميع .. التفتت تتطلع الى الحديقه حولها وهى تحاول جاهده اخفاء الدموع من عينيها

كوثر" حولها وقالت" نظرت :

أمل فين "عدنان" ؟ .. و "انعام" كمان مختفيه -

أشارت "فريدة" الى غرفة التى تقع فى نهاية الممر المؤدى لغرفة المعيشة وهى تقول :

دخلوا المكتب من شوية -
: نهضت "كوثر" وقالت
أما أروح أناديهم -
وصلت الى مكتب وكادت أن تطرق الباب لولا أن تنامى الى مسامعها صوت حديثهما .. نظرت خلفها لتتأكد خلو الممر .. ثم أرهفت أذنها ووضعتها فوق
: الباب .. سمعت "انعام" تقول
عدنان" صدقني ده ملوش أى لازمه .. ومش هستفاد منها بحاجه" -
: شعرت "كوثر" بالإستغراب فأرهفت سمعها أكثر .. سمعت "عدنان" يقول
دى ممتلكاتى وأتصرف فيها زى ما أنا عايز يا "انعام" .. أنا خلاص خدت - قرارى .. المزرعة هتتكتب كلها بإسمك انتى .. الكلام ده هيتكتب فى الوصية اللى هكتبها مع المحامى آخر الاسبوع
: ظهر الغضب والحقد فى عيني "كوثر" .. سمعت "انعام" تقول
.... "بس يا "عدنان -
: قاطعها "عدنان" قائلاً
مبسش .. من حقى أهب اللى أنا عايزه للناس اللى بحس انهم قريبين منى .. - "وبيحبونى من قلوبهم .. وانتى واحدة من الناس دى يا "انعام
! اكتفت "كوثر" بما سمعت .. عادت الى مقعدها وهى تغلى من الغضب والغيظ

****

: نظر "عدنان" الى الجميع فى حبور وهو يقول
.. أكتر حاجة بتفرحنى هى لمتنا سوا .. لازم دايماً نفضل متجمعين كده - صحيح فات كتير من حياتنا فى بعد وخلاف .. بس خلاص لازم نرجع نتجمع تانى ونكون ايد واحدة
ارتسمت ابتسامه "ساخرة على شفتى "علاء" أخفاها بقطعة حلوة دسها فى بينما كانت "كوثر" للتلوى من الغيظظ وهى ترمق "عدنان" خفية .. ..فمه يسرية" فكانت نظراتها باردة جامدة .. بدا "نهاد" فى علام آخر .. متوتراً "أما
: مضطرباً تتابعه نظرات "بيسان" القلقه .. قال "كامل" بغير حماس
طبعاً يا "عدنان" .. أحلى حاجة هى لمة العيلة -

: ابتسم "عدنان" وشرد بخياله قائلاً
فاكرين لما كنا كلنا عايشين فى بيت واحد .. فاكرين ألعابنا اللى كنا بنبدلها -
مع بعض .. وذكرياتنا الجميلة فى بيتنا القديم .. أنا لسه محتفظ بالبيت ده
مرضتش أبداً أفرط فيه
: قال "حسنى" بشئ من الحنق
فاكر -
: ثم التفت اليه قائلاً
وفاكر كمان لما كان أبونا الله يرحمه بيحبك وبيميزك عننا كلنا .. أكنه -
"مخلفش غيرك يا "عدنان
: نظر اليه "عدنان" يستعيد ذكريات الماضى .. فقالت "كوثر" بحنق
مش بس كان بيميز "عدنان" عننا كلنا .. ده كان كمان بيميز فى معاملة -
الولاد عن اللبنات .. دول لهم معاملهم ودول لهم معاملة تانية .. عمره ما عامل
: حد فينا زى التانى .. تنهدت "انعام" قائله
أعتقد ده كان جهل منه .. بس مش معنى كده ان بابا كان بيحب حد وبيكره -
حد .. هو أكيد كان بيحبنا كلنا
: نظرت اليها "كوثر" بسخرية وهى تقول
طول عمرك كنتى بتدافعى عنه .. يبأه ضاربك ومديكي العلقة اللى هيا وبردة -
تدافعى عنه
: قال "عدنان" بحزم
مفيش داعى نفتح فى القديم .. خلونا فى النهاردة .. احنا متجمعين مع بعض -
.. علية كبيرة بنحب بعضها
: نظرت اليه "انعام" نظرة ذات مغزى وقالت
بالظبط كده .. ومفيش حد فيها مميز عن التانى -
أشارت بعينيها الى "مهند" ونهاد" و "علاء" .. ففهم "عدنان" مقصدها ..
: "التفت "مهند" قائلاً لـ "عدنان
أخبار آخر لوحاتك ايه يا عمى .. قولتلى فاضلها شويه صغيرين .. لسه -
مخلصتش برده ؟
: قال "نهاد" بسخرية
ومن امتى والمهندسين بيهتموا بالأعمال الفنية .. دول شغلهم كله طوب -

وزلط وأسمنت
: نظر اليه "مهند" قائلاً بهدوء
الشغل حاجة والهواية حاجة تانية -
: قام "عدنان" قائلاً
اللوحة فعلاً خلصت هروح أجيبها من المرسم -
: نهض "مهند" قائلاً
خليك انت يا عمى هروح أنا أجيبها -
: قال "عدنان" مبتسماً
لا خليك يا "مهند" هروح أنا -
: نزل "عدنان" الدرج فقابل "لميس" بالأسفل ابتسمت له فقال
هروح أجيب آخر لوحاتى من المرسم -
: أومأت برأسها قائله بإبتسامه
هى خلصت ؟ .. مبروك -
خرج "عدنان" فأغلقت "لميس" الباب خلفه .. تفرق الجميع فى غرفة المعيشة نظرت "كوثر" بإهتمام الى "حسنى" التى انهمك فى مكالمة هاتفيه بدت .. ثم قامت لتغادر الغرفة .. وقفت "انعام" فى الشرفة مع "فريدة" و ..مهمة بينما خرج "علاء" ثم تبعه "نهاد" .. بينما استأذنت "يسرية" .. ""نهال للذهاب الى الحمام .. أما "مهند" فخرج قليلاً ثم عاد ليقف أمام احدى اللوحات المعروضة فى غرفة المعيشة يتأملها بإمعان

بعد مضى نصف ساعة .. بدا وكأن الجميع عادوا الى غرفة المعيشة مرة أخرى
: .. نظر "حسنى" فى ساعته قائلاً
هو "عدنان" اتأخر ليه -
: قالت "يسرية" وهى تمط شفتيها
فعلاً اتأخر -
: أخرج "نهاد" هاتفه يحاول الإتصال به ثم قال
مبيردش على الموبايل -
: قال "مهند" وهو يترك كوب العصير من يده
هروح أشوفه -

: "قالت "انعام
استنى يا "مهند" هكلم "لميس" تروح تشوفه -
اتصلت "انعام" بـ "لميس" على اللاسلكى وأخبرتها أن تتوجه الى المرسم وتحث "عدنان" على القدوم فالجميع جالس فى انتظاره
سارت "لميس" بخطوات واسعة فى اتجاه المرسم .. لم تستطع رؤية ما بداخله من الباب الزجاجى بسبب الظلمة التى أحاطت بالمكان .. فتحت الباب ثم أضاءت النور .. ثـــم .. أطلقــت صرخــة مدوية سُمع صداها فى البيت كله وهى تتطلع الى تلك الجثــة الغارقــة فى دمائـهــا !

الفصل السادس

اتصلت "انعام" بـ "لميس" على اللاسلكى وأخبرتها أن تتوجه الى المرسم وتحث "عدنان" على القدوم فالجميع جالس فى انتظاره
لميس" بخطوات واسعة فى اتجاه المرسم .. لم تستطع رؤية ما بداخله "سارت من الباب الزجاجى بسبب الظلمة التى أحاطت بالمكان .. فتحت الباب ثم أضاءت ثـــم .. أطلقــت صرخــة مدوية سُمع صداها فى البيت كله وهى تتطلع .. النور الى تلك الجثــة الغارقــة فى دمائـهــا
انتفضت فزعة عندما سمعت خطوات من خلفها .. التفتتت بحدة وأطلقت صرخة أخرى وهى تظنه القاتل .. لكنها فوجئت بـ "عدنان" الذى قال بلهفة :
- فى ايه يا "لميس" ؟ ....

كانت تتشنج وتبكى أشارت بأصابعها الى الجثة الملقاة على الأرض .. دخل "عدنان" المرسم هاتفاً :
- لا حول ولا قوة إلا بالله
: فى تلك اللحظة حضر "مهند" ونظر الى الجثه الملقاة على الأرض وقال لاهثاً
- ايه اللى حصل .. مين اللى عمل كده

سمع "مهند" من خلفه صوت صراخ "فريدة" التى أتت خلفه وهى تنظر الى الجثة .. فصاح "مهند" فيها :

"فريدة" ابعدى من هنا وابعدى مدام "لميس" -

أتى الرجال والناس يهرولون .. فخرج "مهند" صائحاً :

بلاش تيجوا هنا يا عمتو .. فى جثة جوه -

شهق الجميع واتسعت الأعين فى فزع .. منع "مهند" الآخرين من دخول المرسم وقال بحزم :

محدش يدخل لحد ما البوليس ييجى .. عشان الأدلة والبصمات تفضل زى ما هى ومتضعش -

ما هى إلا نص ساعة ووصلت الشرطة الى مكان الحادث .. دخل أحد رجال الشرطة وألقى نظرة على الجثة الملقاة على الأرض والتى أصيبت بطلق نارى فى الصدر .. ثم خرج وترك فريقه يرفعون البصمات ويجمعون الأدلة .. نظر الى الجمع الغفير وقال :

مين صاحب الفيلا -

تقدم "عدنان" وقال بأسى :

أنا "عدنان زياكيل" صاحب الفيلا -

نظر اليه الضابط متفحصاُ وسلم عليه قائلاً :

"أنا الرائد "عادل ادريس -

أومأ "عدنان" برأسه .. فقال الرائد :

مين القتيل ؟ -

قال "عدنان" متنهداً بحسره :

ده الجناينى -

عقد "عادل" ما بين حاجبيه وهو يقول بدهشة :

! الجناينى -

ثم أشار الى الفيلا قائلاً :

طيب لو سمحتوا ياريت ندخل الفيلا .. عايز أتكلم مع كل الموجودين فى الفيلا من سكان وخدم وحرس -

توجه الجميع الى الفيلا واجتمعوا فى غرفة المعيشة .. تجول "عادل" فى الفيلا بأعين متفحصه .. ثم بدأ فى التحدث مع واحد واحد منهم .. جلس مع "عدنان"

فى غرفة مكتبه بينما أوقف حرساً فى غرفة المعيشة .. وأمر الحراس على البوابة بألا يسمحوا بدخول أو خروج أى أحد .. قال لـ "عدنان" ..

- اتفضل احكيلى كل الى تعرفه

تنهد "عدنان" قائلاً بأسى :

- معرفش حاجة .. كل اللى حصل انى نزلت أجيب لوحه من المرسم

انحنى "عادل" الى الأمام وقال :

- المرسم .. تقصد المكان اللى لقينا فيه الجثة ؟

أومأ "عدنان" برأسه وأكمل :

- وأنا فى الطريق جالى تليفون مهم .. اندمجت فى الكلام .. لقيت الجناينى أدامى شاورتله وقولتله يجيب اللوحة اللى على المكتب فى المرسم ويطلعها فوق فى الفيلا .. وكملت مكالمتى

حثه "عادل" قائلاً :

- ها وبعدين

- مفيش .. سمعت صوت صريخ "لميس" المسؤلة عن الفيلا والخدم .. جريت على المرسم لقيت الجناينى واقع على الأرض وبينزف وشكله مات

قال "عادل "بإهتمام :

- حد دخل المرسم غيرك

قال "عدنان" :

- مفيش غير "مهند" دخل بعدى وشاف الجثة .. وبعدين كان "علاء" و "نهاد" عايزين يدخلوا بس "مهند" منعهم عشان الدلة والبصمات ""حسنى" و .. وبعدين خرجنا أنا وهو وقفلنا باب المرسم وطلبنا البوليس

قال "عادل" مفكراً :

- طيب القتيل كان له أعداء من الفيلا أو بره الفيلا

هز "عدنان" رأسه نفياً بقوة وقال :

- بالعكس ده كان راجل محترم ومكنش بيسبب أى مشاكل لحد .. ومعتقدش أبداً ان له أعداء

قال "عادل" :

- طيب اتفضل حضرتك وناديلى "مهند" .. هو يقربلك ايه

- ابن أخويا

طيب ناديهولى -
: كاد "عدنان" أن ينصرف لكن "عادل" أوقفه قائلاص
لحظة لو سمحت يا "عدنان" بيه -
: التفت اليه "عدنان" فقال "عادل بإهتمام
لما دخلت المرسم كان النور مفتوح ولا مقفول -
: فكر "عدنان" قليلاً ثم قال
لا كان مفتوح -
عادل" برأسه .. انصرف "عدنان" وأخبر "مهند" بأن الضابط يريده .. "أومأ مهند" فنظر اليه "عادل" بإهتمام وأشار اليه بالجلوس .. جلس "مهند" "دخل
: فقال له "عادل" متفحصاً. . أمامه
عمك قالى انك دخلت المرسم بعده -
: "أومأ "مهند" برأسه .. فقال "عادل
طيب ملحظتش حاجة غريبة ؟ -
: "قال "مهند
لأ أبداً .. شوفت الجثة على الأرض فخرجت وخرجت عمى .. ومنعت أى حد - من انه يدخل جوه المرسم
انتوا كنتوا فين .. لما عمك كان رايح يجيب اللوحة -
كلنا كنا متجمعين فى الصالون ومنتظرين عمى يرجع باللوحة -
غاب أد ايه -
تقريباً نص ساعة -
خلال النص ساعة كلكوا كنتوا مع بعض فى الصالون ؟ -
لأ .. فى اللى خرجوا ورجعوا تانى .. ولما لقينا عمى اتأخر كنت عايز أروح - أطمن عليه .. عمتى "انعام" قالت انها هتخلى "لميس" تروح تشوفه .. حاول يتصل بيه على الموبايل بس مردش "و"نهاد
: ضاقت عينا "عادل" وهو يقول
"مردش ! .. طيب لو سمحت ناديلى "لميس -

دخلت "لميس" باكية مرتجفة .. جلست أمام الضابط الذى أمر بإحضار كوب

: ماء لها .. سألها بإهتمام
انتى أول واحدة شوفتى الجثة مش كدة ؟ -
: أومأت برأسها .. فقال
ايه اللى حصل بالظبط -
: قالت بصوت مرتجف
انعام" هانم كلمتنى وقالتلى أروح أشوف "عدنان" بيه فى المرسم لانه " -
روحت المرسم لقيته ضلمة .. معرفتش أشوف من الباب الازاز اذا ..اتأخر
كان فى حد جوه ولا لأ .. فتحت الباب ونورت النور ولقيت الجنانيى واقع على
فصرخت .. الأرض
أجهشت فى البكاء بعدنا أنهت جملتها .. قدم لها أحدهم كوب من الماء
فارتشفت بضع رشفات وهى تحاول التحكم فى أعصابها .. سألها "عادل"
: بإهتمام
بتقولى النور .. هو كان مطفى -
: أومأت برأسها وقالت
أوية كان مطفى .. أنا اللى فتحته -
انتى متأكدة ؟ -
أيوة متأكدة -
استغرق "عادل" فى التفكير .. ثم أمر بإحضار الجميع واحد تلو الآخر
: "قال "علاء
أنا كنت معاهم كلهم .. حتى اسألهم .. خرجت بس روحت الحمام ورجعت -
تانى
: "بينما قال "حسنى
كنت بتكلم فى التليفون مخدتش بالى مين ساب الأوضة وخرج .. وطول -
الوقت وأنا فى الأوضة مخرجتش
: "أما "يسرية
أنا دخلت الحمام ورجعت تانى على طول .. انتوا ليه بتعاملونا على اننا -
مجرمين .. ما يمكن يكون حد من اللى بيشتغلوا فى الفيلا هو اللى قتله
: و "كوثر" انفعلت قائله
أيوة خرجت .. حبيت أمشى رجلى شوية .. نزلت لحد تحت وجيت عشان -

أخرج من باب الفيلا حسيت نفسى دايخه لانى مريضة بالضغط .. طلعت تانى وخدت الدواء من شنطتى وأعدت معاهم ومحاولتش أنزل تانى

: "قال "نهاد

أيوة خرجت .. "بيسان" كانت عايزة حاجة من الأوضة اللى بنبات فيها لما - بنيجي الفيلا .. روحت جبتهالها وجيت على طول

: "قالت "بيسان

أيوة حصل أنا طلبت من "نهاد" يجبلى شال من الأوضة لانى حسيت نفسى - بردت .. وطول الوقت وأنا أعده مكانى متحركتش

: "قالت "انعام

أنا و "نهال" و "فريدة" كنا فى البلكونه ومخرجناس منها الا على صوت - "صريخ "لميس

عادل" أيضاً من استجواب الخدم والحرس الذين أكدوا بعدم دخول أو "انتهى خروج شخص غريب من الفيلا على الأطلاق .. كاد عقل "عادل" أن يجن .. نزل ليعاين الفيلا من الخارج .. والحديقة .. ثم نظر الى السور والتمعت فى السور .. لابد أن القاتل قفز من فوق السور نفذ جريمته ثم .. رأسه الإجابة : هرب بنفس الطريقة التى دخل بها .. صاحت "كوثر" بحنق

احنا هنفضل كدة كتير .. الفجر هيأذن احنا تعبنا -

: "قال "عادل

خلاص تقدروا تتفضوا تروحوا -

انفض الجميع وغادر الجميع الفيلا وبقى سكانها .. جلست "فريدة" على الأريكة فى غرفة المعشية ترتجف خوفاً .. جلس "مهند" بجوارها وأحطاها : بذراعه قائلاً

"خلاص يا "فريدة -

: قالت باكيه

الراجل الغلبان يا عيني اتقتل .. مين يعمل كده طيب .. شوفت كان شكله - "عامل ازاى .. أنا خايفة أوى يا "مهند

: ربت على ظهرها قائلاً

خلاص يا "فريدة" انسى اللى شوفتيه .. متخافيش أنا معاكى -
أذن الفجر فدخلت "فريدة" لتأدية الصلاة ..بينما توجه "مهند" الى المسجد وهو فى حيرة من أمره .. من ذا الذى يقدم على تلك الفعله .. وكيف دخل القاتل الى الفيلا !

****

فى صباح اليوم التالى توجه "عدنان" الى قسم الشرطة وطلب مقابله الرائد" الذى نهض لإستقباله وهو ينظر اليه متفحصاً .. قال "عدنان" بقلق "عادل :
أنا عايز أعرف انتوا قدرتوا توصلوا لحاجة ولا لأ -
: مسح "عادل" وجهه بكفيه ثم ضحك قائلاً
بالسرعة دى .. أكيد لسه -
: ثم تحدث بجدية قائلاً
بس اللى أكيد هو حاجتين -
: سأل "عدنان" بإهتمام
ايه هما -
: قال "عادل" وهو يعقد يديه فوق المكتب
أول حاجة اللى كان مقصود بالقتل حضرتك مش الجناينى -
: اتسعت عينا "عدنان" بينما أكمل "عادل" قائلاً وهو يشير بأصابع يده
أولاً : اللى عايز يقتل الجناينى يقتله فى أى مكان فى الجنينة أو فى أوضته .. - اشمعنى المرسم
لما مدام "لميس" اكتشفت الجثة قالت ان النور فى المرسم كان مطفى .. :ثانياً يعني اللى دخل يقتل دخل وهو عارف ان الشخص اللى هيكون فى المرسم فى اللحظة دى هو حضرتك
ثالثاً : الجناينى ملوش أى عداوات مع أى حد .. لكن حضرتك فى خلاف قوى بينك وبين أفراد أسرتك على ميراث قديم
: ظهر التفكير على "عدنان" والضيق فى عينيه وهو يقول
وايه الحاجة التانية اللى حضرتك متأكد منها -

: أرجع "عادل" ظهره الى الوراء وهو يقول بلامبالاة
ان القاتل نط من على السور ونفذ جريمته وهرب تانى -
: ابتسم "عدنان" بسخرية وقال بثقه
لا معلش يا باشا فاتتك دى -
: "نظر اليه "عادل" بإستفهام فأكمل "عدنان
السور كله متحاط بأجهزة انذار حساسة لأى حركة -
: عقد "عادل" جبينه فى تركيز وهو ينظر الى "عدنان" الذى قال
ومحدش أبداً يعرف ان فى أجهزة انذار على السور الا أنا و "مهند" .. حتى - الحرس ميعرفوش
مهند" ابن أخوك ؟" -
أيوة -
حك "عادل" ذقنه بأصابعه وهو يحاول تجميع الخيوط ببعضها البعض .. ثم : نظر الى "عدنان" هاتفاً بحنق
وليه ما قولتش الكلام ده امبارح .. عارف الكلام ده معناه ايه .. معناه ان - القاتل شخص من جوه الفيلا .. شخص من اللى كانوا متجمعين فى السهرة امبارح
: ضاقت عينا "عدنان" وصاح
يعني تقصد ان اللى قتل الجانينى ده واحد من عيلتى أو من الخدم كان قاصد - انه يقتلنى أنا
: أومأ "عادل" برأسه قائلاً
معنديش أى شك فى كده .. عايزك بأه بالراحة كدة وبهداوه تحكيلى تفاصيل - الخلاف بينك وبين أفراد عيلتك .. نفر نفر

****

دخلت انعام غرفة الطعام لتجد "مهند" جالساً بمفردة يحتسى فنجاناً من الشاى : .. فحيته قائلاً
"صباح الخير يا "مهند -

: التفت اليها قائلاً
صباح النور يا عمتو -
: جلست "انعام" وهى تقول بأسى
معرفتش أنام طول الليل .. يا عيني صعبان عليا الراجل اللى كات ده -
: "بدا "مهند" شارداً ممعناً فى التفكير .. فقالت "انعام
أكيد المجرم نط من على السور وموته .. بس نفسى افهم ليه موته .. الراجل - كان فى حاله ومبيضايقش حد
: نظر "مهند" اليها بعزم قائلاً
لأ مستحيل يكون القاتل نط من على السور يا عمتو -
: التفتت اليه وقالت
يعني ايه يا "مهند" .. ليه مستحيل ؟ -
: أخذ "مهند" نفساً عميقاً ثم قال
السور كله متركب عليه أجهزة انذار ومحدش أبداً يعرف الموضوع ده غيري - أنا وعمى "عدنان" .. امبارح بعد ما البوليس مشى فكرت ان ممكن يكون القاتل عطل الأجهزة .. روحت الكونترول روم .. الأجهزة شغاله زى ما هى .. وكمان فى تايمر بيحدد هل الأجهزة انفصلت عن العمل ولا لأ .. لقيت التايمر الانذار كان شغال طول الوقت متفصلش ثانيه واحدة .. يعني مستحيل .. تمام حد ينط على سور الفيلا وإلا كانت الأجهزة كلها اشتغلت .. القاتل واحد من جوه الفيلا
: قالت "انعام" بدهشة وهى تحاول استيعاب ما يحدث
"يعني مين هيكون لها مصلحه فى قتل الجنايني يا "مهند -
: نظر اليها "مهند" بثبات وقال
اللى كان المقصود بالقتل عمى .. مش الجنايني -
شهقت "انعام" ووضعت كفها على فمها وقد اتسعت عيناها فزعاً

****

التف "حسنى" و "يسرية" و "كوثر" و "نهال" و "علاء" على طاولة الطعام

: .. قالت "يسرية" بحنق
كنت هتجنن امبارح .. عشان حتت جناينى يعاملونا أكننا مجرمين -
: قالت "نهال" بأسى
يا حرام صعبان عليا أوى -
: قال "حسنى" شارداً
حكاية لا كانت على البال ولا على الخاطر .. ربنا يستر وتعدى على خير -
: هتفت "كوثر" بحنق
واحنا مالنا ومال اللى حصل .. أكيد حد من الشغالين فى الفيلا كان بينه وبين -
الجناينى مشاكل والخلاف اتطور قام قتله
: قال "علاء" بتبرم
تفتكروا هيطلبونا نروح القسم ولا هيكتفوا بالمحضر اللى اتعمل امبارح -
: هتفت "كوثر" بعصبية
لا قسم ايه .. أنا مدخلش قسم أنا .. قال قسم قال .. أما أقوم أجيب دوا -
الضغط بتاعى .. الصداع هيموتنى من امبارح
قامت "كوثر" وتركت خلفها كل منهم شارداً فى مكان آخر

****

: تنهدت "بيسان" بحسرة وهى تجلس على الأريكة قائله
كنت هموت من الرعب امبارح .. الحمد لله ان محدش مننا جراله حاجه -
: قال "نهاد" شارداً
أهاا -
: تفحصته "بيسان" قائله
مالك يا "نهاد" من امبارح وانت سرحان ومش على بعضك -
: قال "نهاد" بإضطراب
ليه يعني .. ما أنا كويس هو .. بيتهيألك بس -
: نظرت اليه "بيسان" وقالت بثقه
أنا عارفاك كويس أوى يا "نهاد" فى حاجه قلقاك وموتراك .. اتكلم معايا -

: نهض بعضبيه وهو يقول
أنا مش فاضى أعد وأتكلم أنا عندى شغل .. يلا سلام -
خرج وأغلق باب البيت خلفه .. لكن قلب "بيسان" ازداد قلقاً على قلق

****

سمر" على الأريكة تضرب أزارا هاتفها فى عصبيه .. نهضت وهى "جلست تسير يميناً ويساراً فى عصبيه واضعه هاتفها فوق أذنها .. ثم تمتمت بحنق
: بعدما سمعت صوت محدثها
باهر" ليه مبتردش عليا" -
: أتاها صوته ناعساً وهو يقول
معلش يا روحى كنت نايم -
: قالت بضيق
نايم من امبارح الضهر .. أنا بكلمك بقالى يومين -
: قال معتذراً بهمس
معلش يا روحى لما أصحى هكلمك -
: قالت "سمر" بعصبية
طيب ضرورى تكلمنى لان فى أوراق وعقود وأنا مش عارفه أتصرف لوحدى -
وانت من امبارح مروحتش الشركة
طيب يا روحى .. سلام -
: قالت "فيروز" والتى كانت واقفة خلفها تستمع الى المكالمة
خليكي كده لحد ما ياخد اللى وراكى واللى أدامك -
: التفتت اليها "سمر" بحده قائله
ملكيش دعوة لو سمحتى -
: قالت "فيروز" بحنق
فوقى بأه .. بلاش تبقى هبله .. هو فى واحده تآمن لراجل .. ده الخيانة فى -
دمهم .. مكنش لازم تعمليله توكيل .. خليه شريك معاكى فى الإدارة والغى التوكيل اللى عملتيهوله ده

: قالت "سمر" بحيرة
بس لما طلبتى منى انك تديري الشركة بدالى .. قولتيلى انى لازم أعملك - توكيل عشان تعرفى تشوفى الشغل فى الشركة .. طالما ينفع انى أشركك فى الادارة طلبتى منى توكيل ليه ؟
: قالت "فيروز" بتوتر
عادى يعنى عشان أتصرف بحرية أكبر .. لكن مش تروحى تعملى للواد ده - توكيل
: قالت "سمر" بحده
مسموش الواد ده .. اسمه "باهر" .. خطيبى .. وخلال فترة صغيرة هيبقى - جوزى
: أطلقت "فيروز" ضحكة عالية ساخرة وهى تقول
جوزك .. انتى لسه عندك أمل انه يتجوزك -
: شبكت "سمر" ذراعيها أمام صدرها وهى تقول بحده
وليه بأه ميتجوزنيش -
: اختفت ابتسامة "فيروز" واقتربت منها قائله بجديه
اسمعيني كويس .. انتى عارفه كويس ان فى الفترة الأخيرة باباكى بدأ يخسر - فى شغله .. وراس المال يقل .. "باهر" زمانه دلوقتى عرف وضع الشركة وعرف انها مش هتستمر كتير .. مش هينوبك الا تمن بيعها مش .. كويس أكتر .. لكن أرباح زى الأول انسى .. الشركة محتاجه شغل جبار عشان تقدر تقف على رجليها زى الأول .. و "باهر" مش بتاع شغل .. لما يعرف الوضع ده ان مبعش الشركة بالتوكيل اللى حضرتك .. كويس .. هتلاقيه خلع عملاهوله قبل ما يخلع
: احتدت "سمر" بعنف قائله
اسكتى خالص .. انتى فاكرة كل الناس زيك .. أنا و "باهر" بنحب بعض .. - طبعاً انتى متعرفيش يعني ايه حب لانك انسانه مادية وكل اللى يهمك ..فاهمه مصلحتك وبس
: ضحكت "فيروز" عالياً وهى تقول
حب ! .. مممممم ماشى أما نشوف رد فعل حبيب القلب لما يعرف ان - حضرتك على وشك الإفلاس .. ساعتها هنشوف الحب اللى بتتكلمى عنه

فيروز" .. فجلست "سمر" فوق الأريكة واجمة .. مسحت وجهها "غادرت بكفيها وقد بدأت كلام "فيروز" يشعرها بالقلق .. لكنها نفضت تلك الأفكار من : رأسها وتمتمت بخفوت

لا "باهر" مش كده .. "باهر" مش ممكن يسيبنى -

حاولت اقناع نفسها بتلك الكلمات .. لكنها وعلى الرغم منها لم تستطع ازالة القلق الذى انتشر فى قلبها انتشار النار فى الهشيم .. أخذت تتساءل .. اهى حقاً واثقة من حب "باهر" لها ؟ .. أحقاً واثقة أنه لن يتخلى عنها ؟ .. أحقاً واثقة ! أنه لن يخون ثقتها ؟ .. خفق قلبها بقوة .. لأن الإجابة .. أرعبتها

****

: جلس أحد المساعدين أمام الرائد "عادل" وقال له

غريبة أوى القضية دى .. كل الناس حوليه بيكرهوه .. يعني ممكن يكون أى - واحد من اللى كانوا فى السهرة .. او حتى من الخدم

: قال "عادل" وهو يرجع ظهره الى الوراء وينقر بقلمه فوق أحد الملفات

لأ مش من الخدم .. ايه مصلحة حد من الخدم انه يحاول يقتل "عدنان" .. - القتل مش بدافع السرقة القتل كان متعمد .. وقرايبه كلهم ليهم مصلحه فى قتله عشان ميكتبش وصيته

: سأله مساعده

بتشك فى حد معين يا فندم ؟ -

: قال "عادل" شارداً

"الوحيد اللى كان عارف ان فى جهزة انذار على السور هو "مهند -

يعني بتشك فيه -

: قال "عادل" بثقه

بالعكس .. هو أقل واحد بتحوم حوليه الشكوك .. لأنه منع دخول الناس - وقفل المرسم عشان الأدلة والبصمات متضعش .. لو هو فعلاً اللى ..للمرسم قتل أو اللى أجر حد يقتله .. هيبقى من مصلحته ان الأدلة تطمس

: ثم قال

"وكمان الباقيين دوافعهم أكبر من دوافع "مهند -
يعني "مهند" خرجته من دائرة الشكوك -
: قال "عادل وهو يرفع حاجبيه بحزم
مفيش حد خارج دائرة الشكوك .. بس فى درجات -
: ثم انحنى بجسده فوق المكتب وقال بثقه
وأكبر واحد بتحوم حواليه الشكوك هو "حسنى" أخو "عدنان" .. الشهود - بيقولوا انه كان بيتكلم فى التليفون وبطريقة مريبة .. وكمان فى حاجة "نهاد" قال انه اتصل بـ "عدنان" و "عدنان" مردش عليه .. عايزك تروح شركة الاتصالات اللى تبع خطين "حسنى" و "نهاد" وتجبلى سجل المكالمات من بداية اليوم اللى حصل فيه الجريمة
: ثم قال بثقة
أكيد هنكتشف حاجة توصلنا لبداية الخيط -
لكنه لم يكن يعلم وقتها أنه مخطئ فى ثقته .. فبعد يومين أتى المساعد بسجل المكالمات ليكتشف أن "نهاد" بالفعل أجرى مكالمة على هاتف "عدنان" و
: عدنان" قال"بسؤال
أنا قولت لحضرتك كان معايا مكالمة تانيه .. وكان "نهاد" على الويتينج .. - بس كانت المكالمة مهمة فمقطعتهاش
أما سجل مكالمات "حسنى" فثبت أن الرقم الذى كان يهاتفه .. رقم دولى ..
: تحديداً .. من تركيـا ! .. وبسؤاله قال
دول ناس بينا وبينهم بيزنس وكنت مسافرلهم فترة .. وكنت بتكلم معاهم - عشان تفاصيل الشغل مش أكتر
عادت الحيرة تحيط بـ "عادل" مرة أخرى .. تُرى من منهم القاتـل ؟! .. وكيف نفذ جريمته ؟! .. لا أثر يدل على اقتحام الفيلا أو حتى تسلقها فأجهزة الإنذار اختبرها بنفسه وهى حساسة للغاية .. أجهزة الإنذار ظلت تعمل بكفائه .. تم .. والأهم ..تفتيش الفيلا والحديقة والمرسم جيداً .. لم يدخل أو يخرج أحد سلاح الجريمة مختفى .. وكذلك البصمات لا أثر لها .. والأغرب .. كيف علم القاتل بوجود "عدنان" فى المرسم فى هذا الوقت تحديداً .. إلا إذا كان على صلة بأحد من أقرباء "عدنان" والذى أعطاه التعليمات بتنفيذ الجريمة .. لكن !يبقى السؤال كما هو .. كيف دخل القاتل ؟! .. وكيف خرج ؟! .. ومن ساعده ؟

.. !أم أن أحد أقرباء "عدنان" هو من نفذ الجريمة بيده ؟! .. لكن كيف ؟ ..
!ومتى ؟! .. وأين أخفى المسدس الذى نفذ به جريمته ؟

الفصل السابع

مرت الأيام التالية على "عدنان" وهو حيرة من أمره .. ازدادت فترات صمته وشرودة .. يحاول أن يتوصل الى معرفة الشخص الذى حاول .. .. ووجومه قتله .. أصبح يشك فى كل من حوله .. فكل منهم له دافع لقتله .. حاول أن يحل لغز تلك الجريمة المعقدة فلم يستطع .. أصبح عصبياً وقلوقاً .. ويتعامل مع لكن بقى عنده أمل .. فى أن يكون الرائد "عادل" مخطئاً .. وأن .. الجميع بحذر يكون القاتل من خارج الفيلا .. دخل بطريقة ما ونفذ جريمته ثم هرب مرة أخرى .. حاول أن يبث الإطمئنان بداخله .. لكن عقله بقى منتبهاً .. لكل شاردة ...... وواردة

: دخل "مهند" مكتب "عدنان" محيياً اياه قائلاً
صباح الخير يا عمى -
"صباح النور يا "مهند -
السكرتيرة قالتلى ان حضرتك عايزنى -
أومأ "عدنان" برأسه وأشار له بالجلوس .. جلسه "مهند" يتطلع الى عمه
: بإهتمام .. قال "عدنان" بجديه
مهند" .. أنا محتاجلك جمبى .. أنت أكتر حد بثق فيه دلوقتى .. بعد اللى " -
حصل ده بقيت بشكل فى كل اللى حوليا
: قال "مهند" على الفور
متقلقش يا عمى .. أنا جمبك -
: قال "عدنان" وهو ينظر اليه بحزم

أنا قررت أعينك نائب رئيس مجلس ادارة الشركة -
: "جمدت ملامح "مهند" لذاك الخبر الصادم .. فأكمل "عدنان
أنا محتاجك جمبى يا "مهند" .. أنا معرفش مين اللى كان عايز يقتلنى .. بس - اللى أنا متأكد منه أنه أكيد هيحاول تانى .. لما أعينك نائب ليا فأنا كده بستفز القاتل .. وأكيد أكيد هيغلط ويكشف نفسه
: قال "مهند" وهو مطرقاً برأسه
بس يا عمى الحكاية دى ممكن تخلق عداوات بينى وبين "نهاد" و "علاء" و - "عمى "حسنى
: هتف" عدنان" بحدة وهو يشيح بيده
العداوات أصلاً موجودة .. أنا موتى وسمى الناس الحقوده اللى تبص على - اللى فى ايد غيرها .. دى فلوسى ودى شركتى وأنا حر فيها .. أمشيها على مزاجى أنا مش مزاجهم هما
صمت "مهند" حتى لا يثير غضب عمه أكتر .. حاول "عدنان" تمالك نفسه : قائلاً
مهند" عمك بيقولك انه محتاجلك .. هتقف جمبه ولا لأ ؟" -
: أطرق "مهند" قليلاً وأخذ نفساً عميقاً ثم رفع رأسه قائلاً
طبعاً يا عمى .. هقف جمبك -
ابتسم "عدنان" وأشار له برأسه للإنصراف .. غادر "مهند" مكتب عمه وهو يفكر بغضب .. من ذا الذى يجرؤ على محاولة قتل "عدنان" .. كيف يعمى الطمع الناس بهذا الشكل .. لدرجة أن يفر الواحد منهم فى القتل طمعاً فى ممتلكاته .. كيف يخلق المال العداوة والبغضاء بين أبناء الرحم الواحد .. كيف يأتون بأكبر الكبائر من أجل حفنة جنيهات .. لن تسمن ولن تغنى من جوع يوم العرض على رب الأرباب .. يوم يقدم لكل نفس ما عملت .. كيف سيكون رد كل !منهم على رب السماوات .. عندما يسأله لما قتلت عبدى ؟
: دخل "مهند" مكتبه ماراً بمكتب سكرتيرته .. فقال دون أن ينظر اليها
لو سمحتى مش عايز أن ازعاج دلوقتى لا مقابلة ولا تليفون -
: قامت بأدب وقالت
حاضر يا فندم -
تابعته بعينيها حتى دخل المكتب .. بعد قليل أتتهى احدى الفتيات العاملات

: بالشركة .. ألقت نظرة على غرفة "مهند" ثم قالت
"ازى "هتلر -
ضحكت السكرتيرة بخفوت وهى تنظر الى باب مكتب "مهند" المغلق مخافة أن
: يسمعهما وقالت هامسه
حرام عليكي ده "هتلر" ؟ -
: قالت الفتاة بضيق
أيوة "هتلر" .. "هتلر" كان بيعذب اليهود .. وبشمهندس "مهند" بيعذبنا -
احنا .. من ساعة ما جه الشركة وهو ما بيفوتش أى حاجه .. ومركز أوى فى
كل حاجه
: ثم تنهدت قائله بحسره
"فين أيام سى "عيييلاء -
: ضحكت السكرتيرة وقالت
لا "عيييلاء" ايه بأه ما راحت عليه خلاص .. البشمهندس "مهند" بأه الكل -
فى الكل دلوقتى .. ده بأه أهم من أستاذ "حسنى" وأستاذ "نهاد" شخصياً
: قال الفتاة بحنق وهى تنظر الى الباب المغلق
ما هو لو يفك التكشيره بتاعته دى كان ممكن يبقى مبلوع .. لكن شخط ونطر -
وتكشره ويحاسبك على الواحدة كده أوفر أوى
فتح "مهند" باب المكتب فجفلت الفتاتان .. تظاهرت السكرتيرة بأنها تعطى
الفتاة احدى الملفات .. خرج "مهند" دون أن يهتم بالنظر اليهما .. تابعته
: الفتاتان بأعينهما ثم هتفت الفتاة
يا باى على دى قلبة وش -
: هتفت السكرتيرة وهى تدفعها بيدها
يلا يا بنتى متجبيلناش مشاكل .. لو كان سمعنا كان زمانه سوحنا .. يلا كلى -
عيش

****

جلس "نهاد" منهمك فى عمله فى مكتبه .. عندما رن هاتفه المحمول .. نظر
:الى المتصل فى توتر .. ثم أطلق سبه وتحدث قائلاً بتوتر

- عايزه ايه ؟
أتاه صوت أنثوى ناعم يقول :
- وحشتني يا حبيبى
قال "نهاد" بإضطراب :
- لو سمحتى أرجوكى سبيني فى حالى مراتى لو عرفت هتبقى مشكلة
أطلقت المرأة ضحكة قبل أن تقول :
- ايه يا "نهاد" اللى حصلك .. مالك خايف منها كده ليه .. وبعدين يا حبيبى مين قالك انها هتعرف .. أنا مش ممكن أأذيك أبداً
قال "نهاد" بحزم وإن لم يستطع اخفاء التوتر من صوته :
- لو سمحتى دى آخر مرة تتصلى بيا .. ولا أقولك أنا هغير الخط خالص .. سلام
وبحركة سريعة نقل الأرقام المسجلة على الشريحة الى الهاتف .. ثم أخرج الشريحة ووضعها فى جيبه وفتح أحد الأدراج ليخرج منها شريحة أخرى وضعها بدل الأولى .. زفر بضيق وهو يعاود عمله محاولة التركيز مرة أخرى
عاد "نهاد" الى عمله شارداً كعادته فى الآونة الأخيرة .. حاول أن يندمج مع بيسان" فى الحديث حتى لا يثير شوكها .. لكن "بيسان" تعرفه جيداً .. تعرفه " أكثر من نفسه .. علمت بأن هناك ما يشغل باله ويقلقه .. حاولت معرفة السبب لكنه أنكر .. فإستسلمت وتظاهرت بأنها تصدقه .. لكن عقلها ذلك يدور ويدور تحاول أن تخمن سبب قلق زوجها وتوتره .. !

****

انكبت "نهال" على اللعب فى هاتفها بينما يدور حديث ساخن حولها فى بيت عمها .. قالت "انعام" :
- ربنا يستر .. الواحد معدش حاسس بالأمان نهائى
قالت "يسرية" بحيرة :
- بس ازاى المجرم ده دخل الفيلا .. السور زى ما قولتوا عليه انذار .. مين كان يعرف بموضوع الانذار ده ؟
قالت "كوثر" بنبرة ذات معنى :

عدنان" قال ان محدش يعرف بموضوع الإنذار غير "مهند" .. هو الوحيد " -
اللى عارف ان مينفعش المجرم ينط من على السور والا هينكشف
: قالت "انعام" شاردة
الغريب ان محدش عارف لحد دلوقتى ازاى المجرم ده دخل .. وازاى خرج .. -
ولا حتى لقوا المسدس
: قالت "يسرية" مستفهمة
طيب احنا ازاى مسمعناش صوت الطلقة ؟ -
: قالت "كوثر" على الفور
ودى محتاجة ذكاء يا "يسرية" أكيد كان حاطت فيه كاتم للصوت .. وإلا كان -
زمانها سمعنا ضرب النار
: قالت "نهال" بضيق
بلاش السيرة دى بأه أنا بضايق كل ما بفتكر اللى حصل .. وبترعب جداً -
: قلت "انعام" مبتسمه وهى تنظر اليها
متخفيش يا حبيبتى .. عمك "عدنان" غير طقم الحراسة كله .. والإنذار شغال -
٢٤ ساعة
: ثم قالت
ان شاء الله مش هيحصل حاجة وحشه -
أتت "لميس" فى تلك اللحظة لتخبرهم بأن الغداء جاهز .. تلاقت عيناها مع
يسرية" بدا وكأن عينا المرأتان تتحدثان بلغة لا يفهمها سواهما .. "عيني
: التفوا حول طاولة الطعام .. تساءلت "نهال" بإهتمام
فين "مهند" ؟ -
: "قالت "انعام
لسه مجاش من الشركة .. حتى "عدنان" قال هيتأخر النهاردة -
أومأت برأسها وقد أصابها الإحباط .. فما كان سبب قدومها الى بيت عمها فى
هذا اليوم الا بهدف رؤيته .. أكملت طعامها فى شرود

****

جلست "سمر" وسط أصدقائها شاردة .. شعرت فجأة بالضيق من صوت

فتوجهت الى الشرفة تستنشق هواءاً نقياً .. جلس أحد ..الموسيقى الصاخب
: باهر" قائلاً بمرح"أصدقائها بجوار
"ايه الأخبار .. سمعت انك بقيت رئيس مجلس ادارة شركة "سمر -
: نظر اليه "باهر" بحدة قبل أن يرشف من كأسه قائلاً
شركة ايه .. الشركة بتودع -
: عقد صديقه حاجبيه قائلاً
ازاى يعني ؟ -
: قال "باهر" بتهكم
كلها كام شهر والشركة تفلس -
: "رفع صديقه حاجبيه بدهشة فأكمل "باهر
عايزه .. كنت فاكر انها شركة كبيرة وتستاهل الواحد يديرها .. أتاريها بتودع -
شغل جبار عشان تقف على رجليها من جديد .. وأنا مش بتاع الكلام ده خالص
: قال صديقه وهو يرمق "سمر" الواقفة فى الشرفة بنظراته
وبعدين هتعمل ايه ؟ .. "سمر" عارفه -
: قال "باهر" بلا مبالاة
ايوة عارفه .. بس أنا مفيش فى ايدى حاجه -
: ثم قال بضيق
أصلاً هقولها تشوفلها مدير تانى غيري .. أو تخلى مراة باباها تشوف السغل -
أكيد هى فاهمة فى شغل جوزها .. الا ما عمرى اشتغلت فى حياتى أبداً آجى
دلوقتى أعد على مكتب
: ضحك صديقه قائلاً
طيب ووافقت أصلاً من الأول ليه ؟ -
: قال "باهر" بلا مبالاة
قولتلك كنت فاكرها شركة كبيرة .. ومركز و اسم .. وفلوس متلتله .. لقيت -
خربانه على الآخر
: ثم قال بحزم
سيبك بأه من الكلام ده دلوقتى متفصلنيش -
عاد للإندماج فى المزاج والحديث مع رفقته .. بينما وقفت "سمر" فى الشرفة
كعادتها تنظر الى البيوت .. وتتخيل ما يحدث بداخلها .. تتخيل أنها وسط عائله

من نسج خيالها .. تعيش معهم وبهم ولهم .. لعل هذا هو الشئ الوحيد الذى يهون عليها حالها .. فتلك التخيلات تشعرها براحه وبسعادة .. سعادة مؤقته .. ومصطنعه .. لكنها أفضل من لا شئ ! ..

****

احتدت "يسرية" قائله :

- يعني ايه عين "مهند" نائب رئيس مجلس ادارة الشركة .. وانت روحت فين يا "حسنى"

زفر "حسنى" بضيق وقال وهو يتهالك فوق فراشه :

- مش ناقصك يا "يسرية" دلوقتى أنا اللى فيا مكفيني

ثم قال بغل :

- من ساعة مسمعت خبر التعيين وأنا دمى فاير .. يحط حته عيل زى ده نائب له .. يعني ريس عليا أنا

قالت "يسرية" وهى تجلس بجواره :

- وهتسكت على الموضوع ده

قال بتهكم :

- وأنا فى ايدي ايه أعمله .. وبعدين للأسف مضطر أهدى اللعب شوية .. ومظهرش أى عداوة لا لـ "عدنان" ولا لـ "مهند" فى الوقت الحالى .. لحد ما نشوف حكاية الجناينى اللى اتقتل دى هتخلص على ايه

قالت "يسرية" هامسة وهى تنظر الى باب الغرفة المغلق تخشى أن تسمعها "كوثر" التى تعيش معهم فى نفس المنزل :

- طيب قولى .. هتعمل ايه فى الصفقة اللى بين شركة "عدنان" وبين الشركة التركية .. هستتمر زى ما قولتلى

قال هامساً هو الآخر :

- مش عارف .. خايف الحكاية تتكشف يا "يسرية"

قالت بحماس :

- لا هتتكشف ولا حاجة .. انت اتفقت معاهم بنفسك وهما رجال أعمال يعنى أهم حاجه عندهم المكسب وبس .. وبعدين الفلوس اللى طلعالنا من الموضوع ده

مش قليلة يا "حسنى" .. وأيك شايف أخوك اتهبل فى عقله على الآخر .. ومش بعيد يعد فى بيته ويخلى "مهند" هو المسؤل الأول عن الشركة

: قال "حسنى" مفكراً

معاكى حق .. الواحد مش عارف بكرة فيه ايه .. وبطريقة تفكير "عدنان" - دى .. الواحد مش مطمن أبداً

: "قالت "يسرية

بقولك ايه مش عايزاك تعمل مشاكل معاه خالص .. وافق على كل حاجة - حسسه ان الفلوس مش مهمة عندك .. "مهند" عرف ياكل بعقله .. يقولها حلاوة .. خليك انت أنصح من "مهند" .. وحاول تقرب من أخوك على أد ما تقدر

: قال مقتنعاً بكلامها

"معاكى حق يا "يسرية" .. لازم أكون أذكى من "مهند -

****

هتجنن يا "مها" .. مش عارفه أعمل ايه عشان يحس بيا -

قالت "نهال" ذلك فى وجوم وهى جالسه مع صديقتها فى غرفة هذه الأخيرة ..

: ثم أكملت بحزن

كل ما أحاول أتكلم معاه يصدنى .. نفسى أفهمه انى كبيره وفاهمه مشاعرى - كويس .. بحس انه بيتعامل معايا أكنى طفلة صغيره

: قالت "مها" وهى تتناول الآيس كريم من طبقها

قولتلك قبل كده انتوا الاتنين عايشين مع بعض فى بيت واحد -

: نظرت اليها "نهال" قائله بحيرة

يعني أعمل ايه -

: غمزت لها "مها" وقالت

اغريه يا ريا -

: قالت "نهال" متأففه

مها" أنا عايزاكى تنصحيني بحاجه أقدر أنفذها" -

: قالت "مها" وهى تحشو فمها بالآيس كريم

هقولك .. عشان يحس انك كبيره فعلاً ومعدتيش صغيره .. وعشان تجننيه -

وتشعلليه .. لازم يحس انك مرغوبه من الطرف الآخر
: رفعت "نهال" حاجبيها بدهشة وقالت
ازاى يعني ؟ -
: قالت "مها" بحماس
خليه يشوفك مع حد من الشلة بتاعتنا .. مرة واتنين وتلاته أنا واثقة ان - مشاعره هتتحرك وهيبتدى يغير عليكي ويحس بيكي
: قالت "نهال" شارده
تفتكرى -
: قالت "مها" بنفص الحماس
أيوة يا بنتى طبعاً .. لما يشوف حد معجب بيكي هيعرف انك كبرتى وهيبتدى - يشوفك بطريقة تانية
: قالت "نهال" وقد راقت لها الفكرة
فكرة حلوه وسهل أنفذها -
! ارتسمت ابتسامه على شفتيها .. وهى تتخيل نجاح خطتها

****

جلست "سمر" على الأريكة حاملة طبق طعامها فى يدها .. تشاهد التلفاز وتقلب من حيث لآخر .. دخلت "فيروز" من الخارج .. فنظرت "سمر" بسخرية الى الساعة التى تجاوزت الثالثة صباحاً .. قالت "فيروز" وهى تجلس
: على المقعد المجاور لها
حد ياكل متأخر كده .. هتبوظى جسمك -
: قالت "سمر" بحزم وهى تتطلع الى التلفاز وتدس الطعام فى فمها
جسمى وأنا حره فيه -
رفعت "فيروز" عينيها وقد علمت أن النقاش معها لن يثمر بشئ .. تركت حقيبتها فوق الطاولة وأسندت ظهرها الى المقعد واضعه ساقاً فوق ساق وهى
: تقول
ايه أخبارك انتى وحبيب القلب -

: رمقتها "سمر" بنظرها قبل أن تعاود النظر الى التلفاز وهى تقول
كويسين -
كانت "فيروز" تنظر اليها متأملة ..فجأة ضاقت عيناها وانحنت الى الأمام قائله
:
سمر" قوليلى الصراحه .. انتى حصل حاجة بينك وبين "باهر" .. قوليلى " -
عشان بس أبقى عارفه الوضع عامل ازاى
: التفتت اليها "سمر" يحده وقالت وقد اتسعت عيناها دهشة
انتى اتجننتى .. ايه اللى بتقوليه ده ؟ -
: قالت "فيروز" بإبتسامه خبيثة
.... معقول يعني بتحبوا بعض ومخطوبين ومفيش -
لم تدعها "سمر" تكمل حديثها .. تركت الطبق بعنف فوق الطاولة فأصدر صوتاً عاليا أجفلت منه فيروز .. نهضت "سمر" والشرر يتطاير من عينها وهى تقول
:
إياكى تتكلمى معايا فى الموضوع ده تانى .. انتى فاهمه .. أنا مش زيك يا -
""فيروز
نظرت اليها "فيروز" بحقد .. فأسرعت "سمر" تغادر المكان وأغلقت باب
.. غرفتها بعنف رجت له أرجاء المنزل

****

: دخل مساعد الرائد "عادل" مكتبه وأدى التحية قائلاً
صباح الخير يا فندم -
: قال "عادل" وهو منهمكاً فى تفحص أحد الملفات
صباح النور -
: جلس المساعد وقم اليه ملفاً وقال
تقرير الطبيب الشرعى بتاع جريمة قتل الجنايني -
أخذ "عادل" الملف بلهفة وطالع الكلمات التى خطها الطبيب الشرعى .. وبعد
: فترة من الصمت قال
يعني اتقتل فى نفس الوقت اللى كانت عيلة "زياكيل" متجمعة فى الفيلا -
: أومأ المساعد برأسه قائلاً

أيوة يا فندم -
: أكمل "عادل" وكأنه يحادث نفسه
مات بطلقة نافذة فى الصدر اخترقت القلب تماماً فأودت بحياته على الفور -
: أغلق الملف ورفع نظره شارداً وهو يقول
طلقة زى دى فى مكان دقيق وحساس زى ده وكمان النور كان مطفى .. ده - مش اى حد .. لازم يكون محترف .. ومتعود يشيل سلاح
: التفت الى المساعد وقال بلهفة
مين فى عيلة "زياكيل" متعود يشيل سلاح ؟ -
: قال مساعدة بحماس
مفيش غير واحد بس فى العيلة دى اللى معها ترخيص بحمل سلاح -
: أوقفه "عادل" بإشاره من يده قائلاً
استنى هخمن هو مين -
: استند بمرفقيه الى المكتب ثم سرح بخياله قليلاً .. وقال فجأة
"يا "حسنى" .. يا "علاء -
: ابتسم المساعد وقال
.. بالظبط يا فندم .. "علاء" .. هو الوحيد اللى معاه ترخيص بحمل السلاح - اتحفظنا على السلاح بتاعه وقارناه بالفارغ اللى وقع من الطلقة اللى اضربت على الجناينى .. بس للأسف مطلعش نفس السلاح اللى استخدمه القاتل فى الجريمة
: قال "عادل" بتهكم
طبعاً هو مش غبى لدرجة انه يستخدم المسدس اللى مترخص بإسمه .. أكيد - هيستخدم مسدس تانى .. والتحريات عن "علاء" بتقول ان مشيه مش مظبوط ويعرف ناس سو
: صمت قليلاً ثم قال
...... مديرة الفيلا اللى اسمها -
: صمت وهو يحاول أن يتذكر ثم قال فجأة
لميس" .. بتشتغل فى الفيلا من زمان ؟" -
أيوة يا فندم بقالها سنين طويلة عايشه معاهم -
: قال "عادل" بحزم

- عايزك تعملى تحريات مكثفه عنها
- انت شاكك فيها يا فندم ؟
قال "عادل" وهو يعاود فتح الملف الموضوع على المكتب أمامه :
- ده أنا شاكك فى أبويا .. يلا وعايز التقرير فى أقرب وقت
وقبل أن ينصرف المساعد ناداه "عادل" قائلاً :
- وكمان "بشير" السواق .. عايزك تجبلى قراره
ابتسم المساعد وقال :
- ما شاء الله عليك يا فندم حفظت كمان اسم السواق
قال "عادل" ضاحكاً :
- أصلك متعرفش .. الباشا الكبير قالى لو قفلت القضية دى هيحط اسمى فى حركة الترقيات الجديدة .. فعشان كدة متحمس أوى انى أحل اللغز ده وأجيب القاتل من أفاه
ابتسم المساعد وقال :
- أدها وأدود يا فندم .. بعد اذنك

****

خرج "مهند" من الفيلا كعادته فى الصباح ذاهباً الى عمله فى الشركة .. لفت نظره سياره مكشوفة تقف فى ساحة الفيلا بداخلها "نهال" جالسه فى الأمام وبجوارها شاب .. وفى الخلف فتاة .. قالت "مها" بلهفة :
- خرج يا "نهال" خرج
التفتت "نهال" تنظر الى "مهند" الذى ينظر تجاهها فالتفتت بسرعة تتضاحك مع الفتى بجوارها .. ظل "مهند" يتابعها بأنظاره حتى انطلق الفتى بالسيارة مع الفتاتان خارج الفيلا .. صاحت "مها" ضاحكة :
- مش قولتلك .. ده فضل باصص جهتنا وهاين عليه يديكى قلمين
ضحكت "نهال" بسعادة وهى تقول بلهفة :
- يعني غار عليا بجد
قالت "مها" بحمس :
- طبعاً يا بنتى .. تسلم أفكارى .. ابقى اسمعى كلامى بعد كده

: قال الفتى ضاحكاً
على آخر الزمن بقيت كوبرى -
: ضربته "نهال" على رأسه قائله
طيب سوق وانت ساكت يا كوبرى -

بمجرد أن وصل "مهند" الشركة توجه الى مكتب "نهاد" .. نهض "نهاد" : ونظر اليه فى تبرم .. قال "مهند" بجدية
"خلى بالك من أختك يا "نهاد -
: قال "نهاد" بحده
! يعني ايه خلى بالك من أختك -
: قال "مهند" بحزم
شوفتها من شوية خارجه مع شاب فى عربيته ومعها واحدة صحبتها-
: قال "نهاد" بنفاذ صبر
أيوة يعني مش راكبه مع الشاب لوحدها .. وبعدين تلاقيه زميلها -
: احتد "مهند" قائلاً
يعني ايه زميلها .. أختك فى سن مراهقة .. خلى بالك منها .. سهل ان حد - .. يضحك عليها بكلمتين .. "نهال" لسه صغيره ومعندهاش أى خبره فى الحياة وانت أخوها الكبير المفروض تحافظ عليها أكتر من كده
: قال "نهاد" بغضب
انت هتعرفنى ازاى آخد بالى من أختى .. لو سمحت يا "مهند" ملكش دعوة - لا بيا ولا بأختى ولا بأى حد يخصنى
صمت "مهند" على مضض وعيناه تشعان غضباً .. توجه الى الخارج وأغلق الباب خلفه بقوة

****

عادت "سمر" الى البيت لتفاجأ بذلك الجمع من الرجال والنساء جالسن على طاولة الطعام يلعبون بالورق وتدور عليهم الخادمة بأحد المشروبات .. نظرت : بغيظ الى "فيروز" التى نادتها بمرح

سمر" .. تعالى أعرفك على صحابى" -
التفت الجميع ينظرون الى "سمر" .. أشارت لها "فيروز" موجه الحديث اليهم : قائله
أأدملكوا "سمر" بنت جوزى الله يرحمه -
أهلاً سمر -
رحب الجميع بها .. بعضهم تركى وبعضهم مصرى .. لكنها شعرت بالغيظ والحنق عندما وجدت أحد الرجال يرمقها بنظرات جريئة متفحصه .. نظرت اليه بحده عله يتراجع .. لكن حدة نظراتها لم تزيده الا جرأة .. شعرت بغصة فى حلقها ودت لو أمسكت بتلك المزهرية بجوارها لتهشمها فوق رأسه .. اتجهت : "فهتفت "فيروز .. نحو الباب
على فين يا "سمر" .. تعالى اعدى معانا -
: قالت "سمر" وهى تشعر بالإختناق من تلك العينان المسلطتان عليها
خارجه أشم هوا -
بمجرد خروجها .. مالت على "فيروز" احدى النساء قائله بخبث وهى تشير : برأسها الى أحد الرجال
شوفتى لما شاف "سمر" عمل ازاى .. الراجل منزلش عينه من عليها .. يا - بختها
ابتسمت "فيروز" وهى تنظر الى ذلك الرجل الذى بدا واضحاً على محياه "اعجابه بـ "سمر

أوقفت "سمر" سيارة والدها على جانب الطريق .. لا تدرى لما توقفت .. ولا لما تُكمل ! .. كل ماكانت تشعر به هو الإختناق .. وكأن الهواء يُسحب سحباً من رئتيها .. فيضيق صدرها .. نظرت حولها الى السيارات التى تمر بجانبها .. كل منهم يعلم وجهته .. ويسير بإتجاه هدفه .. إلا هى .. لا تعلم وجهتها .. ولا تعلم لها هدفاً .. فتحت شباك السيارة الزجاجى وأسندت مرفقها اليه .. وأسندت رأسها الى قبضة يدها .. الى أين ستأخذك الحياة بعد يا "سمر" .. لماذا تشعرين دائماً بهذا الخوف وذاك القلق .. لماذا لا تجدين مرفأ ترسو عليه سفينتك .. تلك السفينة التى تقاذفتها الأمواج حتى ضلت طريقها .. وتحطمت ..بوصلتها .. لكم تهفو نفسك الى الشاطئ .. الى المرفأ .. الى الأرض الثابتة

الى .. تقفين عليها بقدميك .. أغمضت عينيها وهى تعود بذاكرتها الى الوراء الى حضن والدتها .. الى ابتسامتها الدافئة .. لكم كانت تشعر بالسعادة .. مصر والأمان فى كنفها .. وبين ذراعيها .. رفعت أصابعها الى وجنتها وهى مازالت تتذكر .. مغمضة العينين .. تتذكر قبلة والدتها الحنون كل يوم قبل نومها وضمورها .. ضحكتها التى تبث السعادة والأمل فى كل كيانها .. تتذكر مرضها .. وحزنها .. ودموعها .. تتذكر ارتجافة جسدها ليلاً وهى تصراع كوابيسها .. وعذوبة ..ستفقد أمها .. ستفترق عنها للأبد .. سيخلو البيت من طيب عطرها صوتها .. هربت دمعة من عينيها وهى تتذكر ذلك اليوم المتشح بالسواد .. أظلمت الدنيا فى ذلك اليوم .. أظلمت فى عينيها وفى قلبها .. مات النور بداخلها .. تحطمت بوصلتها .. تقاذفتها هموم الحياة وأشجانها .. تُرى أستجد يوماً بر الأمان ؟! .. أم ستظل هائمة فى بحر الظلمات .. لا تدرى فيه العدو من الحبيب .. القريب من البعيد .. فتحت عينيها .. ومسحت تلك العبرة الهاربة .. وأدارت السيارة .. وانطلقت تشق طريقها .. الى حيث لا مكان !

الفصل الثامن

استيقظت "سمر" فزعة من نومها بعدما رأت حلماً أفزعها .. وضعت يدها على أزاحت الغطاء ونهضت متوجة الى .. صدرها الذى يعلو ويهبط بسرعة جنونيه المطبخ لتشرب كوباً من الماء .. تذكرت الحلم الذى رأته منذ قليل .. رأت نفسها تقف فوق سطح أحد المنازل .. وفجأة هوت من ذاك المرتفع اختلطت الإصطدام ..صرخاتها ببكائها .. ظلت تهوى وتهوى .. الأرض تقترب ببطء آت لا محالة .. شعرت بألم حارق فى كل جسدها وكأنه جسدها تهشم الى قطع صغيره .. الأرض تقترب أكثر فأكثر .. لا يوجد ما تتشبث به لتنقذ نفسها .. أغمضت عينيها واستسلمت لمصيرها .. المسافة اضمحلت حتى حانت لحظة الإصطدام .. تفتح عينيها فجأة لتجد نفسها فى أحضان والدتها .. تتشمم رائحتها تتأمل ملامحها .. ثــم .. تستيقظ من حلمها .. وضعت كوب الماء .. الفارغ على طاولة المطبخ .. وعادت الى فراشها وهى تسترجع ذلك الحلم

! حاولت أن تستسلم للنوم .. لكنه خاصم جفونها .. وفقد قلبها سكينته

****

: قال "عدنان" الذى يترأس طاولة الإجتماع
الحمد لله كده احنا متفقين على كل حاجة ..باقى بس نمضى العقود -
ابتسم أعضاء الشركة الأخرى لسيريان العمل بشكل جيد بينهم وبين شركة "زياكيل" والتى لها ما لها من صيت فى البلاد .. أمضوا العقود وتبادلوا عبارات التهانى .. نهض "عدنان" و "حسنى" و "مهند" لتوديع الوفد المشارك بالإجتماع .. اقتربت احدى النساء من "مهند" ومدت يدها قائله ببشاشه :
"مبسوطين بالإتفاق اللى وصلناله مع شركتكم يا بشمهندس "مهند -
: نظر "مهند" الى يدها الممدود ثم قال بنبرة جاده
احنا مبسوطين أكتر بالتعاون مع شركتكم يا فندم .. آسف مبسلمش -
: اختفت ابتسامة المرأة .. لكنها أطلقت ضحكة عاليه وقالت
ليه هاكلك يا بشمهندس .. ولا عشان متوضى ؟ -
: قال بجديه وفى عينياه نظرة برود
الوضوء ملوش علاقة -
بدا وكأن المرأة تستمتع بإستفزازه .. قالت بمكر وهى ترى زملائها يغادرون المكتب :
نكمل كلامنا فى وقت تانى .. ولا ده يضايقك يا بشمهندس -
: بدا "مهند" متحكماً فى أعصابه وهو يقول بهدوء
لا ميضايقنيش .. شرفتى -
توجه "مهند" الى مقعده الذى .. رمقته بنظرات مرحه وهى تغادر المكتب نهض عنه منذ قليل .. جمع الأوراق ووضعها فى أحد الملفات ثم غادر المكتب "بصحبة "عدنان" و "حسنى

****

: دفعته "سمر" عنها قائله بغضب
"قولتلك لأ يا "باهر -
: اعتدل "باهر" فى جلسته بالسيارة ونظر اليها بحده قائلاً
انتى مستفزه بجد .. ليه لأ -
: قالت بحزم
كده لما نبقى نتجوز -
: قال بتهكم وهو يعيد شعيراته الطويلة الى الخلف
ايه الجو اللى انتى عايشه فيه ده انتى فاكره نفسك فى مصر .. انتى فى تركيا - يا بنتى
: اتسعت عيناها دهشة للحظات ثم هتفت بحنق
ايه علاقة انى أحافظ على نفسى بالبلد اللى أنا عايشه فيها .. البنت المحترمة - بتفضل محترمة فى أى مكان .. مش عشان يعني عايشة بره مصر أبقى زى الناس هنا
: قال "باهر" بضيق شديد وهو يدير سيارته وينطلق بها
مفيش حد بيعمل كده .. حتى ..انتى بجد مستفزة .. وهتضيعينى من ايدك - فى مصر .. بأه ده العادى .. أنا حاسس انى خاطب واحدة من أيام أفلام الأبيض ايه الأفوره اللى انتى فيها دى .. والاسود
: قالت بصرامة
باهر" وقف العربية خليني أنزل" -
نظر اليها ببرود ثم أكمل طريقه .. فقامت "سمر" فجأة بالإنقضاض على مقود
: "السيارة تأتى به يميناً ويساراً فصاح "باهر
"يا مجنونة هنعمل حادثة .. سيبى الدريكسيون يا "سمر -
لم تستجب "سمر" بأمره فإضطر الى الضغط على المكابح لتصدر صريراً ثم أسرعت فى طريقها .. مرعباً .. فتحت "سمر" الباب وأغلقته بعنف شديد وهى تكاد تنفجر من الغضب .. ألقى "باهر" عليها نظرة غاضبة ثم انطلق ! مكملاً طريقه

****

أوقف أحد الحرس السيارة وألقى .. عبرت سيارة صديق "نـهال" بوابة الفيلا
: نظرة على صديق "نـهال" وصديقتها الجالسه بالخلف .. قالت "نـهال" بتأفف
خير فى حاجه ؟ -
: قال الحارس الذى يرتدى اليونيفورم ويحمل بيده هاتفاً لاسلكياً
لا أبداً يا فندم .. اتفضلى -
: انطلق صديق "نـهال" بالسيارة .. التفت اليه أحد زملائه قائلاً
ايه يا "دياب" .. فى ايه ؟ -
: التفت "دياب" اليه وقال
الواد ده شكله مش مريحنى -
: ضحك زميله وقال
مريحك ولا مش مريحك احنا مالنا ومالهم -

توقفت السيارة أمام الفيلا فهبكت منها "نـهال" ملوحة لصديقيها مودعة .. قبل
: ن تتمكن من صعود الدرجات سمعت صوتاً من خلفها يقول
"آنسه "نـهال -
: التفتت "نـهال" وابتسمت قائله
"أيوة يا "بشير -
صعد "بشير" الدرجات التى تفصله عنها وهى يلقى نظرة على السيارة
: المغادرة .. ثم نظر اليها بقلق وقال
الولد ده مش مرتاحله خلى بالك من نفسك -
: قالت بلامبالاة
لا أبداً ده لذيذ أوى -
: قال وهو ينظر اليها بإمعان
خلى بالك من نفسك -
أومأت برأسها فى لا مبالاة وأكملت صعود الدرجات الى الفيلا

غادرت السيارة .. فقال "دياب" بحنق وهو يجلس على أحد المقاعد بجوار

: البوابة
مش فاهم ايه العالم دى .. سايبين بنتهم داخله خارجه مع شاب ملزق زى ده -
.. خلاص مفيش نخوة .. الله يرحمك يا رجولة
: قال زميله وهو يعطيه كوب الشاى الخاص به
اشرب يا ابنى .. رجولة ايه .. الناس اللى زى دى بيشوفوا الرجولة تخلف -
ورجعية
: أخذ "دياب" رشفة" من كوب الشاى ثم قال
لا بس الشهادة لله البشمهندس "مهند" غير العالم الزبالة اللى عايشين فى -
الفيلا .. تحسه كده راجل من ضهر راجل
: أومأ زميله برأسه قائلاً
معاك حق .. حتى طريقته فى التعامل معانا ومع اللى شغالين فى الفيلا .. -
تحسه راجل محترم كده ومتواضع .. مش متكبر زى "علاء" و "نهاد" وباقى
العائلة الكريمة
: نظر "دياب" الى ساعته ثم ترك كوبه وقال
أنا كده تمام .. معاد الشفت انتهى .. أشوفك بكره يا زُمل -
: شيعه صديقه بيده قائلاً
"سلام يا "دياب -
سار بطول شارعاً آخر .. ثم ..مشى "دياب" الى أن وصل الى نهاية الشارع
بدا عليه الإنهاك والتعب .. ..توجه الى احدى مواقف الحافلات ينتظر الحافلة
ركب وتزاحم مع الركاب .. ..وضع كفه على فمه يكتم تثائبه .. أتت الحافلة
عد الدقائق التى مرت كالساعات حتى وصل الى وجهته .. فقط ليركب حافلة
! أخرى
توجه الى بقال صغير ..عندما وصل الى بيته كان قد بلغ منه التعب مبلغه
: وقال مبتسماً
"مساء الخير يا عم "عبده -
: هش الرجل وقال
مساء النور يا ابنى .. اتفضل -
ثم تخير منها مصاصة صغيرة و .. أخذ "دياب" ينظر الى الحلوى المعروضة
أخذ "دياب" من البائع من .. طلب من الرجل أن يلف له القليل من البسطرمة

أراد ونقده الثمن بعد الحاح .. صعد الدرجات المتهالكة فى تلك البناية القديمة التى تتوسط أحد الأحياء الشعبية .. أخرج مفتاحه وفتح الباب .. أغلقه خلفه : بهدوء نظر يميناً ويساراً .. أقلقه السكون الذى حف المكان .. فنادى

سحر" .. انتى فين ؟" -

لم يجد رداً توجه الى غرفة النوم ليجد امرأة نائمة فوق الفراش وبجوارها طفلة صغيره .. أشارت له أن يصمت .. كانت تربت على الطفلة وتدندن لها منها على أطراف أصابعه "بصوت خافت حتى تتمكن من النوم .. اقترب "دياب : وقبل وجنتها وقال هامساً

جبتلك حاجه بتحبيها .. نيميها وتعالى نتعشى -

: أومأت له رأسها وقالت بضيق هامسه

دياب" اخرج دلوقتى البنت هتصحى ما صدقت انها بتنام" -

التف "دياب" الى الجانب الآخر من الفراش مقبلاً جبين الصغيرة تحت نظرات : "سحر" الحانقه .. فهتفت هامسه

دياب" مش وقته .. اخرج" -

أومأ "دياب" برأسه وابتسم معتذراً .. خرج من الغرفة وهو يحمل منامته .. دخل الحمام وأخذ دشاً وارتدى المنامة .. خرج يبحث عن "سحر" فى المطبخ فلم يجدها .. توجه الى غرفة النوم ليجدها نائمة تغط فى سبات عميق .. شعر بالضيق .. لكنها ما لبث أن اقترب منها وأحكم وضع الغطاء عليها وعلى طفلته .. خرج وتوجه الى المطبخ بعدما شعر بالجوع ينهش معدته .. أخرج علبة التهمه فى ..صغيره تحتوى على فتات من الجبن .. وصنع ساندوتش سريع نهم .. ثم توجه الى الجهة الأخرى من الفراش .. مقبلاً كف صغيرته قبل أن يغط فى سبات عميق هو الآخر

****

: قال "باهر" لصديقه بتأفف

"أنا اتخنقت وعايز أسيب "سمر -

: ضحك صديقه وقال

أنا استغربت أصلاً انت ايه اللى مصبرك عليها لحد دلوقتى -

: قال "باهر" بغيظ
عمر ما واحده عصلجت معايا كده .. خطوبه وخطبتها عايزه ايه تانى -
: قال صديقه مازحاً
بترسم أكيد على جواز -
: ابتسم "باهر" بسخريه وقال
بتحلم أكيد .. آل أتجوز آل .. أنا ناقص خنقه .. وبعدين دى بنت خنيقه بجد -
يعني .. على رأيك أنا كان ايه اللى مصبرنى عليها .. أنا هتكلم معاها .. وأنهى كل حاجه
: ضرب صديقه كأسيهما ببعضهما البعض وقال
أيوه كده .. كنت كده "باهر" صحبى وحبيبى .. كان دمك تقيل أوى وانت - خاطب
: أطلق "باهر" ضحكه رنانه وقال
آل يعني كان فارق معايا خاطب ولا مش خاطب -
:ضاركه صديقه ضحكاته قائلاً
على رأيك ده انت كنت مقضيها -

****

اجتمعت العائلة على طاولة الطعام .. وكل منهم شارد فى أفكاره .. أما عينا "عدنان" فكانت تدور عى الجميع وكأنه يريد النفاذ داخل صدور كل منهم ويعلم
: "بمكنونات قلوبهم .. قالت "نهال" وهى تلقى نظره على "مهند
أنا نفسى أغير جو قبل ما الدراسة تبدأ -
: قالت "انعام" ضاحكة
أمال الرحلة اللى كنتى فيها دى كانت ايه -
: قالت "نهال" بمرح
أصل أنا نفسى أروح اسكندرية .. بجد بحبها أوى ونفسى أزورها -
ظهرت سحابة حزن على عيني "مهند" لم ينتبه اليها الى أخته الجالسه بجواره
:" .. قالت "يسرية

خلاص مفيش مشكلة اطلعى مع حد من صحابك -
: "قالت "نـهال
لأ .. أنا عايزه أطلعها معاكوا .. ما تيجوا نطلعها سوا -
: "قال "حسنى
"انتى فاكرانا فضينلك يا "نـهال -
: قالت "انعام" ببشاشه
حبيبتى "نـهال" ولا تزعلى نفسك .. أنا هطلع معاكى .. أنا كمان محتاجه - أغير جو
: قالت "نـهال" بلهفه
حلو أوى يا عمتو -
: ثم نظرت الى "فريدة" وقالت وهى تعى ما تقول
متيجي معانا يا "فريدة" أهو تغيري جو -
: قالت "فريدة" بأسف
معلش يا "نـهال" بس انتى عارفه انى مينفعش أسافر من غير محرم -
: "قالت "نـهال" وهى تلقى نظره على "مهند
يا خسارة يا "فريدة" كنتى هتتبسطى أوى .. حرام والله انتى على طول - محبوسة فى البيت ومبتخرجيش ولا بتسافرى ولا بتغيري جو
: قال" علاء" بسخرية وهو يرشف من كوب الماء أمامه
معلش يا "نـهال" أصل ابن عمك عايش فى دور سى السيد حتى مع أخته -
: التفت اليه "مهند" بحده وقال بحزم
لا مش عايش دور سى السيد .. بس البنت مينفعش تسافر من غير محرم - معاها .. وده حفاظاً عليها مش للضرر بيها
: ثم نظر الي "فريدة" وقال
خلاص يا "فريدة" نطلع معاهم -
صفقت "نـهال" بحماس .. فقد نجحت خطتها فى استدراج "مهند" الى تلك الرحلة
: قالت "فريدة" بفرح
بجد يا "مهند" يعني مش هعطلك ؟ -
: أحاط كتفيها بذراعه قائلاً

ولا يهمك يوم واحد مش هيخسر -
: قالت "نهال" بحنق
يوم واحد بس -
: قال "مهند" بحزم
أيوة ومن غير بيات .. لان مش هينفع أسيب الشغل اليومين دول -
: قال "عدنان" مؤكداً
مهند" بس لو على يوم من الصبح "فعلاً مينفعش خالص تبعد عن الشركة يا - لآخر النهار مفيش مشكلة .. ولما نخلص الكام صفقة اللى فى ايدينا ابقى خد أجازة كام يوم
أومأ "مهند" برأسه ثم عاد لإكمال طعامه .. ابتسم "عدنان" الى "لميس" التى : تشرف على تقديم الحلوى وقال
"تعبناكى النهاردة يا مدام "لميس -
: ابتسمت قائله بأدب
لا أبداً يا "عدنان" بيه -
التقت عيناها بعيني "يسرية" فلمحت سخرية فى عينيها .. أشاحت "لميس" برفقة "يسرية" و "بوجهها عنها سريعاً .. انتهت السهرة وتوجه "حسنى "كوثر" الى الخارج .. وقف "لميس" تشيعهم بأدب .. بمجرد أن خرجت : "يسرية" قالت
ثوانى نسيت حاجة جوة اسبقونى انتوا على العربية -
يسرية" ورأت "لميس" متوجه "هبط "حسنى" الدرج برفقة "كوثر" .. عادت الى الدور السفلى حيث يعيش العاملون فى الفيلا فجذبتها من ذراعها .. التفتت بتهكم وهى تنظر الى بنظرات ""لميس" لتنظر اليها ببرود .. قالت "يسرية : ساخره
لسه بتبصى لفوق يا "لميس" مش كده ؟ .. بس خلى بالك مش كل مرة تسلم - الجره
: امتقع وجه "لميس" وتجمدت ملامحها .. فقالت "يسرية" هامسة بتشفى
خلى بالك من تصرفاتك كويس أوى .. واوعى تفتكرى انى مش واخده بالى - .. أنا فاهماكى كويس .. وفاهمة بتخططى لايه
: ثم قالت بقسوة شديدة وهى تضغط على ذراعها بعنف

- ده بعدك يا "لميس" .. فوقى لنفسك بدل ما أفوقك
وتوجهت مسرعة الى غرفتها .. "جذبت "لميس" ذراعها بعنف من يد "يسرية
أغلقت الباب ووقفت خلفه .. تحاول السيطرة على عبراتها المنهمرة دون
جدوى .. تعالى صوت بكائها .. فأخرج معها آهاتها الحبيسة بداخل صدرها !

****

اقتربت "بيسان" من غرفه النوم لتتوقف فجأة بعدما تنامى الى مسامعها من
خلف الباب المغلق صوت "نهاد" وهو يقول :
- انتى عايزه ايه دلوقتى ؟
فتحت فمها فى دهشة وهى ترهف أذنيها .. فسمعته يقول :
- الى عندى قولته .. لو سمحتى أنا مش عايز مراتى تعرف أى حاجه
وضعت "بيسان" كفها على فمها .. وهى تستمع اليه وهو يقول :
- لو مراتى عرفت هتبقى مشكلة .. انا أذيتك فى ايه عشان تأذيني كده ..
قولتلك ١٠٠ مرة اللى بينا انتهى
أنهى "نهاد" المكالمة والتفت لينظر الى "بيسان" التى فتحت الباب فجأة وقد
اغرورقت عيناها بالعبرات وهى تقول بصوت مرتجف :
- انت تعرف واحدة غيري يا "نهاد" ؟
اتسعت عينا "نهاد" رعباً واقترب منها يحاول أن يمسك بذراعيها لكنها دفعته
عنها وهى تصرخ :
- بتخونى يا "نهاد" .. بتخونى ؟
هتف "نهاد" بصوت مضطرب :
- لا والله يا "بيسان" .. والله ما خونتك ازاى تقولى كده
قالت باكيه :
- سمعتك .. سمعت كلامك معاها .. ليه يا "نهاد" تعمل فيا كده .. ليه
غطت وجهها بكفيها .. اقترب منها هاتفاً بألم :
- والله العظيم ما خونتك .. دى واحدة كنت أعرفها قبل ما نتجوز وقطعت معاها
.. والله ما خونتك يا "بيسان" .. أنا بحبك والله

دفعته بعيداً عن باب الغرفة ودخلت وأغلقت الباب خلفها بالمفتاح .. جلست
: نـهاد" الباب طرقات عدة"على فراشها وأخذت تبكى بصوت مرتفع .. طرق
بيسان" .. عشان خاطرى افتحى .. هفهمك .. طيب هدى نفسك عشان " -
"البيبي .. "بيسان
: صرخت من بين بكائـها
ابعد عنى يا "نـهاد" دلوقتى .. ابعد -
فى ألم ترك "نـهاد" مكانه أمام الباب حتى لا يثير حنقها أكثر .. ثم جلس على
أحد المقاعد دافناً وجه بين كفيه وملامحه تنطق بالحيرة والألم

****

جلست "انعام" بجواره بينما .. انطلق "مـهند"بسيارته فى الصباح الباكر
جلست "فريدة" برفقة "نـهال" فى الخلف .. لم تفارق البسمة شفتى "نـهال"
ضايقها عدم التفاته اليها ..التى كانت تتابع "مـهند"بعينيها فى مرآة السيارة
ولو لمرة .. لكنها عادت لتنفض ذلك عن رأسها فأهم شئ أنـها ستقضى برفقته
: بمرح "اليوم كله .. التفتت "انعام" وقالت لـ "مـهند
انت دليلنا النـهاردة يا "مـهند" .. أنا بصراحة مجتش اسكندرية كتير .. بس -
فأنا و "نـهال" هتحط نفسنا بيد .. انت و "فريدة" طول عمركوا عايشين فيها
ايديكوا .. فسحونا انتوا على مزاجكوا بأه
: ابتسم "مـهند" قائلاً
متقلقيش يا عمتو هبقى فسحة حلوة ان شاء الله -
: قالت "نـهال" مبتسمه
"أكيد هتبقى حلوة أنا واثقه فى ذوقك يا "مـهند -
اختفت ابتسامتها عندما قابل كلماتها بلا مبالاة .. وصلوا الى الاسكندرية بسلام
.. أخذهم "مـهند" الى عدة أماكن ومعالم سعدوا كثيراً بزيارتـها .. وفى موعد
الغداء أخذهم الى أحد المطاعم الفاخرة والتى لاقت اعجاباً شديداً بجوده طعامهم
يتطلع الى "فريدة" بسعادة وهو يرى تلك البسمة على "البحرى .. أخذ "مـهند
ثغرها وهى تتجاذب أطراف الحديث مع عمتها .. دون ان يعبأ بنظرات "نـهال"

فالتقت أعينهما .. فأبعد "مهند" عينيه وكأنه لا ..التى تلاحقه .. التفت فجأة يراها .. ازداد حنقها أكثر .. حاولت التحدث اليه فلم تجد منه سوى اجابات مقتضبه .. وعندما تجرأت لتمازحه بيدها ضاربه بكفها فوق ذراعه .. التفت ورمقها بنظرة ألقت الرعب فى قلبها .. شعرت بالخوف من تلك العينان :فتمتمت بخفوت وهى تسحب يدها .. السوداوان المسلطتان عليها بحدة

آسفه .. الكلام خدنى -

: لاحظت "انعام" ما حدث فقالت بمرح

ايه يا "مهند" هنفضل أعدين كتير .. أنا عايزه أشوف الشمس وهى بتغرب - .. خدنى على أجمل حته فى اسكندرية .. لاحت ابتسامه على شفتى "مهند" : وهو يقول

حاضر يا عمتو .. خاجك على أحلى مكان فى اسكندرية -

كانت بقعة هادئة .. يرتطم فيها الموج بتلك الصخور المتناثرة أمامه .. بدا البحر رائقاً صافياً .. يشكل مع شمس الغروب لوحة ابداعيه تقف الكلمات : عاجزة عن وصفها .. لوحة لا يرسمها الا الخالق .. تمتم "مهند" بخفوت

سبحان الله -

جلست "انعام" بجوار "فريدة" على احدى الصخور يتطلعنا الى "مهند" .. : قالت "انعام" مبتسمه .. وقفت "نهال" تنظر الى البحر أمامها ساهمه

المكان هنا حلو أوى .. وأحلى حاجه انه فاضى .. تحسى انه مكان خاص - أوى

قالت "فريدة" بحزن وهى تنظر تجاه "مهند" الذى وقف واضعاً ذراعيه فى : جيب بنطاله ينظر الى البحر شارداً

المكان ده "مهند" بيحبه أوى .. كان بيجي كتير هنا مع مراته الله يرحمها -

: نظرت "انعام" فى اتجاه "مهند" هى الأخرى وهى تقول بحزن

ربنا يصبره أكيد موتها بالطريقه دى كان صعب عليه -

: قالت "فريدة" بأسى

اتألم أوى لموتها .. أوى .. كان بيحبها أوى يا عمتو .. أكتر حاجه وجعته انه - حس انه السبب فى موتها

: سألت "انعام" بإهتمام

هى الحادثة حصلت ازاى بالظبط ؟ -

: قالت "فردية" بمرارة وهى تتذكر تلك الأيام التى ولت

مهند" فرحان أوى .. ادوله سلفه "كانوا خارجين مع بعض .. يوميها كان -
من مرتبه وجاب عربيه صغيرة .. كان طاير من الفرحه و صمم ياخدنى أنا
وهى ونتفسح مع بعض .. كان كل حاجة هادية وسايق على مهله براحه ..
وفجأة محستش بحاجه .. مش فاكرة ايه اللى حصل .. بس لما فتحت عيني ..
كنت فى المستشفى ومتجبسه .. وفهمت من الممرضات اللى حصل

: قالت "انعام" متنهده بحسرة

أكيد لام نفسه -

: التفتت اليها "فريدة" وقالت

كان سايق على مهله مكنش بيسوق "أنا واثقه انه مكنش غلطان .. "مهند -
صاحب العربية اللى خبطت فيه هو .. بسرعة .. وهو فعلاً قال كده فى المحضر
اللى كان ماشى مخالف وكمان كان بيسوق بسرعة عالية .. مقدرش "مهند"
يتفاداه .. وحصلت الحادثة

هدر البحر بموجة عالية ..بدا .. رمقته "انعام" و "فريدة" بنظرات مشفقه
نهال" تسير على بعض "وكأن شيئاً أغضبه فجأة .. التفت "مهند" فرآى
الصخور المرصوصة بجوار بعضها البعض والممتدة داخل البحر .. عندما
: "اقتربت من صخرة كبيرة اسطوانية الشكل .. هتف "مهند

نهال" خلى بالك .. الصخرة دى بتتحرك" -

التفتت "نهال" اليه ثم نظرت الى الصخرة التى ستطأها قدماها .. جربت
الصخرة بقدمها لتعلم بأنها بالفعل تتحرك حاولت تثبيتها والسير فوقها وهى
ترفع ذراعيها بمحاذاة كتفيها لتوازن نفسها ومنه انتقلت الى الصخرة التاليه
والتى كانت أكثر ثباتاً .. عاد "مهند" يتأمل البحر مرة أخرى .. ليعاود استكمال
: حديثه .. مع خله الوفى .. هتف "مهند" من اعماقه

أشجانى بعدها أيها البحر .. وعذبنى فراقها -

: قال البحر وأمواجه تتلاقى فى حنان

اصبر أيها الغريب .. فما أنت فى هذه الدنيا الا عابر سبيل -

: تنهد "مهند" وقال

أعلم يها البحر .. لكنى على الرغم منى أفتقدها .. أنت خير خل لى .. تعلم -
كيف كنت أحبها .. كم عانقتنا بأمواجك أيها البحر .. أتذكرها .. أتذكرها مثلى

: قال البحر فى أسى
وكيف أنسى من سكنت فؤاد صديقي -
: قال "مهند" شارداً
لأننى شعرت بأنها تكملنى وبأننى أكملها .. .. !أتعلم أيها البحر لما أحببتها ؟ -
أحببت ضعفها أيها البحر .. أحببت حاجتها الىّ .. لم تكن زوجتى فحسب .. بل كانت طفلتى .. طفلتى الصغيرة المدلله .. كم كنت أحب أن أجلسها أمامى وأمشط خصلات شعرها .. كنت أحب أن أهتم بكل ما يخصها .. أحببت حبها لى أيها البحر .. أحبب نظرات القلق فى عينيها عندما أعود متأخراً من العمل .. أحبب نظرات الشوق فى عينيها ترمقنى بها فى لحظات وصالنا .. أحببت استكانتها بين ذراعى .. أحببت حاجتها الىّ كما لو كانت بدونى ضائعه .. وكأننى دعامتها أشعرنى ضعفها بقوتى .. وأنوثتها ..التى ترتكز عليها فى هذه الحياة
أتذكر يدها الدافئه وهى توقظنى .. برجولتى .. قاسمتنى أحلامى وطموحى لصلاة الفجر .. أتذكر ترتيلنا معاً للقرآن فى يوم الجمعة .. أتذكر كل ما علمتها اياه .. وكيف علمتها اياه .. كانت طفلتى بالفعل .. طفلتى وحبيبتى ونصفى الآخر
: اختلطت دموع البحر بمياهه وهو يقول
أشعر بمدى ألمك يا صديقى .. لكن صدقنى الحياة فيها الكثير .. لا تغلق قلبك -
.. ابق الباب موارباً .. فلعل تستطيع احداهن التسلل من تلك الفتحة الصغيرة
: ابتسم "مهند" بتهكم وقال بثقة
لن تستطيع احداهن التسلل الى ذلك الحصن الحصين .. لقد ارتفعت بأسواره -
عاليه وأحكمت اغلاق أبوابه .. وألقيت بمفاتيحه فى قاع بحرك .. لن تستطيع احداهن التسلل .. ولا حتى بأن تمد يدها للمس ذلك القلب .. لا تأمل شيئاً أيها البحر .. أحكمت تحصين قلعتى جيداً
: ابتسم البحر قائلاً بحكمة سنين وسنين
لعلك أحكمت تحصين قلعتك التى أخفيت بها قلبك يا صديقى .. لعلك أغلقت -
النوافذ وأوصدت الأبواب .. لكن شئ واحد لن تستطيع التحكم به .. وسيدخل رغم أنفك .. وستستطيع احداهن التسلل معه الى ذلك القلب الحصين
: جعد "مهند" جبينه قائلاً
وماهو ذلك الشئ الذى سيدخل قلعتى رغم أنفى ؟ -

: قال البحر بثقه
الهواء .. الهواء أيها الصديق .. مهما فعلت .. لن تستطيع منعه من الوصول -
الى داخل قلعتك .. مادام فى صدرك نفس يتردد .. ستظل قلعتك فى خطر
! ازدادت تجاعيد جبينه .. وشرد فى كلام البحر

****

وقفت "سمر" فى شرفة غرفتها .. تتطلع الى تلك البنايات فى شرود .. دخلت "فيروز" الشرفة .. تستند على سورها وتلقى نظرة على الشارع بالأسفل ..
: التفتت اليها "سمر" وقالت
تعرفى أنا نفسى فى ايه دلوقتى ؟ -
التفتت اليها "فيروز" مستفهمه .. ارتسمت ابتسامه حالمه على شفتى "سمر"
: وهى تشرد بخيالها قائله
... نفسى أكون دلوقتى حالاً فى اللحظة دى -
: صمتت قليلاً .. ثم قالت بنبره حالمه
على شط اسكندرية -
نظرت اليها "فيروز" بإستخفاف فأكملت "سمر" مبتسمه وهى تنظر الى
: السماء فوقها
وحشنى سماها و بحرها ورملها وأهلها وشوارعها وكل حته فيها -
: دخلت "فيروز" وهى تهمهم
أنا داخله -
أغمضت عينيها .. لتهرب من .. ظلت "سمر" واقفة كما هى .. وكعادتها واقعها .. الى تخيلاتها .. تخيلت أنها فى تلك اللحظة .. واقفه أمام البحر .. بحر اسكندرية .. تداعب نسمات الهواء خصلات شعرها .. وتلفح وجهها فى نعومه !

الفصل التاسع

أنهوا جولتهم فى الإسكندرية .. وقبل مغادرتها .. أوقف "مهند" سيارته أمام أحد المساجد .. دخل يبحث بعيناه عن شخص ما .. ارتسمت ابتسامة على شفتيه وهو يتطلع الى ذلك الرجل الوقور ذو الجلباب الأبيض الذى استند الى أحد الأعمده فى المسجد .. وهو يمرر اصبعه الابهام على أصابعه ويحرك شفتيه هامساً .. اقترب منه "مهند" ووقف أمامه ينظر اليه فى حنان .. رفع الرجل رأسه ونظر اليه للحظات قبل أن تعلو الابتسامة شفته وهو يهتف غير مصدق :

- "مهند" .....

اتسعت ابتسامة "مهند" وعاون الرجل على النهوض .. وأمسك رأسه مقبلاً اياها وهو يقول :

- ازيك يا شيخ "محمد" وازى صحتك

هش الرجل وقال :

- فين أراضيك دلوقتى ..بخير يا ابنى الحمد لله .. ازيك انت

قال "مهند" مبتسماً :

- أنا دلوقتى عايش فى القاهرة مع عمى

ربت الرجل على كتفه وهو يقول :

- ربنا ينورلك طريقك يا ابنى ويحفظك من كل سوء

ثم أخذ الرجل ينظر اليه بتأثر قائلاً :

- الله يرحم أبوك راحمه واسعة .. كان راجل صالح .. ربنا يرزقه جنات النعيم ويحرم بدنه على النار

أطرق "مهند" برأسه يتذكر أبهي الراحل .. فأكمل الشيخ مبتسماً :

- لسه لحد دلوقتى فاكر يوم ما جالى وجابك فى ايده .. كنت لسه عيل صغير .. جابك وأعدك أدامى وقالى يا شيخ "محمد" ده ابنى "مهند" وعايزك تحفظه القرآن وتعلمه وتفهمه وتنوره عشان يبأه نبته صالحه أسيبها فى الدنيا بعد ما أموت

: رفع "مهند" رأسه ينظر اليه فى تأثر . فأكمل الشيخ مبتسماً
كانت الفرحه مش سايعه أبوك لما ختمت وادوك جايزه فى المسابقة .. كانت -
الدموع بتفر من عينه وهو بيحمد ربنا ان ابنه حافظ للقرآن
:ثم ربت على ذراع "مهند" قائلاً
وانت يا ابنى فعلاً نبته صالحة زى ما أبوك كان عايز .. انت من طلابى -
ربنا يحفظك ويحميك انت وأختك .. القليلين اللى ليهم معزه خاصة فى قلبي
ويكفيكوا شرور الدنيا
: قبل "مهند" يد الشيخ قائاً
أنا مديونلك بحاجات كتير ..ربنا يحفظك يا شيخ "محمد" ويديك الصحة -
أوى غرزتها جوايا انت وبابا الله يرحمه .. لما جيت النهاردة اسكندرية محبتش
أمشى قبل ما أشوفك وأسلم عليك
: ابتسم الشيخ قائلاً فى سعادة
فيك الخير يا ابنى -
: قال "مهند" وهو ينظر لساعته
معلش يا شيخ "محمد" مضطر أمشى -
: قال الرجل بطيبة
طريق السلامة يا ابنى .. خلى بالك من نفسك -
: التفت "مهند" ليغادر فأمسكه الشيخ من ذراعه قائلاً
اوعى تنسى اللى علمتهولك يا "مهند" .. الدنيا مليانه فتن يا ابنى -
: ربت "مهند" على يده قائلاً
متخفش يا شيخ "محمد" .. متخفش عليا -

****

توجهت "سمر" الى الشركة فبادرتها السكرتيرة بإعطائها ملفاً عاجلاً .. اتسعت عيناه دهشة وخفق قلبها فزعاً وهى تطالع تلك الأوراق التى تؤكد خسائر متتالية للشركة منذ شهور .. رأس المال ينفذ .. أسهم الشركة فى البورصة تقل يومياً .. وضعت الأوراق أمامها فوق المكتب وهى تشعر كما لو أن الدنيا تنهار

: حولها .. اخرجت هاتفها بعصبية واتصلت بـ "باهر" هاتفه
باهر" عايزاك فى المكتب حالاً" -
خير يا "سمر" فى ايه ؟ -
: قالت بعصبية
بقولك حالاً يا "باهر" .. مستنياك -
! أنهت المكالمة وألقت بالهاتف فوق المكتب وهى تسند رأسها بقبضتي يدها
: بعد ما يقرب من ساعة رأت "باهر" يدخل المكتب قائلاً
"خير يا "سمر -
: رفعت رأيها وننهضت بحدة وقفت أمامه قائله
ايه الخساير دى كلها يا "باهر" .. الشركة بتغرق -
: قال "باهر" ببرود
أنا مالى هو أنا اللى غرقتها .. باباكى اللى غرقها -
: هتفت بغضب
وانت كنت بتعمل ايه .. ليه مفهمتنيش الوضع كويس -
: قال بنفس البرود
هتعمل ايه ؟ .. ولا حاجه .. ..كنت فاكرك عارفه .. وبعدين أديكي عرفتى -
الشركة خلاص ضاعت .. رأيى بيعيها واستفيدي بالفلوس اللى هتطلعلك منها
لانها كل يوم فى النازل
: هتفت بأسى وهى تحرك ذراعيه فى الهواء بحيره
طيب وبعدين .. أنا مبفهمش ..يعني ايه .. خلاص كده .. كل حاجة ضاعت -
فى البيزنس .. هشتغل ازاى .. هعمل ايه .. أعمل ايه بالفلوس اللى هاخدها من
بيع الشركة
: قال "باهر" بنفاذ صبر
دخليها فى أى مشروع يا "سمر" .. خلى حد يشغلهالك .. مش قصة دى -
: أدارت "سمر" عيناها فى وجهة بأسى .. ثم قالت
"احنا هنتجوز امتى يا "باهر -
: أجفل "باهر" وهو ينظر اليها فأكملت بألم
كنت فاكره ان بعد وفاة بابا .. هتقولى يا "سمر" تعالى نتجوز عشان تبقى -
فى بيتى .. متبقيش لوحدك .. يا "سمر" تعالى أعوضك عن باباكى اللى مات ..

ايه اللى مانع جوازنا يا ..يا "سمر" أنا نفسى أتجوك النهاردة قبل بكرة "باهر" .. انت تقدر تفتح بدل البيت عشرة .. ليه مش بتاخد خطوة
شعر "باهر" بأن هذه هى اللحظة المناسبة تماماً ليخبرها بقرار فسخ الخطبة . فتح فهمه ليتحدث .. لكن قاطعه السكرتيرة وهى تقول لـ "سمر" بلهفة بأن التفت "باهر" الى "سمر" ..مندوب من أحد البنوك يريد مقابلتها لأمر عاجل : قائلاً
نتكلم بعدين .. خلصى شغلك وكلميني -
انصرف "باهر" تحت أنظار "سمر" التى كانت شعرت بألم وأسى ظهر واضحاً جلياً فى عينيها

****

جلست "بيسان" فى شرفة منزلها تحتسى مشروباً ساخناً .. أخذت تفكر فى أحداث الليلة السابقة .. واستماعها لتلك المكالمة بين "نهاد" وتلك المرأ ة.. تذكرت تبريرات "نهاد" وقسمه بأن لا يخونها وبأن تلك المرأة ما هى الا علاقة قديمة .. وانقطعت .. ظلت الأفكار تراودها .. والأسئلة تلاحقها .. ماذا لو كان يخونها بالفعل .. وأنه يكذب بشأن انتهاء تلك العلاقة بنيه وبين تلك المرأة .. ما هو التصرف الصحيح الذى يجب على أى زوجة محبة لزوجها أن تسلكه .. كيف تحافظ على بيتها .. يكف يكون رد فعلها .. فكرت "بيسان" وفكرت .. الى أن توصلت لقرار .. لن تترك زوجها أبداً لأخرى تحاول هدم بيتها .. سواء خانها أم لم يخونها .. سواء انقطعت العلاقة أم لم تنقطع .. لا يجب أن تبتعد بنفسها عنه .. وتتركه فريسة سهله لتلك المرأة .. أو لأى امرأة غيرها .. إن لم تقدم له التفهم فلعله يبحث عن ذلك مع امرأة أخرى .. يجب أن تحتوى مشاكلهما .. يجب ألا تدع له المجال ليفكر فى غيرها أو ليحتاج لغيرها .. تركت الكوب من يدها ونهضت .. الى حيث يجلس "نهاد" حزيناً فى غرفة النوم .. يفكر فى طريقة يقنع بيها "بيسان" بأنه لم يخونها .. ولن يفعل .. هب من أراد محادثتها لكنه خشى أن تنفعل .. الفراش عندما وجدها تفتح الباب وتدخل واقتراب موعد وضعها .. ..عليه مثل اليوم السابق خاصة مع وضع حملها لكنه شعر بالدهشة وهو يراها يجلس بجواره على الفراش .. نظر اليها متلهفاً الى معرفة رد فعلها .. الى .. على الاستماع الى صوتها .. الى الحديث معها

: محاولة افهامها الحقيقة .. وأخيراً نظرت اليه وقالت بهدوء
احكيلى .. ومتخبيش عنى حاجه -
: قال بلهفة وحماس
والله يا "بيسان" ما خونتك .. زى ما قولتلك دى واحدة كنت أعرفها قبل ما - نتجوز وقطعت علاقتى بيها .. وابتدت تحوم حوليا من فترة غيرت الرقم وبرده مفيش فايدة .. والله يا حبيبتى هى اللى بتجرى ورايا .. لكن أنا مش ممكن أخونك
: نظرت اليه "بيسان" بإمعان تحاول تبين صدق كلامه .. وأخيراً قالت
طيب هاتلى رقمها -
: نظر اليها بشك وقال
عايزه رقمها ليه ؟ -
: قالت بحزم
"هاتلى رقمها يا "نهاد -
: فتح "نهاد" هاتفه وقال
طيب سجليه عندك -
أخذت الهاتف من يده ولدهشته وجدها تتصل بها .. نظر اليها إستغراب
: وسمعها تقول
ألو .. أنا "مراة "نهاد" .. لو سمحتى ابعدى عن جوزى .. اذا كنتى فاكرة - انك بالطريقة دى هتسببى مشاكل بينى وبينه تبقى غلطانه .. احنا الاتنين بنحب بعض وبينا ولد مش هتيجي واحدة زيك وأسمحلها انها تهدم بيتى
قالت ذلك ثم أنهت المكالمة قبل أن تترك للمرأة فرصة الرد .. نظر "نهاد" اليها
: مبتسماً وقال
يعني مصدقانى -
: بدأت ابتسامه صغيره فى الارتسام فوق شفتيها وهى تقول
أيوة مصدقاك -
: عانقها قائلاً
الحمد لله .. كنت خايف أوى متصدقينيش -
: أبعدت رأيها نظرت اليه قائله
ممكن بعد كده متخبيش عنى حاجة .. أى حاجة تحصل قولى عليها واحنا -

"نتكلم بهدوء مع بعض ونحل المشكلة .. ماشى يا "نهاد
: أومأ برأسه وهو ينظر اليها بسعادة قائلاً
ماشى يا "بيسان" .. مش هخبى عليكي حاجة تانى -

****

أوقفت "سمر" سيارتها فى أحد الأماكن الهادئة .. لا ترغب فى الذهب الى البيت حيث زوجة أبيها .. بالتأكيد ستشمت بها ولما آل اليه حال الشركة .. لكن وبالحياة .. وها هو "باهر" لا تستطيع .. ماذا تفعل وهى قليلة الخبرة بالعمل الإعتماد عليه على الإطلاق .. بل يبدو وكأنه لا يريد الزواج الآن .. أخذت تفكر ألأنها لم تطيعه فيما أراد .. وكيف تطيع .. .... تُرى لما يريد تأخير زواجهما فتحت باب سيارتها وهبطت وهى تشعر بحنق وغيظ شديد .. غيظ من كل شئ و أى شئ .. لماذا تشعر دايماً بأن حياتها بلا هدف .. بلا وجهه .. بلا معنى .. بلا طعم .. بلا روح .. داعب الهواء خصلات شعرها المتمردة فأعادتها فى عصبيه خلف أذنيها .. مر على بعد خطوات منها شابين .. أخذا ينظران الى سيقانها العارية .. شعرت بالتقزز وهى تلمح نظرتهما وهمساتهما .. لا شعورياً شدت الجيب الى الأسفل وكأنها تود لو كان أطول لتستطيع تغطية سيقانها عن عيونهما المتحرشه .. دخلت الى السيارة وانطلقت بها بحده .. لمعت العبارت فى عينيها .. شعرت بالحنق .. حتى أنها لا تدرى سبب دموعها .. أخذت نفساً عميقاً وأطلقته بقوة .. أدارت المسجل لتنبعث من السيارة نغمات موسيقى صاخبة .. ملأت السيارة بذبذباتها .. حاولت أن تدندن مع تلك الكلمات التى تفتقد كل معنى وذوق .. وهى تحاول أن تخرج ذلك الضيق من صدرها ..
! .. وتتناسى ما تشعر به من حزن وأسى

****

: هتف "حسنى" فى غضب وهو جالس مع "كوثر" و "يسرية" فى بيتهم
مهند" كل يوم شوكته بتقوى فى الشركة .. بعد كده محدش هيقدر يقوله " -
تلت التلاته كام
: قالت "يسرية" بحده

أخوك اتجنن يا "حسنى" .. مش عارفه ايه الحل معاه -
: قال "حسنى" بحيره
المشكلة لو وقفت قصاده ممكن يفتكر ان أنا اللى دبرت لقتله .. ومش بعيد -
ولو سكت كل حاجة هتضيع من .. يقول شكوكه دى للظابط وأبقى متهم رسمى
بين ايدينا
: رفع رأسه ينظر الى "كوثر" و "يسرية" قائلاً
مهند" بأه يعرف أسرار فى الشغل أنا معرفهاش .. "عدنان" بأه معتمد عليه " -
فى كل حاجه
: قالت "يسرية" بخبث
طيب ما تحاول تقرب من "مهند" .. وتكسبه فى صفك -
: ابتسم "حسنى" بسخرية قائلاً
مهند" ايه اللى أقرب منه .. وايه اللى يخلى "مهند" يخون "عدنان" .. " -
مصلحة "مهند" مع "عدنان" مش معايا
: قالت "كوثر" التى كانت تمعن فى التفكير
أنا عندى اقتراح نخلص بيه من "عدنان" وجنانه -
: نظر اليها كل من "حسنى" و "يسرية" .. فقالت بحماس
نحجر عليه -
:"اتسعت أعينهما بدهشة وهما يتطلعان اليها .. هتف "حسنى
عايزانا نحجر على "عدنان" يا "كوثر" ؟ -
: قالت "يسرية" مبتسمه
"والله فكرة .. يا بنت الايه يا "كوثر -
: لينظر اليها فى دهشة قائلاً "التفت "حسنى
"حتى انتى يا "يسرية -
: قالت "يسرية" ببرود
ده عين العقل .. مفيش حل غير كده -
: نهض "حسنى" هاتفاً
انتوا اتجننتوا باين عليكوا .. ازاى يعين نحجر عليه .. عشان نحجر على حد -
و"عدنان" عقله يوزن بلد .. لازم يكون بيتصرف تصرفات مش طبيعيه
وتصرفاته موزونه جداً .. ازاى بأه هنقدر نثبت ان عقله مش مظبوط

قالت "كوثر" بحسرة :
- أووه مفكرتش فى دى
قالت "يسرية" بحماس :
- أكيد واحد فى سنه بيعمل حاجات مش طبيعيه .. احنا بس نركز معاه .. ونحاول نثبت انه مش موزون
قال "حسنى" مغادراً :
- والله باين انتوا الاتنين اللى اتجننوا بجد

****
هتف الرائد "عادل" وهو جالس فى مكتبه :
- غريبة أوى !
قال مساعده الذى جلس أمامه :
- زى ما بقول لحضرتك يا فندم .. "لميس" كانت شغاله زمان خدامه فى بيت "حسنى" و "يسرية" .. وبعدها بفترة سبت الشغل عندهم وبطلت تشتغل خالص .. وبعد فترة رجعت تانى للشغل بس مشتغلتش عند "حسنى" .. لأ اشتغلت عند "عدنان" مديرة منزل
قال "عادل" شارداً :
- ممكن أوى يكون ولائها لسه لـ "حسنى" و "يسرية" وهما اللى خلوها ترتكب الجريمة دى .. هى الوحيدة اللى محدش شاف هى فين وقت الجريمة .. وهى اللى اكتشفت الجثة .. يعني سهل أوى تروح المرسم وتقتله وترجع الفيلا من غير ما حد يحس بيها
قال المساعد بحماس :
- بالظبط كده يا فندم
قال "عادل" وهو يجعد جبينه :
- بس ازاى خدامه أو مديرة منزل تقدر تنشن على القلب ومن المسافة اللى اضربت منها الرصاصة
مط مساعده شفتيه وهو يقول :
- ضربة حظ يا فندم .. جت معاها كده

: قال "عادل" بتهكم
لا جبت التايهة .. طيب لو فى جديد فى القضية بلغنى -
: قام مساعده وأدى التحية العسكرية وهو يقول
تمام يا فندم -
أرجع "عادل "ظهره الى الخلف وهو محتار فى أمر هذه القضية .. هل وما هو دافعها .."لميس" لها علاقة بالقاتل ؟ .. أو هى نفسها القاتل ؟ لارتكب جريمتها ؟ .. ظلت هذه الأسئلة تلاحقه حتى نهض وخرج من القسم ليجد سيارة .. وهو يرتدى نظارته الشمسية التى أخفت لون عيناه البنيتان : تقف لتسد الطريق .. فالتفتت الى اثنين من العساكر على باب القسم وهتف
عساكر انتوا ولا أسدين قصر النيل .. مين الحيوان اللى وقف عربيته أدام - باب القسم ؟
: ارتبك الإثنان وقال أحدهما بإرتباك
منعرفش يا فندم -
: "صاح "عادل
متعرفش .. أمال مين اللى يعرف .. أمى -
: ثم هتف وهو يركب سيارته
ادخل يا ابنى شوفلى من اللى راكنلى عربيته هنا خليها يشيلها مش جراج هو -
انطلق بسيارته الى منزله .. توقفت السيارة أما تلك البناية لينهض البواب مؤدياً التحية العسكرية .. صعد الى طابقه وفتح الباب ثم أخذ يتشمم الهواء : صائحاً
الله الله .. وأنا أقول من ساعة ما طلعت من المكتب وعصافير بطنى مش - على بعضها .. أتارى قلبى كان حاسس
: خردت سيدة كبيرة من المطبخ وهى تبتسم قائله
انت جيت يا عادل ؟ -
: قال "عادل" بمرح وهو يقبل رأسها
لا لسه مجتش .. نص ساعة وأكون هنا -
: ضربته أمه على كتفه قائله
يلا وله .. غير هدومك على ما أحطلك الأكل -
: قال "عادل" بسخرية

ولـه ! .. لو سمعك حد من زمايلى فى القسم هتبقى فضيحتى بجلاجل .. الرائد - "عادل" اللى بيمشى فى القسم كده يجلجله .. يتقاله يا وله

: رفعت أمه حاجبيها قائلة

آه وله وهتفضل وله .. هتتكبر على أمك ولا ايه -

: ابتسم مقبلاً يدها وقال

حد يقدر يتكبر عليك برده يا جميل انت .. ده انت اللى فى العين والننى -

: ضحكت قائله

طيب يلا يا وله ادخل غير هدومك ده أنا عملالك ملوخية وأنارب ايه زى - العسل

: قال متهكماً

أنارب ؟! .. أكولها ازاى بعد ما قولتى عليها أنارب -

دخل غرفته البسيطة التى تزينها بعض اللوحات لآيات من كتاب الله .. وكلمات تحث على الصبر والرضا .. بدل ملابسه بمنامة بسيطة .. وخرج ليجد والدته قد أعدت المائدة .. جلسا معاً أمام الطاولة وهم بأن يتناول طعامه .. عندما

: ضربته أمه على كفه قائله

قوم اغسل ايدك الأول -

: نهض "عادل" بتبرم وقال

حاضر -

دخل الحمام وغسل يده وعاد الى مقعده رافعاً كفيه أمام وجهه وهوي قول

: بمرح

فل أهو .. آكل بأه -

: قالت أمه وهى تبدأ فى تناول طعامها

آه يا حبيبى كل -

: قال "عادل" مستمتعاً بطعامه

الله الله .. الله عليكي يا حجه وعلى عمايلك .. ملوخيه فى الجون .. - وأنارب ملهاش حل .. يا هناه يا سعده اللى ياكل ملوخية وأنارب من ايد الست "أم "عادل

: قالت والدته ضاحكة

"ان شاله تسلم يا وله يا "عدول -

: توقف "عادل" عن اكمال طعامه قائلاً وهو يشير بأصابعه بغيظ
وله .. و "عدول" .. الاتنين -
: دست أمه قطعه لحم فى فمه وقالت
متتكلمش على الأكل .. وكل كويس شكلك عدمان العافيه .. عايزاك ظابط ملو -
هدومك كده مش هفأ
: رفع حاجبه بغيظ وقال وهو يلوك الطعام فى فمه
هفأ .. ده أنا الحمد لله كلمتى ليها شنه .. ابقى تعالى القسم وانتى تشوف ابنك -
وهيبته
: دست قطعة لحم أخرى فى فمه وقالت
ما شاء الله .. ربنا يحميك من العين يا ابنى -
: ربتت على ظهره قائله
كل يا حبيبى كل -
: أشار الى الطعام وقال
ما أنا باكل أهو .. تسلم ايدك يا أم "عادل" .. بس بعد الأكل كده تعمليلنا -
كوبايتين شاى كشرى من اللى هما
: ابتست قائله
حاضر يا حبيبى من عنيا -

****

ليجد طفلته الصغيرة نائمة على .. عاد "دياب" الى بيته فى معاده المسائي
دخلت "سحر" الغرفة بعدما .. الفراش الوحيد بالمنزل .. دخل وقبل رأسها
قبل الصغيرة ..شعرت بوجوده وأشارت له فى تبرم أن يخرج من الغرفة
قبلات متتاليه ثم خرج ليلحق بـ "سحر" فى المطبخ .. ابتسم مقبلاً اياها وهو
: يقول
"ازيك يا "سحر -
: قالت وهى تفتح باب الثلاجة لتخرج منها أحد الأغراض
ثوانى والأكل يكون جاهز -
: قال لها مبتسماً

متخليني أصحى "منه" شويه .. وحشانى نفسى ألعب معاها .. بقوم من -
الصبح على الشغل وهى نايمه ولما برجع بتكونى نيمتيها
: قالت "سحر" بنفاذ صبر وهى تضع الطعام فى الأطباق
دياب" أنا مش ناقصة صداع .. أنا ما صدقت نيمتها .. لو صحيت مش " -
هعرف أنيمها تانى
: اقترب منها "دياب" وأحاطها بذراعيه قائلاً
بقولك ايه متسيبى الأكل ده دلوقتى -
: قالت بتأفف
دياب " سيبنى أغرف خلينى أخلص .. أنا مهدود حيلى من الصبح .. أمك " -
طلعت روحى فى الخبيز النهاردة .. وبنتك كملت عليا
: قال "دياب" مقبلاً اياها
ألف سلامة عليكي .. معلش هى ماما بتحب تخبز العيش بنفسها .. ست -
كبيرة بأه مش هنيجي نغيرها دلوقتى
: التفت وصاحت بغضب
وأنا ذنب أهلى ايه .. ما مراة أخوك أعده فى بيتها متهنيه .. مبتخليهاش -
تعجن معاها ليه .. ولا أنا بنت البطة السودة
: قال "دياب" بحنان
لا يا "سحر" طبعاً هى بس ممكن تكون مبتقلش على مراة أخويا لان معاها -
٥ عيال ومش فاضية بس انتى معاكى "منه" بس
: هتفت بحده
بنت واحدة بس مطلعة عيني .. انت طول اليوم فى شغلك مش مقدر .. بنتك -
من ساعة ما بتفتح عينها لحد ما بتنام وهى عماله تزن وتعيط .. خلاص روحى
بأت فى مناخيرى
: مسح على ذراعيها قائلاً
معلش أنا عارف انك بتتعبى معاها -
: التفتت مرة أخرى لتعاود اعداد الطعام .. فابتسم لها قائلاً وهو يجذب يدها
سيبك بأه من الأكل دلوقتى .. مش هيطير -
: جذبت يدها من يده بعنف وقالت
انت فايق ورايق .. سيبنى أخلص من تحضير الأكل ده خليني أنام -

: قال "دياب" بحنق
كل يوم الاسطوانه دى .. ايه فى ايه .. مرة مشغولة مرة تعبانة مرة البت -
هتصحى .. أنا جوزك وليا عليكي حقوق
: قالت بحدة وهى تضع الطبق من يدها بحده
انت معندكش ذرة احساس .. بقولك طالع عيني من الصبح مع بنتك وأمك .. -
بس عادى يعني .. ده العادى .. من امتى وانت بتحس بيا
انصرفت بغضب ودخلت غرفة النوم تنام بجوار طفلتها .. بينما وقف "دياب" في المطبخ يغلى من الغضب !

****

خرج "مهند" من الشركة وتوجه الى الكافيه الذى يقع أمامها .. دخل كعادته وجلس على مقعده الذى يجلس عليه كلما ارتاد ذلك الكافيه .. أخرج دفتر وقلم من جيبه .. وأخذ يرشف قهوته التى وضعها النادل أمامه .. ويدون بضع كلمات على الدفتر .. لم ينتبه "مهند" الى نظرات الفتاة الجالسه على بعد عدة طاولات منه .. التفتت لصديقتيها تقول :
كنا مع بعض فى رحلة العمل اللى طلعناها تركيا -
: نظرت الفتاتان الى بعضهما البعض وقالت احداهن
محسسانى انك طلعتى معاه لوحدك .. ده انتوا كنتوا ولا ١٠ أفراد -
: قالت الفتاة وهى ترمق "مهند" بنظراتها
مهند" كان ذوق أوى معايا فى "بس بقينا قريبين من بعض .. بشمهندس -
الرحلة .. وكمان كانت أوضته جمب أوضتى وطول الطريق من الشركة التركية كان بيهتم انه ياخد رأيى . . للفندق كنا بنقضيه كلام ومناقشات حولين الصفقة فى كل تفصيلة
: ضحكت احدى صديقتيها بسخرية وقالت
مش واسعه دى ؟ -
: نظرت اليها ببرود وقالت
واسعه ايه يا تعبانه .. بقولك فعلاً كان بياخد رأيى فى كل حاجة انتى نسيتى -

انى مديرة العلاقات العامة ولا ايه
ثم نهضت من مكانها وتوجهت الى طاولة "مهند" ورسمت ابتسامة على
: شفتيها قائله بدلال
ازيك يا بشمهندس -
: رفع "مهند" رأسه وقد بوغت بوجودها .. هز رأسه وغض بصره قائلاً
أهلاً بحضرتك -
اتسعت ابتسامتها .. ودون دعوة .. وتحت انظار "مهند" المندهشة .. جذبت
: مقعداً وجلست أمامه قائله بمرح
بصراحة نفسى أعرف نتيجة تعبنا فى رحلة تركيا .. يعني قولت بما ان -
عدنان" بيه فأكيد حضرتك "حضرتك المسؤل الأول دلوقتى عن الشركة بعد
عارف الصفقة ماشية تمام ولا لأ
: ثم ضحكت بمرح قائله
عايزة أشوف نتيجة تعبي -
أصدقتم الآن" .. التفت "مهند" "ثم رمقت الفتاتان بنظراتها وكأنها تقول
بطرف عينيه ليرى الفتاتان على الطاولة وهما ترمقانهما وتتهامسان .. ففهم
:الوضع .. وقبل أن تعى الفتاة ما يحدث .. نظر اليها "مهند" بحده وقال
اتفضلى قومى من هنا -
: التفتت لتنظر اليه بدهشة قائله
نعم ؟-
: قال "مهند" بصرامة
حضرتك سمعتينى .. اتفضلى قومى من هنا .. أنا مسمحتلكيش تعدى -
: توترت الفتاة واضطربت .. ونهضت قائله
أنا آسفة مكنش قصدى أضايقك-
هز رأسه وعاود الكتابة فى مفكرته متجاهلاً اياها تماماً .. شعرت الفتاة
بالمهانة خاصة بعدما عادت الى الطاولة ورأت صديقتيها يتضاحكان فيما بينهما
: فهتفت بغضب
مش عايزة واحدة فيكوا تفتح بقها بكلمة -
ثم التفتت ترمق "مهند" بنظرات غيظ بينما كان لا يزال يكتب فى مفكرته دون
: أن ينظر تجاهها ولو بنظره واحده .. وهى تتمتم

- قليل الذوق !

****

- احنا لازم نسيب بعض .. احنا متنفعش لبعض
فتحت "سمر" فاها بدهشة وهى تسمع تلك الجملة يلقيها "باهر" على مسامعها عبر الهاتف .. هتفت بدهشة :
- ايه .. بتقول ايه ؟
فقال بحزم :
- بقولك يا "سمر" احنا متنفعش لبعض .. خلصا كل واحد يشوف طريقه مع واحد تانى
صمتت لا تقوى على الكلام .. ازدادت ضربات قلبها وهى تحاول أن تستوعب ما قال .. هتفت مرة أخرى :
- بتقول ايه ؟
قال "باهر" بسرعة :
- معلش يا "سمر" مضطر أقفل دلوقتى
أنهى المكالمة وهى مازالت تضع السماعة فوق أذنها .. أنزلت الهاتف ونظرت اليه وهى لا تزال تحت تأثير صدمتها .. نعم كانت تشعر برغبته فى تأخير الزواج .. لكنها لم تتوقع أن يتركها ويفسخ خطبتها .. كيف يفعل .. ولماذا يفعل .. أتت فى تلك اللحظة "فيروز" من الخارج لتجد "سمر" واقفة فى الردهة بحالها تلك .. قالت بإستغراب :
- ايه مالك .. فى ايه ؟
قالت "سمر" بحيرة واضطرب :
- "باهر"
- ماله ؟
لمعت عيناها بالعبرات وهى تقول :
- باهر" فسخ الخطوبة"
ابتسمت "فيروز" بخبث وقالت بحماس :

أحسن غار فى داهية -
: ثم اقتربت من "سمر" وقالت بسعادة
أقولك على خبر يجنن .. فى عريس .. سيبك منه خالص .. ولا تهتمى بيه - متقدملك .. حتى لما عرف انك مخطوبة اتمسك بيكي .. لا ومش اى عريس .. .. ده يبقى
لم تستطع "فيروز" اكمال جملتها لأن "سمر" انطلقت كالسهم خارج المنزل ..
: تمتمت "فيروز" بحنق
غبية -
انطلقت "سمر" بسيارتها بسرعة عالية وهى تعقد جبينها فى غضب .. أوقفت بداخله .. دخلت لتفاجئ بـ "السيارة أمام النادى الذى تعلم بوجود "باهر "باهر" جالساً على أصدقائهما .. بينما احدى الفتيات تجلس فوق قدميه ..
اختفت ابتسامة "باهر" .. اتسعت عيناها دهشة وتوجهت الى طاولتهم بحنق بمجرد أن رآها .. توقف الأصدقاء عن الضحك وهم ينظرون الى "سمر" الغاضبة .. وقبل أن يعوا ما يحدث جذب "سمر" الفتاة من ذراعها بحدة تبعدها : عن "باهر" ثم تلتفت الى "باهر" صائحة
عايزه أتكلم معاك -
نهض "باهر" على الفور وهو يتطلع حوله ودفع "سمر" بيده الى خارج : النادى .. وقفت "سمر" بمواجهته وهى تهتف
يعني ايه اللى انت قولته ده .. يعني ايه نسيب بعض ؟ -
: قال ببرود
زى ما قولتك احنا مننفعش ببعض -
: صاحت بغضب
وجاى دلوقتى تكتشف اننا مننفعش ببعض -
: لانت ملامحها و ضعق صوتها ولمعت الدموع فى عيناها وهى تقول بألم
أنا قولتلك متسبنيش يا "باهر" .. أنا لوحدى .. ومحتجالك .. واحنا بنحب - بعض .. قولتلى مش هسيبك .. انت قولت كده يا "باهر" .. قولت مش هسيبك
: زفر قائلاً
يا "سمر" احنا مش هننفع نتجوز .. احنا مختلفين أوى عن بعض .. كل - واحد تفكيره فى جهة

: قالت والعبرات تتساقط فوق وجنتيها
باهر" بقولك محتجالك .. أنا مليش حد فى الدنيا دى غيرك .. أنا بجد مش " -
عايزه نسيب بعض .. طيب قولى ايه الاختلاف اللى انت شايفه بينا وأنا هحاول أظبطه
صمت ولم يجب .. مسحت عبراتها المتساقطة وقالت وهى تشعر وكأن الأرض
: تتحرك من حولها .. وأصبحت الموسيقى الصاخبة تضعف شيئاً فشيئاً
رد عليا .. شايفنا مختلفين فى ايه يا "باهر" ؟ -
: قال بنفاذ صبر
سمر" خلصنا" -
توجه الى سيارته وركب أمام المقود .. اندفعتٍ "مر" تركب فى المقعد المجاور
: وهى تصيح
يعني ايه .. تخطبنى وقت ما انت عايز وتسيبنى وقت ما انت عايز -
انطلق "باهر" بالسيارة بسرعة وهو صامت يزم شفتيه فى غضب .. فهتفت
: "سمر" بهستيريه وهى تلكمه فى كتفه
طالما مش عايز تتجوزنى خطبتنى ليه يا "باهر" .. قولتلى ليه انك بتحبنى .. -
قولتلى ليه مش هتسيبنى
: صاح "باهر" بحده وهى يضغط على دواسة البنزين بعصبية
انتى واحدة متخلفة وهتفضلى كده بعقليتك المتخلفة دى .. أنا خلاص قرفت -
منك ومش عايزك .. ايه هو الجواز بالغصب
: تساقطت دموعها وهى تصيح باكية
يعني عشان بحافظ على نفسى أبقى متخلفة فى نظرك -
: لم يجب بل ازادت عصبية وهى تصيح ضاربه كتفه بقبضة يدها
عايزنى أبقى زى التيييييييييييت اللى كانت عده على رجلك من شوية -
دفعها بيده بعنف فارتطم رأسها بزجاج الشباك بجوارها .. وضعت يدها على
: رأسها وهى تشعر بدوار وبرغبة فى التقيؤ .. نظرت اليه هاتفه
انت تيييييييييييييت يا "باهر" .. وأنا اللى مش عايزاك -
اتسعت عينا "سمر" فى محجريهما .. التفت ينظر اليها بغضب .. وفجـــــاة
وصاحت بأعلى صوتها وهى تنظر الى تلك السيارة القادمة تجاهها بسرعة
: كبيرة

- حاااااااااااااااااااااااااسب !!
التفت "باهر" ينظر أمامه .. حاول ادارة المقود .. لكــن .. سبق السيف العزل .. واسودت الدنيا أمام أعينهما !!

الفصل العاشر

- "نهاد" .. "نهاد" .. قوم بسرعة"
استيقظ "نهاد" فزعاً على صرخ "بيسان" .. قال بهلع :
- ايه يا "بيسان" .. مالك ؟
قالت وعضلات وجهها تتقلص من الألم :
- باينى بولد يا "نهاد" .. الحقنى
بقفزة واحدة غادر الفراش وأسرع بالاتصال بوالدته قائلاً بقلق بالغ :
- ماما "بيسان" بتولد
- طيب يا حبيبى هاتها على المستشفى وأنا هصحى باباك و عمتك ونحصلك على هناك
أغلق "نهاد" واقترب من "بيسان" التى تتألم قائلاً بقلق :
- "بيسان" متخافيش قومى معايا ......

ساعدها على النهوض وهى تصرخ قائله :
- أنا خايفة أوى
ربت على ظهرها قائلاً وهو يلهث من فرط توتره :
- متخفيش يا حبيبتى متخفيش
ساعدها على ارتداء ملابسها وحجابها .. وانطلق بها الى المستشفى .. أدخلتها الطبيبة لإحدى الغرف لفحصها .. ثم ابتسمت قائله :
- متقلقيش كل حاجة ماشية طبيعي الحمد لله
قال "نهاد" بتوتر وهى ينظر اى "بيسان" اتى سكنت قليلاً :

هتولد دلوقتى -
: قالت الطبيبة وهى تغادر اغرفة
لا لسه شوية .. بس ان شاء الله على الصبح يكون "فريد" شرف بالسلامة -
: اقترب "نهاد" من فراش "بيسان" قائلاً
بيسان" انتى كويسة" -
ما كادت تومئ برأسها حتى شعرت بتقلص آخر .. ضغطت بقوة على يد "نهاد"
! الذى بلغ قلقه وتوتره مبلغه

****

سمر" عينيها لترى ضباباً كثيفاَ .. أغمضتهما مرة أخرى ..لحظات "فتحت وفتحتهما من جديد .. صراخ .. عواء .. أشخاص يرتدون الأبيض .. يركضون .. يحاولون فتح عينيها .. يسلطون عليها ضوء أزعجها .. ألم حاد فى جسدها كله أين أنا .. من هؤلاء .. ماذا حدث .. حاولت التحدث .. حاولت .... أخذت تتساءل .. حاولت التحرك .. فلم تستطع .. شعرت بأطرافها مخدرة .. رباه .. مناداتهم باهر" .. السيارة .. الصدام .. وفجأة .. أظلم كل شئ .. بعد فترة " .. ماذا حدث بدت لها كثوانى معدودة .. فتحت عيناها ببطء .. لتجد نفسها فى غرفة مظلمة الا من ضوء بسيط .. حاولت التحرك .. تقلص وجهها لما شعرت به من الألم فى جميع أنحاء جسدها .. حاولت أن ترفع رأسها فشعرت بألم حاد .. مدت يدها اليمنى لتحسس رأسها فوجدت ضمادة كبيرة تلفه .. ما هى الا لحظات حتى ابتسمت لها وأخبرتها أنها ستذهب لإحضار ..حضرت احدى الممرضات عادت بالطبيبة التى بدأت فى الكشف على "سمر" .. تطلعت الى .. الطبيبة
: "سمر"الأجهزة الموصله بـ "سمر" .. سألت
أين أنا ؟ .. ماذا حدث ؟ -
: قالت الطبيبة وهى مازلت تفحص أجهزتها الحيوية
أنتِ بالمشفى .. لقد نقلتِ الى هنا على إثر اصابتك فى حادث سير .. ألا تذكرين -
: رفعت يدها اليمنى وتحسست رأسها قائله بوهن
نعم .. أتذكر -
: ثم التفتت الى الطبيبة تقول

باهر" .. صديقي .. كان معى بالسيارة" -
: قالت الطبية تطمئنها
لا تقلقى انه بخير -
: أمرتها الطبيبة أن تحاول تحريك قدميها .. حاولت "سمر" ذلك ثم قالت
أشعر فيهم بالألم -
: قالت الطبيبة
لا تقلقى هذا طبيعي بسبب الكدمات .. حاولى الآن تحريك ذراعيكِ -
حاولت "سمر" مع ذراعها اليمين فإستجابت لها .. حاولت مع اليسرى ..
: وحاولت .. وحاولت .. دون جدوى .. نظرت الى الطبيبة بقلق قائله
لا أستطيع تحريكها -
التفتت الطبيبة الى الجهة الأخرى من الفراش ورفع ذراعها تتفحصها .. ثم قالت
:
حاولى قبض أصابعك ثم بسطها -
حاولت "سمر" تحريك أصابعها .. ففشلت .. نظرت بقلق أكثر الى الطبيبة وقالت
:
لا أستطيع .. لا اشعر بها على الإطلاق -
عقدت الطبيبة جبينها .. وهى تسقط ذراع "سمر" من يدها ليسقط بجوارها على الفراش دون أى مقاومة .. أحضرت ما يشبه الدبوس وشكت "سمر" فى يدها
: ونظرت اليها بإهتمام قائله
أتشعرين بذلك -
: قالت "سمر" بأعين دامعة وشعور بالخوف يغمرها
لا .. لا أشعر -
حاولت الطبيبة اجراء الاختبار مرات ومرات بطول الذراع .. دون أى استجابه ..
: التفتت الى الطبيبة قائله
اطلبى رئيس قسم جراحة المخ والأعصاب -
: قالت "سمر" ودموعها تتساقط
ماذا هناك ؟ .. لماذا لا تتحرك يدي -
: نظرت اليها الطبيبة قائله
لا تقلقى .. هذا طبيعى .. لقد تلقيتي ضربة على رأسك .. لا تقلقى -

.. لكن عينا الطبيبة أنبئتها بكذبها .. بدت الطبيبة نفسها كما لو كانت حائرة
رفعت "سمر" عينيها الى سقف الغرفة وصدرها يعلو ويهبط .. وشعور بالقلق
! والخوف يغمرها

****

: وقف "نهاد" يتآكله القلق .. ربتت أمه على كتفه قائله
متخفش يا "نهاد" .. دى أحسن مستشفى فى مصر -
نظر اليها دون أن يجيبها .. أخذ يزرع الردهة سيراً لا يستطيع الوقوف فى مكانه
: .. قالت "نهال" بقلق
اتأخرت أوى -
: قالت "انعام" مبتسمه
متخفيش شوية وتخرج ان شاء الله -
نهال" تنظر الى "مهند" الذى جلس أمامها على أحد المقاعد .. مطرقاً "التفتت
همست وهى تحرك شفتيها بصوت غير مسموع بينما تنظر اليه فى ..برأسه
: هيام
بحبك يا "مهند -
ودت لو استطاعت أن تنهض وتسمعه اياها .. لكنها خشيت من ردة فعله ..
: نهضت "كوثر" واقتربت من "نهاد" قائله
حاجة البيبى جبتوها معاكوا ولا نسيتوها -
: نظر اليها "نهاد" قائلاً
أيوة جبتها فى العربية بره -
: "قالت "كوثر
طيب اديني المفتاح وأنا هروح أجيبها -
: نهض "مهند" قائلاً
خليكي يا عمتو هروح أجيبها أنا -
مهند" المفتاح من "نهاد" وتوجه الى الخارج ليحضر أغراض الصغير "أخذ
من حقيبة السيارة .. عاد ليفاجئ بـ "نهاد" يحمل الصغير بين ذراعيه والتف

الجميع حوله فى سعادة .. ابتسم "مهند" وهو يتطلع اليهم وأمر "نهاد" بأن يؤذن فى أذن الصغير ففعل .. فما لبثت الممرضة أن أخذت الصغير وطلبت أغراضه ودخلت الغرفة مرة أخرى .. جلس "نهاد" على أحد المقاعد والدموع فى عيناه .. جلس "مهند" بجواره ورب على كتفه قائلاً :

- ربنا يباركلك فيه يا "نهاد"

ابتسم "نهاد" وقال وهو يمسح عبراته التى فلتت من عينيه :

- يارب

خرجت "بيسان" على الترولى فوقف "نهاد" وأمسك بيدها قائلاً :

- "بيسان" .. شوفتى "فريد" .. زى القمر"

بتسمت بوهن وقالت :

- شكلك يا "نهاد"

اتسعت ابتسامته ودخل معها غرفتها .. ودخل الجميع بإستثناء "مهند" الذى ظل فى الخارج .. خرجت الممرضة تحمل الصغير .. فنهض "مهند" وحمله عنها .. أخذ يتأمله فى حنان .. بوجه الصغير وكفه الرقيق .. لف أصابع الصغير حول اصبعه مقبلاً يده .. تطلع اليه بعينان يملأهما الحنان .. مرر اصبعه على وجنته الملساء الناعمة مقبلاً جبينه فى رقه .. ضمه "مهند" الى صدره بحنان بالغ .. هفت نفسه الى صغير مثله .. خاصاً به هو .. ملكاً له هو .. تذكر زوجته الراحلة .. وأحلامهما بطفل صغير يجمعهما .. لكن كانت ارادة الله أن حرمهما من ذاك الحلم .. نظر اليه مرة أخرى بأعين تغشاها الدموع .. كان قد نسى هذا الحنين الى تكوين أسرة يكن هو قائدها وحاميها .. لكن هاهو ذلك الحنين قد عاوده .. شعر بغصه فى حلقه وهو يقبل جبين الصغير مرة أخرى .. انفتح الباب وتمرت "انعام" فى مكانها وهى تتطلع الى ذلك المشهد .. رفع "مهند" عيناه ينظر اليها .. لمحت تلك العبرات فى عينيه فشعرت بالألم من أجله .. اقتربت منه متنهدة بحسرة .. فأعطاها الصغير .. ثم التفت ليغادر المشفى .. تتابعها بعيناها التى غشيتها العبرات هى الأخرى

****

دخلت "فيروز" المشفى وبمجردأن رأت "باهر" الواقف مع أحد رجال الشرطة
: .. اقترب منه قائله بلهفة
"باهر" ايه اللى حصل .. فين "سمر" -
: قال وهو يزفر بضيق
حصلت حادثة .. متقلقيش هى كويسة -
: هتفت "فيروز" بحنق
طبعاً كنت سايق زى المجنون كعادتك مش كدة -
: احتد عليها قائلاً
هى اللى غلطانه .. هى اللى عصبتنى وأنا سايق -
: قالت بقلق
فين أوضتها -
أسار لها "باهر" الى الغرفة خلفها .. تقدمت لفتح الباب .. لكن الباب انفتح من
: الخارج ليخرج منه طبيب وطبيبة .. نظرت اليهما "فيروز" قائله
أنا زوجة أبيها .. كيف حالها ؟ -
: نظر الطبيبن الى بعضهما البعض .. ثم قال الطبيب لها
بصراحة الأخبار ليست جيدة -
: ازداد قلق "فيروز" فقالت لعصبية
من فضلك أخبرنى -
: قال الطبيب بأسى ممزوج بالحيرة
جسمها سليم الا من بعض الرضوض والكدمات التى ستشفى مع الوقت .. أما -
بخصوص ذراعها فالأمر محير
: قالت بدهشة
ما به ذراعها ؟ -
: قال الطبيب وهى ينظر الى زميلته
فى الحقيقة لقد أصاب ذراعها الأيسر .. الشلل -
وضعت "فيروز" كفها على فمها وعيناها تتسعان على آخرهما .. بينما وقف
: "باهر" يتطلع الى الطبيب بدهشة هو الآخر .. أكمل الطبيب
المحير فى الأمر هو أن ذراعها الأيسر فقط هو ما اصابه الشلل .. ففى المعتاد -
فى مثل تلك الحواث التى يتعرض أصحابها الى اصابات فى الرأس أن يصيبها

أما فى .. شلل نصفى أو كلى .. أى تشل حركة الذراعان أو القدمان أو كليهما هذه الحالة فالمحير هو أن ذراعها الأيسر فقط هو ما أصابه العطب
: قالت "فيروز" بلهفه
أتعنى أن ذراعها لن يتحرك مرة أخرى .. ألا يوجد أمل ؟ -
: قال الطبيب بأسف
أنا آسف .. هذا الأمر ليس بأيدينا .. سنخضعها الى المزيد من الفحوصات .. - لكن ليس فى أيدينا أى شئ
فيروز" برأسها .. انصرف الطبيب .. فالتفتت ترمق "باهر" بنظرات "أومأت فما كان منه الا أن انصرف مغادراً المشفى .. دخلت "فيروز" حجرة .. نارية رأتها نائمة على فراشها مغمضة العينين .. قالت لها الممرضة .. ""سمر
: بهمس
لقد نامت الآن بعدما أعطيناها المهدئ -
: أومأت "فيروز" برأسها وقالت
سأعود الى البيت وآتيها فى الصباح -
! خرجت هى الأخرى .. لتغادر المشفى

****
فى صباح اليوم التالى .. نهض "دياب" من فراشه ودخل الحمام يأخذ دشاً بينما
: كانت "سحر" تعد الفطور .. خرج مبتسماً لها وقال
"صباح الخير يا "سحور -
: قالت وهى مستمرة فى عملها
صباح النور ..يلا عشان تفطر -
جلسا حول الطبلية الصغيرة الموضوعه على الأرض .. فنظر اليها "دياب" قائلاً
:
سحر" .. خلينا نتكلم مع بعض .. مش حابب نكون أفشين على بعض كده" -
: فى تلك اللحظة استيقظت الصغيرة تصرخ باكية فقالت "سحر" بعصبية
أوووف بأه -
: نهض "دياب" بسرعة قائلاً

خليكي أنا هجيبها -
: "حمل "دياب" صغيرته بني ذراعيه يلاعبها ويداعبها حتى هتفت "سحر
يا "دياب" يلا يا "دياب" هتتأخر على شغلك -
خرج "دياب" من الغرفة يحمل الصغيرة وجلس يتناول طعامه مجلساً اياها فوق
: ساقه .. حاول أن يضع قطع خبز فى فمها فصاحت "سحر" بحده
دياب" انت بتعمل ايه .. ملهاش أكل دلوقتى" -
: قال "دياب" مبتسماً
نفسى أوى أأكلها -
: قالت بنفاذ صبر وهى تحملها من بين ذراعيه
هاتها عشان تعرف تاكل .. وأنا هدخل أغيرلها البامبرز -
دياب" طعامه .. وتوجه الى غرفة النوم .. كانت "سحر" جالسه على "أنهى
الفراش ترضع الصغيرة .. فاقترب "دياب" منها يداعب الصغيرة التى تلهت فى
: "اللعب معه تاركة الرضاعه .. فتمتمت "حر
يا "دياب" يلا هتتأخر -
: ارتدى "دياب" ملابسه وودعهما قائلاً
هحاول أرجع النهاردة بدرى .. بس متنيميهاش بدرى ماشى .. هجبلكوا حاجة -
حلوة وأنا جاى
: "قالت "سحر
اقفل الباب كويس وانت خارج -
أومأ برأسه وخرج من بيته ذاهباً الى عمله

****

: قال "عدنان" واضعاً ساقاً فوق ساق
"أيوة فعلاً يا حضرة الظابط .. مدام" لميس" كانت بتشتغل عد "حسنى -
: قال "عادل" وقد ضاقت عيناه
بس مش غريبة يعني .. خدامه كانت بتشتغل عند أخوك .. وسابت الشغل .. -
وتجيبها انت شتتغل عندك

: قال "عدنان" بحزم

وايه الغريب فى كده .. عادى .. سابت الشغل عند أخويا وشغلتها عندى .. ايه - المشكلة

: انحنى "عادل" واضعاً مرفقيه فوق المكتب وهو يقول

طيب هى سابت الشغل عند أخوك ليه -

: قال "عدنان" بإقتضاب

مرتحتش معاهم -

: سأل "عادل "بإلحاح

ليه ؟ -

: قال "عدنان" بنفاذ صبر

مرتحتش وخلاص .. كام خدامه بتسيب الشغل فى البيوت عشان مرتاتحش .. - ايه المشكلة يعني

: قال "عادل" وهو يرفع أحد حاجبيه

تفتكر ممكن يكون أخوك ضايقها -

: التفت "عدنان" ينظر اليه بحده .. فأكمل "عادل" بمكر

يعني يكون اتحرش بيها مثلاً .. ومدام "يسرية" اكتشفت الموضوع وطردتها -

أو اكتشفت ان فى علاقة بينهم فعلاً برضى مدام "لميس" .. وطردتها عشان .. تبعدها عن جوزها

: قال "عدنان" بصرامة وقد بدا الغضب فى عيناه جلياً

مدام "لميس" ست محترمة .. وعارفه ربنا .. ومكنش ليها علاقة بحد -

: ضاقت عينا "عادل" وهو يقول

.... مالك متأكد كده يا "عدنان" بيه .. مش يمكن -

: قاطعه "عدنان" بحزم وهو يقف بعضبيه

لا مش يمكن .. مفيش حاجه بين "حسنى" وبين "لميس" .. محصلش حاجه - بينهم ومش هيحصل .. ياريت تحاول تدور على القاتل يا حضرة الظابط .. بدل ما انت عمال تخوض فى أعراض الناس .. ممكن أمشى ولا لسه فى اسئله تانية

أشار "عادل" فى اتجاه الباب .. خرج "عدنان" بينما أرجع "عادل" ظهره الى الوراه وهو يتمتم :

أقطع دراعى ان ما كنت مخبى حاجه يا "عدنان" .. بس هتروح منى فين .. -

هعرفها يعني هعرفها

****

اصطدم "نهاد" أثناء سيره فى ممر المستشفى بفتاة فأوقع هاتفه .. انحنت الفتاة لالتقاطه وهى تقول :

سورى مخدتش بالى -

ابتسم "نهاد" قائلاً وهو يتناول منها هاتفه :

لا ولا يهمك -

كاد أن يكمل طريقه لكنها أوقفته قائله بمرح :

انت "نهاد زياكيل" مش كده -

نظر اليها "نهاد" بدهشة فقالت مبتسمه :

أنا "انجى" صاحبة "بيسان" حضرت فرحكوا -

ابتسم لها "نهاد" معتذراً وهو يقول:

معلش مش واخد بالى -

ضحكت قائله :

ولا يهمك .. أنا جيه لـ "بيسان" ممكن تاخدنى لأوضتها -

قال على الفور وهو يشير الى الطريق بيده :

أيوة طبعاً اتفضلى -

اتسعت ابتسامة "بيسان" وهى ترى صديقتها مقبلة نحوها فصاحت :

انجى" .. حبيبتى وحشتينى " -

عانقتها "انجى" قائله :

حبيبتى "بيسان" انتى كمان وحشتيني موت -

قالت "بيسان" بلهفة :

احلويتي يا "انجى" هو كل اللى بيسافر بره بيحلو كده -

ضحكت "انجى" بدلال وقالت :

"ميرسى يا "بيسان -

ثن التفتت حولها قائله بمرح :

أمال فين البيبى -

: قالت "بيسان" بضيق
أخدوه وحطوه فى الحضانه .. بيقولوا يومين ويطلع تانى ان شاء الله-
: قالت "انجى" وهى تمط شفتيها
يخساره كان نفسى أوشفه -
: نظرت "انجى" ضاحكة "الى "نهاد" الواقف أمام باب الغرفة وقالت
مش أنا عرفت جوزك .. صحيح مشفتوش غير مرة واحدة يوم فرحكوا بس -
عرفته على طول
: ابتسم "نهاد" قائلاً
أنا بأه اللى مش فاكرك معلش -
: قالت "بيسان" وهى تنظر اليه
دى "انجى" يا "نهاد" صحبتى من زمان .. عرفتك عليها يوم فرحنا -
: قالت "انجى" ضاحكة
عادى يا جماعة . .أكيد كنتوا ملبوخين يومها .. وكمان حبايب "بيسان" كتير -
: قالت "بيسان" وهى تتأملها بلهفة
بجد فرحت أوى انى شوفتك يا "انجى" .. اوعى تقوليلى انك هتسافرى تانى -
المرة اللى فاتت كنت ملبوخة فى التحضير للفرح ومعرفناش نعد مع ..بسرعة
بعض
: قالت "انجى" بتهكم
لا هتشوفيني كتير من هنا ورايح -
: رفعت كفها الخالى أمام وجه "بيسان" وهى تقول
! اطلقت -

****

فى المساء دخلت "فيروز" المشفى وبمجرد أن اقتربت من غرفة "سمر"
اقتحمت الغرفة لتجد اثنان من المممرضات يحاولان ..سمعت صوت صراخ
: تهدئة "سمر" التى أخذت تصرخ باكية .. قالت "فيروز" بتوتر
سمر" .. مالك فى ايه" -

سمر" قليلاً والتفتت تتطلع اليها بوجهها الباكى وعينيها الحمراوين "سكنت
والضمادة على رأسها وتلك الخدوش فوق وجهها وذراعيها .. قالت بصوت
: مبحوح من كثره البكاء
فيروز" .. "فيروز" الحقيني" -
: اقتربت "فيروز" من فراشها .. وسألت الممرضة
ماذا بها ؟ -
: قالت الممرضة وهى تعيد رأس "سمر" الى الوسادة
كلما استيقظت أخذت تصرخ وتبكى -
: قالت "سمر" بألم وهى تعاود البكاء بأدمعها المنهمرة فوق وجهها
فيروز" خليهم يشوفولى حل .. خليهم يعملوا أى حاجه .. دراعى مش " -
بيتحرك يا "فيروز" .. خليهم يعملوا حاجه .. مش هقدر أعيش كده
: أقتربت "فيروز" من فراشها وبلعت ريقها قائله
"ان شاء الله هيكون فى حل يا "سمر -
مدت "سمر" يدها لتسمك بذراع "فيروز" وقالت بلهفة وهى تنظر اليها برجاء
: ودموعها تغرق وجهها
عشان خاطرى متسبينش كده .. بيعي الشركة .. هعملك توكيل .. عشان -
خاطرى خليهم يعالجونى .. دراعى مش بيتحرك يا "فيروز " .. متسيبينيش كده
أخذت ترتجف وتبكى .. أسرعت الممرضة بحقن المهدئ مرة أخرى فى المحلول
:الموصل بذراعها .. دفعت "سمر" الممرضة بيدها وهى تصيح
بتنيمينى ليه .. مش عايزة أنام ..ناديلى الدكتور يشوف دراعى .. ناديلى -
الدكتور اللى هنا
فيروز" بعدما فشلت أعصابها فى تحمل هذا الكم من الصراخ .. زفرت "خرجت
فى ضيق وهى تسب وتلعن "باهر" الذى تسبب فى تلك الكارثة .. ماذا تفعل ..
أتخبرها بالحقيقة .. لا شئ سيعود الى ما كان عليه .. عيلها أن تتأقلم على
! وضعها الجديد .. وعلى اصابتها التى لن تطيب

****

قال "علاء" بينما كان يسوق سيارته التى تحمل بداخلها والده ووالدته وعمته : ""كوثر

فكرة الحجر فكرة جامده .. ياريت ننفذها -

: "هتف "حسنى

أنا مش مصدق .. كلكوا شايفنها فكرة جامدة الا أنا -

: قالت "يسرية" بحزم

أيوة فكرة جامدة . .خليك انت بره دلوقتى واحنا اللى هنتصرف -

: قالت "كوثر" وهى تنظر الى "يسرية" الجالسه بجوارها

صح يا "يسرية" هنتصرف احنا -

: التفتت اليهم "حسنى" قائلاً

بحده .. هتتصرفوا ازاى يعني -

: قالت "كوثر" بحزم

اطلع منها انت .. احنا هنعرف ازاى نثبت ان "عدنان" مش طبيعي .. وانه - محتاج وصى عليه

توقفت السيارة أمام الفيلا ومن خلفها سيارة "مهند" .. صعد "مهند" الدرجات "المؤدية الى الفيلا .. وقبل أن تتمكن "فريدة" من الصعود نظرت اليها "يسرية : قائله بتشفى

"عقبالك انتى كمان يا "فريدة -

: ابتسمت "فريدة" وقالت بخجل

شكراً يا طنط -

: قالت يسرية" بلؤم

انتى عديتي الـ ٣٥ مش كده ؟ -

: اختفت ابتسامة "فريدة" وهى تقول بتوتر

أيوة يا طنط -

: قالت "يسرية" وهى تمط شفتيها

يا حرام .. متقلقيش أكيد هيجيلك نصيبك .. انتى صحيح وصلتى لسن صعب .. - بس خلى عندك أمل

قالت جملتها الأخيرة وهى تربط على ذراعها فى برود .. ثم التفتت لتصعد الدرجات الى الفيلا وابتسامة تشفى على شفتيها .. اغرورقت عينا "فريدة"

شعرت بالإختناق .. حاوت التحكم فى تلك العبرات التى انهمرت .. بالعبرات
: تمتمت بألم .. رغماً عنها
حرام عليها ليه تعمل فيا كده -
مسحت عبراتها .. وأخذت نفساً عميقاً .. وصعدت الدرجات فى تؤدة .. وجدتهم فصعدت مسرعة الى غرفتها .. أغلقت الباب عليها ..جميعاً فى غرفة الصالون
! تبكى ذلك كرامتها الجريحه ..وألقت بنفسها فوق فراشها

****

ظلت الكوابيس تطارد "سمر" .. تستيقظ فقط لتضخ لها الممرضة المزيد من أشفق عليها العاملون فى المشفى .. فحالها كان من سئ الى أسوأ .. ..المهدئ كانت تبكى حتى أثناء نومها .. مرت الأيام حزينة كئيبة .. كلما التفتت لتنظر الى ذلك الذراع الراقد بجوارها بلا حراك ازدادت حزناً وألماً .. طلب الطبيب حجزها لعمل المزيد من الفحوصات والتى لم تنبأه بشئ جديد .. لا استجابه فى ذراعها وإن كان ..أمر بعمل جلسات من العلاج الطبيعي .. فلعلها تفيد ..على الإطلاق "لكن "سمر .. يظن غير ذلك .. حاول أن يأهلها نفسياً لتقبل وضعها الجديد كانت ثائرة .. جامحة فى غضبها .. ترفض أن تظل هكذا .. ترفض أن يصبح هذا هو حالها .. ازداد توترها وعصبيتها .. ازدادت نوبات انهيارها وبكائها .. أخذت تصرخ فيهم ليعالجوها .. ثم ما يلبث أن يتحول الصراخ الى عويل وبكاء ورجاء دون جدوى ..وتوسل .. كانت تضرب فى ذراعها المشلول ليتحرك .. ليستجيب دون أمل .. أغمضت عينيها وتمنت لو كانت والدتها على قيد الحياة .. لتلقى .. بنفسها بين ذراعيها .. وتبكى الى أن تنضب دموعها .. شعرت بأنها فى أمس فتحت ..الحاجة لذلك الحضن الحانى .. يحيطها ويحميها ويبث الأمل فيها عينيها على واقعها المر .. تتذوقه كالعلقم فى فمها .. ليس لكِ أحد فى هذه الدنيا يا "سمر" .. أنتِ وحدك .. ستواجهين واقعك بمفردك .. يجب أن تصبحى أقوى أو أن .. حتى تستطيعي الاستمرار فى هذه الحياة .. لا تأملى أن يساعدكِ أحد يحنو عليكِ أحد .. أو أن يبكى عليكِ أحد .. أنتِ بالنسبة للجميع لا أحد يا "سمر" ولا لأى أحد .. .. "و لا لـ" فيروز .. ".. لا تعنين لهم أى شئ .. لا لـ "باهر

ظلت عيناها الدامعتان معلقتان بسقف الغرفة وشفتيها ترتجفان وهما يتذوقان ملوحة دمعها .. رفعت كفها لكى تمسح تلك العبرات .. لكنها أعادت كفها الى مكانه مرة أخرى .. ما فائدة مسح تلك العبرات .. إن كان هناك المزيد منها .. وسقط المزيد !

الفصل الحادى عشر

ملء الصغير "فريد" حياة الجميع بالبهجة حتى كادت حادثة القتل ان تصبح في طي النسيان .. فقط "عدنان" كان عقله يعمل دون توقف ؟؟ أصبح حذراً بدرجه كبيرة.. وأصبحت ثقته بـ "مهند" كبيرة .. أعطاه المزيد من الصلاحيات التي أثبت عن جداره استحقاقه لها .. لم يخن "مهند" ثقة عمه قط في اي أمر من أمور العمل.. وظل كاتماً أميناً لأسرار العمل .. فاطمئن قلب "عدنان" بوجود "مهند" الي جواره .. يعمل معه يدا بيد وبقلب مخلص .. رأي "عدنان" فيه ابنه الذي فقده.. ورآي "مهند" فيه الاب الذي افتقده

أما "سمر" فغرقت في أحزانها وآلامها .. ظنت أن ما هي الا أيام حتي نعود الأمور الي سابق عهدها .. لكنها كانت مخطئة .. بقي الوضع علي ما هو عليه .. بل وتحول الي الأسوا .. باعت "فيروز" الشركة لكنها أخفت عن "سمر" بالمبلغ الحقيقي الذي تسلمته .. وطلبت من المشتري كتابة العقد بمبلغ اقل مما اتفقا عليه .. شعرت "سمر" بالصدمة .. فها هو مالها يتناقص .. وبقائها في المستشفي يطول .. ولا أمل يلوح في الافق .. شعرت بالدنيا تظلم امام عينيها.. ولا تدري سبيلا لعبور الازمة .. ولا تدري سبيلا للتخفيف من آلام قلبها المكلوم .. شعرت بتفسها تهفو الي شئ ما .. شئ لا تدري كنهه .. لكنه شئ تحتاج اليه بشدة .. مرت عليها الايام كئيبة مظلمة خاوية مملة وهي تقضيها داخل حجرتها في المشفي دون ادني رغبه لديها لعبور باب غرفتها .. او للذهاب الي اي مكان

.. كان لديها امل ان تاتي الفحوص الاخيرة مبشرة .. لكن املها خاب عندما قال : لها الطبيب

للاسف لا يوجد اي استجابه .. ولم نستطع ان نتوصل الي السبب الذي ادى - الي شلل ذراعك .. تلقيتي ضربة علي مؤخرة رأسك تسببت في تورم لعله هو الذي تسبب في ذلك الشلل .. ولكن علي الرغم من شفاء هذا التورم يوما بعد يوم الا ان ذراعك مازال وضعها كما هو .. حتي مع العلاج الطبيعي لم تظهر اي آسف .. لم يعد بوسعنا فعل شئ .. عليكي التأقلم علي العيش بذلك ..استجابه الذراع المشلول

كانت كلماته مقتضبة واضحة كما لو كان يلقي محاضرة علي مسامع احد طلابه لكن وقع تلك الكلمات علي":سمر" كان قاسياً كقسوة حجر سقط في بركة .. ماء فأحدث بها دوامات لا نهاية لها .. تنهدت في حسرة وهي تنظر الي ذراعها تتحسسه .. تقرصه .. تضربه .. تبكي .. تنتحب .. تسكن .. تغمض عينيها في .. ! ألم

****

وقف "دياب" في شرفة بيته مع ابنته الصغيره يقبل وجنتها بين الحين والاخر : .. دخلت "سحر" لتقول بروتينيه

الاكل جاهز يا دياب -

دخل "دياب" وجلس بجوار زوجته علي الارض أمام الطبلية.. واجلست الصغيرة بجوارهما واعطتها قطعة خبز تتلهى بها .. قال "دياب" وهو ""سحر ينظر اليها:

بأت عسوله اوي يا "سحر" .. نفسي تكبر عشان امشى بيها في الشارع .. - "هي هتمشي امتي يا "سحر

: قالت "سحر" وهي تدس احدي اللقيمات في جوفها

لسه كام شهر كده -

: تناول "دياب "طعامه وهو يرمق "سحر" بنظراته قائلا

سحر" بعد ما نخلص اكل نفسي كدة تسرحي شعرك واشوفك بحاجه جديدة" -

: قال "سحر" دون ان تنظر اليه
طيب -
انتهيا من طعامهما وجلس "دياب" يتابع التلفاز .. بعدما انتهت "سحر" من
: جلي الصحون اخذت الصغيرة الى الفراش .. فقال "دياب" مبتسما
متنسيش .. ها -
: قالت بتافف وهي تدخل غرفة النوم
طيب قولنا -
اندمج "دياب" في مشاهدة احد البرامج الي ان انتهي .. قام وسار علي اطراف
اصابعه ليفاجا بـ "سحر" تغط في النوم بجوار طفلتهما .. اقترب من الفراش
: ببطء ومسح علي شعرها هامسا
"سحر" -
فتحت "سحر" عينيها وهي تتطلع الي الصغيرة النائمة ثم تنظر الي "دياب"
: شذرا فقال هامسا
تعالي نعد مع بعض شوية النهاردة يوم اجازتي -
: قالت بنفاذ صبر
طيب هنام شويه وبعدين نعد مع بعض -
: قال مبتسما وهو ينظر الي الصغيرة
فرصه انها نايمة .. نعد مع بعض برواقه -
نهضت "سحر" بتثاقل واوشكت علي الخروج معه من الغرفه فالتفت ليقول لها
: بحنان
مش هتعملي زي ما قولتلك .. سرحي شعرك والبسي حاجه حلوة -
فعلت "سحر" ما طلب بتبرم .. وخرجت لتجده قد اعد كوبين من الشاي الساخن
جلس متجاورين علي الاريكة الوحيدة في المنزل ..اقترب منها "دياب" وقال ..
:
عارفه يا "سحر" .. انتي و "منه" اللي مهونين عليا التعب اللي بشوفه في -
.. شغلي .. لما بجيبلكوا حاجه في ايدي وانا راجع من الشغل ببقي مبسوط اوي
مع اني نفسي أقلل ساعات شغلي عشان اعد معاكوا اكتر
: قالت "سحر" علي الفور
ازاي يعني يا "دياب" تقلل ساعات شغلك ده يدوبك المرتب مكفينا حتي مش -

عارفين نحوش ونشي حاجه للزمن
مسح "دياب" علي شعرها قائلا
معلش يا "سحر" .. انا نفسي والله اعيشكوا احسن عيشه .. بس اديكي شايفه مفيش في ايدي حاطه الا وبعملها .. نفسي مخلكيش انتي و "منه" نفسكوا .. في حاجه ابدا
: قالت "سحر" مبتسمه
"ربنا يخليك لينا يا "دياب -
: اتسعت ابتسامته قائلا
ايوة كدة اضحكي يا شيخه .. الدنيا بتضلم في وشي لما بشوفك مبوزه ومنكده - كده
: اختفت ابتسامه "سحر" وقالت بحنق
هو انا يعني ببوز بمزاجي .. حد قالك اني بحب النكد .. انا بيبقي طالع عيني - طول النهار مع بنتك .. وكمان امك ساعات بتزود الطينه بله وتقفلي اليوم
: قال بحنان
معلش يا "سحر" استحمليها ست كبيرة برده .. وبتحبك والله -
: نظر "دياب" الي ملابسها الرثه والي البقع الزيتيه عليها وقال
مفيش حاجه تانيه غير دي تلبسيها -
:قالت "سحر" بتأفف
خلص يا دياب .. مش وقته .. البت هتصحي -
: عقد جبينه قائلا
ايه خلص يا "دياب" دي ؟ -
: قالت "سحرط بنفاذ صبر وهي تنظر لأعلي
ده لسه بيسأل -
: قال "دياب" بحنق وهو يعتدل فى جلسته
انا كنت عايز اعد معاكي نتكلم .. اشوفك لابسه حاجه حلوه .. ليه يا "سحر" - معدتيش بتهتمي بنفسك .. ليه معدتيش بتهتمي بيا
: قالت "سحر" منفعله
يعني ايدالك انت وبنتك وامك صوابعي العشرة ومش عاجب .. برده مقصرة -
: قال "دياب" بعصبيه

اه مش مقصرة في البيت ولا مع "منه" بس مقصرة معايا انا ... انا راجل يا - "سحر" .. انتي متعرفيش البلاوي اللي بشوفها بره .. المفروض انتي مراتي وتملي عيني

: نهضت "سحر" بعصبيه وقالت

مش أنا مش ماليه عينك .. خلاص سيبني في حالي بأه -

: نهض "دياب" وامسك ذراعيها قائلا

يا "سحر" مقولتش انك مش ماليه عيني -

: ثم قال

استني هنا -

وقفت تنتظره بينما دخل الغرفه وعاد حاملا خمسون جنيها دسها في يدها وقال : مبتسما

خدي دول يا "سحر" هاتي اللي نفسك فيه .. شوفي حاجه حلوة كدة تلبسيها - .. ماشي

: قالت "سحر" بدهشه وهى تنظر الى الخمسون جنيهاً فى يدها

"وايه لزمة المصاريف دي يا "دياب -

: تنهد "دياب" قائلاً

مش عايز عيني تشوف غيرك يا "سحر" .. افهمى بأه -

****

طرقت "الميس" باب غرفة "نهال" والتى كانت جالسه فوق فراشها تنقر بأصابعها فوق حاسوبها .. أذنت لها بالدخول .. اقتربت "الميس" والبسمه على : قالت بحنان .. محياها

حبيبتى "نهال" .. بألنا كتير متكلمناش مع بعض -

: اعتدلت "نهال" فى جلستها وأشارت لـ "الميس" للجلوس بجوارها .. ثم قالت

يعني يمكن عشان مفيش حاجة نتكلم فيها -

: قالت "الميس" بنفس الإبتسامه

احساسك ايه وانتى خلاص معدش الا أيام وتدخلى الجامعة -

: سرحت "نهال" بخيالها قليلاً وكأنها تتذوق السؤال .. ثم قالت

- بصراحة متحمسة ومبهورة .. بس فى نفس الوقت خايفة وقلقانه
قالت "لميس" بحكمة :
- احساسك ده حاجة طبيعيه متقلقيش .. أهم حاجه انك تحطى لنفسك خطوط حمرا ويكون ليكي شخصيتك المستقلة
أطلقت "نهال" ضحكة رنانه اختفت لها ابتسامة "لميس" .. رفعت كفها على الفور وقالت وهى تكتم ضحكها :
- سورى مش قصدى .. بس انتى بتقولى نفس الكلام اللى "فريدة" قالتهولى .. حسيت ان "فريدة" هى اللى بتكلمنى
قالت "لميس" وهى تؤمئ برأها :
- "فريدة" بنت عاقله ده رأيى فيها من يوم ما شوفتها
عادت "نهال" الى الإهمام بشاشة حاسوبها .. كادت "لميس" أن تنهض راحله .. لولا جملة "نهال" التى جمدتها فى مكانها :
- تفتكرى ممكن حد يحبنى يا "لميس" ؟ .. بس راجل .. مش شاب صغير
جلست "لميس" فى مكانها مرة أخرى وهى تنظر الى "نهال" بإهتمام وقالت :
- لسه السؤال الغريب ده ؟
هزت "نهال" كتفيها وهى تعقص شعرها الى الخلف وقالت :
- سؤال مش أكتر .. يعني ممكن راجل أكبر منى بكتير يحبنى .. ولا هيشوفنى عيله
صمتت "لميس" قليلاً تحاول تخير كلماتها .. فيجب أن يكون ردها موزوناً ..
لكن قبل أن تنتهى من تخير كلماتها .. أعقبتها "نهال" بقولها :
- بس أنا بحب أحكيلك .. بصى يا "لميس" . .انتى عارفه اننا صحاب من زمان على كل حاجه .. لانك مش بتفرضى حاجه عليا ومحسسانى اننا صحاب ..
وكمان لما بقولك حاجه بتفضل سر بيني وبينك ومش بتقوليها لحد لا بابا ولا ماما ولا عمو ولا عمتو ولا أى حد
أومأت "لميس" برأسها وقالت على الفور :
- طبعاً يا "نهال" أى حاجه بتحكيهالى بتكون بيني وبينك
قالت "نهال" وسحابة حزن تمر أمام عينيها :
- بصراحة .. فى حد أنا معجبه بيه .. لأ مش معجبه بيه .. أنا بحبه . .بحبه أوى .. بس مش حاسس بيا يا "لميس" .. مش حاس بيا خالص

: تحكمت "لميس" فى هدوءها .. وقالت بنبره عادية
عرفتيه منين الواحد ده -
: قالت "نهال" وهى تنظر اليه كمن أذنب ذنباً
عايش معانا هنا فى البيت -
: اتعت عينا "لميس" وهمست
مهند" ؟" -
أومأت "نهال" برأسها .. عقدت "لميس" ما بين حاجبهيا .. وبدا عليها القلق
: لكنها استطاعت أن تتحكم فى نبهر صوتها وتبقها هادئة وقالت ..
احكيلي .. ايه حصل بينكم -
:ُقالت "نهال" بحزن
محصلش حاجه .. بس هو أعتقد انه حس انى بحبه .. لانه بيصدنى أوى .. -
وكل شوية يقولى انتى زى أختى "فريدة" .. أصلاً مش مدى لنفسه فرصه حتى انه يفهمنى .. لو فهمنى ممكن فعلاً يحبنى
: ثم نظرت الى "لميس" قائله
تفتكرى ممكن يحبنى ؟ -
: ربتت "لميس" على قدمها وتنهدت قائله
بصى يا "نهال" .. الفرق بينك وبني "مهند" كبير .. مش صغير .. ومش فى -
السن بس .. فى الشخصية والتفكير .. أنا حسه انك مشاعرك نحيته مش حب ولا حاجه .. ممكن تكون اعجاب بشخصيته مش أكتر
: قاطعتها "نهال" قائله بعناد
لا أنا واثقة من مشاعرى كويس -
: أومأت "لميس" برأسها وتحدثت بهدوء وقالت
خلاص .. خلى الموضوع ده على جمب دلوقتى .. وبكرة الأيام هتثبتلك اذا كان - حب ولا اعجاب
: ثم ابتسمت وهى تمسح على شعرها قائله
أهم حاجه دلوقتى تستعدى كويس للمرحلة الجديدة اللى انتى داخله عليها .. -
ماشى حبيبتى
أومأت "نهال" برأسها مبتسمه
خرجت "لميس" من غرفتها وعقلها لا يتوقف عن اتفكير .. كيف تنقذ "نهال"

من تلك المشاعر التى تجتاحها .. كيف تقوم سلوكها ومشاعرها وأفكارها ..
تنهدت فى حسرة .. كيف تفعل ذلك فى ظل وجود أبوان مثل "حسنى" و
: "يسرية" .. التفتت لتنزل الدرج فقابلت "مهند" صاعداً .. ابتسمت قائله
ازيك يا بشمهندس -
: أومأ برأسه وقال
"الحمد لله يا مدام "لميس -
: تجاوزها فالتفت اليه وقالت
بشمهندس -
توقف والتفت اليها مستفهماً .. أغمضت عينها للحظة ثم نظرت اليه بإمتنان
: شديد وقد لمعت عيناها قائله
عايزة بس أقولك .. أنا من أول ما شوفتك وأنا بحترمك وبثق فيك .. والحمد لله -
طلعت عند حسن ظنى فيك
: نظر اليها "مهند"بإستغراب فقالت مبتسمة وهى تتوجه الى الدرج
متشغلش بالك .. حبيت بس أقولك كده -
.. نزلت الدرج قبل أن تترك له فرصة للرد .. تقدم "مهند" من غرفته ببطء
والتفت ينظر الى باب غرفة "نهال" المغلق .. ثم .. توجه الى غرفته فى صمت

****

.. جلست "سمر" فى شرفة غرفتها على مقعد وثير .. تتأرجح للأمام والخلف
تتطلع الى تلك السماء الصافية .. ودت لو اختفى العالم من حولها .. وبقيت تلك
"السماء فحسب .. تنهل من صفائها .. وجمالها .. أخرجها من شرودها "فيروز
: التى دخلت قاله بلهفه
سمر" تعالى فى ناس عايزين يطمنوا عليكي" -
اتفتت "سمر" تنظر الى "فيروز" بتأنقها وزينتها .. ثم قالت بوهن وهى
: تتحسس ذراعها الأيسر المشلول
مش عايزه أشوف حد -
جذبتها "فيروز" من ذراعها السليم .. فنهضت "سمر" بتأفف .. أدخلتها الغرفة
وأقفقتها أمام التسريحة وشرعت فى وضع بعض الزينة على وجهها .. قالت

: ٍسمر" بإستغراب"
كل ده عشان ناس جايين يطمنوا عليا .. مين الناس دول أصلاً -
: قالت "فيروز" بينما كانت تزينها بإهتمام
ناس صحابى عرفوا باللى حصل وجايين يطمنوا عليكي .. مش معقول -
هتخرجيلهم ووشك بهتان كده
: أزاحت "سمر" يد "فيروز" بضيق وأبعدت وجهها قائله
خلاص كفايه -
خرجت "سمر" خلف "فيروز" .. وفجأة تجمدت الدماء فى عروقها .. واكفأرت .. أساريرها عندما تطعت الى ذاك الرجل البغيض الذى التهمتها عيناه من قبل نظرت بتقزز الى شعره الأشيب ووجه السمين .. وجلست متأففه على أحد المقاعد بينما قدمتهما "فيروز" الى بعضهما البعض .. مرت الدقائق ثقيله على بدا مهتماً بها بشكل كبير .. عرفها بأنه ذو جنسية عربية .. قادم الى .. نفسها تركيا فى زيارة عمل مضى منها أكثر مما بقى .. كان حديثه جاثماً على صدرها كثقل ودت لو استراحت منه .. لم تفتح فاها بإستثناء بعض الابتسامات البسيطة العصبية المجاملة .. وعندما فقدت القدرة على تحمل نظراته الموصبة تجاهها .. نهضت واستأذنت لدخول غرفتها تحت نظرات "فيروز" الحانقة
رحل الضيف سريعاً بعد مغادرتها لمجلسه .. دخلت "فيروز" غرفتها قائله
: بحنق
الراجل جاى يطمن عليكي .. ليه سبتيه وقومتى كده -
: قالت "سمر" ببرود دون أن تنظر اليها
ده صحبك انتى مش صحبى أنا .. وبعدين الراجل ده مبطيقوش -
: قالت "فيروز" مبتسمه بلؤم
لو عرفتى هو عايز ايه هتطقيه يا حبيبتى -
التفتت اليها "سمر" ترفع حاجبيها مستفهمة فجلست "فيروز" بجوارها على
: الفراش وقالت
هيبعتك بره عند أحسن دكاتره فى أى بلد تختاريها .. ولو فى عمليه هيعملهالك -
: تجعد جبين "سمر" بدهشة شديدة .. وهتفت قائله
ازاى يعني -
: اتسعت ابتسامة "فيروز" وهى تقول

- زى ما بقولك كده
تحولت دهشة "سمر" الى خوف .. وقالت بقلق :
- مقابل ايه ؟
ربتت "فيروز "على ذراعها المصاب كما لو كانت تذكرها بوضعها الصحى .. ثم قالت :
- تتجوزيه .. جواز مسيار
هتفت "سمر" بحده :
- نعم .. أتجوزه .. انتى اتجننتى
تحولت ملامح "فيروز" من اللين الى القسوة وهى تقول بعنف :
- أيوة تتجوزيه .. انتى مش شايفه الوضع اللى احنا فيه .. الشركة اتباعت برخص التراب .. ومصاريف فحوصاتك وقاامتك فى المستشفى كانت عالية جدا "أولف ادفعت عشان علاجك وعشان فحوصاتك .. احنا قربنا نفلس يا "سمر ..
لمعت ادموع فى عيني "سمر" وقالت :
- ازاى يعني .. ازاى الشركة اتباعت برخص التراب .. أنا لحد دلوقتى مش قادرة أصدق .. ليه بعتيها كده
قالت "فيروز" ببرود :
- كنتى عايزانى أعمل ايه يعنى .. الدكاترة كانوا طالبين مبالغ كبيرة عشان علاجك .. كنت أقولهم مفيش .. وبعدين انتى اللى قولتيلى بيعى الشركة وعالجيني .. مش ده طلبك
قالت "سمر" بمرارة وهى تسمك ذراعها المصاب :
- وياريتنى اتعالجت .. أنا زى ما أنا مشلوله .. وهفضل كده
أجهشت "سمر" فى البكار وهى تخفى وجهها بكفها .. وجت لو ألقت بنفسها بين أحضان "فيروز" .. بين أحضان أى أحد .. فقط تريد الشعور بذراعين تلتفان حولها .. وصدر يكن كوسادة يستقبل دموعها فى حنان .. لكن "فيروز" لم تفعل .. بل قالت ببرود :
- لو عايزة ترجعى تانى سليمة يبأه توافقى على الجواز .. مش هتلاقى جوازه أحسن من كده .. يارتنى أنا اللى كنت عجبته
ثم تحولت نبرتها الى السخرية وقالت :
- لكنه عايز بنت بكر

رفعت "سمر" رأسها بحده تنظر اليها بألم .. فقط لتجهش فى البكاء مرة أخرى
: .. قالت "فيروز" بحماس
- الراجل غنى جداً وهيسعدك .. وكفاية انه مستعد يسفرك أى بلد تختاريها
تقضوا فترة جوازكوا ويكشف عليكي عند أحسن الدكاتره
: توقفت عن البكاء وقالت بألم
- يعني ايه تقضوا فترة جوازكوا ؟
: قالت "فيروز" بسخرية
- وانتى فاكرة انه هيتجوزك طول العمر ولا ايه .. هى الحكاية كلها كام شهر ..
يعني كام شهر وهتخلصى منه .. بس هتستفادى انتى بمهر وشبكة وكل اللى
هتتشرطيه .. كل أوامرك هتكون مجابه .. الراجل غنى جداً أغنى مما تتصورى
ومش هيستخسر فيكي أى حاجه لانك داخله مزاجه

فكرت "سمر" وهى حائرة فى أمرها .. فهى لا تدرى شرعية ذلك الزواج .. ولا تدرى حتى معنى زواج مسيار .. كل ما تعمله بأنها تشعر بإنقباض فى صدرها تركتها "فيروز" لتفكر .. لكن "سمر" كانت تشعر بحاجتها الى شخص ما .. تتحدث معه ويدلها .. لم تجد ممن تعرفهم شخص يصلح لتلك المهمة .. فلجأت الى أحد المساجد الكبيرة فى اسطنبول .. أرادت الحديث مع أحد الشيوخ ..
أعطوها بالمسجد رقماً وأخبروها بأنه رجل صالح وسيجيب فتواها .. اتصلت به .. بقلب مضرب .. أسمعته سؤالها بأنفاس متلاحقة .. مضطربة .. وبنبرة باكية
: .. ساد الصمت الى أن قال
- يا بنتى ربنا يحفظك .. زوج المسيار ده لو استوفى جميع شروطه وأركانه
يبقى زواج شرعى .. أما لو خلى من أحد الشروط يبقى محرم .. الشروط هى موافقة الطرفين واذن الولى والشهود وعقد صحيح .. والفرق بينه وبين الزواج المتعارف عليه هو ان فى زواج المسيار بتتنازل المرأة عن حق السكن والنفقة .. "تجعد جبينها وهى تستمع اليه بإهتمام .. فليس هذا ما أخبرتها به "فيروز أخبرتها بأنه ينفق عليها ببزخ .. وأنه سيعامها كملكة متوجة .. أكمل الشيخ
: قائلاً
- .. وخلى بالك يا بنتى .. من شروط الزواج الصحيح انه لا يكون محدد بمدة
..يعني لو الطرفين اتفقوا على مدة محددة لانتهاء الزواج بالطلاق .. ده محرم

لانه كده أصبح زواج متعه .. والنوع ده من لزواج محرم ومشهور عند الشيعة ..قبحهم الله .. الراجل يتفق مع امرأة على الزواج لمدة محددة يوم يومين شهر ..ثم يتطلقان بعدها .. ويسمى بزواج المتعة .. وهذا ليس بزواج بل هو باطل لانه تحدد بمدة محدده يتطلق الطرفان بعدها

ازدادت امارات الغضب على وجه "سمر" .. كانت تشعر بريبة فى نفسها لكنها .. لم تكن لتظن أن تدفعها "فيروز" الى زواج باطل .. ما هو الا تستر على .. الزنـــا

: دخلت "سمر" المنزل كعاصفة هوجاء وهى تصيح

انتى كنتى عارفه ان الجواز بالطريقة اللى انتى بتقوليها دى باطل مش كده يا - "فيروز"

نظرت اليها "فيروز" بدهشة بينما كانت تحتسى كوباً من العصير وتضع أحد : أقنعة البشرة على وجهها .. قالت ببرود

مين قالك انه باطل -

: هتفت "سمر" بحده وهى تمسك ذراعها المصاب

سألت شيخ .. قالى انه باطل .. قالى انه زى جواز المتعه عند الشيعه .. انتى - "ازاى تعملى فيا كده .. ازاى تعملى فيا كده يا "فيروز

: نهضت "فيروز" وقالت بعصبية

مفيش أدامنا حل تانى غير كده -

: نظرت اليها "سمر" بتقزز شديد وقالت

حقيرة -

: انفعت "فيروز" خلفها وأمسكتها من ذراعها لتوقفها وقالت بلهفة

طيب لو واحد وافق انه يتجوزك جواز عادى .. رسمى .. توافقى ؟ -

التفتت "سمر" تنظر اليها .. صدرها يعلو ويهبط بسرعة .. قلبها تتسارع نبضاته .. حيرة وألم وكسرة على عينيها .. تلمست ذراعها مرة أخرى ونظرت ساكن .. لا يتحرك .. تجمعت العبرات فى عينيها وهى تتطلع الى ..اليه

: التى قالت "فيروز"

محدش هيرضى يتجوزك كده .. مين هيتجوز واحدة مشلولة زيك .. اعملى - العميلة وبعدها لو مرتحتيش ابقى اطلقى

شعرت "سمر" بغضة فى حلقها .. قالت وهى تسمع صوتها وكأنه قادم من بئر سحيق :

ومين اللى هيرضى يتجوزنى ويعملى العملية ؟ -

ابتسمت "فيروز" وقالت بأعين تلمع بدهاء :

متخفيش .. كتير .. بس مش شاب صغير وحليوه .. لازم تتنازلى شوية -

قالت "سمر" وهى تنظر اليها بألم :

يعني راجل عجوز زى صاحبك -

قالت "فيروز" بحماس :

.. وايه المشكلة .. راجل عجوز رجله والقبر .. عايز يتصابى ويرجع شبابه - وكلها كام سنه ويموت .. ويمكن شهور كمان .. وتورثى انتى كل حاجه

أطرقت "سمر" برأسها تغشى عيناها العبرات .. رفعت "فيروز" وجه "سمر" بيدها وهى تقول :

لو سمعتى كلامى هتكسبى يا "سمر" .. لكن لو فضلتى معانده هنخسر كل - حاجه وهنلاقى نفسنا فى الشارع .. لو عايزة تتعالجى وتخفى وترجع ايدك تتحرك زى الأول .. يبقى وافقى

بلعت "سمر" ريقها بصعوبة .. ثم رفعت رأسها ونظرت الى "فيروز" للحظات قبل أن تقول بعناد وصرامة :

بس جواز شرعى .. مش مسيار ولا متعة ولا أى مسمى تانى .. جواز شرعى - يا "فيروز" .. غير كده مش هقبل

اتسعت ابتسامة "فيروز" وهى تقول بلهفة :

متقلقيش .. خلاص زى ما تحبي -

دخلت "سمر" غرفتها .. ألقت بجسدها فوق فراشها .. جسد بلا روح .. بلا حراك .. بلا حياة .. تماماً كذراعها المشلول .. شعرت بأن الشلل امتدت لكل جسدها .. شعرت بجسدها كله مشلول .. معطوب ... محطم .. بل شعرت بإمتداد الشلل الى روحها .. الى قلبها .. الى عقلها .. أغمضت عينيها دون أن تقوى ..على النهوض لتبديل ملابسها .. حتى ملابسها لم تعد تستطيع تبديلها بمفردها تحتاج الى الخادمة .. فى كل شئ .. تعتمد عليها حتى فى تصفيف شعرها .. لم تعد تصلح لأن تكون زوجة وأم مسؤلة عن بيت وأولاد .. لم تعد تصلح لأى شئ

.. كانت "فيروز" على حق .. من ذا الذى سيرغب فى الزواج منها .. من أراد تكوين أسرة فسيبحث عن زوجة سليمة .. غيرها .. ليس أمامها سوى الموافقة على الزواج من رجل لمجرد أن تنعم بماله .. وأن يتكلف مصاريف علاجها .. إما وإما تبقى فى ظلام غرفتها .. حبيسه وحدتها .. تتجرع أحزانها .. تبكى .. ذلك وتنتحب .. تصرخ وتتألم .. دون أن يشعر بها أحد .. دون رفيق أو صديق أو قريب.. .. لمعت العبرات فى عينيها لتسقط على وجهها ساخنة .. حارقة ابتسمت بسخرية مريرة .. هتفت فى نفسها .. لقد حافظت على نفسى سنوات وسنوات رغم من حولى من ذوى الأخلاق السافرة .. والتصرفات المتحرره .. حافظت على نفسى لكى أتزوج الآن .. كبائعــة هــوى .. .. والنوايا الدنيئة جســد مقابــل مــال !

****

جلست "فيروز" وأمامها حاسوبها تتفقد ايميل زوجها الراحل .. قاطعها صوت جرس الباب الذى أخذ يصرخ فى اصرار .. رأت الخادمة وهى تتوجه الى الباب لفتحه .. ثم تطل صديقتها القريبة الى نفسها .. حيتها "فيروز" بإبتسامة مرحبة دون أن تنهض .. بينما اقتربت صديقتها مقبلة اياها .. تبادلا عبارات المجاملة .. ثم قالت صديقتها :

- قوليلى "سمر" قالتلك ايه .. وافقت ؟

ارتسمت امارات الضجر على وجه "فيروز" ولوحت بكفها قائله :

- لا موافقتش .. بتقول يا جواز عادى يا مش هتوافق

جلست صديقها بجوارها على الأريكة الوثيرة وهى تقول :

- مش عارفه تقنعيها يا "فيروز"

قالت "فيروز" بنفاذ صبر :

- أنا أصلاً ما صدقت انها وافقت على فكرة الجواز .. مش عايزاها تشم نفسها وتعند معايا تانى

قال صديقتها بحيرة :

- ومين ده اللى هيتجوزها وهى كده

قالت "فيروز" وهى تعاود النظر الى الشاشة :

كتير .. فى بالى شخص معين بس للأسف محتفظتش برقمه .. هو كان صديق - حمدى" .. وكان على تواصل معاه لما بيكون مسافر .. كنت بشوف "حمدى" " يكلمه على الايميل .. أديني أعده بدور على ايميله

: مطت شفتيه قائله

بس أكيد ايميله مش بإسمه .. لانى دورت فى الايميلات كلها اللى عند - "حمدى" وملقتش اسمه

: قالت صديقتها بلا مبالاة

دورى فى الرسايل يمكن يكون بعتله رسالة تفهمى منها انه هو -

تحرك السهم ليضغط على صندوق الرسائل .. مررت عينيها على الأسماء من

: الخارج تبحث عن الاسم المنشود بينما صديقتها تقول

اشمعنى ده يعني اللى بتدورى عليه -

: قالت "فيروز" وهى مستمرة بالبحث

راجل كبير .. تركى .. غنى .. طلب ايد "سمر" من "حمدى" قبل كدة بس - "حمدى" رفض

رفض ليه ؟ -

: قالت "فيروز" بضجر

عشان سنه كبير -

: فجأة صاحت صديقتها قائله

استنى .. استنى .. انزلى تحت تانى -

فعلت كما طلبت صديقتها .. فاتسعت عينا "فيروز" دهشة .. وهتفت صديقتها

: بدهشة وهى تتطلع الى أحد الأسماء

معقوله .. مش ده حبيبك القديم يا "فيروز" .. ولا ده تشابه أسماء ؟ -

: تجمدت "فيروز" وهى لا تزال تتطلع الى الاسم بدهشة .. فهتفت صديقتها

انتى كنتى عارفه ان بينه وبين جوزك بيزنس -

قالت "فيروز" ببطء وهى تفتح الرسالة .. تلتهما عيناها وعين صديقتها ..

: تقرآن الرسالة بإهتمام

فعلاً هو .. مش ممكن !! .. "حمدى" مجابليش سيرة أبداً -

لمعت عينيها واتسعت ابتسامتها وهى تدون بياناته على احدى الأوراق بجوارها

: وتهتف ضاحكة

كنت بدور على راجل ولقيت راجل تانى -
: قالت بسعادة ببالغة ودهاء شديد
بس اللى لقيته أحسن مليون مرة من اللى كنت بدور عليه -
: نظرت اليه صديقتها بخبث وقد فهمت ما ترنو اليه صديقتها قائله
وهتعملى ايه دلوقتى ؟ -
: قالت "فيروز" بثقة وحماس
! هنرجع مصـر -

****

جلست "انجي" متكئة علي الأريكه تداعب الصغير "فريد" النائم في عربته ..
: ابتسمت لها "بيسان" قائله
عقبالك ان شاء الله لما يكون عندك بيبى قمر كده -
: قالت "انجي" بسخريه
مش باين -
: اختفت ابتسامة "بيسان" وقالت
مفيش امل ترجعوا لبعض -
: نظرت اليها "انجي" وقالت وامارات التقزز علي وجهها
مش ممكن ارجعله ابدا .. انسان مقرف .. خيانه وضرب واهانه .. خلاص -
جبت اخري معاه
: نظرت اليها "بيسان" بحزن وقالت
حذرتك كتير يا انجي قولتلك مش مريح .. حتي لما عاكسني وانتوا مخطوبين -
جيت قولتلك علي طول .. حتى صحابنا كانوا عارفين ان أخلاقه مش تمام
: تنهدت "انجي" قائله بنفاذ صبر
كنت فاكراه هيعقل بعد الجواز .. بس ديل الكلب بأه -
: ربتت "بيسان" علي قدمها قائله بحنان وهي ترمقها بنظرات عطوف
معلش .. بكرة ربنا يعوضك باللي أحسن منه -
: في تلك اللحظة دخل نهاد البيت وبيده باقه زهور انيقة .. ابتسم قائلا
"اهلا "انجي -

: ابتسمت انجي قائله

"اهلا بيك يا "نـهاد -

: ثم نظرت الي الباقة التي يحملها بيده وقالت بلؤم

الورد ده عشاني اكيد -

ابتسمت بيسان بينما اخرج "نـهاد" زهرة من الباقه وقدمها الي "انجي" مبتسما

: تناولتها "انجي" منه وقالت بمرح

ميرسي -

التفت "نـهاد" الي "بيسان" وابتسامه عذبه علي محياه يرمقها بنظرات محبه

: مقدما اليها الباقه .. مقبلا وجنتيها .. اتسعت ابتسامة "بيسان" قائله

ميرسي يا حبيبي -

التفت "نـهاد" يداعب الصغير بحنان حاملا اياه بين ذراعيه تحت نظرات المرأتان .. وكل منهما معجبة بصنيعه ! .. دخل "نـهاد" بالصغير .. فالتفتت

: انجى" قائله"

جوزك ده سكر -

: ضحكت "بيسان" قائله

اوعى يسمعك بتقولى كده .. هيتفرعن عليا -

! ابتسمت "انجى" لصديقتها .. لكن تلك البسمة .. بدت مختلفة .. عن سابقتها

****

انطلق "بشير" بالسياره حاملا "نـهال" في النقعد الخلفي .. تلاقت نظراتهما في مراة السياره .. فغض بصره سريعا .. ارتسمت بسمه صغيره علي شفتيه لا تكاد تكون ملحوظة .. وشعر بخفقات قلبه كالطبل في صدره .. لم يتعجب من ذاك الشعور .. فتلك المشاعر تغمره بين جنباتها كلما التقاها .. كلما اقترب منها.. ورغم مشاعره الجارفه تجاهها .. لم يفكر يوما في تخطي علاقة الخادم والمخدوم التي تجمعهما .. اختفت بسمته الصغيره ليحل محلها حسرة كبيرة .. تنـهد بعمق .. وزفر ببطء.. اه لو تعلمين ما يكنه لكي قلبي من مشاعر تكاد تغرقني وتخنقني .. حب يائس بائس لا امل لـه .. حب يجب ان يوأد في مهده ..

.. لكن نفسي لا تقوي علي قتله .. لم استطع .. اعلم ان الاستسلام له يعذبني يقتلني .. لكن ما بيدي حيلة .. تمكن حبك مني حتي تغلغل داخل كياتي وتشبث به بقوة .. لو حاولت نزعه لتخلخل كياتي وتحطم

وقبل .. اوقف "بشير" السياره في المكان المنشود لتهبط منها أميرته الحسناء ان يغادر .. رآي اصدقائها مقبلون نحوها .. تأمل بحنق ذاك الفتي الذي يقترب منها .. ويتحدث معها .. ويمزح معها .. صرخ قلبه .. اشقيني يا أميرتي.. عذبيني .. لكن من فضلك .. اشعري بي .. ولو يوم واحد .. ولو لساعه واحدة.. فلعلك تجدين ضالتك في قلبي الذي ينبض بحبك !

****

نهض "عدنان" من فوق مكتبه .. وتوجه الى مكتب "حسنى" .. لم يجد السكرتيرة بالخارج فأدار مقبض الباب ودخل دون أن يطرقه .. كان الباب يقع على بداية ممر يؤدى الى المكتب .. ومن وقف أمام الباب لا يلاحظه القابعون فى المكتب الا اذا اجتاز الممر .. خط "عدنان" أول خطوة فقط ليسمع أخيه يقول :

- الحجر على "عدنان" هو اللى هيحفظلنا حقوقنا

تسمر "عدنان" فى مكانه وتجمدت ملامحه .. تنامى الى مسامعه صوت "يسرية" وهى تقول :

- أخيراً اقتنعت .. أنا و"كوثر" ريقنا نشف عشان نقنعك

قال "حسنى" بضيق :

- أعمل ايه مفيش حل تانى .. من يومين أخويا المحترم رفض صفقة كبيرة هتدخلنا مبالغ طائلة .. ورفضها ليه .. عشان بيقول ان صاحب الشركة حرامى وفلوسه حرام .. طيب احنا ملنا وماله حرامى ولا مش حرامى .. دى حاجه تخصه .. ليه نسيب صفقة زى دى تضيع من ايدينا

قال "علاء" بحنق :

- عمى بجد زودها أوى .. لا واللى زاد وغطى .. "مهند" باشا .. تحس انه نسخة مصغرة من عمى .. يمكن أمر منه كمان

قال "نهاد" بقلق :

- يا جماعة بس الموضوع ده ممكن يقضى على عمى .. يعني أكيد هيتألم

وهيتصدم لما يلاقينا رافعين عليه قضية حجر .. مش بعيد يروح فيها
قالت "يسرية" بحزم :
- لا متخافش عمك ده عامل زى القطط بسبع أرواح .. ده محدش يقدر عليه .. راجل جبروت
قال "نهاد" بسخرية :
- وطالما راجل جبروت .. هتثبتوا ازاى ان مخه لسع
كان "عدنان" يستمع الى ذلك الحديث كما لو كان سكاكين تنهض فى قلبه وصدره وجسده .. ولكن القشة التى قصمت ظهر البعير هو أخيه "حسنى" الذى قال :
- هنقدر نثبت .. حتى لو بالكدب .. أخويا لا عنده زوجه ولا أولاد .. يعنى فلوسه كلها من حقنا احنا .. احنا الورثه ولازم نحافظ على ورثنا ونحميه

اكتفى "عدنان" بما سمع .. خط خطوة ثانية فى اتجاه المكتب .. ود لو ظهر لهم وأفرغ فيهم جام غضبه وطردهم جميعهم من الشركة ومن الفيلا ومن حياته كلها .. لكنه أراد الانتقام منهم .. وبتلقينهم درساً لا ينسوه .. فتح الباب ببطء وخرج بهدوء كما دخل .. أغلق باب مكتبه بعصبيه واستند بكفيه على المكتب يحاول تنظيم ضربات قلبه المسارعه وهو يضم أسنانه لبعضها البعض ويقول بقسوة بالغه :
- آه يا ولا التيييييييييييييييييت .. والله لأربيكوا يا عيلة "زياكيل"
وأن .. ازداد غضبه وهو يتذكر كلمات "حسنى" .. بأنه لا يملك زوجه ولا أولاد ميراثه مآله الأخير اليه هو وأخوته وزوجته وأبناؤه .. فى تلك اللحظة دخلت سكرتيرة "عدنان" المكتب لتنبئه بإمرأة تريد مقابلته .. فصرخ بها قائلاً بعصبية :
- مش عايز أشوف حد دلوقتى .. اخرجى واقفلى الباب وراكى
.. ولكن قبل أن تلتفت السكرتيرة للإنصراف .. اتسعت عينا "عدنان" دهشة وهو يتأمل تلك المرأة التى دخلت مكتبه ووقفت أمامه .. التفت يقف أمامها .. مندهشاً .. غير مصدق .. تدور عيناه فى ملامحها .. تتفحصها .. تتذكرها
هتف بدهشة بالغة :
- فيروز !

: ابتسمت "فيروز" ورمقته بنظراتها قائله
كبرت وعجزت يا عدنان -
: ارتسمت علي شفتيه ابتسامه وهو يتأملها قائلا
"وانتي لسه زي ما انتي يا "فيروز -
اشار الي السكرتيرة قائلاً
سبينا دلوقتى -
أومأت براسها وغادرت المكتب بهدوء .. وقف "عدنان" متأملاً اياها وهو يقول :
ياااه مكنتش نتخيل اني هشوفك بعد السنين دي كلها -
: اقتربت منه قائله بدلال
مفاجأة حلوه طبعا مش كده؟ -
قال "عدنان" وهو يرفع حاجبيه ويتكئ بظره علي المكتب عاقداً ذراعيه أمام : صدره
"ايه اللي فكرك بيا يا "فيروز -
: اقتربت منه اكثر ونظرت في عيناه مباشرة وقالت
هتصدقني لو قولتلك اني منستكش ابدا -
: ابتسم بسخريه وهو ينظر اليها بعدم تصديق قائلاً
انتي ناسيه يا "فيروز" اني اكتر واحد في الدنيا دي فاهمك وحافظك .. كلامك - ده ميخلش عليا ابداً
: ثم قال وهو يرفع حاجبيه بتهكم
أمال فين جوزك المصون .. سبتيه في تركيا وجيتى مصر .. ولا طلقك ؟ -
: قالت بلؤم وهي تنظر اليه بنظرة ذات معني
"جوزي مات يا "عدنان -
تجعد جبينه وهو يتأملها يتبين صدق ما قالت .. اقتربت منه حتي لمست ذراعه : بيدها ونظرت اليه قائله بدلال
دلوقتي مفيش تبعدني عنك -
أطلق ضحكة عاليه اغاظتها بشدة .. اختفت ابتسامتها وهي تنظر اليه بحنق .. : توقف عن الضحك أخيراً ليقول
تعرفي .. مش لايق عليكي الكلام ده ابداً -

: اتسمت ملامحه بجديه وهو يسترجع ذكرياته معها قائلاً
انتي اللي فضلتي ''حمدي'' عليا .. كنتي فاكراني هقف محلك سر ومش -
هعرف اكبر ورثي .. طرتى علي ''حمدي'' اللي ورث في أبوه اكتر ما ورثت في اتجوزتيه وطرتي معاه علي تركيا .. حسبتيها غلط يا ''فيروز'' .. أهو .. أبويا فضل واقف محلك سر لحد ما مات
: ثم قال بكبرياء وهو يشير بذراعيه الى ما حوله
أما أنا بنيت امبراطورية كبيرة أوى -
: ثم أخذ نفساً عميقاً وهو ينظر اليها بتهكم ويقول بصرامة وكبرياء
جايه دلوقتى تقوليلى مفيش حاجه تبعدى عنك !! .. أنا مخدش بواقي غيري يا -
''فيروز'' .. لما أحب أتجوز مش هتجوز واحده كانت ملك غيرى
ابتلعت ''فيروز'' كرامتها مع تلك المهانه التي سببتها كلماته .. وقبل أن يعى ما ..يحدث رجعت عدة خطوات الي الوراء وفتحت باب المكتب وأومات برأسها دخلت سمر متوترة مضطربه .. ضاقت عينا ''عدنان'' وهو يتطلع الى تلك الفتاة الشابة ممشوقة القوام بفستانها القصير الذي أبرز جمال ساقيها و ذراعيها العاريتان .. وخصلات شعرها الأسود تتساقط فوق جبينها في رقه .. تأملها من رأسها حتى أخمص قدميها وعينا ''فيروز'' تتابعان تعبيرات وجهه في شغف .. سمر'' شفتيها بلسانها وقد بلغ توترها أقصاه وهى تجعد فستانها بقبضه "بللت التفتت تنظر الي ''فيروز'' التي نظرت اليها نظرة مشجعه .. عادت .. يدها عدنان'' الذي لمعت عيناه وهو يمرر نظراته علي صفحة وجهها "تنظر الي الأملس .. نظر الثلاثه الي بعضهم البعض وقد شعر كل منهم أنه وجد مبتغاه .. كل منهم يبحث عن شئ وجده في الآخر .. فكان ثلاثتهم بمثابة حلقه تصل احداها بالاخري وتكمل احداها الاخري .. تلاقت العيون .. وخفق قلب ثلاثتهم .. فأخيرا سيحصل كل منهم علي ما أراد .. أحدهم سيحصل علي غنيمته .. وأحدهم ! وأحدهم سيحصل علي أقصى أمانيه .. سيحصل علي مبتغاه

الفصل الثانى عشر

هبت نسمة صيف حارة لتداعب الأغصان اليافعه على استحياء .. وقفت "فريدة" مع "لميس" تتجاذبان أطراف الحديث وهما تقطفان بعض الثمار من

شجر الفاكهة المزروع بالحديقه .. قالت "لميس" مبتسمة:
-حبيتى هنا أكتر ولا اسكندرية ؟
قالت "فريدة" بابتسامه حالمه وعقلها سارح فى ذكرياتها بالأسكندرية:
-عمرى ما حبيت مكان زى اسكندرية .. نفسى بجد أرجع تانى هناك
قالت "لميس" بعتاب مبتسمة:
-عايزة تسيبينا يعنى .. شكلى زهقتى مننا...

أجابت "فريدة" على الفور:
-لا مش كده .. بس أنا قصدى ان صحابى هناك فى اسكندرية .. أنتيمتى اللى مصاحباها من وقت ما كنت طفلة صغيرة عايشة هناك .. وبتوحشنى أوى
قالت "لميس" بمرح:
-النت والتليفونات بتقرب كل حاجه دلوقتى
أومأت "فريدة" برأسها مبتسمة وهى تضع احدى الفواكة التى قطفها فى السلة ثم قالت:
-أيوة .. بس النت مش هيخليني أأنجج فيها ونتمشى على البحر فى ساعة عصارى
لم تكد تنهى حديثها حتى رن هاتفها .. ابتمست وهى تقول بمرح:
-أهى واحدة من صحابى اتصلت شكلهم حسوا انى بتكلم عنه
بادلتها "لميس" الابتسام .. ردت "فريدة" بمرح وهى لا تزال تقطف الثماء بيدها:
-السلام عليكم .... ازيك يا بنتى وحشانى جداً .... لا صادقة بدليل انك بتعبريني أوى .... ايه؟ .... مش فاهمة ؟ .... انتى بتهزرى مش كده ؟ .... بتتكلمى بجد ؟
حانت من "لميس" التفاته الى "فريدة" لترى امتقاع وجهها .. والعبرات التى تلمع داخل عينيها .. تجعد جبينها وهى تنظر اليها تحاول معرفة ما يضايقها لهذا الحد .. أكملت "فريدة" بصوت مبحوح كمن على وشك البكاء :
-لا معرفش .... هقفل دلوقتى .... هكلمك بعدين .... لا أبداً بس مشغولة شوية .... مع السلامة
أنهت "فريدة" المكالمة وهى تنظر الى هاتفها وبقيت على حالة الجمود

واحتقان وجهها فى تزايد والعبرات أصبحت كغشاوة تملأ عينيها مهددة بالانهمار .. قالت "لميس" بقلق:

-فى حاجه يا "فريدة" ؟

انتبهت "فريدة" لنفسها رفعت رأسها فقط لتسقط عبرتها المحبوساً رغماً عنها ..مسحتها بظهر كفها بسرعة وهى تبتسم ابتسامه لا تشى الا بألم يعتمل بداخلها وهى تقول بصوت مضطرب:

-لا أبداً

حاولت العودة الى استكمال جمع الثمار .. لكن يدها توقفت .. لن تستطيع التظاهر بأن شيئاً لم يكن .. تحتاج الى الذهاب الى غرفتها فى الحال .. وإلا ستنفجر فى البكاء أمام "لميس" .. وهذا ما لم تعتاده قط .. استأذنت وهى تطرق برأسها:

-تعبت هروح أرتاح شوية

لم تترك فرصة لـ "لميس" للرد .. بل هرولت تجاه الفيلا وعينا "لميس" تتابعها فى قلق بالغ.

صعدت "فريدة" الى غرفتها وأغلقت باباها عليا .. جلست فوق فراشها تخفى وجهها بين كفيها وتنتحب نحيباً مكتوماً دون أنين .. كعادتها تكتم أنينها بداخلها ..تظل مشاعرها حبيسة صدرها دون أن تسمح لها بالخروج .. تتجرع أحزانها وحدها دون أن تجرؤ على بث شكواها ونجواها لأحد .. غيـر ربهـا ..وكعادتها عندما تشعر بضيق .. وبحزن .. وبألم .. نهضت الى الحمام الواقع فى الرواق .. توضأت .. وعادت الى غرفتها .. وفرشت سجادتها .. ووقفت تناجيه .. تنتحب .. وتشكوا اليه

****

نظر الجميع الى بعضهم البعض وهم جالسون معاً فى حجرة المعيشة القابعه فى الدور الثانى من الفيلا .. قالت "كوثر" بإستغراب:

-مش فاهمة اشعنى يعني أصر علينا النهاردة اننا نتجمع على الغداء .. على طول بيجمعنا على العشا

قالت "انعام" وهى تمط شفتيها:

-الله أعلم .. يمكن خلص شغله بدرى
قالت "يسرية" بتهكم:
-أخوكى ؟ .. ده عمره ما خد أجازة من شغله ولا خلص شغله بدرى .. ليل ونهار فى الشركة وأحياناً بيبات هناك كمان
التفتت "يسرية" تنظر الى "مهند" قائله:
-متعرفش يا "مهند" فى ايه ؟
قال "مهند" مطرقاً برأسه:
-لا معرفش أنا زيى زيكوا
ابتسم "علاء" بسخرية قائلاً:
-زيك زينا ايه بس .. ده انت بقيت دراعه اليمين والشمال كمان
رفع "مهند" رأسه ينظر الى "علاء" .. مدركاً لنبرة الكراهية التى نطق بها "علاء" جملته .. لكنه تذكر قول الله تعالى "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ .. "لذلك نظر اليه قائلاً بهدوء:
-انت كمان وجودك فى الشركة مهم يا "علاء" .. أنا بفهم فى شغلى .. لكن لا بفهم لا فى شغلك ولا فى شغل "نهاد" ولا شغل عمى "حسنى "
ثم ابتسم قائلاً بمرح:
-يعني لو اتحطيت مكان حد فيكوا لأى ظرف .. يبأه قول على الشركة السلامة
قوبلت كلماته بالتهكم من قبل "علاء" و "حسنى" .. بينما نظر اليه "نهاد " مستشعراً كلماته .. وبرسالته التى أراد أن يبثها فى طيات كلامه .. التفتت اليه "مهند" فوجده متطلعاً اليه فاتسعت ابتسامته وهو يقول:
-ايه احساسك بأه وانت أب ؟ اوصفلنا انت أول واحد فى الشباب اللى موجودين تجرب الاحساس ده
ابتسم "نهاد" وقال:
-بجد احساس رائع .. لما بشيله بين ايديا مببقاش مصدق انه ابنى وانه حته منى
تأمله "مهند" قائلاً بإخلاص:
-ربنا يباركلك فيه يا "نهاد" وتشوفه من الصالحين
نظر اليه "نهاد" بإمتنان وهو يستشعر صدق دعاوه قائلاً:
-آمين يا "مهند"

سمع "مهند" عمته "كوثر" تشهق بصوت عالى التفتت ينظر اليها وجدها واضعه كفها على فمها وهى تتطلع الى باب الحجرة .. التفت ينظر الى حيث تنظر لتتسع عيناه دهشة هو الآخر .. نظر الجميع الى "عدنان" بأعين مندهشة .. وهم يتطلعون الى هيئته .. الى شعره الذى صبغه ليخفى شعيراته البيضاء تماماً من وجهه .. والى شاربه الذى فعل معه بالمثل .. والى بدلته الكلاسيكية التى استبدلها بأخرى كاجوال .. بدا أصغر من عمره بثلاثون عاماً على الأقل .. بدا وكأنه ركب آلة الزمن وعاد الى الوراء الى حيث كان شاباً فى مقتبل حياته وفى عنفوان شبابه .. ظلت العيون متطلعه اليه متسعة على آخرها .. وقد ألجم لسانهم جميعاً .. أول من فاق من صدمته كان "حسنى" الذى هتف:

-ايه اللى انت عامله فى نفسك ده يا "عدنان "؟

ضحك "عدنان" ودخل الغرفة وجلس على مقعد وثير وأرجع ظهره الى الخلف واضعاً ساقاً فوق ساق مستمتعاً بنظرات الدهشة وامارات الصدمة على وجوه الجميع وهو يقول:

-ايه رأيكوا مش كده أحسن ؟

فاقت "انعام" من صدمتها وهى تقول بإستغراب:

-أيوة أحسن .. بس ليه التغيير المفاجئ ده يا "عدنان"

قالت "كوثر" بحده:

-ايه يا "عدنان" اللى عملته فى نفسك ده .. بعد ما شاب!

ضحك "عدنان" قائلاً وهو ينظر اليها بتحدى:

-شاب ايه يا "كوثر" .. أنا لسه فى عز شبابى

قبل أن يتمكن الجميع من استيعاب ما يحدث سمعوا أصواتاً عالي فى الخارج .. أصوات رجال وأصوات أشياء تتحرك من مكانها .. قالت "يسرية" بفزع:

-ايه ده .. فى ايه بيحصل بره ؟

قال "عدنان" مبتسماً باتسامة واسعة وهو يدور بعينه فى وجوههم:

-دول عمال بينقلوا الأثاث اللى فى أوضتى

قال "علاء" بإستغراب شديد:

-بينقلوا الأثاث .. ليه يا عمى ؟

قال "عدنان" وامارات الاستمتاع على وجهه لما يلاقيه منهم من دهشة وتعجب :

-أصلى ناوى يا "علاء" أغير ديكور أوضتى وأجيب أثاث جديد على.....
قطع جملته وهو يغمز بعينه لـ" علاء" قائلاً:
-ذوقى!
نظر الجميع الى بعضهم البعض فى دهشة فى حين اتسعت ابتسامة "فريدة" وهى تقول:
-شكلك حلو أوى يا عمو .. هحتاج فترة على ما أتعود على شكلك الجديد
قالت "نهال" ضاحكة:
-أنا كمان هحتاج فترة عشان أتعود ان ده عمو "عدنان" الجديد "
فتح ذراعيه للفتاتان فأقبلت كل منهما تجلس على ذراع مقعد .. أحاطهما "عدنان" بكتفيه ونظر اليهما قائلاً:
-انتوا الى منورين عليا حياتى .. بستغرب أوى من الراجل اللى ربنا يرزقه ببنت ويضايق .. البنات دول نعمه ميحسهاش الا اللى اتحرم منها .. عارفين .. أنا نفسى يبقى عندى بنت حلوة كدة زيكوا
اتسعت عينا "كوثر" وهى تنظر الى "يسرية" بحده .. وكل منهما تبدو على وجهها مزيج من امارات الغضب والحنق والحيرة والدهشة .. اقتربت "لميس" لتقول بأدب:
-الغدا جاهز يا فندم
نظرت الى "عدنان" بإستغراب .. فنظر اليها ضاحكاً وقال:
-أنا يا مدام "لميس" .. "عدنان" بشحمه ولحمه
ابتسمت ابتسامة صغيرة وهى تحرك رأسها فى حيرة ثم ابتعدت .. نهض الجميع والتفوا على مائدة الطعام .. قال له "مهند" الجالس فى مقعده المعتاد الى يمين "عدنان: "
-ارقى نفسك يا عمى .. رجعت شاب ثلاثين سنه
ضحك "عدنان" وقال وهو يمرر أصابعه داخل خصلات شعره المصبوغ وهو يغمز بعينه الى "مهند: "
-بتقول فيها
ثم التفت ينظر اليهم قائلاً بشماته:
-الواحد حاسس ان نفسه اتفتحت للدنيا وللحياة .. أنا مبسوط أوى النهاردة .. وعشان كدة جمعتكوا حوليا .. لانكوا أكيد بتفرحوا لفرحى

شرع فى تناول طعامه ومشاعر متباينه داخل كل فرد من أفراد عائلته
حاولت انعام معرفه سر تلك التغيرات التي المت به .. لكن رده عليها كان:
-مفيش .. زي ما قولتلكوا حاسس اني مبسوط اليومين دول .. اكني رجعت سنين لوره
فما كان منها الا ان صمتت بغير اقتناع .. تأملت كوثر شعره المصبوغ وقالت وهي تنظر اليها باستغراب:
-بس انت عمرك ما صبغت شعرك يا "عدنان" .. ايه اللي طلعها في دماغك دلوقتي ؟
قال "عدنان" محتفظا بمرحه:
-عادي حبيت اغير .. بس ايه رايك في النيو لوك الجديد
قالت علي مضض:
-حلو
التفت اليه مهند قائلا بابتسامه عذبه:
-بصراحة اتصدمت لما شوفتك يا عمي .. اللي يشوفك كده يقول ناوي علي نيه
اطلق "عدنان" ضحكة صاخبة سمع صداها في ارجاء الفيلا .. ثم قال:
-نية ايه بأه ؟
قال مهند بلؤم وعيناه تلمع مرحاً:
-يعني اللي يشوف حضرتك يقول عريس وبيستعد لفرحه
اطلق عدنان ضحكة اخري وعاد لتناول طعامه دون ان يعقب علي ملحوظة "مهند .. "تبادلت "يسرية" مع "كوثر" نظرات مضطربه .. بينما بدا التبرم علي وجه "حسني "و "علاء" و "نهاد" .. قالت "انعام" مبتسمه:
-أهم حاجه انك تكون مرتاح وبالك رايق يا "عدنان"
رفع "عدنان" رأسه ينظر اليها .. يبادلها الابتسام قائلا:
-ربنا يخليكي يا "انعام ".. انا عارف ان قلبك عليا
قال "حسني" بعتاب وهو ينظر الي اخيه:
-يعني احنا اللي مش قلبنا عليك يا "عدنان"
لاحت علي شفتي "عدنان" ابتسامه ساخره اخفاها سريعا بالمنديل الذي مسح به فمه وهو يقول:

-طبعا يا "حسني" .. احنا اخوات والضفر عمره ما يطلع من اللحم
فجأة رن هاتف عدنان التفت الجميع ينظر الي امارات السعادة التي ظهرت علي وجهه .. والي لهفة عينيه .. وعلي غير عادته استأذن منهم وخرج ليتحدث خارج غرفه الطعام .. ران الصمت علي الجميع .. وكل منهم شارد .. في سبب تغير "عدنان" .. ومكالماته الهاتفيه السريه!

****

هتفت "يسرية" بعد عودتها الى منزلها والشرر يتطاير من عينيها:
-أخوك اتجنن يا "حسنى"
ألقى "حسنى" بنفسه على الأريكة يحك ذقنه مفكراً فى وجوم .. قالت "كوثر" بقلق بالغ:
-قلبى مش مطمن .. خايفه يكون بيفكر يتجوز .. تصرفاته مش طبيعيه
فاق "حسنى" من شروده ليصيح فيها:
-يتجوز ؟ .. لأ طبعاً .. مستحيل يكون بيفكر فى كدة
قالت "كوثر" بحيرة:
-أمال ايه التغيير اللى حصله ده
قال "حسنى" وهو يحاول اقناع نفسه بكلامه قبل أن يحاول اقناعها:
-عادى .. اللى معاه قرش محيره .. زهق من الشغل وفكر يروش على نفسه شوية
قالت "يسرية" بوجوم:
-يارب يكون زى ما انت قولت .. لأن أنا كمان قلبى مش مطمن
قال "حسنى" فجأة وهو ينهض ليخرج هاتفه من جيبة ويلعب فى أزراره:
-لازم نكلم المحامى
قالت "كوثر" مستفهمه:
-هتقوله يبدأ فى اجراءات القضية
التفت اليها "حسنى" وهو يضع الهاتف على أذنه قائلاً بحزم:
-أيوة .. لازم نرفع القضية فى أقرب وقت
لكن رأى المحامى كان مخالف لرأسهم .. قال لـ "حسنى" عبر الهاتف:
-القضية لو رفعناها دلوقتى هنخسرها .. مفيش أى دليل على ان قواه العقلية

مختلة .. لازم يبقى فى ايدنا دليل قوى
صاح "حسنى: "
-وهو فى راجل فى سنه يصبغ شعره ويلبس كاجوال .. دى تصرفات واحد فى سنه ؟
قال المحامى بقلق:
-ما أعتقدش انى دى أسباب كفاية تخلى القاضى يحكم انه محتاج وصاية عليه وعلى ممتلكاته .. لازم سبب أقوى من كده
فكر "حسنى" قليلاً ثم هتف بتوتر:
-طيب لو فكر انه تيجوز .. ايه هيكون الوضع ساعتها
قال المحامى بحزم:
-لو اتجوز يبقى القضية ضاعت من ايدكوا .. لان ساعتها مراته تقدر تشهد ان قواه العقلية والصحية سليمة .. وبكدة شهادتها هتبقى أقوى من شهادتكوا انتوا ..لان من شروط الزواج سلامة العقل .. لو هتطعن فى قواه العقلية يبقى من باب أولى تطعن فى جوازه
زفر "حسنى" بضيق بينما تتطلع اليه "كوثر" و "يسرية" فى اهتمام تراقبان حديثه وتعبيرات وجهه .. وقال:
-طيب والحل ؟
قال المحامى:
-مفيش الا انك تجبلى دليل قوى ان قواه العقلية غير سليمة وانه غير مؤهل لادارة أمواله وممتلكاته .. ويكون ده قبل خطوة الجواز .. لان الجواز هيهدم قضيتكوا من الأساس .. مش هيبقى فى قضية لأن زوجته أكيد هتشهد لصالحه
أنهى "حسنى" المكالمة ..بينما شرد الجميع فى وجوم وكأن على رؤسهم الطير

****

فوجئ "نهاد" بقول سكرتيرته:
-مدام "انجى" عايزة تقابل حضرتك .. بتقول انها صاحبة مدام "بيسان"
أومأ لها قائلاً على الفور:
-خليها تتفضل

دخلت "انجى" مبتسمة وهى تمد يدها اليه بالسلامة قئله:
-هاى "نهاد" .. يارب مكنش أزعجتك
أشار اليها بالجلوس قائلاً:
-لا أبداً اتفضلى
جلست "انجى" واضعة ساقاً فوق ساق فإنكمشت تنورتها القصيرة أكثر .. سألها عما تشرب وخرجت السكرتيرة لإحضار المطلوب .. التفتت اليه وأنظارها مركزه عليه قائله:
-الشركة حلوة أوى مكنتش متخيلة انها كبيرة أوى كده
ابتسم "نهاد" وهو يستند بذراعيه فوق المكتب قائلاً:
-هى فعلاً الشكرة كبيرة .. يمكن لان العيلة كلها بتشتغل فيها .. يعني ادارة ذاتيه
ابتسمت وقالت بدلال:
-طيب أنا بأه عايزة منك خدمه .. وأتمنى انك مترفضش لان مليش حد غيرك ألجأله وأثق فيه
عقد ما بني حاجبيه قائلاً:
-خير
قالت "انجى" بمرح:
-بص بأه .. أنا معايا مبلغ ضغنن كده على أدى .. ومليش فى الشغل والجو ده .. ففكرت أديهم لحد يشغلهملى
ثم نظرت اليه بخبث وقالت بنعومه :
-وزى ما قولت مش هلاقى غيرك أثق فيه .. وأسلمه فلوسى وأنا مطمنه
ابتسم "نهاد" وقال وهو يخرج احدى الأوراق من درج مكتبه:
-ميرسى أوى على الثقة دى
اتسعت ابتسامتها وقالت بحماس:
-يعني وافقت ؟
-أكيد وافقت
قالت بمرح:
-اتفقنا يا "نهاد" .. بجد ميرسى أوى
أعطاها الورقة قائلاً:

-دى معلومات عن الشركة وعن الاستثمارات اللى بنعملها .. عشان تبقى مطمنة وعارفه احنا بنشغل فلوسك فى ايه وعشان تعرفى كمان نسبة الأرباح بتكون ازاى

أخذت منه الورقة ودون أن تحيد عينها عن عينيه مزقتها أما نظراته المندهشة وهى تقول بثقة مدروسة ونظرات ذات معنى:

-قولتلك أنا بثق فيك .. يعنى أسلم نفسى ليك وأنا مطمنة

بلع "نهاد" ريقه وقد شعر بتوتر لا يدرى مصدره .. لعل عيناها .. لعل حديثها .. لعل نبرة صوتها .. قاطعته بوقوفها قائله:

-أستأذن دلوقتى وأسيبك تكمل شغلك

ثم انحنت تستند الى المكتب بكفيها تنظر الى عينيه مباشرة قائله بنعومه:

-بس أكيد هنتقابل تانى .. دلوقتى فى بينا بيزنس .. يعني هنتقابل كتير

خرجت تتغنج فى مشيتها .. أما "نهاد" فقد ازداد توتره ...و ... ضيقه!

****

سار "مهند" بسيارته شارداً فى شوارع القاهرة المزدحمة عائداً من عمله .. طرق الى ذهنه التغيير الذى طرأ على عمه .. حدسه ينبأه بأن هذا التغيير وراءه حدث مرتقب .. لكنه قال لنفسه .. لا داعى لأن نسبق الأحداث .. وحتى إن كان يفكر فى الزواج فهذا من حقه ولا يشئ يمنعه .. رغماً عنه شعر "مهند"بالشفقة على زوجة عمه هذا إذا ما كان يفكر حقاً فى الزواج .. فهى ستدخل وكر الأفاعى بقدميها وبالتأكيد لن تجد ترحيباً من العائلة .. وحتى إن وجدت ترحيباً فسيكون ظاهرياً فقط .. أما النفوس فستظل تكن لها الضغينه .. تنهد "مهند" بحسرة على حال عائلته التى ستمنى من كل قلبه صلاح أحوالهم ..فزينة الدنيا وزخرفتها ألهتهم بشكل كبير .. حتى لم يعد لهم هماً سوى السعى خلفها .. حانت منه التفاته ليجد شابين يتشاجران مع امرأة كبيرة ويدفعانها بأيديهما .. بدأ الزحام فى التحرك رويداً رويداً .. لكنه انحنى بالسيارة على جانب الطريق وأوقفها .. نظر الى الخلف ليجد الشابين يتطاولان عليها بشدة بالصراخ تاره وبالدفع تاره والناس من حولهم يمرون مرور الكرام .. فلعل أحدهم يلقى نظرة وآخر لا يبالى حتى بنظرة!

خرج "مهند" من السيارة وتوجه ليقف قبالتهم قائلاً:
-فى ايه يا شباب ؟
كان الشابان منهمكان فى الصراخ على المرأة فلم يلتفت أحدهما الى "مهند .. " دفع أحدهما المرأة فى كتفها فأمسك "مهند" بقبضته وأرجعه الى الوراء بعيداً عن المرأة .. هنا التفت الشاب اليه وصاح:
-ايه فى ايه ؟
نظر اليه "مهند"بغضب قائلاً:
-ميصحش انك تمد ايدك على واده فى سن والدتك
بكت المرأة وقالت منتحبه:
-حسبي الله ونعم الوكيل فيك .. ربنا ينتقم منك
اندفع الآخر نحوها قائلاً:
-عايزة ايه يا تييييييييت .. يلا امشى من هنا بدل تيييييييييييييييت
جذبه "مهند" من ذراعه بحجه وصرخ فى وجه:
-احترم نفسك .. عملتلك ايه عشان تشتمها كده
صاحت المرأة تشتكى باكية الى "مهند" مستنجده به:
-والله ما عملتلهم حاجه .. أنا حطه الأقفاص دى وبشوى درة .. هما مالهم ومالى
قال أحد الشابين صارخاً فى وجه المرأة:
-قولتلك غورى من هنا و متعديش جمب المحل بتاعنا
التفت الشاب الآخر وقال لـ "مهند: "
-يا بيه ينفع واحدة تشوى درة جمب محل ورد .. تروح تشوفلها أى مصيبة تانية تشوى أصادها
انتحبت المرأة وقالت:
-وفيها ايه لو كنت جيت قولتلى الكلام ده براحه بدل ما تقل أدبك انت وهو
اندفع الشاب هاتفاً:
-أنا بأه قليل الأدب ومش متربى .. عايزة ايه انتى يا تيييييييييت
لكمه "مهند" فى كتفه وقال بصرامة:
-اتقى ربنا بأه .. خلاص خلصنا .. اتفضل ادخل انت وصحبك المحل بتاعكوا
لملمت المرأة أغراضها فى قفص كبير وحملته باكية وهمت بالمغادرة .. تطلع

"مهند" الى وجهها الباكى وملابسها الرثة وقال:
-انتى كويسة
انتحبت مرة أخرى وهى تقول بألم :؟
-حسبي الله ونعم الوكيل .. كل ما أجى أعد فى حته .. واحد ييجى يكرشنى ويقولى قومى من هنا .. هنعمل ايه يا ابنى محدش مرتاح .. مفيش راحه الا فى الموت .. بس حتى الموت مش طايلينه
رق قلب "مهند" لحالها .. لم تتوقف عن الحديث وكأنها تخرج هماً حبيساً فى صدرها فاض بها .. أكملت منتحبه وامارات الألم على وجهها:
-أعمل ايه الغلبان فى الدنيا دى ملوش عيش .. ان كان عليا أنا مش عايزه حاجه من الدنيا .. وأهو اللى جاى مش أد اللى رايح.. بس أعمل ايه فى البت الغلبانه اللى فى رقبتى .. أهل خطيبها قالولى لو مجهزتهاش على الشتا الجاى هيفسخوا خطوبتها .. ومحدش من اخواتها راضى يساعدنى بمليم أحمر .. كله متجوز وله بيته وبيقول ياله نفسى .. أعمل ايه يعني اسيبها خطوبتها تتفسخ وتتقهر وتقهرنى معاها .. قولت انزل اشتغل اى حاجه اهو احاول اعمل اى حاجه تسد مع المعاش اللى باخده وربنا كريم
ثم قالت بحنق:
-ربنا كريم بس الناس وحشه ونفسوها وحشه .. يلا هعوذ ايه من الغريب اذا كان ولادى اللى من لحمى ودمى رمينى انا واختهم رمية الكلاب .. بأه الغريب هو اللى هيحن عليا
مسحت دموعها فى طرف حجابها وانحنت تحمل القفص الكبير وتضعه فوق رأسها وهى تنظر اليه بإمتنان قائله:
-معلش يا ابنى عطلتك .. ربنا يكفيك شر طريقك
همت بالانصراف فاستوقفها "مهند" قائلاً:
-استنى يا حجه
وقفت تنظر اليها بأعينها أنهكها البكاء .. وقدمين تقف عليهما فى اعياء .. قال "مهند" مشيراً الى السيارة:
-تعالى معايا يا حجه
نظرت اليه المرأة فى ريبة .. فأكمل شارحاً:
-أنا بشتغل فى شركة كبيرة .. كنت مروح .. تعالى هخدك للشركة وأحاول

اشوفلك شغلانه هناك
نظرت اليه المرأة بتأثر وقالت بحيرة:
-ان شاله يخليك .. بس هشتغل ايه أنا فى شركة .. أنا حتى لا بعرف أقرأ ولا بعرف أكتب
ابتسم "مهند" وقال مشيراً بكفه الى السيارة:
-تعالى بس معايا وهنتصرف ان شاء الله
أمسك "مهند" منها القفص الكبير ووضعه فى صندوق السيارة .. فتح لها الباب والتف ليركب .. وقفت المرأة أمام الباب المفتوح بإستحياء .. ثم انحنت تنظر اليه قائله:
-يا ابنى هدومى مش نضيفه .. هوسخهالك
ابتسم "مهند" قائلاً:
-اركبى ولا يهمك
ركبت المرأة وهى شتعر بالرهبة الشديدة ففخامة السيارة من الداخل لا تختلف عن فخامة خارجها .. انطلق بها "مهند" عائداً الى الشركة مرة أخرى .. نزلت المرأة معه لتشعر برهبة أكبر وهى تدخل تلك الشركة ببنيانها الفخم الأنيق .. دخل "مهند" مكتبه وطلب من المرأة الجلوس بينما استدعى أحد الموظفين الى مكتبه عن طريق الهاتف .. جلست المرأة تنظر حولها فى رهبة شديدة .. طلب لها "مهند" كوباً من العصير شربته بنهم فقد أضناها العمل الطويل فى ذلك الصيف شديد الحرارة .. دخل الموظف الى مكتب "مهند" فطلب منه ايجاد عمل فى الشركة لتلك السيدة .. التفت الموظف ينظر اليها ثم ينظر الى "مهند" وهو يؤمئ برأسه .. أخذ "مهند" الرجل جانباً وقال له:
-خلى بالك .. أنا معرفهاش كويس .. يعني حطها تحت الاختبار .. فهمنى طبعاً
أومأ له الرجل برأسه قائلاً:
-متخفش يا بشمهندس
قبل أن تخرج المرأة بصحبة الموظف دس "مهند" فى يدها مبلغ لا يعلم هو ذاته بقيمته .. فقط أخرجه من جيبه واحتسب أجره عند الله .. التمعت الدموع فى عين المرأة فقط لتنتحب من جديد .. انحنت تمسك يد "مهند" لتحاول تقبيلها لكنه أبعدها عنها قائلاً:
-بتعملى ايه يا حجه الله يصلح حالك

قالت بحزم بأعينها الممتلأه بالعبرات:
-أنا واحدة فقيرة صحيح .. ومقدرش أردلك جميلك فى يوم من الأيام .. بس أنا هكافأك بطرقتى
نظر اليها "مهند" مبتسماً وقال:
-وأنا مش عايز مكافأة ولا حاجة .. ويارب ترتاحى فى الشغل معانا .. أى حاجة تحتاجيها تعاليلى مكتبى
أومأت المرأة برأسها وهى تنصرف برفقة الموظف .. لكنها التفتت قبل أن تغلق الباب خلفها وقالت له بحزم وثقه:
-برده هكافأك
نظر اليها "مهند" مبتسماً .. ثم عغادر المكتب متوجهاً الى الفيلا .. دون أن يدرى أن مكافأة المرأة لن تنسى صنيعه معها قط .. وأنها ستكافئه كما وعدت ..مكافأة لا يقدر عليها سواها!!

****

تم اعلان حالة الطوارئ فى فيلا "زياكيل" .. حفلة غير متوقعة .. وغير معلومة الأسباب .. تم دعوة الجميع اليها .. دون أن يكون لأحدهم أدنى فكرة عن سبب الحفلة .. فقط وصلت لكل منهم رسالة من "عدنان" فحواها:
-تزينوا وتأنقوا .. أنتظركم فى الفيلا الليلة .. حفلة خاصة جداً " ..عدنان زياكيل"
رسالة غريبة مبهمة .. والأغرب من ذلك أن هاتفه ظل مغلقاً طوال اليوم .. لكن الجميع بلا استثناء استجابوا للدعوة .. التفوا فى حجرة الصالون على غير عادة لقاءاتهم فى غرفة المعيشة .. وكان هذا بترتيب من "عدنان" .. رتبت "لميس" كل شئ كما أمرها .. ذهل الجميع من الزينه المعلقة وأصناف الحلوى الكثيرة المعدة والتى تكفى جيشاً .. نظر كل منهم الى الآخر فى دهشة .. لا يوجد مدعوون غيرهم .. فقط أفراد العائلة .. فلما ستجمعون فى حجرة الصالون بدلاً من غرفة المعيشة!

سمعوا صوت سيارة فى الخارج .. فتنبأوا بوصول "عدنان" .. اتسعت أعين

الجميع دهشة وهم ينظرون الى "عدنان" بحلته السموكن السوداء .. شعرت "يسرية" بالحنق ..وتوترت أعصاب "كوثر" فيما نظر اليه "علاء" وقد فغر فاه دهشة .. قال "حسنى" ببرود:

-ايه ده يا "عدنان" ؟

لم يجيبه "عدنان" بل وقف قبالتهم وأخذ يجول ينظرة في وجوههم .. فهم على وشك سماع صدمة كبيرة أعدها لأفراد عائلته .. قال "عدنان" وهو يبتسم بسعادة:

-عندى ليكوا مفاجأة

توجس الجميع خيفه .. فيما جلس "مهند" يتابع ما يحدث بعينيه دون تعبيرات ظاهره على وجهه .. قالت "فريدة" بإستغراب:

-خير يا عمو ؟

نزع "عدنان" فتيل القنبلة لتنفجر فى وجوههم:

-اتجـــوزت!

سمع شهقات متتالية دون أن يتبين تحديداً مصدرها .. فبدا وكأنها خرجت من فم الجميع .. وقبل أن يفيقوا ويلملموا أشلائهم التى مزقتها القنبلة .. خرج "عدنان" من الغرفة ليعود ويده ممسكه بيـــد ... "سمـــر" ! ... ومن خلقها "فيروز" فى كامل زينتهما وأناقتهما

اذا كانت الشهقات الأولى هى شهقات استنكار .. فهذه المرة خرجت صيحات استنكار .. تأمل الجميع تلك الفتاة الشابة عادية الملامح مثيرة الملابس .. تقف موفوعة الرأس يدها بيد "عدنان .. "انزلقت يده من يدها ليحيط خصرها بذراعه يقربها من جسده وهو لايزال ينظر الى وجوههم قائلاً بتشفى:

-أأقدملكم "سمر" .. مراتى

ألجم لسان الجميع .. حتى أن أحدهم لم يقل كلمة "ميروك" .. فقط ينقلون نظرهم من "عدنان" الى "سمر" .. الى "فيروز" .. كانت "فيروز" تتطلع اليهم بتكبر وكأنها تنظر اليهم من برج عاجى .. مبتسمة فى سعادة .. أما "سمر" .. فكانت منكسة الرأس تاره .. مرفوعة الرأس تارة أخرى .. تمر بعينها فى وجوههم بتوتر ..تبلع ريقها بصعوبة .. مشاعر كثيرة مضطربة تجتاحها .. نفسها يضيق .. تلمست ذراعها المشلول .. والذى وضعته فى ضمادة زرقاء معلقة الى رقبتها فالناظر اليها يخيل له بأن ذراعها مجبر !

صفق "عدنان" بيده قائلاً بمرح:
-ايه يا جماعة .. مش همسع كلمة مبروك أنا والعروسة ولا ايه .. ده النهاردة ليلة دخلتنا
نكست "سمر" رأسها الذى احمر خجلاً وهى تشعر بتوتر بالغ .. أول من أفاقت من حالة الذهول تلك هى "انعام" .. تقدمت من "سمر" وهى تحاول جاهدة رسم بسمة على ثغرها وهى تقول:
-مبروك يا عروسة
ابتسمت لها "سمر" بتوتر وهى تتأمل ملامحها .. بدت لها كسيدة طيبة عكس النفور الذى شعرت به من نظرات "يسرية" .. حاول الجميع الاندماج التحدث والتهنئة .. بدت التهنئة بارده خاليه من أى مشاعر حقيقية .. عقد "مهند " جبينه بشدة .. لا ينكر حق عمه فى الزواج .. لكن تلك فتاة الشابه ! .. ما الذى يدفع فتاة شابه كتلك للزواج من رجل فى مثل سن عمه .. ظهر على جانب فمه ابتسامة ساخرة وقد أدرك السبب!

وقفت "فريدة" وتوجهت الى "سمر" قائله:
-أهلا بيكي .. أنا "فريدة"
سلمت عليها "سمر" قائله بصوت متوتر:
-أهلا بيكي يا "فريدة" .. أنا "سمر"
تقدمت "نهال" الى الأخرى وهى تنظر اليها بتمعن تتفحصها من رأسها الى أخمص قدميها تقدم نفسها اليها هى الأخرى .. قدم "عدنان" فيروز" الى الجميع قائلاً:
-مدام "فيروز" زوجة والد "سمر" الله يرحمه .. هتقيم معانا هنا فى الفيلا
ثم التفت ينظر اليها بنظرة ذات معنى قائلاً بحزم:
-مؤقتاً
تجاهلت "فيروز" كلمته الأخيرة وابتسمت وهى تصافحهم واحد تلو الأخر فى تعالى .. الى أن تقدم "مهند" لتهنئة عمه قائلاً:
-مبروك يا عمى
قال "عدنان" بمرح:

-الله يبارك فيك يا "مهند "

التفت ليقدم ابن أخيه الى "فيروز" وقال:

-مدام "فيروز" زوجة والد "سمر" الله يرحمه .. "مهند" ابن أخويا

مدت "فيروز" يدها لتسلم على "مهند" قائلاً بتعالى:

-أهلاً "مهند"

لكن يدها ظلت معلقة فى الهواء .. قال "مهند" ببرود:

-آسف مبسلمش

أعادت "فيروز" يدها الى جوارها وابتسامتها تتلاشى ليحل محلها شعور بالغضب لهذا الاحراج الذى تعرضت له .. التفت "عدنان" لينادى:

" -سمر"

التفتت "سمر" التى كانت توليه ظهرها واقتربت منه .. وقفت أمام "مهند" مباشرة وهى تنظر الى "عدنان" الذى قال مبتسماً:

-أأقدملك "مهند" ابن أخويا .. "مهند" أأقدملك "سمر "

بتلقائية رفعت "سمر" عينيها لتنظر الى "مهند" وهى تمد كفها اليه للمصافحة ..التقت عيناها بسواد عينيه القاتم فقط لتشعر بشعور غريب وكأنها تغوص فى بحر حالك الظلمات فى ليلة اختفى فيها القمر .. ثانيتين هى مدة الغوص فى ذلك البحــر .. قبل أن يرفع" مهند" كفه لــ ..ليصافحهــا .. ملتقطاً كفها الرقيق فى كفه التى شعرت بقوته وخشونته بمجرد تلامس أيديهما .. وللمرة الثانية تشعر بشعور غريب حينما غاصت يدها فى بحــر يده .. دام تلاقى أيديهما ثانيتين .. لتفترق مرة أخرى!

الفصل الثالث عشر

مدت "فيروز" يدها لتسلم على "مهند" قائلاً بتعالى:

-أهلاً "مهند"

لكن يدها ظلت معلقة فى الهواء .. قال "مهند" ببرود:
-آسف مبسلمش
أعادت "فيروز" يدها الى جوارها وابتسامتها تتلاشى ليحل محلها شعور بالغضب لهذا الاحراج الذى تعرضت له .. التفت "عدنان" لينادى:
" -سمر"
التفتت "سمر" التى كانت توليه ظهرها واقتربت منه .. وقفت أمام "مهند" مباشرة وهى تنظر الى "عدنان" الذى قال مبتسماً:
-أقدملك "مهند" ابن أخويا .. "مهند" أقدملك "سمر.... "
بتلقائية رفعت "سمر" عينينها لتنظر الى "مهند" وهى تمد كفها اليه للمصافحة .. التقت عيناها بسواد عينيه القاتم فقط لتشعر بشعور غريب وكأنها تغوص فى بحر حالك الظلمات فى ليلة اختفى فيها القمر .. ثانيتين هى مدة الغوص فى ذلك البحر .. قبل أن يرفع "مهند" كفه لـــ ..ليصافحهـــا .. ملتقطاً كفها الرقيق فى كفه التى شعرت بقوته وخشونته بمجرد تلامس أيديهما ..وللمرة الثانية تشعر بشعور غريب حينما غاصت يدها فى بحر يده .. دام تلاقى أيديهما ثانيتين .. لتفترق مرة أخرى!

أشاح "مهند" بوجهه عنها بعدما تـرك كفهـــا .. والتفت الى عمه قائلاً:
-لو سمحت يا عمى ممكن أتكلم معاك دقيقتين
أومأ "عدنان" برأسه مربتاً على كتف "مهند" .. التفت الى "سمر" و التقط كفها مقبلاً اياه تحت نظرات الجميع ونظر اليها قائلاً برقه:
-ثوانى يا حبيبتى وراجعلك
رغم توترها الشديد حاولت رسم بسمه على شفتيها .. اقتربت منها "انعام" قائله:
-تعالى يا "سمر" .. اتفضلى اعدى .. اتفضلى يا مدام "فيروز"
جلست "سمر" واضعه ساقاً فوق ساق تحاول التغلب على اضطرابها الشديد .. رفعت رأسها لترى نظرات الجميع مصوبة تجاهها يتفحصونها كما لو كانت احدى المعروضات فى فترينة أحد المحلات .. شعرت بالإحمرار يغزو وجنتيها وبمغص ينتشر داخل بطنها .. أما "فيروز" فبدت مرتاحه .. فرحه .. وهى تتطلع الى وجوههم التى ملأتها الحسره والحنق!

دخل "مهند" برفقة عمه الى المكتب الواقع فى الدور الثانى من الفيلا .. ابتسم "عدنان" قائلاً:

-خير يا "مهند"

صمت "مهند" للحظات قبل أن يقول بجدية:

-عمى مفيش حد فى الدنيا يقدر يعترض على شرع ربنا .. وحضرتك من حقك انك تتجوز ومفيش حد مننا له حق انه يتدخل فى حياتك .. بس.....

نظر اليه "عدنان" رافعاً حاجبيه قائلاً:

-بس ؟

أكمل "مهند"بشى من الحدة وهو يشير بيده الى باب المكتب:

-بس دى بنت صغيره يا عمى

قال "عدنان" بمرح:

-مش صغيره زى ما انت متصور .. محسسنى انى اتجوزت مراهقة يا "مهند" .. دى عندها ٢٥ سنة

قال "مهند" بحزم:

-وانت يا عمى سنك أكتر من ضعف سنها .. مستحيل يبقى فى عوامل مشتركه بينكوا .. لا فى التفكير ولا فى الطباع ولا فى المشاعر .. وايه اللى يخلى واحدة عندها ٢٥ سنة تتجوز واحد فى سنك يا عمى

قال "عدنان" وقد ظهر على وجهه امارات الغضب:

-قصدك ان عمك كبر وعجز على الجواز

قال "مهند" على الفور:

-لا مش قصدى كده يا عمى .. قصدى انك مثلاً لو كنت اتجوزت مراة باباها دى مكننتش هستغرب .. لان واضح ان سنكوا قريب من بعض .. لكن هرجع وأسأل نفس السؤال .. ايه اللى يخلى واحده فى سنها تتجوز واحد فى سنك يا عمى

ثم قال بجدية:

-أنا خايف عليك يا عمى .. أنا مش عايز أظلمها ومش عايز أحكم عليها حكم غلط .. بس اللى أعرفه ان مفيش واحده تتجوز راجل فى سن أبوها الا اذا كانت طمعانه فى فلوسه

تبادل "مهند" مع عمه النظرات فى صمت .. الى أن قال "عدنان" فى كبرياء:
-لو سعادتى وراحتى تمنهم الفلوس .. فتغور الفلوس يا "مهند" .. المهم أبقى مبسوط ومرتاح .. أنا بشقى وبتعب فى جمع الفلوس دى .. ليه ممتعش بيها نفسى
تنهد "مهند" فى يأس وقد شعر بأن عمه لن يحيد عن اختياره .. أطرق برأسه للحظات ثم نظر الى عمه قائلاً بإستسلام:
-خلاص يا عمى مادمت شايف كده .. حضرتك أدرى بمصلحتك .. بس أنا كان لازم أنصحك لأن ده واجبى تجاهك
ابتسم "عدنان" وهو يتطلع الى "مهند" بإعجاب قائلاً:
-تعرف يا "مهند" كل يوم بتثبتلى انك تستحق ثقتى فيك
ثم قال بغموض:
-بس لسه شويه
نظر اليه "مهند" بإستغراب ثم ما لبث أن ابتسم قائلاً:
-تقصد لسه ما فزتش بثقتك كامله مش كده ؟
ربت "عدنان" على كتفه قائلاً بمرح:
-يلا يا ابنى كفاية رغى ده أنا عريس هتضيع فرحتى ولا ايه زمان عروستى مستنيه على نار
اتسعت ابتسامة "مهند" وهو يعانق عمه قائلاً:
-بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما فى خير

****

أشرقت الشمس فى صباح اليوم التالى كعادتها .. لكن عائلة "زياكيل" لم يكن صباحهم كأى صباح مضى .. جلست "كوثر" تتجرع أدوية الضغط الخاص ةبها ..بينما شردت "يسرية" وملامح الأسى على وجهها كما لو كانت فى مأتم ..
قالت "كوثر" بحنق:
-حسه ان هيجيلى جلطة .. "عدنان" اتجوز .. الشايب اللى صبغ شعره اتجوز .. لا ومش أى واحدة .. رايح يتجوز واحدة فى دور أحفاده
ثم التفتت الى "يسرية" قائله بحده:

-شوفتيها عامله فى نفسها ازاى .. كلت بعقل الراجل حلاوة .. هتاخد اللى وراه واللى أدامه .. خلاص كل حاجه ضاعت .. الراجل ضاع وفلوسه ضاعت
ثم قالت بحده أكبر:
-ايه يا "يسرية" مالك مكتومه كده ليه .. بكلم نفسى من الصبح
قالت "يسرية" ببرود:
-عايزانى أقول ايه يعنى .. يتقال ايه بعد اللى حصل امبارح .. بعد العمر ده ولسه بيفكر يتجوز .. متبت في الدنيا بإيده وسنانه
قالت "كوثر" بحيرة:
-وبعدين ؟ .. خلاص كده يعني كل حاجه ضاعت ؟ .. هنقف نتفرج وبنت التيييييييييت دى بتاخد كل اللى حيلته ؟
هتفت "يسرية" بغضب:
-عايزانا نعمل ايه يعنى .. أنا مش حارق دمى الا قضية الحجر اللى خلاص كده طلعت على فشوش .. كل اللى بنرتبله ضاع عشان المحروس أخوكى عايز يعيشله يومين .. يتنيل على عينه هو فيه حيل للجواز .. بدل ما يشترى كفن رايح يتجوز
قالت "كوثر" بغل:
-بس شوفتيها عامله ازاى .. ولا مراة أبوها الحداية دى .. شكلهم مش سهل ..شوفتى مراة أبوها كانت بتتكلم معانا ازاى من تراتيف مناخيرها .. شكلها هتلاعبنا على الشناكل يا "يسرية"
زفرت "يسرية" بغضب وهى تنهض قائله بحده:
-مش ناقصاكى يا "كوثر" أنا اللى فيا مكفيني

****

سمعت "لميس" طرقات على باب غرفتها فكفكفت دمعها قائله:
-أيوة
سمعت صوت احدى الخادمات تقول:
" -عدنان" بيه عايز حضرتك يا مدام "لميس"
قالت "لميس: "

-حاضر
وقفت أمام مرآتها تلف حجابها حول شعرها .. تأملت وجهها الباكى فى المرأة ..حاولت التحكم فى تلك العبارت الحارقة التى تقفز الى عينيها معاندة اياها ورافضة التوارى .. أطرقت برأسها للحظات .. ثم رفعت عينها تنظر الى المرآة قائله بسخريه:
-كنتى فاكره ايه يعني .. هيفكر فيكي . ؟ .. انتى مين عشان يفكر فيكي ؟ .. انتى حته خدامه مش أكتر
ثم اغمضت عيناها لتتساقط عبراتها فوق وجنتها وهى تقول بألم:
-خدامه ماضيها اسود!
أخذت نفساً عميقاً ومسحت وجهها بكفيها .. وألقت نظرة سريعة على وجهها قبل أن تغادر غرفتها الى الحمام .. غسلت وجهها وجففته وتوجهت الى حيث ينتظرها "عدنان" .. شعرت بغصة فى حلقها وهى تراه جالساً فوق الأريكة فى غرفة المعيشة واضعاً ذراعه على كتفى عروسه الجديدة .. ناظراً اليها والابتسامة تزين وجهه .. اقتربت قائله بأدب:
-أفندم يا "عدنان" بيه
التفتت "سمر" تنظر اليها .. فقال "عدنان" بمرح:
" -سمر" أعرفك على مدام "لميس" هى أهم فرد هما فى الفيلا .. هى اللى مسؤله عن كل حاجه فى الفيلا ..
ابتسمت لها "سمر" قائلاً:
-أهلاً بيكى يا مدام "لميس"
ابتسمت "لميس" بصعوبة وهى تقول:
-أهلاً بيكي يا مدام "سمر" .. وألف مبروك
قال "عدنان" بمرحه:
-مدام" لميس" عايزك بكرة تعمليلنا غدوة محصلتش .. وياريت تكون فى الجنينة .. هعزم كل العيلة على الغدا عشان يتعرفوا بـ "سمر" أكتر
أومأت "لميس" برأسها قائله:
-حاضر يا "عدنان" بيه .. ان شاء الله كل حاجه تكون جاهزة بكرة على أكمل وجه
ابتسم "عدنان" قائلاً بإمتنان:

-متشكر جداً يا مدام "لميس"
همت بالأنصراف .. فنهض قائلاً:
-استنى بعد اذنك
أخرج من جيبه مفتاحاً وأعطاه لها قائلاً بحزم شديد:
-أوضتى غيرت الكالون بتاعها .. وعملت من المفتاح ٣ نسخ .. واحدة هتبقى مع "سمر" وواحدة معايا وواحدة معاكى .. مش عايز أى حد غريب يدخل أوضتنا .. الأوضة هتفضل مقفوله بإستمرار .. ممنوع أى حد انه يخطى عتبه بابها ..اللى هتدخل تنضف الأوضة تدخل تحت اشرافك .. تنضف وتخرج تانى .. ممنوع حد غيرها يدخل الأوضة .. وتكون بنت أمينة تختاريها بمعرفتك
ثم نظر اليها قائلاً بنبرة ذات معنى:
-أظن حادثة الجناينى لسه نارها مبردتش .. يعني مش عايز أدى فرصة ان حاجه زى كده تحصل تانى
أومأت "لميس" برأسها وهى تتناول منه المفتاح قائله:
-حاضر يا "عدنان" بيه

****

خرجت "سمر" الى الحديقة تتجول فيها وتشاهد أشجارها العالية وثمارها النضرة .. ورغم شمس الصيف الحارقه الا أنها شعرت بنسمات خفيفه تداعب خصلات شعرها السوداء فتتمايل فى دلال .. حانت منها التفاته الى ذراعها المعلق الى رقبتها .. شعرت بغصة فى حلقها فبالتأكيد ستتلقى الأسئلة بشأن ذراعها وما أصابه .. حتى الآن لعلهم ظنوا بأنه مجبر وما هى الا أيام ويشفى .. تسربت طعم المرارة الى حلقها .. ياليت الأمر كذلك .. ياليتها أيام وتشفى .. ياليتها تعود الى سابق عهدها .. شعرت فى تلك اللحظة بأن كل شئ يهون .. فليحدث ما يحدث .. المهم أن تستعيد حياتها الطبيعية مرة أخرى .. والأهم من ذراعها .. أنها وجدت أخيراً بيتاً لها يسعها بجدرانه .. وحضناً يحميها وينتشلها من الضياع ويحنو عليها ويعوضها عن أيامها القاسية المريرة .. مسحت دمعة فاره من عينها عندما رأت "فريدة" مقبلة تجاهها .. التفتت لتحييها مبتسمه .. قالت "فريدة: "

-صباح الخير يا "سمر"
أومأت "سمر" برأسها:
-صباح النور .. "فريدة" مش كده ؟
أومأت برأسها قائله:
-أيوة صح .. أمال فين عمى
قالت "سمر" وهى تشير الى الفيلا:
-جاله تليفون مهم ودخل يتكلم فى المكتب .. وأنا خرجت أتفرج على الجنينة .. بجد حلوة أوى
ثم قالت وهى تشير الى أشجار الفاكهة:
-شجر الفاكهة كمان مديها ريحه حلوة أوى
قالت "فريدة" بمرح:
-عمى من عشاق الفاكهة .. وبيحبها يزرعها بنفسه .. تعرفى انه بيسافر مخصوص عشان يجيب أحسن بذور للشجر ده
رفعت "سمر" حاجبيها بإعجاب وقالت:
-أنا كمان بحب الفاكهة أوى
ثم قالت بنبره حاولت أن تضفى عليها مرح مصطنع:
-بس مش لدرجة انى أسافر أدور على البذور
ابتسمت "فريدة" مجاملة .. اختفت ابتسامة "سمر" ليحل محلها الشرود ..
قالت لها "فريدة" بإهتمام:
-انتى كويسة يا "سمر" ؟
نظرت اليها "سمر" مبتسمه وقالت:
-أه كويسة
ثم قالت لها بإهتمام:
-قوليل يا "فريدة" انتوا كلكوا عايشين هنا
أشارت "فريدة" الى أحد المقاعد وقالت:
-طيب تعالى نعد فى الضل ونتكلم .. الشمس صعب أوى
جلست "فريدة" بجوارها وبدأت حديثها قائله:
-بصى .. اللى عايش فى البيت ده هو عمتو "انعام "
ابتسمت "سمر" وقاطعتها قائله:

-باين عليها طيبة .. مش كده ؟ .. حيت بكده
-أيوة فعلاً هى طيبة اوى .. وبتحبنا أوى
أومأت "سمر" برأسها قائله بإهتمام:
-كملى
قالت "فريدة" وهى تعدل من وضع حجابها:
-فى كمان أنا وأخويا "مهند"
قالت "سمر" شارده:
-آها شوفته امبارح
ثم قالت بفضول:
-هو ليه عايش هنا .. هو مش متجوز ؟
قالت "فريدة" بأسى:
-كان متجوز .. بس ماتت
عقدت "سمر" جبينها بضيق وهى تقول:
-يا حرام
قالت "فريدة" بحزن وهى تتذكرها:
-كانت طيبة أوى .. وكانت أموره ما شاء الله .. بيضا وعيونها عسلى شعرها بنى .. وكانت صغيره مش كبيرة .. ربنا يرحمها
نظرت "فريدة" تنظر الى "سمر" الواجمة وقد ندمت على هذا الحديث عن الموت فى صبيحة عرسها .. فقالت بمرح:
-كان نفسى ابقى بيضة كده وعيونى ملونه .. بدل السمار ده .. أنا و "مهند" واخدين سمار ماما الله يرحمها
ضحكت "سمر" قائله:
-لا أنا عاجبنى سمارى
تأملت "فريدة" شعرها قائله:
-ما شاء الله سمارك حلو وكمان سواد شعرك حلو
ابتسمت "سمر" قائله:
-ميرسى يا "فريدة"
أكملت "فريدة: "
-استنى أكملك باقى العيلة .. أما بأه عمتو "كوثر" عايشه مع عمو "حسنى "

ومراته طنط "يسرية" فى بيتهم وعندهم "نهال" و "نهاد" و "علاء" .. و "نهاد "متجوز "بيسان" لسه والده جديد وكان البيبي "فريد" تعبان امبارح عشان كده معرفتش تيجي
اتسعت ابتسامة "سمر" وهى تقول:
-عنده أد ايه ؟
قالت "فريدة" مبتسمه:
-لسه مكملش شهر
تطلعت "سمر" الى "فريدة" بسعادة .. استشعرتها "فريدة" واتسعت باتسامتها .. فوجئت "فريدة" بـ "سمر" وهى تلتفت اليها وتقول بحماس:
" -فريدة" أنا حبيتك أوى .. ينفع تعتبريني صحبتك .. يعني نبقى صحاب .. أنا هنا معرفش حد .. وحسه أكنى أعرفك من زمان
قالت "فريدة" بسعادة:
-انا فرحانه بكلامك ده يا "سمر" .. وطبعاً يشرفنى اننا نكون صحاب .. أنا كمان معرفش حد هنا ومفتقده ان يكونلى أصحاب
فى تلك اللحظة حضر "عدنان" وهتف بمرح:
-ما شاء الله لحقتوا اتصاحبتوا بالسرعة دى
ضحكت "فريدة" وقالت وهى تغمز لـ "سمر: "
-أيوة خلاص يا عمو بقينا صحاب
قالت "سمر" بسعادة:
" -فريدة" لذيذة أوى يا "عدنان" حبيتها بجد
جلس "عدنان" بينهما وأحاط كل منهما بذراعه وقال مبتسماً:
-وأنا بأه بحبكوا انتوا الاتنين
غمزت "فريدة" لـ "سمر" بعينها .. فاختفت ابتسامة "سمر" ليحل محلها التوتر وأشاحت بوجهها .. أكمل قائلاً وهو يتأمل أشجاره:
-تعرفى يا "سمر" أنا بحب أوى أزرع شجر الفاكهة .. تعرفى انى بسافر مخصوص عشان أجيب أجود انواع البذور
نظرت الفتاتان الى بعضهما البعض ..ثم انفجرتا فى الضحك .. نظر اليهما "عدنان" بدهشة وهو يزيح ذراعيه من فوق كتفيهما وهو يقول:
-هو اللى أنا قولته يضحك للدرجة دى

قالت "فريدة" على الفور:
-لا أبداً يا عمو .. بس أصلى لسه كنت بقول لـ "سمر" كده من شويه
نظرت اليهما "سمر" تنقل نظرهما بينهما وهى تستشعر فى قلبها سعادة غابت عنها طويلاً .. طويلاً جداً

****

شعر "دياب" بالغيظ وهو يرى "سحر" واقفة فى المطبخ كعادتها بملابسها البالية .. قال بحده:
" -سحر" مش تفضيلى شوية .. ده هو يوم أجازة واحد فى الاسبوع .. وطول الاسبوع مبتشوفيش خلقتى الا وأنا راجع مهدود من الشغل ويدوبك أحط راسى على السرير وأنام .. وأصحى من الفجر أصلى وأنزل شغلى .. مستخسره فيا يوم نعده مع بعض
التفتت اليه "سحر" وقالت وهى تسمع صراخ ابنتها:
-حاضر بس أخلص شوية المواعين اللى فى ايدي دول وأجيلك
قال "دياب" بحنق:
-سبيهم يا "سحر" .. سبيهم دلوقتى
التفت ودخل غرفة النوم وحمل الصغيرة وأخذ يتحرك بها حتى تسكن .. أنه "سحر" أعمالها المنزلية التى استغرقت قرابة الساعة وتوجهت الى غرفة النوم فرأت "دياب" وهو يضع الصغيرة فوق الفراش مشيراً اليها أن تخرج حتى لا تستيقظ الطفلة .. لكن "سحر" دخلت الغرفة وأخرجت جلباباً نظيفاً ودخلت الى الحمام .. سمع "دياب" صوت الدش وما هى الا عدة دقائق حتى خرجت "سحر" من الحمام وهى تنظر اليه قائله:
-نامت ؟
أومأ برأسه مبتسماً .. ذهب الى حيث الأريكة وجلس عليها فى انتظارها وهو يشعل التلفاز .. لكن عيناه اتسعت دهشة وهو يراها تحمل سبت الغسيل وقد ارتدت اسدال الصلاة وتوجهت الى باب الشقة .. هتف قائلاً:
-رايحه فين ؟
قالت دون أن تتوقف:

-رايحه أنشر الغسيل على السطور عايزه ألحق الشمس قبل ما تغيب
نهض قائلاً بغضب:
-ما يولع الغسيل
التفتت اليه بدهشة وقالت:
-فى ايه يا دياب ؟
اقترب منها هاتفاً:
-هو ناتى معندكيش احساس خالص كده .. ايه اللى فى ايه يا "دياب .. " بقولك عشان اتهبب على عين اللى خلفونى أعد معاكى تروحى تقوليلى عايزة أنشر الغسيل والحق الشمس قبل ما تغيب
قالت بحده:
-أنا برده اللى معنديش احساس .. انت مش شايف شغل البيت اللى ورايا أد ايه .. وبنتك من الصبح هاتك يا زن ومش عارفه أعمل منها حاجه
قال "دياب" وهو يتنهد بقوة:
-سيبي الغسيل دلوقتى يا "سحر" هبقى أنشرهولك أنا
حاولت الابتسام قائله:
-خلاص متزعلش
تنهد مرة أخرى وقال:
-يا "سحر" خلى بالك منى شوية
اقترب منها وأمسك ذراعيها قائلاً :
-يا "سحر" أنا عارف انك ست بيت عشرة على عشرة ومش مخليه البيت ولا البنت ناقصهم حاجه .. بس أنا راجل يا "سحر" وقولتلك الكلام ده بدل المرة عشرة .. محتاج أشوف مراتى بلبس حلو .. مش عايز أبص لواحده ماشيه فى الشارع وأتحسر وأقول يا سلام لو كانت مراتى تعمل زيها
هتفت "سحر" وقد اتسعت عيناها :
-انت بتبصبص للبنات وانت ماشى فى الشارع يا "دياب" ؟
ترك ذراعيها وأجاب بحنق:
-لا مش ببصبص يا "سحر" .. بس غصب عنى عيني بتقع عليهم .. ما هما ماشيين فى كل مكان .. غصب عنى عيني بتقع على واحدة بس ببعد وشى على طول وببعد عيني عنها .. بس بكون خلاص شوفتها .. وشوفت هى لابسه ايه

وعامله فى نفهسا ايه .. أرجع البيت بأه........
صمت وهو ينظر الى حلبابها الواسع وهو يقول:
-ألاقيكي لابسه شوال
قالت بحده وهى تضع يديها فى وسطها:
-أمال عايزنى أبقى تيييييييييييت زى البنات اللى بتمشى تتمايص وتتأصع فى الشارع ولابسه لبس أبيح .. ولا عايزنى أعمل زى التيييييييييييت اللى بيطلعوا فى التليفزيون اشى مرة فى كليب واشى مرة فى مسلسل واشى مرة فى فيلم
قال "دياب" بحده:
-وفيها ايه يعني ما تعملى زيهم .. هو مش أنا حلالك برده هو انتى هتعملى كده وتلبسى كده لحد غريب .. مش أنا جوزك ..ما بنات التيييييييييييت بيعملوا كده أدام أمة لا اله الا الله .. وانتى مش عايزة تعملى كده للراجل اللى انتى متجوزاه
صاحت "سحر" بغضب:
-مروحتش اتجوزت واحدة منهم ليه بأه ان شاء الله .. كنت شوفلك أى واحدة تيييييييييييت اتجوزها يا "دياب"
تنهد "دياب" بعمق وهو ينظر الى عينيها بحزم قائلاً:
-عشان أنا عايز زوجة محترمة يا "سحر" تشيل اسمى وتربى ولادى وأبقى عارف أخلاقها وواثق فيها وأنا سايبها فى البيت وأنا فى شغلى .. عشان أبقى مطمن على ولادى معاها وعلى تربيتها ليهم .. بس ده ميمنعش برده انى راجل ونفسى أحس انك مهتمه بيا ومهتمة بنفسك
نظر الى ملابسها قائلاً:
-مش أنا مديكى ٥٠ جنيه من مده يا "سحر" مجبتيش بيهم لبس ليه
قالت "سحر" بحنق:
-يا "دياب" البيت أولى يا "دياب" .. أصرف على نفسى ٥٠ جنية وعندنا بت لسه حتت لحمة حمرا محتاجه غذا وكسا
قالت "دياب" بألم:
-بس أنا مش حرمها من حاجه متحسسنيش ان أنا مقصر معاها .. أنا بطفح الدم كل يوم عشانها وعشانك

قالت "سحر" وهى تزفر بضيق:
-ماهو عشان أنا عارفه ان الفلوس دى انت بتبقى طافح الدم فيها بيصعب عليا انى أصرفها فى حاجات تافهة كده
نظر اليها وقال:
-حاجات تافهة!
نظرت اليه وهو يلتفت ليبحث عن شئ يرتديه فى قدميه ثم .. فتح الباب وخرج .. وأغلقه خلفه فى هدوء

****

انزلق السائل الأصفر كريه الرائحه فى فم "علاء" دفعة واحدة قبل أن يضع كأسه فوق طاولة البار قائلاً بغضب هادر:
-والله لأقتله
ربت صديقه على كتفه وقال:
-خلاص يا عم .. كان من الأول .. فضلت تقول هعمل وهسوى .. انا كنت واثق انك عيل بق
قال "علاء" بحده:
-مكنتش أعرف انه هيتهبب يتجوز .. لو كنت أعرف كنت قتلته وخلصت
عاد ينظر الى كأسه الفارغ يحركه بين يديه قائلاً وأمارات الغضب على وجه:
-أنا هوريك يا "عدنان" الكلب
نفث صديقه الدخان من أحد السجائر الملفوفة وأعطاها الى "علاء" قائلاً:
-امسك دى وروق يا باشا
قال "علاء" وهو يعبئ من ذلك السم داخل رئتيه:
-بأه حتت بت تيييييييييييت زى دى تضحك عليك يا كبارة العيله
نهض فجأة وغادر فى حدة ناداه صديقه مرات فلم يجب

****

قال "نهاد" بحزم:
-نبقى نتكلم بعدين .. طيب .. سلام
أنهى المكالمة وزفر بضيق وهو يضع هاتفه فوق الطاولة .. كانت "بيسان"

جالسه على الأريكة ترضع الصغير فنظرت اليه بفضول قائله:
-خير يا "نـهاد" .. فى حاجه ضايقتك ؟
قال "نـهاد" بحنق:
-صاحبتك يا ستى
قالت "بيسان" بدهشة:
" -انجى" .. ملها ؟
قال "نـهاد" وهو ينحنى الى الأمام وينظر اليها:
-كل شوية اتصالات .. ما أنا بشغل فلوس لعشرات العملا مفيش حد بيتصل وبيستفسر عن كل حاجه كده
قالت" بيسان: "
-معلش يا حبيبى هى تلاقيها عشان أول مرة تشغل فلوسها فحابه انها تطمن
قالت "نـهاد" وهو يخلع ربطة عنقه:
-بس مستفزة وأسئلتها كتير ومش بس عن فلوسها .. لأ تحسى انها مش عارفه هى عايزه ايه أصلاً
قالت "بيسان" وهى تضع الضغير عمودياً على صدرها وتربط على ظهره:
-معلش يا حبيبى .. صحبتى وعشمانه فينا
أومأ "نـهاد" برأسه ونـهض قائلاً:
-أقوم ألحق آخد دش قبل معاد العزومة
قالت "بيسان" بضيق:
-كان نفسى آجى معاك بس مش هاين عليا أخرج و "فريد" تعبان كده .. باركلها بالنيابة عنى لحد ما أشوفها ان شاء الله
قال "نـهاد" شارداً:
-صدمة بجد .. لو شوفتيها يا "بيسان" هتتصدمى .. اللى يشوفها مع عمى يقول بنته مش مراته
ضحكت "بيسان" وقالت:
-لا بس عمو "عدنان" بعد ما صبغ شعره بأه حاجه تانية خالص
قال "نـهاد" وهو يحرك رأسه يميناً ويساراً فى ضيق:
-مش عارف ايه اللى طلع فى دماغه موضوع الجواز ده
قالت "بيسان" ضاحكة:

-عادى يعني .. راجل وعايز يتجوز انتوا مضايقين ليه مش عارفه .. ومامتك وعمتك قالبينها مناحه .. هو حر .. هو طلب منكوا انكوا تصرفوا عليه هو مراته ..فلوسه وهو حر بيها .. طالما مبيعملش حاجه تغضب ربنا مضايقين نفسكوا ليه بأه

استسلم "نهاد" كلامها وتوجه الى الحمام قائلاً:

-ربنا يستر

****

فوجئت" "لميس" بـ "كوثر" والتى كانت واقفة أمام غرفة "عدنان" و "سمر" تحاول فتح الباب دون جدوى .. اقتربت منها "لميس" قائله:

-فى حاجه يا "كوثر" هانم

جفلت "كوثر" .. لكنها استعادت رباطة جأشها بسرعة وقالت:

-أصلى جبت هدية لـ "عدنان" و "سمر" بمناسبة جوازهم وكنت عايزه أحطها فى أوضتهم عشان يتفاجؤا بيها

قالت" لميس" بهدوء:

-آسفة "عدنان" بيه قال ان الاوضة ليها مفتاح جديد .. ملوش الا ٣ نسخ بس .. وممنوع أى حد يدخل الأوضة وهو مش موجود

أومأت "كوثر" برأسها فى حنق ونزلت الدرج وهى تكاد تنفجر من الغضب

تلقت "سمر" اتصالا من "عدنان" قائلاً :

-حبيبتى جاهزة .. العيلة على وصول .. أنا نص ساعة بالكتير وهكون فى الفيلا

قالت بحزن:

-أيوة جاهزة

أقلقه صوتها فقال:

-فى حاجه يا "سمر" ؟
قالت بتوتر:
-محدش فيهم حبنى
كاد "عدنان" أن يجيب عليها لكن قاطعه صوت السكرتيرة فأسرع يقول:
" -سمر" هقفل دلوقتى نتكلم لما أرجع الفيلا .. ماشى ؟
قالت بخفوت:
-ماشى .. هستناك
أنهت المكالمة لتسمع طرقات على الباب .. فتحت الباب لتجد الخادمة تقول:
-وصلوا يا فندم
أومأت "سمر" برأسها وقالت:
-طيب تعالى ساعديني أظبط شعرى
أومأت الخادمة برأسها ودخلت وفعلت كما أمرتها "سمر" .. خرجت "سمر" من غرفة النوم بكامل زينتها .. ألقت نظرة على نفسها فى المرآة الواقعة فى الردهة تتأكد من زينتها .. فى تلك اللحظة رأت "فيروز" تدخل الفيلا متوجهة الى غرفة المعيشة حيث يجتمع الجميع .. ابتسمت "فيروز" وهى تتأملها قائله :
-زى القمر .. أيوة كده عايزاكى تكيدي الأعادى
نظرت اليه "سمر" ببرود وقالت:
-حلى عنى يا "فيروز"
قالت "فيروز" وهى تتلفت حولها:
-خلى بالك دول عقارب
هتفت "سمر" بحده وبصوت خافت:
-بقولك حلى عنى
ثم نظرت اليها بقسوة قائله:
-أنا خلاص بدأت حياة جديدة .. حياة انتى ملكيش مكان فيها .. ولا هيكونلك مكان فيها .. وجودك هنا مؤقت .. انتى فاهمة
نظرت اليها "فيروز" بغل .. تركتها "سمر وتوجهت الى غرفة المعيشة وهى تبتسم وتقوم بدور مضيفة البيت قائله:
-أهلا بيكوا

التفتت الأنظار اليها تتأملها فى صمت .. امتقع وجه "مهند" لاصرارها على ارتداء القصير والمكشوف من الثياب .. شعر بنفور نحوها .. فما كان يتمنى أن تكون زوجة عمه سافرة بهذا الشكل .. أشاح بوجهه عنها دون أن يرد على تحيتها ..توجهت الى فرد فرد منهم تسلم عليه قائله:

-أهلا بيكِ .. أهلا بيكِ منورة

التقت عينا "كوثر" بعينا "يسرية" فى سخرية لما تقوم به "سمر" بدور صاحبة البيت والمضيفه التى ترحيب بضيوفها .. انتهت من السلام عليهم واحداً تلو الآخر .. ثم التفتت الى "مهند" الواقف مستنداً الى الجدار واضعاً كفيه فى جيب بنطاله .. اقتربت منه مبتسمة وهى تمد يدها قائله:

-صحيح انت من أهل البيت وعايش معانا فى الفيلا بس مبشوفكش خالص .. أهلاً بيك نورت

نظر "مهند" للحظة الى كفها الممدود .. ثـم بتبرم وبوجه متجهم أخرج كفه من جيب بنطاله .. ليصافحهـــا .. بلا مبالاة .. ثم تركها وذهب للجلوس على أحد المقاعد دون أن يلتفت اليها .. شعرت "سمر" بالحنق والضيق وهى تتطلع اليه دون أن يوليها أدنى اهتمام .. نقلت "فيروز" نظرها من "مهند" الى "سمر "فى دهشة .. بينما احتقن وجه "نهال" وهى ترمق "مهند" بنظرات غاضبه وهى تقول بحده:

" -مهند" انت ازاى...........

قاطعها صوت "عدنان" المرح وهى يدخل قائلاً:

-آسف على التأخير يا جماعة

نظر اليه الجميع مرحبين به .. حضرت "لميس" من خلفه تقول بهدوء:

-كل حاجه جاهزة فى الجنينة زى ما أمرت يا "عدنان" بيه

توجه الجميع الى الحديقة والتفوا حول الطاولة المعدة بعناية فى الهواء الطلق .. كاد "حسنى" أن يجلس في مقعده على يسار "عدنان" .. لكن "عدنان " أمسك المقعد وقال ضاحكاً:

-لا خلاص يا "حسنى" .. ده بأه كرسى العروسة

امتقع وجه "حسنى" وتخير مقعد آخر .. أزاح "عدنان" مقعد "سمر" ابتسمت له وهى تجلس فى ذلك المقعد .. بينما التف "مهند" حول الطاولة ليجلس فى مقعده المعتاد الى يمين "عدنان" .. و .. فى مواجهة "سمر! "

قبل أن يبدأ الجميع فى تناول طعامهم .. نهض "عدنان" وبلهجة مسرحية قال وهو يخرج احدى العلب المخمرية من جيبه:

-بمناسبة مرور ٣ أيام على جوازى .. أحب أقدم لعروستى الهدية البسيطة دى

كتمت "كوثر" شهقتها بكفها وهى تتطلع الى ذلك العقد الماسى الذى أخرجه "عدنان" تحت أنظار الجميع .. طلب من "سمر" الوقوف .. والتفت حولها بينما رفعت شعرها وهو يلبسها اياه .. تحسسته بيدها وهو يزين رقبتها .. كانت أنظار الجميع مصوبة تجاهها .. فقط "مهند" لم يستهويه ذلك المشهد فأطرق برأسه غاضاً لبصره .. التفتت "سمر" لتنظر الى "عدنان" بتأثر قائله :

-بس ده كتير أوى

ابتسم وهو يقبل جبينها قائلاً:

-مفيش حاجه تغلى عليكى يا حبيبتى

لمعت العبرات فى عين "سمر" وهى تقول بإمتنان شديد:

-مش عارفه أقولك ايه

مسح بكفيه على ذراعيها وهو يبتسم لها قائلاً:

-متقوليش حاجه

جلست فى مقعدها ومازالت عيناها تترقرق بالعبرات تأثراً لتلك المعاملة المحبة المعطوف وهذا التدليل الذى حُرمت منه طويلاً .. ربت "عدنان" على كفها فالتفتت اليه وابتسمت .. ابتلع الجميع ألسنتهم وهم ينظرون الى "سمر "بين الحين والآخر وهذا العقد الماسى يزين رقبتها .. حملت نظراتها الحقد والحسد والضغينة .. حتى نظرات "فيروز" لم تختلف كثيراً عن نظرات الآخرين .. وضع "مهند" عينه فى طبقه ولم يرفعها الى تلك الفتاة الجالسه قبالته قط .. قال "عدنان" لـ "مهند: "

" -مهند" هتعرف تمشى الشركة من غيري اليومين اللى جايين ؟

التفت "مهند" الى عمه وقال على الفور:

-أيوة طبعاً يا عمى مفيش مشكلة

قال "حسنى" بفضول:

-خير يا "عدنان"

نظر اليه "عدنان" مبتسماً وهو يقول:

-مفيش يا "حسنى" .. أنا و "سمر" طالعين شرم كام يوم
التفتت "يسرية" لتنظر الى "كوثر" وكلتاهما تتآكلات من الغيظ .. فيما ضحكت "فيروز" قائله بمكر:
-طبعاً عرسان ومن حقهم يتفسحوا ويقضوا يومين عسل مع بعض
احمرت وجنتا "سمر" فرفعت كوب الماء الى فمها ترشف منها رشفات صغيره وقد عقدت جبينها فى ضيق .. نظرت اليها "فريدة" الجالسة بجوار "مهند" وقالت:
-مال دراعك يا "سمر" ؟
توترت "سمر" بشدة وأخذت تعبث فى طعامها بملعقتها بعصبيه .. ساد الصمت .. فقالت "فريدة" بحيرة:
-انا آسفة مش قصدى أضايقك .. أنا بس شوفت دراعك متجبس فـ........
رفعت "سمر" رأسها ونظرت اليها قائله:
-لأ مش متجبس
هنا التفت اليها الجميع فى حيرة يتطلعون الى ذلك الذراع المعلق الى رقبتها .. تمتمت بهدوء وهى تشعر بغصه فى حلقها .. وبنغزات الدموع فى عينها .. وهى تنظر الى طبقها غير قادرة على النظر الى تلك الوجوه المحملقة فيها:
-مشلول
رفــع "مهند" عينيــه لأول مرة منذ أن جلست أمامــه .. ونظر اليهــا .. فرأى تلك الدمعـــة التى فرت هاربـــة من عينهـا .. لتسقط معلنة عن حزنهـا و قهرهـا وألمهـا!

الفصل الرابع عشر

ساد الصمت وازدادت حملقة عيونهم الفضولية فى وجهها .. تمتمت "فريدة" : بأسى

معلش أنا آسفة مكنتش أعرف -
تبادلت "كوثر" مع "يسرية" و "حسنى" نظرات دهشة .. فيما نظر اليهم : "عدنان" قائلاً بحزم
ياريت نقفل الموضوع ده يا جماعة -
: نظرت اليه "سمر" وهى تحاول اخفاء ألمها بإبتسامه مصطنعة وهى تقول
لا عادى مفيش مشكلة .. أكيد كانوا هيعرفوا -
خفض "مهند"عينيه وأعاد النظر الى طبقه مرة أخرى .. شارداً .. قالت : "نهال" بفضول
ازاى حصل الموضوع ده يا "سمر" .. انتى مولودة كده -
: التفتت اليها "سمر" وهى تقول بإبتسامه مضطربة
لأ مش مولوده كده -
: ثم قالت بوصت خافت
حادثة عربية -
: للمرة الثانية رفع "مهند" عينيه لينظر اليها وهى تتحدث قائله
اتخبطت فى راسى .. ومن ساعتها ودراعى مش بيتحرك -
: قالت "انعام" بأسف
معلش يا بنتى .. أكيد حاجه صعبة عليكي .. طيب الدكتور قالك ايه .. مفيش - علاج
: ابتلعت "سمر" ريقها بصعوبة وهى تقول بمرارة
الدكتور قالى ان الحالة غريبة .. ومش عارفلها سبب .. وان العلاج الطبيعي - فشل .. يعني من الآخر قالى مفيش أمل
: "شرد "مهند" مرة أخرى فى كلماتها .. يزنها فى عقله .. بينما قالت "كوثر
عشان كده مبحبش أسوق بنفسى -
: قالت "سمر" بتوتر
مش أنا اللى كنت سايقه العربية .. خطيبي اللى كان سايق -
للمرة الثالثة يرفع "مهند" رأسه لينظر اليها .. لكن هذه المرة عقد ما بني : حاجبيه وهو يسمع لها بإهتمام .. حين قالت
هو أصلاً بطل سباق .. بس كان فى عربية جايه مخالف .. و معرفش يتفاداها -
ازداد انعقاد جبين "مهند" بشدرة . وترك ملعقته من يدة .. وهو يتذكر موقف

حينما فشل فى تفادى السيارة التى أدت الى وقوع الحادث الذى راحت ..مماثل
: زوجته ضحية له .. قال "عدنان" بحزم
كفاية كده يا جماعة . نكمل أكل .. اتفضلوا -
عاد كل منها الى الاتفات أمامه مرة أخرى .. أصاب وجه "سمر" الشرود
وفقدت شهيتها .. شعرت فى تلك اللحظة برغبة شديدة فى الانفراد .. والوجوم
البكاء .. بدت كمن يختنق بشئ فى حلقه .. تلتفت يمنياً ويساراً .. بنفسها و
: ثم نظرت الى "عدنان" برجاء وقالت ..بوجه محتقن
أنا .. معلش ممكن أقوم -
:ٌقال بإهتمام
مالك حسه بحاجه -
: قالت على الفور وهى تنهض
لا أبداً .. بس معلش .. أنا آسفة -
غادرت مسرعة قبل أن تفضحها عبراتها أمام الجميع

****

: قالت "انجى" بدلال عبر الهاتف
اعتبره غداء عمل -
: قال "نهاد" بهدوء
بجد يا "انجى" مش فاضى -
: ضحكت "انجى" قائلة
يعني يا "نهاد" مبتاكلش .. أكيد بتامل يعنى .. بدل ما تاكل عندك فى المكتب -
أهو ناكل مع بعض .. كده كده أنا قريبة من الشركة .. بصى مفيش أعذار ..
نص ساعة وهنتظرك تحت أدام باب الشركة .. يلا باى
نهاد" الى الهاتف .. ثم تركه بلا مبالاة فوق المكتب وعاد الى الانهماك "نظر
: فى عمله .. لكنه تفاجأ برؤيتها أمامه تدخل خلف السكرتيرة وهى تقول
طبعا مكنتش هتنزل فقولت أطلع ناصحة وأطلعلك بنفسى .. كده أكيد مش -
هتحرجنى
: نهض "نهاد" وسلم عليها قائلاً

- أهلاً يا "انجى"
كاد أن يجلش فهتفت بمرح :
- استنى استنى هتعمل ايه .. نروح نتغدى وبعدين ارجع كمل شغلك .. أصلاً أنا واقعة من الجوع
بدا على "نهاد" الإستسلام وارتدى سترته وهو يقول :
- أصلاً أنا نسيت نفسى فى الشغل ومحستش انى جعان الا لما جبتى سيرة الأكل
قالت مبتسمة :
- كويس أوى .. يلا بأه
خرجا سوياً واستقلا سيارة "نهاد" الى أحد المطاعم التى أشادت "انجى" بجودة أصنافهم .. كاد أن يختار طبقه فوضعت كفها فوق قائمة الطعام تحجب عنه الرؤية .. رفع نظره اليها فقالت بنعومة :
- سبنى أنا اللى أخترلك أنا عارفه أحسن حاجه بيقدموها هنا
أومأ "نهاد" برأسها .. انغلا فى الحديث سوياً .. تطرقت "انجى" الى مواضيع مختلفة .. متفرقة .. بدا على "نهاد" الملل تاره .. والاهتمام تاره والضخر تاره .. لكنه أشاد بالطعام قائلاً :
- فعلاً ممتاز .. كان معاكى حق
ابتسمت بنعومة وهى تنظر الى عينيه بجرأة وقالت :
- أنا على طول معايا حق .. سيبلى نفسك وانت مطمئن
أشعرته نظراتها ونبرة صوتها بالتوتر .. أمسك كوب الماء الموضوع أمامه يتلهى به وعقله شارداً .. أسندت وجنتها الى قبضة يدها وهى تنظر اليه بنفس الجرأة قائله :
- سرحان فى ايه
رسم بسمة على شفتيه وهو ينظر اليها قائلاً :
- لا أبداً
قالت "انجى" بصوت هامس :
- تعرف ان "بيسان" محظوظة أوى انها متجوزة من راجل زيك
اتسعت ابتسامة "نهاد" .. فأكملت بنعومه :
- أكيد "بيسان" بتحسد نفسها عليك .. عارف .. أنا لو كنت متجوزة راجل زيك .. كنت هبقى أسعد واحدة فى الدنيا

أطربه السماع الى كلماتها التى أرضت غروره كرجل .. لكن على الرغم من : ذلك شعر بتوتر دفعه لأن يقول

معلش يا "انجى" لازم أرجع الشركة -

: ابتسمت وهى تقول

مفيش مشكلة .. زى ما تحب -

: ثم رفعت حاجبيها ونظرت اليه بتحدى وقالت

بس هنتقابل تانى -

نهاد" اليها .. متأملاً الكلمات التى ترسمها عينيها أمام وجهه .. يفهم تلك "نظر الكلمات جيداً .. ويعى معناها .. لكنه .. يتظاره بأنه لا يراها !

****

تساقطت العبرات من عيني "سمر" وظهر الألم واضحاً جلياً على وجهها وهى تستمع الى كلمات الطبيب الذى أحضرها اليه "عدنان" موهماً الجميع أنهم فى : رحلة الى شرم الشيخ .. أكمل الطبيب حديثه قائلاً

زى ما قولتلكوا .. الفحوصات اللى عملناها واللى جبتوها من الدكتور المعالج - فى تركيا بتقول ان كان فى كدمة فى مؤخرة الرأس بسبب الاصطدام وقت وده اللى سبب الشلل فى الذراع الأيسر .. رغم ان من المعتاد انه ..الحادث يكون شلل نصفى .. بل للأسف الكدة حتى بعد ما اختفت لسه الذراع مشلول

: قال "عدنان" بإهتمام

طيب وايه السبب -

: قال الطبيب متنهداً

المخ عضو حساس جداً .. وأحياناً بتتسبب بعض الحوادث فى ردود أفعال - غير متوقعة .. لعل مع الوقت الشلل ده يختفى .. أنا شايف انها تستمر على العلاج الطبيعي .. لكن احنا كأطباء للأسف مفيش فى ايدينا حاجه نعملها سمر" برأسها بينما ساعدها "عدنان" على النهوض .. توجها معاً الى "أطرقت بوابة المستشفى .. يسوقها "عدنان" من ذراعها .. توقفت فجأة عن السير : وهتفت باكية

يعني خلاص مش هخف . هفضل كده .. خلاص دراعى مش هيتحرك تانى .. - هيفضل مشلول كده

نظر اليها "عدنان" بحزن .. فبكت بشدة غير عابئة بنظرات الناس من حولها وهى تقول :
قوللى أعالجه ازاى .. مش عايزه أفضل كده .. انت .. قوللى أعمل ايه - وعدتنى تعالجنى . انت وعدتنى بكده.
كاد صوت بكائها أن يمزق قلب "عدنان" الذى احاطها بذراعيه .. ألقت برأسها فوق صدره تزرف ما بداخلها من نحيب وألم .. بكت كما لم تبكى من قبل .. لم يجد "عدنان" أى كلمات لمواساتها .. شعر بأن الكلمات فى تلك اللحظة تكون فارغة من أى معنى .. ربت على ظهرها وتركها تبكى على صدره عليها ترتاح قليلاً .. أخيراً رفعت رأسها تنظر اليه بوجهها المبلل بالعبرات قائله برجاء ممزوج بالأسى كالغريق الذى يتعلق بقشة :
- قوللى ان دراعى هيخف
تمتم "عدنان" وهو يمسح على ذراعيها قائلاً :
- إن شاء الله هيخف
أومأت برأسها وهى تحاول تصديق كلماته .. بل تحاول أن تخدع نفسها بكلماته .. ففى التظاهر تخفيف لألمها .. وهروب من واقعها ومن الحقيقة القاسية .. تظاهرت بالإقتناع وابتسمت قائله بمرح مصطنع :
- أنا برده بقول كده .. عارف أكيد لو بعت التحاليل الجديدة دى للدكتور بتاعى فى تركيا هيقولى كلام غير اللى الدكتور ده قاله .. أصلا الدكتور اللى عالجنى فى تركيا من أكبر الدكاتره هناك .. يعني أكيد هو يفهم أكتر
ثم نظرت اليه بأعين دامعه وهى تقول بشفتين مرتجفتين وعيناها ترجوه أن يخدعها كما تفعل مع نفسها :
- مش كده ؟
شعر بغصة فى حقه وهو يستجيب لذلك الرجاء فى عينيها ويقول بصوت خافت :
- أيوة صح .. معاكى حق
مسحت العبرات عن وجهها بكفيها وهى تبتسم قائله :
- ان شاء الله هتصل بيه واخليه يبعتلى ايميله وأبعتله صور من التحاليل دى
جذبت الملف الذى يحتوى على تحاليلها وفحوصاتها من يد "عدنان" وقالت بحماس :

خليه معايا -
احتضنت الملف الى صدرها بيدها السليمة .. بينما لف "عدنان" ذراعه حول اجتاحه شعور بالضيق .. كتفيها وهو يشعر بالشفقة والأسى على حالها ! والعجز لعدم قدرته على الوفاء بوعده لها

****
: تطلعت "يسرية" من الشرفة قليلاً .. ثم توجهت الى الداخل قائله بتهكم
العريس والعروسة شرفوا -
: قالت "كوثر" بحده
وجايين على نفسهم كده ليه .. ما كانوا كملوا باقى الاسبوع -
دخل "عدنان" الفيلا وهو يحيط كتفى "سمر" بذراعه .. أخبرته "لميس" بأدب
:
حمدالله على السلامة يا "عدنان" بيه .. حمدالهل على السلامة يا مدام -
"سمر" .. مدام ""كوثر" و مدام" يسرية فوق
رسمت المرأتان ابتسامة مصطنعه وهما تستقبلان "عدنان" و "سمر" .. معهما قليلاً ثم استأذن للذهاب الى غرفة النوم لترتاح .. قال "جلست "سمر
: "عدنان" وهو يجلس أمامهم فى خيلاء
"ها ايه أخبارك يا "كوثر" و انتى يا "يسرية -
: قالت "كوثر" مبتسمة بتهكم
انتى اللى تقولينا أخبارك يا عريس -
: أطلق "عدنان" ضحكة عالية وهو يقول
"أنا تمام أوى أوى .. متشغليش بالك بيا يا "كوثر -
: التفتت اليه "يسرية" لتقوم من بين اسنانها
واضح انكوا متفاهمين مع بعض رغم فرق السن الكبير اللى بينكوا -
:ٌقال "عدنان" بتحدى
أيوة فعلاً متفاهمين مع بعض جداً -
: ثم نهض قائلاً
"بعد اذنكوا هروح أطمن على "سمر -
: بعدما خرج التفتت "يسرية" الى "كوثر" قائله بحنق

أخوكى ده هينقطنى -
: قالت "كوثر" بحزم
البت دى لازم نطفشها من هنا -
: هتفت "يسرية" بصوت خافت
وازاى بأه هنطفشها .. ليه هى هبله .. أكيد هى ومراة أبوها الحداية مش - سهلين .. أكيد هيمسكوا فى الراجل بإيديهم وسنانهم ده منجم دهب بالنسبة لهم
: قالت "كوثر" بحزم شاردة
لازم نفكر فى طريقة تخلى "عدنان" يطلقها -
: قالت "يسرية" بلهفة
طريقة ازاى .. ايه اللى هيخلى "عدنان" يطلقها انتى مش شايفه مبسوط - معاها ازاى
:ًالت "كوثر" هامسة بصرامة
لو فكرنا مش هنغلب يا "يسرية" .. ايه اللى الحاجه اللى تخلى راجل بيحب - مراته يطلقها ويرميها رمية الكلاب ؟
: حكت "يسرية" ذقنها بأصابعها وهى تمعن التفكير ثم قالت شاردة
مش عارفه -
: ثم التفتت الى "كوثر" قائله بحماس
انها تخونه -
: قالت "كوثر" بحماس هى الأخرى وبصوت خافت
برافو عليكي يا "يسرية" .. "عدنان" أخويا لو اكتشف انها بتخونه عمره ما - هيبص فى خلقتها تانى وهيطلقها ويرميها رمية الكلاب هى ومراة أبوها الحداية
: قالت "يسرية" بحيرة
بس ازاى يعني هنوهمه انها بتوخنه ؟ -
: قالت "كوثر" بمكر وخبث شديد
! لا يا حبيبتى احنها مش هنوهمه انها بتخونه .. احنها هنخليها فعلاً تخونه -

****

سمر" من غرفتها حاملة الملف الخاص بحالتها الصحية .. توجهت "خرجت عدنان" فى الفيلا .. طرقت الباب فسمعت اذناً بالدخول دون أن "الى مكتب تتبين صاحب الصوت فدخلت مباشرة .. اندهشت عندما رأت "مهند" جالس : فقالت بحيرة .. "أمام مكتب "عدنان

افتكرت .. افتكرت "عدنان" هو اللى فى المكتب -

: نظر اليها "مهند" قائلاً ببرود

عمى جاله تيلفون مهم ونزل من ساعة -

أومأت برأسها وأغلقت باب المكتب خلفها ! .. تابعها "مهند" بعينيه وهى تتقدم : الى المكتب وقالت

معلش أنا محتاجه أبعت الحاجت دى بالفاكس دلوقتى .. الدكتور مستنى -

: ثم تلفتت حولها قائله

فى هنا فاكس مش كده ؟ -

بدون أن يجيب أشار بيده الى الجهاز القابع بجوار المكتب على احدى الطاولات ثم عاد الى عمله متجاهلاً اياها تماماً .. توجهت "سمر" الى الآلة التى .. تجهل كيفية عملها .. وضعت الملف على أحد المقاعد وأخرجت منه أول ورقة !! وبعد معاناة وضعتها داخل الجهاز .. وانتظرت ..

: التفت اليها "مهند" .. وهو يتطلع الى ما تفعله بصمت .. ثم قالت

انتى كده بعتى الفاكس ؟ -

: التفتت اليه وابتسمت بخجل وقالت

مش عارفه .. أصل أنا مبعتش فاكسات قبل كده -

: ثم أشارت الى الآلة قائله

ولا أعرف أصلا بيشتعل ازاى -

نهض "مهند" بتثاقل .. وأشار لها بيده لتبتعد من أمام الآلة ففعلت .. سألها : بهدوء

فين رقم الفاكس اللى عايزة تبعتى الورق عليه ؟ -

: أخرجت من هاتفها رقم مدون وأعطته له وقالت

هو ده الرقم -

أنجز "مهند" المهمة بسرعة .. ثم التفت ليعود الى مكتبه .. نقلت بصرها منه : الى الآلة وقالت

خلاص كده اتبعت ؟ -
: أومأ برأسه وهو ينظر الى حاسوبه ويقول
أيوة خلاص -
: ابتسمت بسعادة وقالت
.. ميرسى -
اختفت ابتسامتها ببطء عندما قابلها بتجاهل تام منه .. لم يرفع حتى بصره اليها .. التفتت تحمل الملف فى يدها وتغادر المكتب بهدوء

****

نهال" من السيارة لتقابل احدى صديقاتها أمام بوابة الجامعة .. ثم "نزلت تتوقف معها لانتظار زميلتهم الثالثة .. لم يدرى "بشير" لما توقف .. لكنها أراد الإطمئنان عليها حتى تدخل من البوابة .. لكن ظهر الغضب على وجهه عندما رأى أحد الشباب يقترب من "نهال" بمياعة وهو يبتسم فى وجهها ويتحرك بحركات بهلوانية .. ازددا انعقاد جبينه وهو يرى "نهال" تصع يدها على فمها لتكتم ضحكتها فقد رأى ما يفعله الشاب ظريفاً .. اقترب منها أكثر ومد يده للسلام عليها فاستجابت وهى تسلم يدها الى راحته .. بدا وجه "بشير" محتقناً من الغضب .. خاصة عندما رفض الشاب أن يترك يدها وهو يبتسم فى وجهها ويرفع حاجبيه فى تحدى .. حاولت كثيراً نزع يدها ففشلت فيما وقفت صديقتها مبتسمة لهذا المشهد .. أسرع "بشير" فى النزول من السيارة وتوجه اليهم ..
: نهال" وقال للشاب"وقف بجوار
سيبها -
التفت اليه الشاب زهز يرفع نظارته الشمسية الى جبينه ويتطلع الى "بشير"
: بسخرية قائلاً
ولو مسبتهاش -
:: "التفتت "نهال" لتقول لـ "بشير
خلاص يا "بشير" هو بس بيهزر -
: ثم التفتت الى الشاب وقالت مبتسمة
سيبنى بأه -
: نظر اليها بتحدى مبتسماً وقال

مش سايبك -
: ازداد غضب "بشير" ودون أن يعى ما يفعل لكم الشاب فى كتفه وقال
بتقولك سيبها -
نهال" تشعر بالخوف .. حاولت جذب يدها من كف الشبا الذى أحكم "بدأت
بدا وكأن الشاب قد حول الأمر الى عند وتحدى .. فنظر الى ..قبضته عليها
: "بشير" وقال بإحتقار
لو راجل خدها من ايدي -
فجأة ارتفعت قبضة "بشير" لتلكم الشاب فى وجهه .. لكن "بشير" أخطأ
فالناظر اليهما من أول وهلة سيدرك أن هذا الشاب النحيل .. !بإختيار الخصم
قصير القامة لن يكون نداً لذلك الشاب الطويل مفتول العضلات .. ترك الشاب
"نهال" لينهال على وجه "بشير" وبطنه وصدره باللكمات والركلات .. صاحت
: "نهال" صارخه
سيبه .. كفايه سيبه -
لكن الفتى بدا وكأن جنونه قد جن .. أخذ يكيل اللكملات والركلات حتى استطاع
مجموعة من الشباب السيطرة عليه وجذب بعيداً عن "بشير" الذى غرق وجهه
: فى دماء جراحه .. أقبلت عليه "نهال" وهى تهتف قائله
بشير" انت كويس" -
أومأ برأسه وهو يتحسس صدره فى ألم .. عاونته على النهوض .. وتوجهت
: معه الى السيارة ليستند على بابها فى اعياء .. قالت بلهفة
لزام شنوف دكتور .. وشك غرقان دم -
: رفع رأسه لينظر اليها قائلاً بصوت مشبع بالألم
المهم ان انتى كويسة -
: قالت "نهال" وهى تتوجه الى مقعد السائق
اركب يا "بشير" هسوق أنا -
بشير" رفضاً قاطعاً وجلس هو أمام المقود رغم اعياؤه .. وانطلق الى "رفض
أحد المستشفيات لينال عدة غرز فى جبهته وشفتيه .. على الرغم من الجراح
والألم الذى شعر به .. الى أنه شعر بالانتشاء .. لأنه أظهر لها رغبته فى
! الدفاع عنها .. وحمايتها

****

صعد "دياب" درجات السلم الى بيته .. ليقف فجأة فى الطابق الذى يقع أسفل طابقه ليسطع صوت "سحر" وهى تتحدث الى جارتها قائله بهمس:

- لا مش ممكن "دياب" يعمل كده

سمع جارتها تقول :

- يا خايبة .. صدقيني لو معرفتيش تبلفيه هتلاقيه طار من بين اديكي

قالت "سحر" بثقه :

- لا "دياب" مش ممكن يتجوز عليا .. أصلاً يا يدوبك فاتح البيت ده بالعافية هو حمل فتح بيت تانى .. ده بيشتغل أكتر من ١٢ ساعة ويدوبك المرتب بيكفى على الأد .. يجيب فلوس منين يعني يتجوز بيها

تسمر "دياب" فى مكانه وقد تطاير الشرر من عينيه .. ما كادت تدخل "سحر" الى البتي حتى سمعت صوت المفتاح فى الباب التفتت لتجد "دياب" يدخل المنزل وينظر اليها بغضب .. قالت مبتسمة :

- "دياب"

عقد ما بين حاجبيها وهى تنظر الى تعبيرات وجه قائله :

- فى حاجه ؟

اقترب منها قائلاً بحزم :

- أنا سمعت كلامك مع جارتك

استعادت "سحر" فى عقلها برسعة الحوار الذى دار بينها وبين جارتها ثم قالت :

- وايه يعني .. أنا ما قولتش حاجه غلط

اقتربمنها أكثر ونظر فى عينيها وقال بصرامة :

- صح ما قولتيش حاجة غلط .. أنا مقدرش أتجوز تانى ولا أفتح بيت تانى

ابتلعت "سحر" ريقها وهى تنظر الى عينيه الغاضبتين وهو يقول :

- لأن الحلال غالى

تسرب اليها شعور بالخو من تلك النظرة التى لم ترها فى عينيه من قبل .. وتيقنت من خوفها عندما سمعته يقول بصرامة شديدة وبصوت مخيف :

- بس الحرام ببلاش !

قفز قلبها الى حلقها وهى تحاول استعاب كلماته التى ألقاها فى وجهها .. لكن قلب أن تفعل التفت ليغادر البيت بحده .. أفاقت من صدمتها التى سببتها كلماته وفتحت الباب وأخذت تناديه .. لكنه هبط الدرج كالبرق دون أن يعبأ بتوسلاتها أن يصعد اليها .. سمعت صراخ الصغيرة فإضطرت لأن تدخل اليها وتحملها وتضمها الى صدرها وكلتاهما تفيض من اعينهما الدموع

****

خرج "عدنان" من الفيلا بصحبة "مهند" كل منهما متوجهاً الى سيارته .. قال "عدنان" فجأة :

- آه "مهند" .. على فكرة "سمر" هتنزل الشركة من النهاردة ان شاء الله .. هتشتغل فى قسم الترجمة

قال "مهند" بهدوء :

- تمام يا عمى

قال "عدنان وهما يقفان أمام سيرته :

- حالتها النفسية وحشة .. خاصة بعد ما الدكتور قالها ان تقريباً مفيش أمل ان علاجها يخف تانى

أومأ "مهند" برأسه فأكمل "عدنان" متنهداً بأسى :

- كان نفسى أعالجها زى ما وعدتها

رفع "مهند" رأسه لينظر الى "عدنان" وهو يعقد جبينه بشدة .. فأكمل "عدنان" دون أن ينظر اليه :

- بس الحمد لله قدر ربنا .. هنعمل ايه يعني

ثم نظر الى "مهند" قائلاً :

- عشان كده قولتلها تيجي الشركة تشتغل فى قسم الترجمة أو فى العلاقات العامة.. هى طبعاً عارفه تركى ممتاز .. وأهى تحاول تسلى وقتها يمكن ده يخفف عنها شوية

أومأ "مهند" برأسه فى صمت .. نزلت "سمر" الدرج وابتسمت للرجلان فلم يبادلها الابتسام الا "عدنان" بينما احتقن وجه "مهند" وهو يراها بملابسها المكشوفة.. شعر بالضيق فأشاح بوجهه عنها .. أقبلت عليهما بمرح قائله :

- الموظفة الجديدة فى قسم الترجمة جاهزة يا بهوات

: قال "عدنان" بمرح
أحلى موظفة فى الدنيا -
: ثم انحنى بطريقة مسرحية وهو يقول
شركتنا زادها شرف انضمامك ليها يا سيادة المترجمة العظيمة -
ابتسمت "سمر" بسعادة .. حانت منها التفاته الى "مهند" بوجهة المتجهم
: "فأخذت تتأمله بنظراتها الى أن قال موجهاً حديثه الى "عدنان
أنا هسبق أنا يا عمى على الشركة .. نتقابل هناك -
: "صاحت "سمر
أوووووف -
: لتفت الرجلان اليها .. فأشارت الى بلوزتها فى غضب وقالت
البنت لبستهالى بالمقلوب .. عامية دى .. مبتشوفش -
: نظر اليها "عدنان" قائلاً
معلش يا "سمر" .. اطلعى بسرعة غيريها -
: نظرت اليه "سمر" قائله
طيب .. مش هتأخر -
لكن يبدو أن "عدنان" كان متعجلاً أخذ ينظر الى ساعته بين الحين والآخر ..
: "ثم قال فجأة وهو يربت على كتف "مهند
مهند" هات انت "سمر" معاك .. أنا مش هقدر أتأخر أكتر من كده انت " -
عارف ان عندى اجتماع
وقبل أن يعطى "مهند" رأيه فى هذا التكليف ! .. الذى لم يراه تشريفاً ! .. ركب
عدنان" سيارته وأمر السائق -الذى حل محل "بشير" الى أن يتعافى- بأه "
ينطلق فى طريقه الى الشركة
وقف "مهند" حانقاً .. واجماً .. فأخر ما يريده هو أن تركب تلك المرأة سيارته
: .. زفر بضيق شديد وهو يراها مقبلة تجاهه وهى تقول
أمال فين "عدنان" ؟ -
: قال بوجوم
سبق على الشركة لما اتأخرتى .. أنا اللى هوصلك اتفضلى -
لم يهتم بأن يفتح لها باب السيارة .. التفت وركب خلف المقود .. انطلق فى
: طريقه بينما التفتت "سمر" لتتفحص وجهه المتجهم وهى تقول بحرج

- ضايقتك عشان هتوصلنى ؟
قال وهو ينظر الى الطريق:
- لا أبداً
لكن نبرة صوته ظهر واضحاً جلياً رغبتها بأن تقول : نعم متضايق !
سار "مهند" فى تلك الشوارع المزدحمة بالسيارات وبالمارة فى ذلك الصباح
كل الى وجهته والى سعيه خلف رزقه .. حانت من "سمر" التفاته أخرى تتطلع الى وجهه قائله :
- انت و "فريدة" توأم مش كدة ؟
أومأ برأسه فى صمت .. فقالت مبتسمة :
- محدش يقدر يعرف انكوا توأم لانكوا مش شكل بعض .. بس انتوا الاتنين فى نفس السمار تقريباً
بدا أن الحديث من طرف واحد .. أكملت "سمر" قائله :
- أنا عرفت انكوا من اسكندرية
أومأ برأسه بصمت ! .. فأكملت :
- أنا كمان من اسكندرية على فكرة
بدا وكأنها نجحت أخيراً فى دفعه لأن يلتفت لينظر اليها .. لكنها لمحة خاطفة ثم عاد يتطلع أمامه مرة أخرى قائلاً :
- مكنتش أعرف
ابتسمت قائله بمرح :
- أصلاً على الرغم من اننا عايشين مع بعض فى بيت واحد الا اننا منعرفش حاجه عن بعض
لم تجد صدى لحديثها .. فالتفتت تنظر من الشباك بجوارها للحظات .. ثم التفتت اليه مرة أخرى قائله :
- أنا كنت خايفة أوى على فكرة انكوا متحبونيش
ثم قالت مبتسمة :
- هو صحيح مش الكل حبنى .. بس فى أمل
قال "مهند" بجدية :
- اديهم فرصة بس يتعرفوا عليكي أكتر .. هو أكيد الخبر كان مفاجئ
قالت "سمر" بحماس مبتسمة :

عارف أنا أكتر حد حبيته هو طنط "انعام" و "فريدة" و "نـهال" و "نـهاد" و -
مدام "لميس" .. وشوية حبيت "حسنى" .. أما "علاء" فأنا مش قادرة أحدد
مشاعرى نحيته لسه محتكتش بيه .. وطنط "يسرية" بصراحة محبتهاش
وبحس انى بخاف لما ببصلها نظراتها تخوف .. وطنط "كوثر" مش عارفه
ساعات بحس انى مرتحالها وساعات لأ
: ثم قالت ناظره اليه
.... أما انت بأه -
: ظنت بأنه سيهتم حتى بالنظر اليها لكنها أخطأت .. فضحكت قائله
مش عايز تعرف ؟ -
: بدت عليه الجدية وهو يقول
مش هتفرق .. وعامة فى الأول والآخر دى فيلا عمى .. يعني بيتك .. وأنا -
ضيف
: قالت بمرح كالأطفال
طيب بما انك مش مهتم تعرف أنا حسيت ايه نحيتك وحطاك فى أنهى فئة -
فمش هقولك
أنهت حديثها وتطلعت الى الطريق أمامها .. دون أن تتحدث اليه مرة أخرى ..
توقفت السيارة فى جراج الفيلا .. ماكادت أن تترجل من السيارة حتى رأت
احتقن وجه "نهال" .. "بصحبة "علاء" يترجلان من سيارة "علاء ""نهال
: برفقة "مهند" فأقبلت "سمر" نحوها قائله بمرح "وهى ترى "سمر
هاى "نهال" ازيك -
: ثم التفت الى "علاء" وقالت
"هاى "علاء -
: نظر اليها "علاء" قائلاً بنبرة حملت شئ من السخرية
أهلاً بمرات عمى -
توجه "علاء" بصحبة "مهند" الى الشركة ..بينما سارت "نهال" برفقة
: "سمر" .. التفتت "نهال" الى "سمر" قائله بضيق
"انتى ليه جيتي مع "مهند" ومجتيش مع عمو "عدنان -
: التفتت اليها "سمر" مبتسمة وهى تقول
البنت اللى بتساعدنى ألبس غلطت ولبستنى الشيميز مقلوب طلعت أغير -

ونزلت لقيت "مهند" بيقولى ان "عدنان" سبقنا على الشركة
أومأت "نهال" برأسها وهى تتطلع الى "مهند" الذى يسير أمامها .. ثم التفتت
: الى "سمر" قائله بحدة
هو ليه "مهند" بيسلم عليكي -
: نظرت اليها "سمر" بدهشة وقالت
مش فاهمة-
: قالت "نهال" بحنق
مهند" مبيسلمش بإيده على بنات . غير عمتو "انعام" و عمتو "كوثر" " -
وفريدة .. غير كده لأ ..حتى أنا مبيسلمش عليا بإيده
: رفعت "سمر" حاجبيها بدهشة وهى تقول
بس هو سلم عليا مرتين -
: نظرت اليها "نهال" بحده وقالت
كمان مرتين -
: تأملت "سمر" ملامح "نهال" والتى بدا عليها الغضب فقالت بحيرة
اهاا -
نظرت "سمر" أمامها الى "مهند" الذى يسير أمامهما بصحبة "علاء" وقد
.. رفعت حاجبيها بدهشة

: اتى "علاء" اتصالاً من صديقه الذى هتف قائلاً
يا برنس البرانيس .. اسمعنى كويس .. جتلى حتة فكرة فى الجون .. تتخلص -
بيها من التلاتة فى وقت واحد .. عمك ومراة عمك وابن عمك
: التفت "علاء" فى توتر ينظر الى "مهند" الذى يسير بجواره ثم قال
طيب مش دلوقتى نتقابل بالليل -
: قال صديقه
تمام يا معلم مستنيك -
علاء" الى مكتبه .. بينما توجهت "نهال" الى مكتب أبيها .. سارت "توجه
"سمر" فى الشركة لأول مرة لتشعر بمدى فخامة بنيانها .. كانت تعلم بثراء
لكنها لم تتوقع امتلاكه لشركة كتلك .. نادت "مهند" الذى يسير ""عدنان
:أمامها قائلاً

"مهند" -
: التفت اليها فى ضيق فقالت
"معلش مكن تقولى فين مكتب "عدنان -
: قال بجدية
أنا رايحله أصلا -
: ابتسمت قائله
كويس بدل ما أتزه الشركة كبيرة أوى -
أومأ برأسه وسارت بجوارها .. تذكرت حديث "نهال" منذ لحظات .. التفت
: تنظر اليه فى تردد .. ثم توقفا أمام باب مكتب "عدنان" فقالت
"مهند" -
: نظر اليها فقالت
ممكن أسألك سؤال -
اتفضلى -
: تطلعت الى عيينه قائله
!أنا عرفت انك مبتسلمش على بنات ولا ستات .. اشمعنى أنا بتسلم عليا ؟ -
: ساد الصمت للحظات .. قبل أن يجيب "مهند" بحزم ناظراً اليها
لانك من محارمى .. محرم دائم -
: رفعت حاجبيها بدهشة وهى تقول
يعني ايه من محارمك ؟ .. هى زوجة العم محرم ؟ -
: هز رأسه نفياً وقال
لأ زوجة العم مش محرم -
: ابتسمت قائله بدهشة
طيب ما انت لسه بتقول انى من محارمك -
: قال "مهند" بهدوء
زوجة العم مش محرم .. لكن زوجة الأب محرم -
: اتسعت عيناها دهشة وهى تقول
بس "عدنان" عمك مش باباك -
: قال بنفس الهدوء
.. عمى "عدنان" أبويا فى الرضاعة .. طبعاً عارفه انه كان متجوز ومخلف -

ومراته وابنه ماتوا من زمان .. قبل ما تحصل مشاكل الورث بين العيلة كانت مراة عمى رضعتنى مع ابنها .. وبكدة بأه عمى هو أبويا فى الرضاعة .. وأى واحدة يتجوزها تبقى مراة أبويا
: عقدت "سمر" جبينها وهى تنظر اليه .. وقالت
طيب يعني ايه محرم دائم ؟ -
: قال "مهند" بحزم ونظرات كحد السيف
.. يعني مينفعش أتجوزك أبداً .. حتى لو عمى طلقك .. حتى لو عمى مات - مينفعش أتجوزك .. انتى متحرمه عليا كحرمة أختى "فريدة" .. تحريم ! دائم .. أبدى

الفصل الخامس عشر

سمر" الى غرفة الطعام على غير عادتها فى الاستيقاظ مبكراً .. "توجهت ابتسمت عندما رأت "مهند" جالساً فوق مقعده أمام الطاولة يتفحص الجريدة : الصباحية فى اهتمام .. اقتربت لتجلس فوق مقعدها فى مواجهته قائله

-صباح الخير
نظر اليها قائلاً:
-صباح النور
ثم عاد للإنهماك فى مطالعة جريدته .. أقبلت احدى الخادمات لتخبرها:
-ثوانى يا فندم ويكون الفطار جاهز
أومأت "سمر" برأسها .. ثم عادت لتنظر الى "مهند" الذى لا يعيرها أدنى انتباه .. قالت بهدوء:

" -عدنان" نزل بدرى من كده ؟ .....

قال "مهند" دون أن ينظر اليها:

-أيوة سافر بعد الفجر
أومأت برأسها وأخذت تنقر فوق الطاولة بأصابعها .. ثم قالت:
-هتوصلنى الشركة ؟
رفع "مهند" رأسه لينظر بضيق الى ملابسها المكشوفة .. طوى جريدته ووضعها جواره بينما أخذ فى تناول طعامه قائلاً:
-مفيش مشكلة
نظرت اليه "سمر" بإهتمام قائلة:
-شكلك اضايقت .. بفرض نفسى عليك مش كدة ؟
قال بهدوء:
-لا مش كده
حضرت الخادمة لترص الأطباق وتصب لـ "سمر" فنجان الشاى .. نظرت الى "مهند" مرة أخرى متفحصة .. ثم قالت بعدما انصرفت الخادمة:
-خلاص مفيش مشكلة هخلى السواق يوصلنى
قال "مهند" ببرود:
-مفيش مشكلة .. زى ما تحبى
أغاظتها ردة فعله البارده .. نهض ليغادر الغرفة وتبعتها بنظراتها الى أن خرج!

****

هتف "علاء: "
-يا ابن الجنية
قال صديقه فى مرح:
-عجبتك ؟
قال "علاء" بحماس:
-فكرة فى الجون زى ما قولت بس لازم يتخططلها كويس و كويس أوى كمان
قال صديقه:
-متقلقش كل حاجة هتبقى تمام
قال "علاء" بحيرة:

-بس ازاى ساعتها هنقدر نقنع البوليس بالموضوع ده
قال صديقه بحماس وهو يشرح خطته:
-يا ابنى افهم .. لما عمك يتقتل البوليس نفسه هيدور مين اللى فى مصلحته انه يقتله .. وأكتر حد مستفيد هو مراته الحلوة الصغيرة اللى عايزة تخلص منه عشان تورثه .. واللى هيساعدها عشيقها اللى هو "مهند" بيه .. عشان يتجوزها بعد ما وقع فيها من أول نظرة
قال "علاء" بشرود:
-بس خايف البوليس يفسرها بطريقه تانية خالص .. ويشك فينا احنا
قال "صديقه على الفور:
-ما احنا هنبقى عاملين حسابنا .. المسدس اللى هنقتل بيه عمك هيتحط فى اوضة "مهند" ومعاه كام صورة لمراة عمك .. ويا سلام بأه لو حاجات شخصية ليها .. وأى حمار هيشوف الحاجات دى فى أوضة ابن عمك هيفهم على طول انه بيحبها وقتل عمه عشان يخلص منه ويتجوزها .. وأكيد كمان البوليس هيشك فيها ان هى اللى وزت "مهند" انه يقتل جوزها عشان يخللها الجو معها وتتجوز حبيب القلب .. وممكن نشوف دليل ونحطه فى أوضتها هى كمان
قال "علاء" مبتسماً بمكر:
-وبكدة نبقى خلصنا من التلاته مرة واحدة .. عمى و "سمر" و "مهند"
قال صديقه بمرح وهى يخبط كأسه بكأس "علاء: "
-تمام يا برنس البرانيس
ثم قال رافعاً حاجبيه بتحدى:
-بس لما الورث يتوزع أنا حقى محفوظ .. لو هتلعب بديلك.......
قاطعه "علاء" قائلاً وهو يربت على كتفه:
-متقلقش حقك محفوظ
-قشطة يبقى اتفقنا
قال "علاء" وهو يعقد جبينه:
-بس مين اللى هيقوم بالمهمة دى .. أنا مليش فى القتل
قال صديقه:
-ولا تشيل هم .. أعرف واد مخلص هيقوم بالمهمة دى .. هقابله وأتفق معاه على تعبه .. وأبقى أبلغك

-قشطة يا معلم

****

رن هاتف "فريدة" فأجابت قائله:

-السلام عليكم .. ازيك يا مهند

-وعليكم السلام .. "فريدة" فاضية شوية عايز أتكلم معاكى

قالت بقلق:

-خير فى حاجه

قال "مهند" وهو يستند الى ظهر مقعده أمام مكتبه بالشركة:

" -فريدة" عايزك تتكلمى مع "سمر"

قالت بدهشة :

-اتكلم مع "سمر" بخصوص ايه

زفر "مهند" بضيق وهو يستند بمرفقة على مكتبه قائلاً بحده:

-عشان لبسها يا "فريدة" .. لبسها صعب جداً .. وأنا محرج أتكلم مع عمى فى الموضوع ده .. مش معقول هقوه خلى مراتك تلبس لبس محترم .. هو ممكن يكون سايبها عشان شايف انها صغيره وعروسة جديدة ومش عايز يضايقها .. بس احنا اللى بنشيل الذنب .. احنا عايشين معاها فى بيت واحد ومحدش فينا بينصحها .. عشان كده عايز تتكلمى معاها .. لأن أنا ميصحش أتخطى عمى وأتكلم معاها فى حاجة زى كده

قالت "فريدة: "

-خلاص ماشى هتكلم معاها .. أنا برده كنت مضايقة وحسه انى بشيل ذنب عشان بشوفها كدة أدامى ومش بنصحها .. بس أنا خفت تضايق منى وتتنشن خاصة اننا لسه مبيقناش صحاب أوى

قال "مهند" بحماس:

-بصى يا "فريدة" لما أخلص شغلى هعدى عليكي .. نخرج سوا ونجيبلها هدية حلوة ..تقدميهالها وتكسبى بيه قلبها .. وشوية شوية تتكلمى معاها فى الموضوع ده ..هى يمكن قبل كدة ملقتش اللى ينصحها ويوجهها .. بس طالما هى دخلت العيلة وعايشة بينا يبقى واجبنا نحيتها اننا ننصحها

قالت "فريدة" بحماس:
-خلاص ماشى يا "مهند" هستناك ننزل نشتريها هدية حلوة
-خلاص ماشى لما أخلص هكلمك وأنا جاى فى الطريق .. مع السلامة
وضع "مهند" هاتفه فوق المكتب .. وجلس شارداً الى أن قاطعها اتصال هاتفى من "عدنان" فأجاب قائلاً:
-السلام عليكم .. ازيك يا عمى
-وعليكم السلام .. أخبارك الشغل ايه يا "مهند"
-تمام الحمد لله متقلقش .. أخبار الوضع عندك ايه
-ممتاز .. لما أجى هنبقى نتكلم فى التفاصيل .. "سمر" فى الشركة ؟
قال "مهند: "
-معرفش .. هى قالتلى الصبح انها هتروح مع السواق
قال "عدنان" بقلق:
-طيب معلش يا "مهند" شوفهالى فى الشركة ولا لأ بكلمها مبتردش .. قلقت عليها
نهض "مهند" قائلاً:
-طيب يا عمى هشوفها وأكلمك
-طيب يا "مهند" مستنى اتصالك
توجه "مهند" الى مكاتب موظفى الترجمة .. وسأل عن "سمر" فأخبرته احدى الموظفات أنها فى كافيتيريا الشركة .. توجه "مهند" الى الكافيتيريا فهاله ما رآى .. ! اتسعت عيناه دهشة ثم ما لبث جبينه أن تجعد بشدة وهو يرى "سمر" واقفة تضحك بمياعة مع أحد الموظفين .. اقترب نحوها وعيناه تشعان شرراً .. توقفت عن الضحك بمجرد أن رأت تلك النظرات الغاضبة من عينيه .. وقف أمامها فقال الموظف بأدب:
-أهلا يا بشمهندس
أومأ "مهند" برأسه ثم التفت لـ "سمر" وهو يقول من بين أسنانه:
-لحظة يا مدام بعد اذنك
توجهت معه الى خارج الكافيتيريا .. فتوقف فجأة فى مواجهتها وقال بغضب:
-ايه اللى انتى بتعمليه ده ؟
قالت "سمر" بتوتر:

-بعمل ايه ؟
قال "مهند" بحدة وهو يتلفت يميناً ويساراً خشية أن يسمعه أحد الموظفين:
-المفروض ان حضرتك دلوقتى واحدة متجوزة .. يعني انسى حياتك اللى فاتت خالص ..انتى مراة صاحب الشركة دى .. ميصحش ابداً المسخرة اللى حصلت جوه .. ياريت تراقبى تصرفاتك انتى دخلتى عيلة محترمة عمر ما حد اتكلم علينا كلمة
ألجم لسان "سمر" لسيل الكلمات القاسية الذى تلقتها من بين شفتى "مهند" ثم قالت بإضطراب:
-أنا معملتش حاجه لده كله .. أنا بس كنت بسأله على حاجه فهو وقف يتكلم معايا .. قالى نكته فضحكت .. بس يعني معملش حاجه غلط
قال "مهند" بحزم:
-معنديش أكتر من اللى قولته .. جوزك مش عارف يوصلك .. كلميه
قال ذلك ثم تركها وانصرف!

****

-ألف سلامة عليك يا "بشير"
وقف "بشير" مضمد الوجة أمام باب غرفته مبتسماً وهو يتلقى تلك الكلمات من "نهال" .. غض بصره قائلاً:
-الله يسلمك يا آنسة "نهال "
قالت وهى تفرك يديها بتوتر:
-أنا أسفة أوى على اللى حصل .. ومتشكرة انك مجبتش سيرة لحد عن سبب اللى حصلك
أومأ برأسه قائلاً:
-متشيليش هم .. مش هجيب سيره لحد .. متخافيش
أومأت برأسها وقالت:
-ألف سلامه عليك مرة تانية
أغلق "بشير" باب غرفته وهو يبتسم بسعادة .. لم يكد يتوجه الى فراشه حتى

سمع طرقات على باب الغرفة مرة أخرى .. فأسرع بفتح الباب ظناً أن "نهال" عادت مرة أخرى .. لكنه فوجئ بـ "الميس" التى قالت:

-أخبارك ايه دلوقتى يا "بشير"

ابتسم قائلاً:

-الحمد لله يا مدام "لميس" .. أحسن كتير

نظرت اليه بفضول وقالت:

-مش هتقول برده ايه سبب الخناقة دى ؟

أشاح بوجه قائلاً:

-مفيش واحد جر شكلى فاتشاكلت معاه .. بس كده

قالت بإهتمام:

-جر شكلك فجأة كده .. أكيد حاجه حصلت

قال "بشير" على الفور:

-واحد مش متربى وخلاص الموضوع انتهى

قالت "لميس" وهى شتعر بأنه يخفى شيئاً:

-خلاص يا "بشير" .. هصدق اللى انت قولته .. بس أرجوك لو فى حاجة خطيرة ياريت تعرفنى

قال مطمئناً اياها:

-لا متقلقيش يا مدام "لميس" مفيش حاجة خطيرة ولا حاجة

****

تعالت ضحكات "نهاد" وهو جالساً برفقة "انجى" فى أحد المطاعم .. قال ضاحكاً:

-انتى رهيبة له حق جوزك يطفش

اختفت ابتسامة "اجى" .. فقال "نهاد" على الفور وقد شعر بفجاحة كلماته:

" -انجى" أنا آسف مش قصدى .. أنا كنت بهزر .. بجد آسف

قال "انجى" وهى تعاود الابتسام مرة أخرى:

-لا أبداً محصلش حاجة يا "نهاد" .. أصلاً الانسان ده أنا لغيت وجوده من

حياتى ومعدش فارق معايا أبداً
قال "نهاد بأسى:
-معلش يا "انجى" انتى تستهلى واحد أحسن منه
قالت "انجى" وهى تستند بمرفقيها الى الطاولة وتنظر اليه بنظرة لؤم قائله:
-واحد زيك مثلاً ؟
نظر "نهاد" اليها .. والى نظرات عينيها التى تفضح ما بداخلها .. والى كلماتها التى لا يخطئ فهمها لبيب .. أخذ يتساءل فى داخله .. مادم تعمل ما يدور بداخل رأسها جيداً .. لماذا تسمح لها بأن تتقرب اليك يا "نهاد" .. لماذا لا تضع حداً لتلك اللقاءات التى تتم تحت مسمى "غداء عمل " ! .. لماذا تفعل ذلك بـ "بيسان" .. نفض تلك الأفكار من رأسه وقال .. أنا لا أفعل شئ خاصطى .. مجردت أننا نتناول الطعام سوياً .. ما الخطأ فى ذلك ؟ .. حتى "بيسان "تعلم بأننى ألقتى بصديقتها من أجل مالها الذى أشغله لها .. أنا لا أفعل شيئاً من خلف ظهرها .. هى تعلم بأننى على اتصال بصديقتها .. بل وتشجعنى على التواصل معها .. فهى وحيدة وليس لها من يقف بجوارها .. "بيسان" هى من تدفعنى للإهتمام بأمر "انجى" .. فلماذا ألوم نفسى اذن ؟!
نظرت اليه بهيام قائله:
-سرحان فى ايه ؟ .. انت مش معايا خالص
رسم بسمة على شفتيه وقال:
-مفيش سرحت شويه
قالت بفضول:
-زعلان مع "بيسان" ؟
قال على الفور:
-لا أبداً .. أنا و "بيسان" الأمور بينا ماشية كويس .. يعني مبتحصلش مشاكل بينا .. ولو حصلت بتكون حاجة بسيطة وبتنتهى بسرعة
قالت وفى عينيها نظرات حزينة أجادت رسمها جيداً:
-شكلك بتحبها أوى
نظر اليها ليخوص فى ذلك البحر الحزين الذى رسمته واضحاً جلياً أمام عينيه .. صمت طويلاً .. الى أن قال بخفوت:
-أيوة بحبها

ظهر على شفتيها تعبيراً مريراً وهى تقول:
-عارف لو كنت عرفتك قبلها .. مكنتش سيبتك تضيع من ايدي
خفق قلبه لكلماتها التى خرجت بنبرة حزينه وكأنها تتقطع ندماً .. عقد جبينه وهو ينظر اليها .. امتدت يدها من فوق الطاولة لتلامس يده .. لم يعترض .. لم يزجرها .. لم يسحب يده .. نظر اليها وهى تقول هامسة:
-حس بيا يا "نهاد"

****

توقفت سارة "مهند" أمام أحد محلات الصاغة .. نولت "فريدة" معه لاختيار هدية تقدمها لـ "سمر" .. طلب منها "مهند" اختيار سوارين فقالت:
-كفاية واحد يا "مهند"
-لا اختارى اتنين
فعلت كما طلب وتخيريت سوارين رقيقين أعجباها بشدة .. انطلق بها "مهند" الى أحد المطاعم المطلة على النسل .. قالت بسعادة:
-يا بقالى زمان مخرجتش
نظر اليها "مهند" بأسف وهو يقول:
-معلش يا "فريدة" أنا عارف ان أنا مقصر معاكى
قالت "فريدة" مبتسمة:
-لا أنا عارفه انك بتبقى مشغول .. والمشكلة انى مليش صحاب هنا عشان أخرج معاهم .. وخروجات "نهال" مبرتحس ليها خالص
لكنها قالت فجأة:
-بس الحمد لله بقالى صحبة جديدة
قال "مهند" بإستغراب:
-مين ؟
" -سمر"
عقد "مهند" جبينه وهو يتذكر ما حدث منها صباح اليوم وحديثه معها فى الشركة .. قالت "فريدة: "
-عارف يا "مهند" بحس انها طيبة .. وكويسة من جوه .. يعني مثلا مراة

باباها دى .. أنا مبرتحلهاش خالص .. لكن هيا بحس انها مختلفة عنها
ثم قالت شاردة:
-رغم انى لسه مش قادرة أفهم ايه اللى يخليها تتجوز من عمى .. مش قادرة أتخيلها طمعانه فى فلوسه .. مش عارفه .. أنا عارفه ان ده هو التفسير الوحيدة ..بس مش قادرة أشوفها بالطريقة دى
قال "مهند" بهدوء:
-فى سبب تانى أنا شاكك فيه
نظرت اليه "فريدة" قائله:
-ايه هو ؟
قال "مهند" بهدوء:
-حاسس انها اتجوزته عشان يعالجها .. عمى من كام يوم قالى انه الدكتور قالها ان دراعها مش هيتحرك تانى .. وكان مضايق وقتها وقالى انه كان نفسه ينفذ وعده ليها
قالت "فريدة" شاردة:
-بس ممكن يكون وعدها عادى يعني .. يعني ميكنش ده سبب جوازهم
قال "مهند" منتهداً:
-معرفش بس أنا حسيت من كلامه بكده .. يمكن أنا احساسى غلط .. بس ده الاحساس اللى وصلتى
قالت "فريدة" بأسى:
-يعنى وافقت تتجوز عمو بس عشان يعالجها .. وأهى دلوقتى حتى مش عارفه تتعالج
قال "مهند" وهو يتذكر الفاكس الذى أرسلته:
-ما كام يوم بعتت فاكس للدكتور بتاعها فى تركيا .. يمكن يقولها حاجة جديدة .. ويكون فى علاج لحالتها
قالت "فريدة" بلهفة:
-ياريت يا "مهند" .. ياريت يكون فى علاج لحالتها .. دى صعبانة عليا أوى
أومأ برأسه قائلاً وهو يخرج احد العلب من جيبه:
-ان شاء الله تخف .. ده ليكي يا "فريدة"نظرت الى العلبة التى فتحها وبداخلها أحد السوارين فى دهشة وقالت:

-ليا أنا
ابتسم لها قائلاً:
-أيوة ليكي انتى
نظرتا ليه بتأثر وقالت:
-بجد يا "مهند" كتير .. مكنش فى داعى
ربت على ظهرها قائلاً:
-لا فى داعى .. ولو عجبك التانى أكتر خديه .. بس أنا حسيت ان ده هيليق عليكي أكتر
اتسعت ابتسامتها وهى تقول:
-أصلاً الاتنين حلوين .. تسلم يا "مهند"
أعطاها العلبة الأخرى وقال:
-وده تديه لـ "سمر" زى ما اتفقنا
أومأت برأسها وقالت بسعادة:
-ماشى
نظر ايلها "مهند" قائلاً بإهتمام:
" -فريدة" حسك متغيره اليومين دول ..فى حاجه مضايقاكى
رسمت ابتسامة مصطنعة على شفتيها وهى تقول:
-لا أبدا وايه اللى هيضايقنى
قال "مهند" بحزم وهو يتأمل ملامحها:
-لا فى حاجة مضايقاكى .. عمرك ما خبيتي عنى حاجه
ترقرقت الدموع فى عينيها على الرغم منها .. فقال بضيق:
-ده الموضوع كبير بأه
"الت على الفور بصوت مرتجف:
-لا مش كبير ولا حاجه
قال بإصرار:
-ايه اللى حصل
قالت "فريدة" وهى تمسح عبراتها:
-واحدة صحبتى .. من اسكندرية .. عرفت من فترة قريبة انها .. اتجوزت
نظر اليها "مهند" صامتاً .. فرفعت عيينها الدامعتين تنظر اليه وهى تقول بألم:

-عرفت من واحدة صحبتنا تالته اتصلت بيا وكانت فاكرانى عارفه .. لكنها ما قالتليش .. قالت لكل صحابها الا أنا .. رغم انى أقرب واحدة ليها يا "مهند .. " عارف ما قالتليش ليه
لم يجب "مهند" فأكملت "فريدة" بمرارة:
-عشان أنا لسه متجوزتش .. فاكرانى هحسدها يا "مهند" .. خايفة منى .. مع انها عارفانى كويس
أجهشت فى البكاء بخفوت فربت "مهند" على ظهرها وهى تقول:
-هى عارفانى وعارفه انى مش شوحشة كده .. وعمرى ما هحسدها وعمرى ما حسدت أى واحدة من صحابى اللى اتجوزوا قبلى . .بالعكس أنا بدعيلهم ان ربنا يوفقهم .. ليه يعاملونى كده بأه .. أكنى عندى مرض معدى .. الكل بيبعد عنى
قال "مهند" على الفور:
-أكيد مش قصدهم كده يا "فريدة "
نظرت اليه قائله بألم:
-لا قصدهم . .أنا فاهمة . .انت مش هتفهم . .أنا فاهمة ان ده قصدهم . .كل واحدة ربنا بيكرمها بخطوبة بتخبى عليا .. بتتجوز بتخبى عليا . .اشمعنى أنا .. والله أنا مش وحشة يا "مهند" .. وعيني مش وحشة
تمتم "مهند : "
-عارف يا "فريدة" وواثق من كده
مسحت عبراتها بمنديلها وهى تقول:
-أنا لو عايزة أتجوز كنت اتجوزت من زمان .. بس انت عارف انى مش عايزة أتنازل وأقبل بأى راجل والسلام لمجرد انى أحصل على لقب متجوزة .. أنا مش عشان أرضى الناس أجى على سعادتى أنا وعلى راحتى أنا
قال "مهند" بحزم:
-وده الصح .. مش لازم تتنازلى عشان ترضى حد .. أصلاً الناس مبيعجبهاش العجب
قالت "فريدة" بأسى:
-انت بتشوف الناس اللى بتتقدملى بيبقوا عاملين ازاى .. اكمنى عايشة فى فيلا وعمى غنى خلاص فاكرين انى معنديش دين .. واحد عايز يقلعنى الحجاب .. وواحد معترض على هدومى الواسعة .. وواحد مبيصليش أصلا وفاكرنى هنبهر

بفلوسه وعربيته .. أنا مش ممكن أتجوز راجل كده يا "مهند" حتى لو هفضل من غير جواز طول عمرى . .يا أتجوز واحد عنده دين يا انشاله عنى متجوزت
أومأ "مهند" برأسه قائلاً:
-أنا معاكى .. ده الصح فعلاً .. مش عايزك تضايقين نفسك .. معلش
قالت "فريدة" مبتسمة:
-عارف أنا لما شوفت "سمر" كنت خايفة أوى لما تعرف انى لسه متجوزتش تاخد جمب هى كمان وتعاملنى زى صحابى .. بس لأ لقيتها مختلفة .. يعين بتتعالم معايا عادى .. عشان كده حبه انى أنا وهى نبقى صحاب
ابتسم "مهند" قائلاً:
-المهم عندى انك تكونى مرتاحة ومبسوطة يا "فريدة" .. وأنا واثق ان ربنا هيكرمك أوى .. بكرة تشوفى
اتسعت ابتسامتها وهى تنظر اليه قائله:
-وأنا واثقة من كده

****

دخلت "سمر" عرفة المعيشة لترحب بـ "بيسان" التى وقفت تقبلها قائله:
-ألف مبروك .. سورى جاية متأخر
ابتسمت "سمر" قائله:
-لا أبداً يا "بيسان" .. أهلاً بيكى منوره
جلست "سمر" بجوار "عدنان" وأخذت "يسرية" و "كوثر" تتطلعان اليها بحنق .. قال "حسنى: "
-أمال فين "فريد" يا "بيسان"
قالت "بيسان: "
" -نهاد" بيتمشى بيه بره فى الجنينه عشان يبطل عياط
قالت "نهال" بمرح:
-ده ابنك ده صداع يا "بيسان"

قالت "بيسان" ضاحكة:
-وأى صداع .. مبيسكتش غير وهو نايم .. بمجرد ما يفتح عينيه يبدأ العياط
ابتسم "سمر" قائله:
-رنبا يخليهولك يا "بيسان"
قال "علاء" ناظراً الى "سمر: "
-اللى يشوفك يا "سمر" ويسمعك وانتى بتتكلمى ميقولش أبداً دى واحدة عاشت سنين بره .. لتتكلمى مصرى زينا بالظبط مفيش أى اختلاف
قالت "بيسان" بإستغراب:
-أنا كمان استغربت لما "نهاد" قالى كده
قالت "سمر" وهى تممرر عينيها فى وجوههم:
-أنا صحيح كنت بعيد عن مصر بس كنت حسه انى سايبه روحى هنا .. سايبه جزء من هنا .. وكنت واثقة انى هرجعلها تاذىف ى يوم من الأيام .. كنت دايماً بتابع القنوات المصرية .. عارفه أخبارها أكتر من أهلها اللى عايشين فيها .. عشان كدة اللهجة منستهاش لناى على طول بسمعها
ابتسمت لها "فريدة" وقالت:
-فعلاً عشان كدة من أول ما شوفتك واتكلمت معاكى محستش انك غريبة .. يعني حسيت أنك عايشة ومتربية وسطينا
قالت "فيروز" بسخرية:
-نفسى أفهم سر حبها للبلد دى .. كانت دايما تقولى انها نفسها ترجع هنا .. مع ان اللى يروح تركيا عمره ما يفكر يرجع مصر تانى
كان "مهند" يستمع الى الحوار الدائر أثناء انهماكة فى تفحص أحد الملفات فى ديه واضعاً ساقاً فوق ساق .. قالت "سمر: "
-لا على فكرة أنا مشوفتش تركيا زى ما انتى شوفتيها يا "فيروز" .. بالنسبة لى أحب مكان ليا هيفضل دائماُ وأبداُ هو بلدى اللى اتولدت وعشت فيها .. ومهما سافرت ومهما روحت بلاد .. برده هتفضل روحى هنا
قالت "فيروز" بتهكم:
-أيوة خاصة شط اسكندرية
رفع "مهند" عينيه يتابع بإهتمام "سمر" التى تقول بشرود وبنبرة حالمة:
-معاكى حق .. خاصة شط اسكندرية

التفتت لتلتقى عيناها بعينيه .. لتبتسم فجأة وهى تقول متطلعة الى عينيه:
-خاصة "المندرة"
عقد "مهند" جبينه وهو ينظر اليها .. والى تلك النظرة التى لم يستطع تفسير معناها .. خفق قلبه عند ذكرها تلك المنطقة تحديداً .. والتى تحمل ذكرياته مع زوجته الراحلة .. قالت "فريدة" بدهشة:
-ايه ده انتى من "المندرة" ؟
أومأت "سمر" برأسها .. فقالت "فريدة" وهى تنظر الى "مهند: "
" -مهند" شقته هناك .. كان عايش هناك
عادت لتلتقى أعينهما من جديد .. وفى عينيها تلك النظرة الغريبة .. أشاحت بوجهها عنه سريعاً عندما دخل "نهاد" حاملاً الصغير "فريد" .. نظرت "سمر" بلهفة الى ذلك الصغير بين ذراعي "نهاد" .. لمحت "بيسان" تلك النظر فى عيني "سمر "فأخذت "فريد" من "نهال" ووقفت أمام "سمر" قائله :
-تحبى تشيلي
توترت "سمر" وشعرت بغصة فى حقها وهى تقول:
-لأ .. مش هعرف
قالت "بيسان" مبتسمة:
-لا هتعرفى .. حاولى
نهضت "سمر" وهى تشعر بالرهبة .. كان صغير الوجه والجسد خفق قلبها لرؤيته .. قلت بصوت مضطرب ونغزات تحرق عينيها:
-مش هعرف يا "بيسان" هيقع منى .. أنا....
قطعت كلامها لتشير برأسها الى ذراعها المعلق فى رأسها بأسى .. فقالت "بيسان" وهى تحمله بيد واحده وتتطلع الى عيني "سمر" الدامعتين:
-متخافيش يا "سمر" .. بصيلى .. انا شيلاه بإيد واحدة أهو
نظرت "سمر" الى طريقة حملها الصغير بذراع واحد .. فتشجعت على حمله .. قالت بلهفة:
-استنى متسيبيهوش امسكيه عشان ميقعش
قالت "بيسان" بثقة:
-مش هيقع متخافيش .. انتى ماسكاه كويس

تطلعت "سمر" الى وجه الصغير وهو يفرك وجهه بصدرها .. ضمته الى صدرها بحنان .. وقد ازدادت الدموع المتجمعة فى عينيها .. انحنت لتقبل جبينه برقه عدة مرات متتالية وتتشممه .. مبتسمة بين دموعها التى أعلنت عدم قدرتها على البقاء داخل عينيها أكثر .. ففرت منها دمعتان بسرعة .. شعرت بعينان مركزتان عليها ..رفعت عينيها لتلتقى بتلك العينان السوداوان اللاتان ترجفانها بقوتهما وحدتهما وثباتهما

****

تلقى "مهند" التهانى من أفراد عائله .. عانقته "فريدة" قائله بسعادة:
-ألف مبروك يا "مهند"
ابتسم لها قائلاً:
-الله يبارك فيكي يا "فريدة"
اقترب منه "عدنان" معانقاً اياه وهو يقول:
-ألف مبروك يا "مهند" .. انت تستاهل كل خير
قال بخجل:
-الله يباركلك يا عمى
قالت "نهال" بحماس:
-يعني خلاص يا "مهند" نزل السوق والناس كلها هتشتريه
أومأ "مهند" برأسه قائلاً بمرح:
-نزل السوق أيوة .. اما موضوع الناس كلها هتشتريه ده فالله أعلم
قالت "انعام" بحماس:
-ان شاء الله هيحقق نسبة مبيعات عالية .. انت ناسى انى كنت ناقدة للكتاب قبل ما يطبع .. اطمن عمتك بتقولك ان كاتب ممتاز .. وبكرة هيكونلك مستقبل باهر
ابتسم "مهند" مقبلاً اياها وهو يقول:
-متشكر يا عمتى .. حضرتك حمستيني كتير .. يمكن لولاكى مكنتش اتجرأت انى أطبعه
نظرت اليه "سمر" بسعادة قائله:

-مبروك يا "مهند" .. ألف مبروك
نظر ليها قائلاً:
-الله يبارك فيكي
قالت بلهفة:
-ممكن آخد نسخة ؟
أومأ برأسه وهو يخرج احدى نسخ كتابة من حقيبته واعطاها اياه قائلاً:
-اتفضلى
أخذته منه واتسعت ابتسامتها وهى تقول:
-ميرسى
قالت "نهال" وقد شعرت بالغيرة:
-انا كمان عايزة نسخة يا "مهند" .. اشمعى "سمر"
أعطى اياها احدى النسخ وقال بهدوء :
-اتفضلى يا "نهال"
أخذت الكتاب وضمته الى صدرها تحت أعين "سمر" التى بدا وكأنها تنظر اليها لتستكشف طبيعة مشاعرها تجاه "مهند" ! .. لكن "عدنان" صفق فجأة ليقول :
-كده لازم نعمل حفلة كبيرة على شرف "مهند "
قال "مهند" على الفور:
-مفيش داعى يا عمى
قال "عدنان" بإصرار:
-لا فى داعى طبعاً .. ابن أخويا نشر أول كتاب له لازم نعمله حفلة ونحتفل بيها بنجاحه
ٌالت "سمر" بحماس:
-أيوة يا "عدنان" صح لازم نحتفل بيه
قال "عدنان" بحزم:
-بكرة بالليل هتكون الحفلة هنا فى الفيلا وكل واحد يعزم فيها كل اللى هو عايزه .. الحفلة هتكون فى الجنينة .. والعدد غير محدود!

فى المساء .. جلست "سمر" فى الشرفة تتطلع الى ذلك الكتاب فى يدها .. تقلبه يميناً ويساراً مبتسمه .. تتحسس غلافه .. وتتأمل تصميمه فى امعان .. ثم بدأت بأول صفحة .. وقرأت المقدمة بلهفة .. كلمات عادية سطرت كمقدمة للكتاب .. لكن وقع تلك الكلمات عليها كان غير عادياً .. وبدأت فى الغوص فى أعماق الكتاب .. بأعين متلهفة .. وقلب أكثر لهفة!

****

انتهى الحفل بعد منتصف الليل لتدخل العائله مجتمعة معاً كعادتهم فى غرفة المعيشة ..اختفى "مهند" من الأجواء وكذلك "عدنان" و "حسنى" بينما صعدت "فيروز" و "انعام" الى غرفتيهما .. أما "سمر" فجلست فى الحديقه مع "فريدة" و "بيسان" و "نهاد"

جلست "يسرية" برفقة "كوثر" و"علاء" الذى فكر فى قذف تلك الفكرة القذرة فى نفوس أفراد عائلته .. ألا وهى وجود علاقة بين "مهند" و "سمر" .. مما سيترتب عليه فى النهاية أن يقتل "مهند" "عدنان" لتجزوج من امرأته .. قال "بحبث:

-أمال فين "مهند" و "سمر "

قالت "يسرية: "

-معرفش

قال "علاء" وهو يحتسى من فنجانه:

" -سمر" كانت زى القمر النهاردة

قالت "كوثر" بسرخرية:

-قمر بالستر .. أصلاً البنت عادية جداً مش عارف ايه عاجب عمك فيها

قال "علاء" ويهو يرفع حاجبه بخبث:

-اظاهر ان مش عمى بس اللى معجب بيها

نظرت اليه "يسرية" قائله:

-تقصد ايه يعني ؟

قال "علاء" بنفس النظرة الخبيثة:

-مخدتوش بالكوا "مهند" كان بيبصلها ازاى
قالت "كوثر" متهكمة:
-هو "مهند" بيبص لحد أصلاً
قال "علاء" على الفور:
-فعلاً مبيبصش لحد .. ومفيش واحدة بتلفت انتباهه .. بس "سمر" غير .. أنا واثق انه معجب بيها
ثم قال:
-مش بعدين تكون هى كمان معجبة بيه
صاحت "كوثر: "
-انت بتخرف يا "علاء"
قال "علاء" بحماس:
-لا والله بتكلم بجد .. فكرك يعني لو عمى مات .. أنا واثق ان "مهند" و "سمر" هيتجوزوا وساعتها ابقى قولى "علاء" كان معاه حق
صاحت "يسرية" بحده:
-يا ابنى انت غبى .. يتجوزوا ازاى .. أصلا ميجوزوش لبعض
قال "علاء" بسخرية:
-ليه بأه ان شاء الله .. دى مراة عمه
قالت "يسرية" بنفاذ صبر:
" -مهند" رضع من مراة عمك الله يرحمها .. يعني "سمر" دلوقتى مراة باباه مينفعش يتجوزها يا ناصح
امتقع وجه "علاء" وبلع ريقه بصعوبة قائلاً:
-انتى واثقة يا ماما
-أيوة طبعاً واثقة
نهض "علاء" وخرج من الغرفة شارداً .. اذا كان ذلك صحيحاً فستفشل خطته بالكلية ..لن يستطيع اقناع الشرطة بان "سمر" و "مهند" أراد قتل "عدنان" ليرثاه وليستطيعا الزواج من بعضهما البعض .. فجأة رأى عمته "انعام" تنزل الدرج فأسرع نحوها قائلاً:
-عمتو .. انتى تعرفى ان "سمر" تبقى من محارم "مهند" ؟ .. الكلام ده صح ولا ايه ؟

قالت "انعام" بهدوء:
-أيوة يا "علاء" مظبوط
قال "علاء" بإصرار:
-واثقة يا عمتو ؟ .. اللى أعرفه ان لازم يبقى عدد معين من الرضعات .. ما يمكن.......
قاطعته "انعام" قائله:
-أيوة لازم يبقى خمس رضعات .. بس مراة عمك رضعت "مهند" سنة كاملة .. مش بس خمس رضعات .. لان لبنها كان قليل وكان يدوبك بيكفى "فريدة" .. وبعد السنة فطمت "فريدة" و "مهند "
ازداد امتقاع وجهة وقد أيقن فشل خطته .. توجهت "انعام" الى الحديقة .. فأسرع "علاء" باخراج هاتفه وضرب أرقامه بسرعة .. الى أن رد عيله صديقه فعاجله "علاء" بلهفه:
-الخطة فشلت .. كنسل كل حاجه
قال صديقه:
-ايه ؟ .. مش فاهم
قبل أن يتمكن "علاء" من شرح الأمر له .. دوى صوت طلقات النار عالياً ليصم الآذان ليختلط بالصراخ!
أغلق "علاء" بهاتف وهرع مع الجميع الى الخارج .. وجدوا "انعام" قادمة تجاههم وهى تصيح قائله:
-ادخلوا ادخلوا
دخلت "يسرية" و "كوثر" وأصوات طلقات النار تتعالى مرة أخرى .. صاح "علاء: "
-فى ايه يا عمتو
قالت "انعام" وهى ترتجف رعباً:
-مات .. شوفتوا غرقان فى دمه
قالت "يسرية" بفزع:
-هو مين ده اللى مات ؟
قالت "انعام" باكية:
-واحد من الحرس اللى واقفين على البوابة

اندفع "مهند" كالسهم ينزل الدرج .. فقابل "لميس" وهى تنزل هى الأخرى فصاح قائلاً:

-فى ايه ايه اللى حصل ؟

قالت بفزع:

-معرفش .. باين القاتل رجع تانى .. بصيت من البلكونة لقيت اتنين واقعين على الأرض

خرج "مهند" الى الحديقه ليفاجأ بجثتان ملقاتان على الأرض وغارقتان فى الدماء ..بينما "سمر" و "فريدة" و "بيسان" يصرخون ويبكون فى هيستيريا !

الفصل السادس عشر

نظر "مهند" الى الجثتين فصاح "دياب" وهو يلهث:

-ابن التيييييييييييييت ضرب النار على زميلى

ركع "دياب" بجوار زميله الذى ينزف بغزاره يحاول كتم الدماء المندفعة من جسده .. توجه "مهند" مسرعاً الى الفتيات الذين انضمت اليهم "نهال" ووجههم الى داخل الفيلا آمراً اياهن بعدم الخروج

هرع "عدنان" و "حسنى" و "نهاد" الى مكان الجثتين بعدما سمعوا صوت طلق النار من المرسم .. ضرب "عدنان" كفاً بكف وهو يصيح:

-لا حول ولا قوة الا بالله

صح "حسنى:

-طلبته الاسعاف ؟

هتف "دياب:"

-أيوة أنا اتصلت بالاسعاف وبالبوليس

هتف "نهاد : "
-ايه اللى حصل ؟
قال "دياب" وهو يكتم بقميصه جرح زميلة:
-لقيته فجأة خارج من الجراج .. طلبت منه انه يقف مكانه طلع يجرى .. ضربت طلقة فى الهوا عشان أخوفة ويقف برده موقفش ..زميلي جه من عند البوابة على صوت الطلقة أام ابن التيييييييييت ضارب عليه النار .. روحت ضربت عليه النار وشكله كده مات
اقترب "مهند" من جثة الرجل الذى كان مقنعاً وتفحص نبضة وتنفسه ثم قال:
-فعلاً مبيتنفسش ومفيش نبض .. شكله فعلاً مات
أخذ الحارس يئن ألماً الى أن حضرت سيارة الإسعاف ونقلت الرجلين الى المشفى .. فيما نزل "عادل" من سيارته وهو ينظر الى الفيلا قائله بتهكم:
-أهلاً بعيلة "زياكيل" ومشاكلها
كما المرة السابقة اتخذ من المكتب مكان للاستماع للشهود .. قال لـ "مهند: "
-يعني مفيش قايمة للمدعوين
هز "مهند" رأسه نفياً وقال:
-لا مفيش .. عمى قال لكل فرد من العيلة يعزم أى عدد هو عايزه .. والحفلة جت بسرعة يعني مكنش مترتبلها فمكنش فى قايمة للمدعوين
قال "عادل" مفكراً:
-معنى ان الحفلة كانت فجأة .. ان القاتل عايش معاكوا وعارف خطواتكوا كويس أوى
قال "مهند" متنهداً بضيق:
-أنا مبقتش فاهم حاجة .. مين اللى هيعمل كده .. مين ممكن توصل بيه الدرجة انه يقتل عمى
قال "عادل" شارداً وكأنه يتحدث الى نفسه:
-يعني القاتل المرة دى كان سهل عليه انه يدخل وسط المدعويين من غير ما حد ياخد باله .. بعكس المرة اللى فاتت اللى لسه لحد دلوقتى مش عارفين هو دخل ازاى وخرج ازاى
نظر اليه "عادل" قائلاً:
-السور لسه متحاط بأجهزة الانذار مش كدة ؟

أومأ "مهند" برأسه فشكره الضابط .. ودخلت "فريدة" مضطربة وقد هالها كل ما حدث .. أمرها بالجلوس قائلاً:
-معلش هما كلمتين وهتخرجى ان شاء الله
قالت وهى تطرق برأسها:
-مفيش مشكلة
نظر اليها "عادل" قائلاً:
-احكيليى على اللى شوفتيه بالظبط
بللت شفتيها الجافتين بلسانها وهى تقول:
-كنت فى الجنينة مع "سمر" و "بيسان" و "نهاد" و "فريدة" وفجأة سمعنا ضرب نار .. لفينا حولين الفيلا ولقينا فى اتنين واقعين على الأرض ودم كتير فى الأرض
ارتجف صوتها وهى تتذكر الجثث التى رأتها .. شعر "عادل" بإنتفاضة جسدها فقال مطمئناً اياها:
-متحفيش يا آنسة "فريدة" .. واحد من اللى ماتوا كان القاتل .. متخفيش
أومأت برأسها دون أن تستطع الشعور بالأمان الذى بثها اياها فى كلماته .. قال :
-كملى
هزت كتفيها وقالت:
-بس هو ده اللى حصل .. بعدها أخويا "مهند" دخلنا جوه وقالنا منطلعش بره الفيلا .. بس
-طيب مبتشكيش فى حد .. حد عايز يأذيكوا .. أو يأذى عمك على وجه الخصوص
هزت رأسها نفياً فقال بإهتمام:
-وعروسته الجديدة .. مدام "سمر" ... رأيك فيها ايه ؟
نظرت اليه وقالت على الفور:
-لأ "سمر" طيبة أوى .. مشفتش منها حاجه وحشة .. وبعدين لو هنفكر بمنطق .. "ٍمر" مكنتش موجودة ساعة ما حصلت الحادثة الأولى .. ودة دليل قوى على انها مش هى اللى ورا القاتل ده
ابتسم "عادل" قائلاً:

-حلو أوى التفكير بالمنطق ده .. ها وايه كمان ؟
نظرت اليه بجدية قائله:
-بص يا حضرة الظابط .. الحادثة الأولى اللى اتقتل فيها الجناينى أنا واثقة ان محدش من أهل البيت له دخل بالموضوع
بدا عليه الاستمتاع وابتسم قائلاً وهو يكتف ذراعيه أمام صدره:
-ها كملى .. ايه بأه اللى مخليكى واثقة أوى كده ؟
قالت بنفس الجدية:
-أقولك ليه ؟ .. لان كلنا كنا فى الليفينج مع بعض .. وحتى لو حد من اللى موجودين مثلا اتصل بالقاتل وقاله ان عمى "عدنان" نازل دلوقتى من الفيلا ورايح المرسم .. طبيعى ان ساعتها القاتل يستخبى قريب من المرسم ويستنى عمى لما ييجى مش كدة ؟
-كملى
قالت بحماس:
-طيب ما هو كده طبيعى انه هيشوف الجناينى وهو داخل المرسم .. صحيح النور كان ضلمة فى المرسم .. بس الدنيا كانت منورة بره المرسم وبنظرة واحدة هيقدر يميز شكل عمى من الجناينى
عقد "عادل" جبينه وهو يقول:
-افرضى ان الجناينى دخل المرسم والقاتل كان مثلاً واقف وراه فمشفش وشه
قالت "فريدة" بتهكم:
-هو فى رجل أعمال وصاحب فيلا طويلة عريضة يلبس جلابيه فلاحى يا حضرة الظابط ؟
نظر اليها "عادل" وقد اتسعت عيناه فى دهشة فأكملت "فريدة: "
-حتى لو القاتل مشفش وش الجنايني وهو داخل المرسم .. أكيد شاف لبسه .. مش معقول أبداً يظن انه الجناينى هو عمى "عدنان"
عقد "عادل" جبينه بشدة وهو يفكر فى كلامها قائلاً بشرود:
-مممممممم تفكير منطقى .. بس الكلام ده معناه ايه ؟
قالت بحدة:
-أنا مالى أنا .. هو أنا الظابط ولا حضرتك
تنحنح "عادل" بحرج قائلاً:

-احم احم . .آه معاكى حق .. أنا أكيد هحل الموضوع ده .. متقلقيش
أومأت برأسها وقالت:
-أمشى ؟
أومأ برأسه وقال ناظراً اليها بإمعان:
-أه اتفضلى
نهضت والتفتت لتغادر فنهض قائلاً:
-آنسه "فريدة"
التفتت اليه فطالعتها تلك العينان البنيتان وهو يسألها بلؤم:
-آنسه مش كدة ؟
أومأت برأسها فى دهشة ممزوجة بالحيرة .. فقال وهو يرسم تعبيرات جدية على وجهة:
-طيب ماشى .. كنت بتأكد بس عشان ساعات البيانات اللى فى البطاقة مبتكنش مظبوطة
التفتتت لتغادر الغرفة .. ودخل الشاهد التالى!

****

رحلت الشرطة وبقى أفراد العائله يحاولون تجميع شتات أفكارهم .. صاح "حسنى: "
-احنا مش هنخلص بأه .. كل شوية جريمة جديدة وضرب نار وقتل
قالت "يسرية" بحنق:
-وكل مرة يتحقق معانا أكننا قتالين قتلة .. ظابط قليل الذوق
قالت "سمر" وهى تتظاهر بالثبات:
-أكيد ان شاء الله هيعرفوا مين اللى عمل كده
نهض "علاء" الذى كان شارداً واجماً وخرج دون أن يشعر به أحد حاول كثيراً الاتصال بصديقة لكن الهاتف كان مغلقاً .. سبه فى سره وهو يشعر بأنه أوقع نفسه فى الفخ!
مرت الليلة عصيبة على الجميع .. لم تستطيع النساء النوم مما لاقوم من فزع

وخوف واختفى الشعور بالأمن والأمان ..فى الصباح أمر "عدنان" بزيادة الحراسة على الفيلا .. فيما استدعى "عادل "باقى العاملين فى الفيلا واستجوبهم واحداً تلو الآخر فى مكتبه بالقسم .. قال "دياب" بتوتر:

-أنال ما لقيته ضرب النار على زميلى ضرب عليه النار على طول .. يعني كان دفاع عن النفس

قال "عادل" بإهتمام:

-وهو كان فين وقتها

تنهد "دياب" قائلاً:

-انا لقيته طالع من الجراج .. اظاهر كان مستخبى جواه .. ولما قولتله يقف طلع يجرى .. وبعدها قابل زميلى فى وشه وضرب عليه النار .. روحت أنا ضارب عليه

أمر "عادل" بإخلاء سبيل "دياب .. "جلس مع مساعده وهتف بحنق:

-هتجنن

قال مساعده:

-أكيد يا فندم اللى دبر الجرمية الأولى هو نفسه اللى دبر الجريمة التانية .. والمرة دى الظروف ساعدت القاتل لان الحفلة كانت بدون قايمة مدعويين يعني أى حد يقدر يدخل الحفلة

قال "عادل" وهو يفكر فى كلمات "فريدة" بالأمس:

-طيب لو فرضنا ان القاتل فى الجريمة الأولى دخل الفيلا عن طريق عربية واحد من قرايب "عدنان" .. ازاى بأه خرج من الفيلا .. احنا فتشنا الفيلا والجنينة شبر شبر .. حتى العربيات فتشناها .. السور كان عليه أجهزة انذار .. ازاى هيخرج من الفيلا ؟

قال مساعده مفكراً:

-يبأه يا فندم القاتل هو واحد من قرايب "عدنان" .. كان عايز يقتل "عدنان" وقتل الجناينى بالغلط لان النور كان ضلمه ..ما هو مفيش حد من الشغالين فى الفيلا من مصلحته انه يقتل "عدنان .. "قرايبه بس هما اللى ليهم مصلحة فى كده عشان العداوة اللى بينهم على الورث ..ولما فشلت الخطة الأولى واتقتل الجناينى بدل "عدنان" ربت للخطة التانية بس المرة دى استعان بقاتل محترف دخل الفيلا مع المدعويين كأنه واحد منهم

شرد "عادل" وهو يفكر فى احتمال آخر .. احتمال لم يفكر فيه أحد!

****

اجتمعت العائلة على الغداء وكل منهم شارداً بفكره فى مكان آخر .. قالت "نهال" وهى تتذكر أحداث الليلة الماضية:

-كنت هموت من الرعب .. مش عارفه هنفضل فى الكابوس ده لحد امتى .. كل شوية قتل وجثث وضرب نار

التفت اليها "عدنان" قائلاً:

-ان شاء الله تكون دى آخر مرة .. أنا اتعاملت مع شركة حراسة جديدة وكمان غيرت كل الأجهزة اللى على السور بنوع تانى أحدث

قالت "سمر" بألم:

-ليه .. ليه يعملوا كده .. مش متخيله ان فى واد يجيلى قلب انه يقتل .. يموت روح .. يخليه أدامه جثه وبينزف .. مش قادرة أتخيل ده .. قلبه ده ايه .. حجر .. طوب

قال "عدنان" بأسى:

-لا اللى زى دول بيبقى قلبهم ميت أصلاً .. مستعدين يعملوا اى حاجه عشان الفلوس .. أهو مات وخسر حياته .. استفاد ايه .. ولا حاجه

قال "مهند" بحزن:

-مش شاغل بالى الا الحارس اللى اتصاب .. ربنا يستر .. كنت معاه طول الليل فى المستشفى بيقولوا حالته خطر

قالت "انعام" وامارات الحزن على وجهها:

-يا حرام .. طيب وأهله .. زمانهم مقهورين عليه

التفت اليها "مهند" قائلاً:

-أنا هشوف موضوع أهله ده .. وهنتكفل بمصاريف علاجه .. ولو مات لازم ندفع لأهله ديه

هتف "حسنى" بحنق:

-وليه ندفع ديه هو احنا اللى قتلناه

قالت "فيروز" بحزم:

-أيوة فعلاً ليه تدفعوا ديه .. متطمعوش الناس فيكوا
قال "عدنان" بصرامة وهو ينظر الى "مهند: "
-تمام يا "مهند" زى ما انت قولت بالظبط ..الراجل انصاب وهو فى شغله .. وهو بيحرسنا وبيخدمنا .. وأقل حاجه اننا نراعيه سواء عاش أو ربنا أراد انه يموت
تنهد "مهند" قائلاً:
-ان شاء الله يعيش .. ان شاء الله

****

-يعني ايه اللى انت بتقوله ده .. هنستهبل
صاح "علاء" بتلك العبارة وهو جالس مع صديقه فى منزله .. هتف صديقه:
-والله ما أنا .. أنا مبعتش حد يا ابنى ..الواد اللى قولتلك عليه مكنتش لسه عرفت أوصله .. وبعدين يعني بذكاءك كده هنفذ من غير ما انت تعرف .. ما أكيد هبقى متفق معاك قبلها
هتف "علاء" بحيرة شديد:
-امال مين اللى مات ؟
صاح صديقه:
-أنا عارف .. تلاقى حد منهم فكر نفس تفكيرنا وبعت حد يقتله
ثم صاح وهو يضرب كفيه بكفه الآخر:
-حاجه تيييييييييييييييت .. لازم يعنى مراة عمك ترضع اللى اسمه "مهند" ده أهى خطتنا باظت
قال "علاء" بغيظ:
-اسكت متفكرنيش ده أنا كنت هموت فيها
قال صديقه بلهفه:
-واد يا "علأء" ميمكن متجوزها كده و كده
نظر اليها بتهكم قائاً:
-ازاى يعنى متجوزها كده وكده ؟
-يعين كاتب عليها بس مفيش حاجه بينهم

قال "علاء" بحيرة:
-معتقدش يعني .. واحد متجوز واحدة وعايشين مع بعض فى أوضة واحدة ايه اللى يخليه يمنع نفسه عنها يعني .. وبعدين حتى لو فرضنا .. هنستفاد احنا ايه
قال صديقه بحماس:
-لا هنستفاد كتير .. كده هيبقى جوازهم مش حقيقى يعني ينفع "مهند" يتجوز مراة عمك لو عمك مات
قال "علاء" مفكراً وهو يخرج هاتفه:
-استنى أما نسأل الأولى بدل ما نبلبس فى حيطة زى امبارح
اتصل "علاء" بعمته "انعام" قائلاً بصوت حاول أن يبدو طبيعياً:
-أيوة .. ازيك يا عمتو .. لا تمام .. آه هعدى عليكوا .. فى جديد؟ .. مممممم .. طيب عمتو بقولك ايه .. الموضوع اللى كنا بنتكلم فيه امبارح .. "مهند" و "سمر" .. انتى قولتيلى انهم ميجوزوش لبعض .. طيب لو عمى "عدنان" مثلا مثلا كان كاتب على "سمر" بس .. من غير دخول .. ينفع لو بعد الشر بعد الشر مات "مهند" يتجوزها ؟ .. متأكده ؟ .. طيب يا عمتى .. لا أبداً أصل واحد صحبى واقع فى نفس المشكلة فكنت بنصحه .. سلام يا عمتو
ألقى بهاتفه فوق الطاولة بينما سأله صديقه بلهفه:
-ها .. ينفع يتجوزوا ؟
هتف "علاء" بحنق:
-لا برده مينفعش .. طالما كتب عليها مينفعش بأى حال من الأحوال انها تحل لـ "مهند" .. حتى لو عمى ملمسهاش .. يعني كده ولا كده .. هتفضل "سمر" متحرمة على "مهند" طول العمر
زفر صديقه بضيق وهو يقول:
-دى حاجه تيييييييييييت يا جدع

****

وقفت "سمر" فى شرفة غرفتها تنظر الى "مهند" و "فريدة" الجالسان فى

الحديقه يتحدثان معاً كما لو كان صديقان حميمان .. ابتسمت وهى تتطلع اليهما والى هذه الألفة بينهما .. رأت "مهند "وهو يحيط كتفى "فريدة" بذراعه ويتحدث معها حديثاً بدا جدياً .. تطلعت الى اهتمامه بـ "فريدة" فاختفت البسمة من فوق شفتيها لتحل محلها عبرة فى عينيها ..ابتسمت "فريدة" ثم ضحكت .. وشاركها "مهند" الضحك والمزاح .. بدا كصديقى طفولة .. بل أكثر من ذلك .. شعرت بغصة كبيرة فى حلقها .. وبطعم مر فى فمها ..كلما تطلعت اليهما أكثر .. كلما ازدادت الدموع فى عينيها غزارة .. تمنت أن تنزل وتجلس معهما .. أخذت تنظر الى وجه "مهند" الضاحك .. قلما تراه هكذا .. بل نادراً .. تمنت أن تكون جالسه بجواره الآن .. مكان "فريدة! "

أفاقت من شرودها على صوت باب الحمام الملحق بالغرفة .. أخذت نفساً عميقاً لتهدئ مشاعرها المضطربة وتوجهت الى الداخل .. ابتسم لها "عدنان" وهو يجفف وجهه قائلاً:

-صباح الخير

ابتسمت بصعوبة قائله:

-صباح النور

ترك المنشفة من يده واقترب منها وقال بإهتمام:

-مالك فى ايه ؟

هزت رأسها نفياً وهى تقول:

-مفيش حاجه

أمسك وجهها بكفيه قائلاً:

-انتى كنتى بتعيطى ؟

توقفت الكلمات فى حلقها .. فقال "عدنان" بحنان:

-موضوع دراعك تانى مش كده ؟

نظرت الى ذراعها وقالت بمرارة:

-لا خلاص بطلت أفكر فى الموضوع ده

ضمها "عدنان" الى صدره وهو يقول بحنان:

-ان شاء الله هتخفى

تساقطت دموعها فوق كتفه وهى تقول بصوت باكى:

-يارب .. يارب فعلاً أخف

أبعدها عنه لينظر اليها قائلاً بإبتسامه واسعة:
-ان شاء الله يا حبيبتى .. الدكتور بتاعك لسه مردش عليكي ؟
هزت رأسها نفياً وقالت هامسة:
-لسه
سمعا طرقات على باب الغرفة .. توجهت "سمر" الى الباب لتفتحه .. أنبأتهم الخادمة بحضور "يسرية" و "كوثر" أومأت "سمر" برأسها ونزلت تستقبلهما

****

عاد "دياب" من صلاة الفجر ليفاجأ بـ "سحر" تنظر اليه بحده وهى تصيح:
-انت .. انت يا "دياب" تعمل كده .. انت
نظر اليها بدهشة فقالت بغضب:
-انت يا "دياب" ياللى مبتسبش فرض ربنا .. انت ياللى صلاتك كلها فى الجامع .. عاملى فيها بتاع ربنا والآخر طلعت تيييييييييييت
اتسعت عينا "دياب" وهو ينظر اليها قائلاً:
-فى ايه يا "سحر" ؟
رفعت "سحر" هاتفه أمام وجهه وهى تصيح بأعلى صوتها بغضب هادر:
-ايه الحاجات القذرة اللى على موبايلك دى يا "دياب" .. ها رد وقولى ايه القرف اللى على موبايلك ده
بلع "دياب" ريقه وهو ينظر الى هاتفه فى يد "سحر" وأطرق صامتاً وامارات الخجل على وجهه .. صاحت "سحر: "
-وأنا اللى كنت فاكراك راجل محترم .. راجل أأمنه على نفسى وعلى بنتى .. طلعت تيييييييييييت يا "دياب" .. انتى تعمل كده
بدا وكأن هدوءه تحول الى عاصفة غضب هو الآخر وهتف قائلاً:
-انتى السبب .. انتى السبب يا "سحر"
-أنا السبب .. أنا اللى قولتك حط على تليفونك القرف ده .. أنا اللى قولتك تبقى راجل تيييييييييييت
صاح بغض وهو يمسكها من ذراعيها بقوة ويدفع بها الى الحائط هاتفاً:

-أه انتى السبب .. قولتلك واترجيت مليون مرة .. قولتلك مش عايز أقع فى الغلط .. وانتى غبية مبتفهميش .. انتى السبب منك لله
دفعته عنها بعزم قوتها وصاحت:
-انت اللى منك لله يا "دياب" .. طلقنى ..طقلتى مش عايزاك .. مش ممكن أفضل على ذمتك بعد كده .. وأول ما النهار يطلع هروح لأهلى وأهلك وأفضحك وأقولهم على اللى جوزى المحترم بيعمله .. أصلهم فاكرينك بتاع ربنا ومحترم .. خليهم يشوفوك على حقيقتك
ضم "دياب" قبضتى يده بقوة وهو يعض شفتيه محاولاً التحكم فى غضبه .. ثم غادر البيت مغلقاً الباب بعنف حتى كاد أن ينخلع من مكانه .. استيقظت الصغيرة باكية فتوجهت اليها "سحر" باكية هى الأخرى ..شاركهم فى البكاء "دياب" الذى عاد الى المسجد الذى أدى فيه صلاة الفجر وحلس على أرض المسجد منفجراً فى بكاء مرير .. ظل يستغفر الله عز وجل ..ولا يفتر لسانه عن الاستغفار الى أن حان موعد عمله فانصرف من المسجد متوجهاً اليه وهو يشعر بهموم الدنيا تثقل كتفيه حتى أعجزته عن التنفس!

****

وقفت "انجى" مع "بيسان" فى مطبخها بينما تعد هذه الأخيرة كوبين من النسكافيه .. قالت "بيسان" ضاحكة:
-وبعدين ايه اللى حصل ؟
قالت "انجى" وهى تحمل كوبها الذى انتهت "بيسان" من اعداده:
-أقلت فى وشه السكة .. هو فاكرنى ايه .. مستحيل أرجعله طبعاً
ثم قالت شاردة:
-أنا عايزه راجل أحس انى كل حاجة فى حياته .. مش واحد مع كل واحدة شويه
قالت "بيسان" وهى تخرج من المطبخ وتتبعها "انجى: "
-ان شاء الله يا "انجى" ربنا يرزقك باللى تتمنيه
نظرت اليها "انجى" قائله وهى تجلس قبالتها:

-عارفه نفسى فى واحد زى جوزك .. "نهاد" .. انتوا مرتاحين مع بعض مش كده ؟
أومأت "بيسان" برأسها وهى تبحث عن جهاز تحكم التلفاز وهى تقول:
-اهاا .. "نهاد" ده ملاك .. عمره ما زعلنى أبداً .. حتى لو دخل الزعل بيا .. على طول بيصفى وبيصالحنى .. كفاية انه حاطتنى فى عنيه أنا و "فريد" .. ولا عمره بص لواحده ولا عمره حتى فكر انه يخونى
ثم ابتسمت وهى تقول شارده:
-على طول بيخاف على زعلى .. ومش حارمنى من حاجه .. بحس ان أنا وهو لينا عالم خاص بينا .. ونفسى حبنا يدوم طول العمر
لم تلمح "بيسان" تلك النظرة فى عيين "انجى" ولا تلق الغصة فى حلقها والتى ابتلعتها برشفة من كوبها .. وقد شردت هى الأخرى .. مستغرقة فى أحلام يقظتها!
لم تكد تخرج من بيت صديقتها حتى أخرجت هاتفها وتحدث وهى تسوق سيارتها بنعومة قائله:
" -نهاد" ازيك .. تمام .. بقولك ايه .. فى مبلغ جايلى كمان يومي .. وعايزة أديهولك .. أهاا بس أنا بفكر فى حاجه كده ياريت نعد ونتكلم مع بعض .. اهاا .. لا مش هينفع عندك فى المكتب أصلاً أنا مش فاضية النهاردة .. بص .. هستناك بكرة عندى فى البيت .. يا سيدى هى نص ساعة بس .. لا مش هينفعل أجيلكوا أنا
ظهر على وجهها الضيق وهى تقول:
-مش هاكلك يا "نهاد" بقولك نص ساعة .. طيب خلاص مستنياك .. ماشى مناسب .. مستنايك .. سلام!

****

نظرت "سمر" الى "مهند" الجالس أمامها حول مائدة الطعام ثم قالت مبتسمة :
-على فكرة أنا خلصته

بدا وكأنه لم ينتبه الى كونها تتحدث اليه .. فقالت:
" -مهند" رفع نظره اليها فقالت بابتسامة واسعة:
-خلصت قراية الكتاب
ضحكت "انعام" وقالت:
-ايه ده لحقتى .. شكلك مدمنة قراية
نظرت اليها "سمر" قائله:
-لا مش أوى .. مش أى حاجه بعرف أقراها
ثم عادت تنظر الى "مهند" قائله:
-بس اسلوبك سهل أوى .. قدرت أفهمه بسهولة .. يعني أكنك بتكلمنى أنا .. مش محتاجة أكون متعمقة فى القرايه عشان أفهم كلامك .. كلامك سهل وبسيط .. وفى نفس الوقت قوى
لاحت ابتسامة صغيرة على شفتيه وهو يقول:
-متشكر على المجاملة دى
قالت بحماس:
-مش بجاملك على فكرة .. أنا بقولك رأيى برصاحة
ضحك "عدنان" قائلاً:
-أدى أول معجبة يا "مهند" .. مبروك عقبال المليون ان شاء الله
بدا على "نهال" الغيظ وهى تقول:
-أنا كمان بدأت قرايه فى الكتاب بس بحب أقرأ على مهلى عشان كده لسه مخلصتش
نظرت "سمر" الى "مهند" قائله:
-بس فى كام نقطة محتاجة أتناقش فيهم معاك
ضحكت "انعام" قائله:
-أوبا انتى كمان هتناقشيه .. اظاهر ان أول معجبة مش سهلة أبداً يا "مهند" .. ربنا معاك
لم يجب "مهند" .. فأكملت "سمر" قائله:
-يعني مثلاً .. انت فى فقرة من فقرات كتابك قولت "اذا انسلخنا من ماضينا كما يريدون فسنكون كاللقمة الطرية تنزلق فى جوف اعدائنا بلا أدنى مقاومة .. شوكتنا فى تمسكنا بعاداتنا وعقيدتنا ووحدتنا"

ضاقت عينا "مهند" دهشة لحفظها لتلك الكلمات والقائها بسهولة كما لو كانت تحفظها عن ظهر قلب .. فأكملت "سمر: "

-طيب معنى كلامك .. اننا نتوقوقع على نفسنا ومنبصش للتقدم اللى حولينا .. وده مش صح .. يعني عندك اليابن مثلاً دولة متقدمة جداً صناعية .. عندك أمريكا وغيره وغيره .. اذا احنا فضنا بنور فى دايرة ماضينا وحاضرنا ومش بنسمح لنفسنا اننا نخرج بره الدايرة عمرنا ما هنتقدم أبداً

ساد الصمت لفترة بعدما نتهت من جملتها .. الى أن نظر اليها "مهند" بعينين كعين الصقر قائلاً بحزم:

-انتى فهمتى كلامى غلط .. أنا ما قولتش اننا نتقوقع على نفسنا ومنبصش لحضارات غيرنا وتقدم غيرنا .. انا قولت اننا مننسخلش عن ماضينا وعقيدتنا وعاداتنا .. مش شرط عشان أقلد اليابان وآخد منهم التقدم الصناعى الهائل اللى عندهم .. انى كمان أقلدهم فى الحاجات اللى بيعملوها واللى هى ضد ديني ومبادئى .. زى واحد رايح السوق وبيختار فاكهة وبيعبى السبت بتاعه .. مينفعش ياخد أى حاجه ايده تقع عليها .. وتبقى السلة بتاعته فيها الثمرة السليمة والثمرة الفاسدة .. لازم يختار ايه يحطه فى السلة وايه يسيبه وميلمسهوش .. لازم لما آجى أقلد يبقى عندى مخ أفكر بيه .. وأقلد فى الحاجه اللى هتفيدنى .. مش عمال على بطال .. يعني مثلاُ .. مش من التقدم والحضارة انى أشرب خمره هى ضد ديني ومبادئي وأقول أصل الأمركيان بيشربوا خمرة وشوف هما متقدمين ازاى واحنا لسه بنتكلم فى ان الخمرة حرام .. ! مينفعش أنى أنسلخ من ديني وعقيدتى .. قوتى فى انى أحافظ على دينى ومبادئى .. وعلى فكرة أمريكا اللى انتى شايفاها متقدمة دى مجتمع مخلخل جداً ..مجتمع مهزوز ومنحل .. ضربة واحدة تقضى عليه .. بس المشكة ان الضربة دى عايزة ايد بتتبل كل يوم خمس مرات .. ايد مبتتمدش على الحرام .. ايد بتترفع للسما وقت الكرب .. ايد بتلمس الأرض فى جوف الليل .. لو الايد دى موجودة وكبرت .. وكترت .. هنبقى أحسن من أحسن دولة .. لاننا مش هنبقى أقوى منهم بذكائنا بس .. ولا بعملنا ولا بجهدنا .. لا احنا هنبقى أقوى منهم بعقيدتنا ..ودينا .. واسلامنا!

ساد الصمت طويلاً .. لا يمع لا صوت دقات الساعة على الجدار .. عاد الى النظر الى طعامه .. دون أن ينتظر رداً من أحد ..لكنها ردت .. ليس بكلمة ..

بل بنظرة .. نظرة لا يفهمها سوى امرأة مثلها ..لذلك فهمتها "نهال" جيداً .. و أخذت تتلوى من الغيرة!

****

صعد الجميع الى غرفهم بينما بقيت "سمر "تشاهد التلفاز .. كانت "نهال" فى غرفتها شاردة فى الحوار الذى دار اليوم بين "سمر" و"مهند" .. شعرت بالحنق الشديد .. نزلت الى الأسفل لتجد "سمر "جاليه فى غرفة المعيشة .. تراءت لها فكرة شيطانية .. تخبر بها غريمتها بأن "مهند" خط احمر غير مسموح لها بالإقتراب منه .. نظرت اليها "سمر" قائله بإبتسامه:

" -نهال" .. تعالى يا حبيبتى

جلست "نهال" قبالتها وهى تقول:

-مجاليش نوم

-ولا أنا

-عمى نام ؟

-اهاا .. كلهم ناموا

قامت "نهال" وجلست بجوار "سمر" قائله بلؤم:

" -سمر" أنا هعتبرك زى أختى .. وهسألك سؤال محيرنى

التفتت اليها "سمر" قائله بسعادة:

-طبعاً يا "نهال" .. اتفضلى

قالت "نهال" وهى تتظاهر بالتردد:

-بصى يا "سمر" فى واحد أنا وهو بنحب بعض ..بس خايفين بابا وماما يرفضوا ارتباطنا .. يعني عشان أنا لسه فى أولى جامعة .. ومش عارفه أعمل ايه

نظرت اليها "سمر" بجدية قائله:

-بصى يا "نهال" أنا فى الأمور دى بحب المواجهة .. يعني مش أعد حطه ايدي على خدى وأقول يا ترى هيرفضوا ولا هيوافقوا .. خليه يتقدم .. وحاولى انتى من جهتك تقنعى بابا وماما .. وهو لو كويس أكيد هيشوفوا ده فيه .. يعني ممكن يوافقوا

قالت "نـهال" بلؤم:
-أصل الموضوع مش بس انى لسه فى أولى جامعة .. فى مشكلة تانية
-ايه هى ؟ .. ممكن اعرفها عشان أعرف أفكر معاكى
نظرت اليا "نـهال" قائله:
-أصله أرمل
تجمدت ملامح "سمر" وضاقت عيناها وهى تسألها:
-أرمل ؟ .. وعرفتيه فين ؟ .. فى الجامعة ؟ .. دكتور عندك فى الجامعة ؟
قالت "نـهال" بتحدى مغلق بخبث:
-لأ بشوفه فى البيت .. "مهند"
فغرت "سمر" فاها دهشة فأكملت "نـهال" بثقة:
-أنا و "مهند" مرتبطين بس فى السر .. عشان لو ماما وبابا عرفوا هيعملوا مشكلة واحتمال ميرضوش يخلونى آجى هنا تانى
زفرت "سمر" وقد بدا عليها الضيق ثم قالت بحزم:
-ازاى يني مرتبطين فى السر ؟
ضحكت "نـهال" بخبث وقالت:
-ايه يا "سمر" .. ايش حال مكنتيش عايشة سنين بره مصر .. مرتبطين ببعض أشرحهالك ازاى دى
عقدت "سمر" جبينـها شاردة فقالت "نـهال" متظاهرة بالخوف:
-بس اوعى تجيبى سيرة لحد .. مش عايزة يحصل مشاكل مع ماما وبابا .. اتفقنا
أومأت "سمر" برأها وهى مازلت شاردة .. غادرت "نـهال" الغرفة وتركت "سمر" التى أضناها السهر .. وجفاها النوم!

****

بينما الجميع فى غرفة المعيشة قال "عدنـان" للميس مبتسماً:
-عملتوا البسبوسة اللى طلبتها ؟
قالت "لميس" مبتسمة:

-أيوة يا "عدنان" بيه
أومأ برأسه قائلاً:
-طيب هاتيها مع الشاى
قالت "انعام" بعتاب:
" -عدنان" الدكتور منعك من الحلويات .. بسبوسة ايه بس
قالت "عدنان" مبتسماً:
-يا "انعام" انتى بتصدقى كلام الدكارتة .. الواحد لو سمعلهم فى كل اللى بيقولوه مش هيخلص
قالت وهى تنظر اليها نظرات لوم:
-انت السكر عندك بيعلى يا "عدنان" .. والدكتور قالك آخر مرة انك تقللى حلويات عشان ميجلكش السكر لا قدر الله
أومأ برأسه مربتاً على كفها قائلاً:
-متخفيش عيلا أخوكى صحته بمب
تبادلت "يسرية" مع "كوثر" نظرات متهكمة .. فيما التفت "عدنان" قائلاً لـ "مهند" الذى يتفحص بريده الالكترونى عبر هاتفه:
" -مهند" ماقولتليش .. ايه أخبار الوفد اللى جايلنا من شركة الخشب
قال "مهند" ناظراً اليه:
-هييجوا فى معادهم يا عمى ان شاء الله
أومأ "عدنان" برأسه قائلاً:
-تمام
قال "حسنى:
-متقلقش يا "عدنان" أنا هكون فى استقبالهم
نظر اليه "عدنان" قائلاً بحزم:
-شكراً يا "حسنى" بس أنا خلاص اتفقت مع "مهند" .. هو اللى هيستقبلهم بنفسه
شعر "حسنى" بالحنق قائلاً:
-زى ما تشوف يا "عدنان"
التفت "عدنان" الى "مهند" وقال بمرح:
-عايزك ترتبلهم برنامج محصلش

ابتسم "مهند" قائلاً:
-متقلقش يا عمى
نهض "مهند" وقال قبل ما الشاى ييجى هروح أعمل مكالمة مهمة
خرج "مهند" من الغرفة وأجرى اتصاله .. وبينما هو متوجهاً الى الداخل مرة أخرى سمع صوتاً خلفه يقول:
" -مهند"
التفت ليجد "سمر" قبالته وامارات الضيق على وجهها .. قالت بحزم:
-ممكن نتكلم شوية لو سمحت
أومأ برأسه بإستغراب محاولاً أن يخمن فيما تريده .. دخلا غرفة المكتب فأغلقت الباب خلفها والتفتت اليه تقول بحدة:
-ممكن أعرف ايه اللى انت بتعمله ده .. ازاى تخون ثقة عمك كده
نظر اليها "مهند" مندهشاً وهو يقول:
-مش فاهم
قالت بحده:
-لا فاهم .. ايه اللى بينك وبين "نهال" ؟
اتسعت عيناه دهشة وهو يقول :
" -نهال" ؟ .. مفيش حاجه بيني وبين "نهال "
زمت "سمر" شفتيها وهى تنظر اليه بحدة وتقول بحزم:
-لأ فى .. حرام عليك .. ازاى تضحك على بنت صغيرة زى "نهال" .. أنا مش مصدقه انك بتحبها بجد .. مفيش أى حاجه مشتركة بينكوا
عقد "مهند" جبينه وهو يرمقها بنظرات نارية قائلاً:
-انتى ازاى تتكلمى معايا كده .. بقولك مفيش حاجة بيني وبين "نهال" .. "نهال" بعتبرها زى "فريدة" وقولتلها الكلام ده كتير .. عايزة تصدقى صدقى مش عايزة تصدقى انتى حره
نظرت اليه "سمر" وقد ضاقت عيناها قائله:
-يعني انت قولتلها انك بتعتبرها زى "فريدة" ؟
قال بحزم ونظرات كالصقر:
-أيوة
أومأت برأسها وهى تقول معتذرة:

-طيب خلاص .. شكلى أنا اللى فهمت غلط
ظل يرمقها بتلك النظرات الثاقبة وهو يفتح باب المكتب ويغادره!
لحقت به فى غرفة المعيشة وسلمت على الحضور وجلست بجوار "عدنان" على الأريكة .. هتفت "نهال" بلهجة ذات معنى:
-ما شاء الله يا عمو .. لايقين على بعض أوى .. ربنا يباركلكوا ىف بعض
نظرت اليها "سمر" بحدة .. فأكملت "نهال" بتحدى:
-بجد لايقين على بعض .. وباين على "سمر" انها بتحبك أوى يا عمو
ابتسم "عدنان" قائلاً وهو يحيط كتفى "سمر" بذراعه:
-أنا كمان بموت فيها
ضحكت "نهال" قائله:
-سيدى يا سيدى .. محدش أدك يا "سمر "
ابتسمت "سمر" فى وجه "نهال" بصعوبة ثم أشاحت بوجهها عنها تنظر الى "مهند" المنهمك فى مطالعة هاتفه .. جاءت الخادمة بصحبة "لميس" لتضع صمية الشاى وبجوارها سنية الحلوى التى طلبها "عدنان" الذى صاح:
-الله .. جميل أوى .. نفسى هفانى عليها من امبارح .. تسلمى يا مدام "لميس"
أومأت "لميس" برأسها وقالت:
-بالهنا والشفا
نهضت "سمر" وقالت بمرح:
-أنا هصب الشاى .. قامت بدور المضيفة وصبت الشاى فى الفناجين وظلت تسأل كل واحداً منهم عن عدد ملاعق السكر التى يرغبها .. أعطت لكل فرد منهم فنجانه ومعه طبق صغير به قطعة الحلوة المزينة بالقشدة .. توجهت بفنجان الشاى والطبق الصغير الى "مهند" وقالت مبتسمة:
-اتفضل
لم يلحظ ابتسامتها .. بل لم ينظر الى وجهها وهو يقول:
-شكراً
اختفت ابتسامتها وجلست فى مكانها تحمل قدحها وطبقها قبل أن تصيح "نهال" دهشة:
-ازاى عرفت ان "مهند" مبيحبش البسبوسة بالقشطة ؟

نظر الجميع الى "نهال" فى دهشة .. بينما تجمدت ملامح "سمر" وهى تنظر اليها .. نقل "مهند" نظره بين الفتاتان فأكملت "نهال" وهى تنظر الى "سمر" بتحدى:

-الصنية كان عليها ١٠ أطباق .. ٩ منهم كان عليهم قشطة وواحد بس مش محطوط عليه قشطة .. عرفتى منين ان الواحد ده بتاع "مهند" ؟

تركت العيون "نهال" لتتجه الى "سمر" .. التى مازالت تعبيراتها خاليه من اى انفعال .. ألحت "نهال" قائله متظاهره بالمرح:

-ايه مش هتردى .. عرفتى منين انه بيحبها كده ؟

قالت "سمر" بهدوء ونظرات بارده:

-هو اللى قالى انه بيحبها من غير قشطة

ثم رفعت فنجانها ترشف منه بهدوء شديد متجاهلة نظرات "نهال" المصوبة تجاهها ..انهمك الجميع فى شرب الشاى وأكل الحلوى .. لكن "مهند" أخذ يتطلع الى "سمر" بتمعن .. شعر بالدهشة الشديدة .. ليس فقط بسبب علمها كيف يحب حلواه .. لكن بسبب كذبها .. فلم يتحدث معها فى أى شئ من هذا القبيل قط !

الفصل السابع عشر

-ميرسى أوى يا "فريدة"

قالت "سمر" ذلك بحبور وهى تعانق "فريدة" بأخوية وتنظر اليها بتأثر قائله:

-مش عارفه أقولك ايه

ابتسمت "فريدة" قائله:

-متقوليش حاجه .. وأصلاً دى حاجه بسيطة .. تتهنى بيها

نظرت "سمر" الى السوار فى سعادة .. فقالت "فريدة" وهى تنقل عينها من السوار الى "سمر: "

-تحبى ألبسهولك ؟

أومأت "سمر" برأسها .. لفته "فريدة" حول رسغها .. شكرها "سمر" مرة أخرى وقالت:
-ميرسى أوى...
ابتسمت لها "فريدة" قائله:
-اعتبرينا اخوات يا "سمر" ماشى .. أى حاجة محتجاها .. أى حاجه عايزة تتكلمى فيها اتكلمى فيها معايا
نظرت اليها "سمر" بتأثر وقالت بجديه:
-أكيد يا "فريدة"

شعرت "سمر" بالتأثر ليس لتلك الهدية فى حد ذاتها ولكن للمشاعر الصادقة التى لمستها فى "فريدة" .. فلكم افتقدت مثل تلك المشاعر الصادقة فى غربتها !

****
توجهت "سمر" الى غرفة المعيشة لتجدها فارغة .. سألت احدى الخادمات عن الجميع فأخبرتها قائله:
" -عدنان" بيه فى المرسم .. و مدام "انعام" و الآنسه "فريدة" والآنسة "نهال" فى الجنينة
أومأت "سمر" برأسها وقالت:
-وفين "مهند" ؟
-فى مكتب "عدنان" بيه
توجهت "سمر" الى المكتب ووقفت أمام الباب .. مرت عليها لحظة تردد قبل أن تطرق الباب وتفتحه .. أطلت برأسها وهى تقول:
-هعطلك ؟
رفع "مهند" رأسه وانظر اليها قائلاً:
-لا أبداً
دخلت المكتب وأغلقت الباب خلفها .. فقال "مهند" على الفور:
-سبيه مفتوح
اختفت ابتسامتها ونظرت اليه بتمعن قائله:

-مش انت قولت اننا محارم لبعض ؟
أخذ "مهند" نفساً عميقاً ثم قال بصرامة:
-أيوة .. بس سبيه مفتوح
وفى استغراب التفتت لتفتح الباب مرة أخرى ثم نظرت اليه بتهكم قائله:
-كويس كده ؟
أومأ برأسه وعاد الى الانكباب على تلك الأوراق أمامه دون أن يعيرها أدنى أهتمام .. جلست على الأريكة المقابلة للمكتب ..تستند بمرفقها الى ذراع الأريكة .. وتضع ساقاً فوق ساق .. لا يحيد نظرها عن "مهند" الذى شعر بتلك النظرات فرفع رأسه ينظر اليها .. ساد الصمت للحظات الى أن قال:
-فى حاجه ؟
ابتسمت قائله:
-لا أبداً .. بس كنت زهقانه ومش عايزة أعد لوحده
تجمدت ملامحه وقال ببرود:
" -فريدة" و "نهال" بره اعدى معاهم هيسلوكى
قالت وقد اتسعت ابتسامتها:
-انت على طول متنشن كده ؟
لم تتغير تعبيرات وجهه الجامدة وهو يتطلع اليها .. فأكملت بهدوء:
-لأ انت مش كده .. بتبقى مختلف مع "فريدة" .. بتبقى على طبيعتك معاها .. طيب مش انت بتقول انى من محارمك ليه مش بتعاملنى زى "فريدة"
عقد جبينه بإستغراب وهو ينظر اليها قائلاً بحده:
-انتى عايزه ايه بالظبط ؟
اختفت ابتسامتها ونهضت بعصبية وقالت:
-مش عايزة حاجه
أغلقت الباب خلفها بعنف وهو لا يزال يتطلع الى الباب المغلق وقد ازدادت تجاعيد جبينه حدة

****

قالت "انعام" وهى تنظر الى "سمر" الجالسه معهم على احدى الأرائك فى الحديقة:

-مالك يا "سمر" فى حاجه مضايقاكى ؟
هزت رأسها نفياً دون أن يختفى عبوس وجهها .. ضحكت "انعام" وقالت:
-لو "عدنان" مضايقك قوليلى .. ده أخويا وأنا أكتر واحدة بعرف أتفاهم معاه
تدخلت "نهال" على الفور وقالت:
-لا أكيد يا عمتو عمو "عدنان" مزعلش "سمر" ده بيموت فيها مستحيل يزعلها
أشاحت "سمر" بوجهها عنهم دون أن تجيب .. فنهضت "انعام" وقالت:
-هدخل أشوف عملوا ايه فى الغدا
نهضت "فريدة" وقالت :
-وأنا هطلع آخد شاور
اقتربت "نهال" فى مجلسها من "سمر" وقالت:
" -سمر"
التفتت اليها "سمر" فى برود .. فقالت "نهال" بلؤم:
-عايزة أجيب هدية لـ "مهند" ممكن تختاريها معايا
اتسعت عينا "سمر" وهى تنظر اليها بحدة وغضب .. وقالت بغضب مكبوت:
-بطلى بأه لعب العيال ده
هتفت "نهال" فى دهشة:
-قصدك ايه ؟
قالت "سمر" وهى تبتسم فى تهكم:
-مفيش حاجه بينك وبين "مهند" .. أنا سألته وقالى انه بيعتبرك زى أخته "فريدة"
امتقع وجه "نهال" ونهضت من فوق مقعدها وهى تهتف بغضب :
-مش من حقك أصلاً تسأليه عن حاجه زى كده .. وبعدين تعالى هنا انتى ايه دخلك اذا كان "مهند" يحبنى ولا ميحبنيش
نهضت "سمر" ووقفت أمامها بتحدى وقالت بحزم شديد:
-لأ دخلى .. ودخلى ونص كمان
رفعت "نهال" حاجبيها وهى تقول بعنف:
-ايه مش مكفيكي راجل واحد ولا ايه ؟
توقعت ان تقذف تلك الكلمات الغيظ فى نفس "سمر" فتتقهقر وتتراجع .. لكن

يبدو أنها كانت مخططة .. ابتسمت "سمر" وهى ترفع أحد حاجبيها قائله بمياعه :
-لأ مش مكفيني
امتقع وجه "نهال "أكثر واحتقن بالدماء وهى تقول:
-انتى واحدة مش محترمة
عقدت "سمر" ذراعيها أمام صدرها وهى تقول بتهكم:
-هاا وبعدين ؟
هتفت "نهال" بعنف:
-وهقول لعمى "عدنان" على الكلام اللى قولتيه دلوقتى
أطلقت "سمر" ضحكة ساخرة وهى تقول:
-هتقوليله ايه كنت بحاول أفهم "سمر" ان فى حاجه بينى وبين "مهند" .. تؤ تؤ .. معتقدش .. شكلك هيبقى مش لطيف خالص
أدركت "نهال" بالفعل أنها لن تستطيع مواجهة عمها ولا أبيها وأمها بما قالت والا ستضع نفسها فى موقف صعب وسيسخر منها الجميع .. هتفت "نهال" وهى تشعر بالعجز والغضب:
" -سمر" ابعدى عن "مهند" انتى احدة متجوزة .. "مهند" مش ممكن يفكر فيكي انتى مراة عمه
رفعت "سمر" حاجبيه وهى تنظر اليها بخبث قائله:
-ابعدى انتى عنه يا "نهال" .. لانه مش ممكن يفكر فى عيله تافهه زيك
ابتسمت "سمر" بوجهها فى تشفى قبل أن تدور على عقبيها وتنصرف تاركه اياها تتلوى من الغيظ .. والغيرة .. والغضب

****

فتح "دياب" باب منزله ثم دخل وأغلقه بهدوء باحثاً بعينيه عن ساكنى بيته وفؤاده ! .. توجه الى غرفة النوم ليجد زوجته نائمة بجوار ابنتهما .. اقترب منها ومسح على شعرها الى أن استيقظت .. أشار لها بالخروج حتى لا تستيقظ الطفلة .. وفى تبرم خرجت "سحر" من الغرفة لا يميزها عن كل يوم سوى الغضب الذى يشع من عينيها وهى تتطلع الى "دياب "الذى قبل رأيها قائلاً:

-أنا آسف حقك عليا

عقدت ذراعيها أمام صدرها وهى تنظر اليه تلك النظرة الغاضبة المملوءة باللوم و العتاب .. أمسك ذراعيها قائلاً بخفوت وامارات الخجل على محياه:

-أنا عارف ان مكنش يصح انى أعمل كده .. انا مش عارف عملت كده ازاى .. الشيطان كان أقوى منى .. سامحيني يا "سحر .. "أنا مش عايز أخسرك

حررت ذراعيها من بين يديه وقالت بقوة:

-أنا ثقتى اتهزت فيك يا "دياب " .. صدمتنى فيك .. مش قادرة أصدق ان انت تعمل كده

زفر "دياب" بقوة وقال:

-احنا الاتنين غلطانين يا "سحر" اقفلى على الموضوع لانى مش حابب أتكلم فيه أكتر من كده .. كل ما أفتكر الذنب اللى أذنبته بتقهر

قالت "سحر" بحده:

-انت هتشركنى فى الغلط معاك ليه انت اللى غلطان لوحدك .. هو أنا اللى قولتك روح حط القرف ده على موبايلك

قال "دياب" بحزم شديد:

-قولتلك خلاص اقفلى على الموضوع

ثم اخذ نفساً عميقاً وتوجه الى اللفة التى تركها فوق الطاولة بعدما دخل .. وحملها وقدمها اليها قائلاً:

-دى كنافة .. عارف انك بتحبيها

نظرت الى اللفة فى يده ثم قالت:

-مكنش فيه داعى .. كنتى قولى انك عايز تاكلها وأنا كنت اعملهالك

قال مبتسماً:

-أنا جايبها عشانك مش عشانى

أخذت اللفة من يده وهو تقول:

-تسلم يا "دياب "

أمسك ذقنها بني أصابعه ونظر فى عينيها قائلاً:

-يعني خلاص سامحتيني ؟

قالت بحزم:

-لا لسه .. مش هقدر انسى غير لما أتأكد انك مش هتعمل كده تانى

قال بهدوء:

-والله ما هعمل كده تانى .. بس انتى خلى بالك منى واهتمى بيا شويه

صاحت بحده:

-يعني لو مهتمتش بيك هترجع للأرف ده تانى يا "دياب "

زفر "دياب" بحنق وقال:

-يا "سحر" انتى ليه مصره تقلبيها خناقه ..انتى اللى فى ايدك انى معملش كده تانى .. يا "سحر" أنا لا راجل تيييييييييييت ولا عيني فارغه وانتى عارفه كده كويس .. ومفيش حد مبيغلطش ..بس انتى ليكي دور فى الغلط ده ودور كبير كمان

قالت بغضب وهى تترك اللفة من يدها:

-أنا مغلطتش أنا أيدالك صوابعى العشرة شمع .. انت اللى راجل غريب عايزنى أفضل ٢٤ ساعة على سنجة ١٠ .. محسسنى اننا من أصحاب الأملاك وحولينا الخدم والحشم .. احنا ناس فقرا يا "دياب وعلى أد حالنا

قال بعنف:

-وايه علاقة فقرا وأغنيا باللى احنا بنتكلم فيه دلوقتى .. الغنى راجل والفقير راجل .. الغنية ست والفقيرة ست .. ايه علاقة الغنا والفقر بإهتمام الواحدة بنفسها وبجوزها

قالت بتهكم:

-علاقته ان دول ستات رايقه مفيش وراهم اللى يشغلهم لو قضت ٢٤ ساعة عن الكوافير مش هترجع تلاقى الدنيا خربانه .. عندها حتى اللى يسرحولها شعرها

قالت بغضب:

و انا مطلبتش منك تعلمى كده ولا طلبت منك انك تبقى ٢٤ ساعة على نجدة ١٠ .. انا كل اللى طالبه ان من وقت للتانى أشوفك بحاجه حلوة .. تهتمى انك تتكلمى معايا .. اه انتى مش مخليانى محتاج حاجة فى اكل ولا فى شرب ولا فى لبس .. بس فين أنا ومشاعرى فين زوجتى اللى تعد تتكلم معايا وتشاركنى طموحى وأحلامى فين ده يا "سحر" ؟

قالت بتهكم:

-طموح ايه واحلام ايه يا "دياب" فوق وبص لحالك انت واحد زى ملايين

الناس التعبانه والشقيانه على لقمة عيشها .. محسسنى انك صاحب شركه ومحتار يكبرها ازاى
نظر اليها بأسى قائلاً:
-عمرك ما هتفهمينى .. عمرك ما هتحسى بيا
التفت وفتح الباب فقالت بحده:
-انت رايح فين دلوقتى
قال دون أن ينظر اليها:
-نازل أتمشى شوية
نزل "دياب" الدرجات لكنه لم يكملها .. افترش احدى الدرجات جالساً عليها واضعاً رأسه بين كفيه متنهداً بحسرة!

****
10-دقايق وهكون عندك
أنهت "انجى" المحادثة مع "نهاد" وهى تقول بميوعه:
-ماشى مستنياك
نظرت الى ما أعدته لاستقبال "نهاد .. "جلست على أحدى الأرائك وهى تعيد التفكير فيما تفعل .. هتفت فى نفسها .. كيف تحصل امرأة معدومة الخبرة مثل "بيسان" على رجل مثل "نهاد" .. كيف ايتطاعت أن توقعه فى شباكها .. أنتِ أجمل من "بيسان" .. وأذكى منها .. كيف تحصل صديقتك على "نهاد" وتحصلين أنتِ على رجل مثل طليقك .. لمعت عينيها وهى تسبح فى أحلامها .. وتتخيل "نهاد" وقد وقع فى حبها وشباكها .. بالتأكيد لن تطلب منه أن يطلق "بيسان" على الأقل فى البداية فهى تعلم مدى حبه لها .. يكفيها فى البداية أن تشارك صديقتها فى ذلك الرجل الذى لم تقابل مثله من قبل .. وعندما تملك قلبه وعقله .. وبعد أن تجعله مدلهاً فى حبها .. ستدفعه الى طلاق "بيسان" .. لتظفر به وحدها .. أخرجها جرس الباب من شرودها .. فتأملت نفسها للمرة الأخيرة فى المرآة .. قبل أن تفتح الباب مبتسمة .. لتتجمد البسمة على شفتيها قبل أن تموت .. اقتربت منها "بيسان" وعانقتها قائله:
-ازيك يا "انجى"
أفاقت "بيسان" من صدمتها سريعاً لتقول بصوت مضطرب:

-الله يسلمك يا "بيسان "
دخل "نهاد" خلف "بيسان" وهى يتطلع الى "انجى" قائلاً:
-ازيك يا "انجى"
لمع فى عينيها غضب لم يلاحظه الا "نهاد" وقالت:
-الحمد لله .. اتفضلوا
دخل الزوجان وتقدمتهما الى الأريكة فجلسا عليها والتفتت اليها "بيسان" قائله بمرح:
-لما "نهاد" قالى انك اتصلتى وعزمتينا على العشا فرحت أوى .. اهى فرصة أسيب "فريد" مع الدادة .. مبقتش بخرج كتير من يوم ولادتى .. حتى عمو "عدنان" مبقتش بروحله زى الأول .. بس انتى غير .. مقدرش أرفض دعوتك أبداً
ابتسمت "انجى" بتوتر .. ثم تطلعت الى "نهال" تقابلها نظراتها الغاضبة .. بنظراته البارده!

****

قال "عادل" شارداً وهى يستند بظهره الى مقعده:
-بس كلامها منطقى .. فعلاً لو القاتل استنى برده لحد ما "عدنان" ييجي أكيد هيشوف ان اللى دخل المرسم الجناينى مش "عدنان"
هتف المساعد بحماس:
-وهى ايه اللى عرفها كده .. ما يمكن القاتل استنى "عدنان" جوه المرسم مش بره ولما لقى الجاينى داخل المرسم معرفش يشوف وجه من الضلمة وقام ضرب النار عليها
صمت قليلاً ثم صاح وهو يضرب أحد كفيه بالآخر:
-كده يبأه أكيد "فريدة" هى القاتل
خرج "عادل" من شروده ونظر اليه بدهشه .. ثم ينحنى الى الأمام وهو يصفق بيديه بهدوء قائلاً:
-برافو ... برافو .. ممتاز
اتسعت ابتسامة المساعد وهو يقول بثقه ممزوجة بالخجل:

-متشكر يا فندم .. احنا برده اتعلمنا من حضرتك كتير
هتف "عادل" بحده:
-الله يخربيتك اتعلمت منى ايه .. "فريدة" ايه اللى قتلت .. انت يا ابنى عديت من الاعدادية ازاى
اختفت ابتسامة المساعد وقال بتوتر:
-ليه يا فندم ؟
ألقى "عادل" قلمه فوق مكتبه بحده وهو يقول:
" -فريدة" كانت واقفة فى البلكونه ومخرجتش منها بشهادة الشهود ... "فريدة" هتنشن ازاى بدقة على القلب" .. فريدة" ازاى أصلاً هتمسك سلاح فى ايدها دى كانت هتموت من الرعب لما شافت حارس الامن والقاتل مرمين على الارض .. ده أنا كنت خايف عليها يجيلها انهيار عصبى .. تقولى هيا القاتل
قال المساعد بعناد:
-بس يا فندم هى عرفت معلومات دقيقة محدش يعرفها غير القاتل
أسند "عادل" وجنته الى كفه وهو يقول بتهكم:
-معلومات ايه اللى عرفتها يا أذكى اخواتك ؟
قال المساعد بحماس:
-عرفت ان القاتل كان مستخبى بره المرسم مش جوه المرسم .. ايه خلاها تحديداً تقول بره المرسم ما يمكن كان مستخبى جوه
ضرب "عادل" كفاً بكف وهو يقول:
-آدى أخرة الخضار اللى بيرشوه بالمبيدات ..يا ابنى لو القاتل مستخبى جوه المرسم وشاف الراجل داخل وقام ضربه بالنار .. مش برده الجثة هيبقى مكانها أدام الباب وفارغ الرصاصه هنلاقيه جوه فى المرسم
قال المساعد شارداً:
-آه
قال "عادل" بغيظ:
-الجثة لقيناها عند المكتب .. والفارغ أدام باب المرسم .. يبأه القاتل كان واقف فين ؟
قال المساعد شارداً:
-بره المرسم

قال "عادل" بنفس الغيظ:
-وهو ده اللى قالته "فريدة" .. لاننا قولنا اننا لاقينا الفارغ أدام باب المرسم .. وهى جمعت ١ + ١ .. واستنتجت ان القاتل كان بره المرسم وكان مستخبى للضحية ولما دخل المرسم قام وضرب عليه النار .. فهمت ولا أجيبها تشرحهالك ؟
قال مساعده بحيرة:
-طيب ازاى موضوع الجلابيه بتاعة الجناينى دى .. لو فعلاً معاها حق .. يبأه القاتل مكنش قاصد "عدنان"
قال "عادل" بحيرة بالغه:
-ازاى مش قاصد "عدنان" .. وحادثة السرقة اللى كان قبل الجريمة واللى بسببها حطوا أجهزة الانذار .. والقاتل اللى حاول يتهجم على الفيلا والحارس قتله .. لو هو عايز يقتل الجناينى ما هو خلاص قتله .. ايه اللى يخليه يرجع تانى ؟ .. لأ اللى مقصود بالقتل "عدنان .. "أما قتل الجناينى فأكيد قتل بالغلط .. ممكن يكون أصلاً القاتل مكنش يعرف مين اللى هيقتله .. ولا يعرف انه صاحب الفيلا .. اللى اتفق معاه قاله ان فى واحد هيدخل المرسم دلوقتى اقتله .. هو نفذ الكلام بالحرف .. بدون تفكير ..وقتل الشخص اللى دخل أدامه المرسم .. وجت فى الجناينى

****

فوجئ الجميع بزيارة "عادل" و بعض من رجال الشرطة .. أخبر "عدنان" برغبته فى تفتيش الفيلا .. نظر اليه الجميع فى دهشة وقال "حسنى" بإستغراب :
-ليه هتفتشوا الفيلا ؟
التفت "عادل" يتطلع الى وجوه الجميع قائلاً:
-أولاً أحب أعرفكوا ان الحارس مات .. والقاتل ممتش .. دخل غيبوبة .. ومستنيينه يفوق
نظر الجميع الى بعضهم بأعين تحمل علامات استفهام وعلامات تعجب كثيرة .. فأكمل "عادل: "

-القاتل احنا بنشك بنسبه كبيرة انه نفس القاتل اللى قتل الجناينى بالغلط .. وكان قصده يقتل "عدنان" بيه .. ولما فشل رجع تانى .. بس محسبهاش كويس .. والسيكيوريتي وقفوله .. فى المرة الأولى مقدرناش نوصل هو ازاى دخل وازاى خرج من الفيلا .. بس فى المرة التانية كان سهل عليه الدخول لان كان فى حفلة فى الفيلا بدون قايمة مدعوين ..والكاميرات اللى مرتكبه على البوابه بينت فعلاً انه دخل وسط المدعويين ..لكن مخرجش معاهم

نظر اليهم قائلاً:

-المسدس اللى لقيناه معاه مش هو المسدس اللى اتقتل بيه الجناينى .. عشان كده احنا عندنا شك كبير انه خبى المسدس هنا فى الفيلا أو فى الجنينة .. وعشان كده بندور عليه

ثم تمتم شارداً:

-المسدس اللى استخدمه مسدس قديم من نوع ....وعندى احساس كبير اننا هنلاقيه هنا فى الفيلا .. أمر رجاله بالانتشار فى الفيلا دون العبث بمحتوياتها أو اتلافها .. فأخذوا فى البحث والتنقيب تحت نظرات أهل البيت الحانقة .. التفت "عادل" الى "عدنان" وهو يخرج ورقة من جيبه قائلاً:

-قسيمة جوازك انت ومدام "سمر" يا "عدنان" بيه .. معلش بس اتعلمنا فى شغلنا اننا نشك فى كل حاجه

أخذ "عدنان" الورقه منه ةةضعها فى جيبه قائلاً ببرود:

-ده شغلكوا يا حضرة الظابط .. مفيش مشكلة .. المهم تمسكوا اللى بيعمل الجرايم دى كلها

قال "عادل" بحزم:

-متخفش أكيد هنمسكه

هتفت "فيروز" بحنق:

-مش فاهمة ايه ده .. لحد دلوقتى ومش عارفين تمسكوه .. لو كنا فى تركيا كان زمانهم مسكوه فى نفس اليوم

نظر اليها "عادل" بتهكم قائلاً:

-معلش يا مدام .. فرق توقيت بأه

قالت بترفع:

-كل حاجة فى مصر خربانه .. مفيش حاجه بتمشى مظبوط أبداً .. أنا شكلى

هرجع تركيا قريب
نظرت اليها "كوثر" قائله بتهكم:
-من غير مقاطعه ان شاء الله
نظرت اليها "فيروز" بغيظ .. استمتع "عادل" بمتابعة ما يحدث .. شعر بأنهم مجموعة غريبة من الأشخاص اجتمعوا معاً تحت سقف واحد .. حانت منه التفاته الى "فريدة" التى عقدت ذراعيها أمام صدرها وبدا عليها الخوف الاضطراب وهى تتابع المفتشين بعينها .. فقال "عادل: "
-متخفوش .. ربع ساعة بالكتير وهنمشى
التفتت تنظر اليه .. فتلاقت نظراتهما فأخفضت عينيها على الفور

****

شعر "مهند" بالحنق وهو ينتظر "سمر" فى السيارة .. شعر بالضيق لاصرار "عدنان" على أن يأخذها معه لمقابلة الوفد القادم من شركة الخشب التركية التى يتعامل معها "عدنان" .. فكان يفضل أن يأخذ أى مترجمة أخرى .. لكن "عدنان" أخبره أن يأخذ "سمر" كمترجمة للقاء الذى سيدور بينهم .. نزلت الدرج لتقابلها "نهال" فى أسفله وهى تهمس لها بغيظ:
-كان ممكن ترفضى
تلفتت "سمر" حولها لتتأكد من عدم وجون آذان متنصته ثم نظرت الى "نهال" بتحدى وقالت هامسه:
-وايه اللى يخلينى أرفض .. حد تجيله فرصة انه يقضى اليوم بطوله مع "مهند" ويقول لأ
أمسكتها "نهال" من ذراعها السليم بعنف وهى تقول بحده:
" -سمر" بطلى تستفزيني
حررت "سمر" ذراعها من يد "نهال" وهى تقول بتحدى:
-وانت طبطلتش هتعملى ايه ؟
قالت "نهال" بغضب:
-ابعدى عن "مهند" .. هتتفضحى .. وعمى هيطلقك ويطردك بره الفيلا
قالت "سمر" بتحدى هامسه فى أذن "نهال:

-مش هبعد عنه .. لو تقدرى تبعديني ابعديني
احمر وجه "نهال" من الغضب وهى تتابعه "سمر" التى خرجت من الفيلا لتجلس بجوار "مهند" فى السيارة .. التفتت اليه قائله بابتسامه عذبه:
-سورى اتأخرت
احتدات ملامحه وهو يقول:
-ممكن لو سمحتى تلبسى جاكيت
نظرت الى بلوزتها عارية الذراعين والرقبه وقالت:
-الجو حر
تنهد قائلاً بحزم:
-معلش بس مش هقدر أخدك معايا كده .. لاننا هنفضل مع بعض طول اليوم .. ومش هقدر أبقى واقف جمبك وكل الرجالة فى القاعة بيتفرجوا عليكي
ثم قال بحزم وهو يخرج هاتفه:
-أنا هكلم عمى أخليه يبعت "نهاد" أو عمى "حسنى"
هتفت بسرعة قائله:
-لأ لأ أنا هطلع أغير
وقبل أن تعطيه فرصة للرد فتحت باب السيارة وأسرعت الخطا عائدة الى غرفتها .. ساعدتها الخادمة فى تبديل ملابسها ونزلت سريعاً الى "مهند" الذى اخذ ينظر الى ساعته فى ضيق .. حانت منه التفاته اليها وهى تقول مبتسمه:
-كده كويس ؟
أخفت قدميها ببنطلون وذراعيها ببلوزه بأكمام ..فقال بإقتضاب وهو ينطلق بالسيارة:
-مش كويس .. بس أحسن من الأول
ساد الصمت بينهما الى أن قالت بهدوء:
-فى تركيا الوضع مختف كتير عن مصر .. يعني الحاجات دى عادى هناك .. زى ما هى برده ساعات بتبقى عادى هنا
اضطربت أكثر وهو تقول:
-يعني اللى أقصده .. انى مش بلبس كده عشان حاجه معينه .. بس هو الموضع تعود
انتظرت منه أن يتحدث .. لكن انتظارها طال .. فقالت بهدوء:

-على فكرة أنا كنت محجبة
التفت ينظر اليها ثم عاد ينظر الى الطريق مرة أخرى .. تمتمت بشرود:
-قبل ما اسافر تركيا كنت محجبة وكنت بلبس زى "فريدة" تقريباً .. بس معرفش ..لما سافرت حاجات كتير اتغيرت
أطلقت من صدرها تنهيده وهى تتطلع من الشباك بجوارها .. بدا عليها الشرود والوجوم الى أن وصلا الى الفندق الذى سيتم استقبال الوفد بداخله

****

جلست "سمر" الى جوار "مهند" على الطاولة التى ضمت وفد رجال الأعمال وقامت بدور المترجمة بروعة واتقان .. انتقلوا بهم الى بعض المعالم السياحية فى القاهرة ومن ثم عادوا الى الفندوق لتناول الطعام .. اندمج "مهند" فى الحديث مع أحد الرجال الذى كان يتقن الإنجليزية فكان من السهل على "مهند" التواصل معه .. حانت منه التفاته الى "سمر "فوجدها تعقد ما بين حاجبيها وهى تتحدث التركية الى الرجل بجوارها .. لم يفهم حرفاً .. لكنه رآى الضيق مرسوماً على وجهها واستطاع التقاط نبرة صوتها الحازمة الصارمة .. التفت اليها قائلاً:
-فى حاجه ؟
قالت بهدوء:
-لأ مفيش
تحدث اليها الرجل مرة أخرى وهو يلقى نظرة على "مهند" أجابت هذه المرة بحدة أكبر .. فتدخل "مهند" مرة أخرى قائلاً بحزم:
-فى ايه يا "سمر" ؟
قالت بهدوء:
-قولتلك مفيش
حاول "مهند" التحدث مع الرجل بالانجليزية والفرنسية بدا الرجل غير ملم بتلكم اللغتين أو تعمد عدم فهم حديث "مهند .. "قالت "سمر" بإصرار:
-خلاص يا "مهند "
قال بحدة:

-حاسس انه بيضايقك
قالت بنفس الهدوء:
-أنا بقدر أتصرف فى المواقف اللى زى دى
نظر اليها بعينين ثاقبتين والشرر يتطاير من عينيه قائلاً:
-يعني كان بيضايقك ؟
قالت بهدوء وهى تتطلع حولها:
-مفيش داعى تعمل مشكلة من لا شئ .. أنا فاهمة الناس دى كويس .. هو مش قاصده يهيني .. هما مش فاهمين طباعنا ولا عادتنا .. افتكر انى بتمنع عشان أخليه يتمسك أكتر .. بس أنا فهمته وخلاص الموضوع انتهى
ثم قالت وهى ترمق الرجل بنظراتها ثم تعود لتتطلع الى "مهند: "
-متقلقش أنا كنت بقابل ناس كتير بالعقلية دى وأنا عايشة بره .. وكنت بعرف أتعامل معاهم كويس
نظر "مهند" اليها وتعجب بعض الشئ .. ففتاة متحررة هذا التحرر فى ملبسها كان يتوقع أن تكون متحررة فى علاقاتها أيضاً .. ولكم ضايقع ذلك .. لأنه تمنى لعمه امرأة تعرف كيف تصون نفسها .. أيقن الآن من كلمات "سمر" بأنه كان مخطئ فى الحكم عليها فى هذا الأمر .. وإن لم يكن الخطأ كاملاً .. فمازال يظن .. بل يوقن .. بأن علاقاتها بالأخرين تتسم بالتحرر .. لكنه ارتاح على الأقل لوجود خطوط حمراء تضعها لنفسها
استأذنت للرد على هاتفها فى الخارج .. تابعها الرجل بعينيه لكنه اضطر الى أن يشيح بوجهه بعدما طالعته أعين "مهند "الثاقبة المهددة الغاضبة!

نظر "مهند" الى ساعته .. ثم نهض ليبحث عن "سمر" التى أطالت مكالمتها كثيراً فعجز عن التواصل مع رجال الأعمال .. بحث عنها بعينيه خارج قاعة الطعام بالفندق فلم يجدها .. ظل يبحث يميناً تارة ..ويساراً تارة .. حتى خرج من الفندق بعدما فشل فى الاتصال بها .. لأنه لا يعرف رقمها!
اتسعت عيناه دهشاً وهو يراها جالساً حوار النافورة التى تزين مدخل الفندق وهى توليه ظهرها وجسدها يرتج بعنف .. اقترب منها ليسمع شهقات بكائها وأنينها الذى يمزق طيات القلب .. قال بإهتمام:
-فى ايه ؟ .. مالك ؟

التفتت بحده تنظر اليه ثم تعود لتطرق برأسها مستمرة فى آهاتها وأناتها ..
اقترب حتى وقف أمامها وقال:
-فى ايه .. حد ضايقك ؟
هزت رأسها نفياً .. فقال بإستغراب:
-أمال فى ايه ؟ .. بتعيطى ليه ؟
قالت بصوت مرتجف مضطرب يشوبه اليأس والقنوط:
-الدكتور بتاعى كلمنى .. وقالى زى ما كل الدكاترة قالولى .. برده مش عارفين فيا ايه .. نفسى حد يقولى ان فى أمل ولو حتى ١%
تنهد وهو يطرق برأسه واضعاً كفيه فى جيب بنطاله .. أطرق برأسها مرة أخرى مستمرة فى بكائها .. قال بهدوء:
-لازم تبقى أقوى من كده
هزت رأسها يميناً ويساراً وهى تقول:
-مش قادرة .. مش قادرة أكون قوية .. مش عارفه ليه بيحصلى كده .. ليه يارب كده
قاطعها "مهند" بحزم قائلاً:
-مينفعش تقولى ليه يا رب كده .. مينفعش تعترضى على ارادة ربنا .. ربنا هو اللى خلقنى وخلقك وخلق الدنيا دى كلها .. وله انه يتصرف فيها وفينا كيفما يشاء .. له انه يقول للشئ كن فيكون .. ايه معنى ليه يارب .. بتحاسبى ربنا ؟
أطرق برأسها وهى تقول بخفوت:
-أكيد لأ
تنهد قائلاً:
-انتى متعرفيش الخير فين .. ربنا بيقول "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم "
نظرت اليه بمرارة وهى تشير الى ذراعها المشلول وتقول بحده:
-ايه الخير فى انى أتشل .. ايه الخير فى كده ؟
قال بحزم وهو ينظر الي عينيها بحده:
-مش عشان مش شايفه الخير يبقى مش موجود .. هو انتى بتشوفى الهوا اللى حواليكي ؟
هزت رأسها نفياً فأكمل بحزم:

-بس هو موجود .. رغم انك مش شايفاه
قالت بحزم:
-بس حسه بيه .. وبشمه وبدخله جوايا .. حتى لو مش شايفاه
قال بحزم هو الأخر:
-وعشان تحسى بالخير اللى فى اصابتك لازم يبقى عنك ايمان قوى .. مستحيل تحسى بيه وانتى ايمانك ضعيف .. ومهزوز .. انتى مش عارفه تحسنى الظن بالله .. ولا عارفه ترضى بنصيبك .. وبقدرك .. اللى مش هيتغير مهما عملتى .. انتى لجأتى لدكاتره كتير هنا وبره محدش فهم قدر يشفيكي مش كدهر؟
نظرت اليه وقد انتبهت كل حواسها لكلماته .. فقال بحزم ناظراً اليها:
-بس ملجأتيش للشافــى .. لربنا .. لجأتى للعبد الضعيف اللى ميملكش من أمره شئ .. وسبتى القوى .. وأعرضتى عنه
أطرقت "سمر" برأسها وهى تفكر بتمعن فى كلماته .. نظر "مهند" اليها ليشعر بأن كلماته أصابت وتراً حساساً فلم يشأ أن يترك تلك الفرصة فأكمل:
-انتى بتصلى ؟
رفعت رأسها تنظر اليه بخجل ثم عادل لتطرق برأسها من جديد
فقال بهدوء:
-حتى أبسط حاجه ربنا أمرك بيها مبتعمليهاش .. الحاجه اللى بتميزك عن اليهود والنصارى والبوذية وعبدة البقر وعبدة الشمس .. مبتعمليهاش .. تقدرى قتوليلى ازاى عايزه ربنا يشفيكي ؟ .. ازاى أصلاً بتجيك الجرأة انك تطلبى منه انه يشفيكى ؟ .. ازاى ؟ .. بتجيبى الجرأة دى منين ؟

أطرق رأسها بشدة وقد ازدادت خجلاً على خجل .. ظهر ذلك جلياً فى ملامحها .. فرق "مهند" لحالها وخفف من حدة صوته وهو يقول:
-بصى أنا عارف ان ممكن تكونى عشتى فى بيئة فاسدة بره .. غيرتك وملقتيش اللى ينصحك ويوجهك .. ده طبعاً مش عذر لأنك المفروض تبحثى وتدورى بنفسك .. بس حتى لو كنتى فاكراه عذر فدلوقتى خلاص العذر معدلوش وجود .. دلوقتى انتى مش معذورة .. لان حواليكي ناس بتنصحك .. وأولهم أختى "فريدة" حاولى تقربى منها .. هى بتحبك وبتحبلك الخير ..وهتساعدك كتير .. ربنا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقاله " وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ

رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ؟ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ؟ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا .. "
تخيلى ربنا بيقول كده للنبى وهو من هو .. بيقوله يحيط نفسه بالصحبة الصالحة وهو أكمل الخلق ايماناً .. ما بالك احنا بأه ؟ .. احنا أحوج ما نكون للصحبة الصالحة من النبى اللى كمل خلقه وايمانه
رفعت "سمر" رأسها لتنظر الى "مهند" وقد ظهر تأثرها بكلماته واضحاً جلياً على محياها .. نظر "مهند" الى رجل الأعمال الذى خرج من الفندق يبحث عنهما وقال:
-أنا هروح للناس لإننا اتأخرنا عليهم .. لو حبه تستنى هنا استنى .. خلاص يعتبر كده يومنا معاهم انتهى
قال ذلك وانصرف يحث الخطا الى الفندق .. توجه الى طاولة رجال الأعمال وتحدث معهم بالانجليزية التى ترجمها اليهم أحدهم .. بقى ما يقرب من ربع ساعة ثم توجه الجميع الى الخارج .. استعت عيناه دهشة وهو لا يجد "سمر" فى المكان الذى تركها فيه عند النافورة .. أخذ يبحث بعيناه عنها دون جدوى .. سأل أحد رجال الأمن الواقفين على البوابة قائلاً وهو يشير الى النافورة:
-لو سمحت كان فى واحده أعده هنا من شوية هى بشعرها ولابسة جينز ودراعها متجبس
أومأ الرجل برأسه وقال:
-أيوة أيوة اللى كانت بتعيط .. شوفتها خرجت من شوية ووقفت تاكسى ومشيت
ردد "مهند" فى دهشة:
-مشيت ؟
-أيوة
-انت متأكد ؟
-أيوة متأكد
شعر "مهند" بالدهشة والحيرة فى نفس الوقت لكنه قال فى نفسه لربما شعرت بالملل وعادت الى الفيلا .. بعد عدة ساعات .. عاد "مهند" الى الفيلا فيما كان الجميع فى غرفة المعيشة .. دخل ونظر اليهم تبحث عيناه عن "سمر" فلم يجدها .. قالت "انعام" بمرح:
-حماتك بتحبك مدام "الميس" محضرالنا عشوة حلوة أوى

نظر اليه "عدنان" والى وجومه قائلاً:
-أمال فين "سمر"
جلس على أحد المقاعد قائلاً بحيرة:
-معرفش
رفع "عدنان" حاجبيه قائلاً:
-ازاى متعرفش مش هى كانت معاك
قال بحيرة:
-سابتنى ومشيت .. افتكرتها رجعت على البيت
أخرج "عدنان" هاتفه من جيبه وحاول الإتصال بها دون جدوى .. قالت "انعام" بقلق:
-مبتردش ؟
قال "عدنان" وقد دب الخوف فى قلبه:
-موبايلها مقفول
التفت الى "مهند" قائلاً:
-حصل حاجه ضايقتها
تنهد "مهند" قائلاً:
-جالها تليفون من الدكتور بتاعها فى تركيا .. والتليفون ضايقها
قالت "فريدة" بأسى:
-يا حبيبتى .. أكيد قالها انها مش هتخف .. زمانها مقهورة الموضوع ده تاعبها أوى
نهض "عدنان" قائلاً:
-أدور عليها فين طيب
قالت "نهال" ببرود:
-يا جماعة فى ايه .. محسسنى انها طفلة .. شوية وهتلاقوها هنا
نظرت اليه
"انعام" قائله:
-يا "نهال" .. "سمر" متعرفش حاجه هنا فى القاهرة .. عايشة بره بقالها سنين .. وحتى لما كانت فى مصر كانت عايشة فى اسكندرية مش هنا
قال "عدنان" والقلق على محياه:

-هى بقالها أد ايه مختفية
نهض "مهند" وقد ساوره القلق هو الآخر وقال:
-يعني تقريبا ساعتين أو ٣ ساعات .. أنا وصلت الوفد للمطار واتأخرنا شوية فى الكلام .. بس تقريبا زى ما بقول كده
هتف "عدنان" بغضب:
-ومهنش عليك تتصل بيها تطمن عليها
قال "مهند" بإضطراب:
-أنا معييش رقمها يا عمى
هتف "عدنان" بنفس الغضب:
-كنت اتصل بالبيت اطمن عليها .. اتصل بيا .. بـ "فريدة".. بعمتك
تنهد "مهند" بقوة وهو يقول بحنق:
-فعلاً معاك حق .. بس أنا متخيلتش انها مختفية .. قولت زهقت ورجعت على البيت ..أنا جاى معاك ندور عليها
شعرت "نهال" بالحنق وهى تنظر الى "مهند" وتقول:
-أكيد هترجع متقلقوش نفسكوا
لم يعيرها أحداً منهم انتباهه وخرجا "مهند" بصحبة "عدنان" .. فقط ليهتف "مهند" وهو يشير الى بوابة الفيلا:
-الحمد لله أهى جت
نظر "عدنان" الى البوابة ليجد "سمر "تترجل من سيارة الأجرة وهى تشير الى "دياب" لحمد بعض الحقائب الى الداخل .. سار "دياب" خلفها حاملاً الحقائب .. نظرت الى الرجلين وقالت بهدوء:
-مساء الخير
هتف "عدنان "بلهفه:
-كنتى فين يا "سمر" ؟
قالت بهدوء:
-كنت بعمل شوبينج
نظر اليها "مهند" رافعاً حاجبيه دهشة .. فتجاهلت نظرته .. بل تجاهلتهما معاص ودخلت الى الفيلا .. توجهت الى غرفة المعيشة فنهضت "انعام" و "فريدة" للترحيب بها:

-قلقتينا عليكي يا "سمر"
" -سمر" حبيبتى انتى كويسة
ابتسمت "سمر" وقالت:
-أيوة كويسة .. كويسة أوى .. هطلع آخد شاور وأنزلكوا .. اوعوا تروحوا فى حته راجعالكوا
توجهت الى غرفتها واستغرقت قرابة الساعة قبل أن تعود اليهم من جديد .. ابتسمت قائله:
-كويس ان محدش مشى
سمعت صوت سيارات بالخارج فهتفت وهى تصدفق:
-ده أكيد "نهاد" و " حسنى" .. انا اتصلت بالاتنين .. حبيت نتجمع كلنا النهاردة
نظر اليها "عدنان" بدهشة .. فقالت مبتسمه:
-اتضايقت ؟
هز رأسه نفياً وقال:
-لا أبداً
دخل الجميع الى الغرفة .. نهضت "سمر "وحيت "يسرية" و "كوثر" بحرارة على الرغم من شعورها ببرود كل منهما تجاهها ..رحبت بـ "نهاد" و "بيسان" و "علاء" و "حسنى" .. وحملت الصغير فوق ذراعها السليم وجلست واضعه اياه على قدميها تلاعبه وتلاطفه .. تقدمت "لميس" منها وقالت:
-دلوقتى يا مدام "سمر" ؟
هزت "سمر" رأسها وكل منهم ينظر الى الأخر فى دهشة .. سأل "عدنان" بفضول:
-فى ايه يا "سمر"
ابتسمت وقالت بسعادة:
-جبت لكل واحد فيكوا هدية
فى تلك اللحظة حضرت "فيروز" والتى كانت تتجنب تلك اللقاءات العائلية وتنشغل بالسهر والإندماج فى المجتمع الليلى وتمضية النهار فى النوم .. بل تعدى الأمر ذلك وتعرفت على احدى النساء التى صارت رفيقة مقربة اليها

تمضى فى بيتها أكثر مما تمضى فى فيلا "عدنان .. "حتى لم يعد يشعر أحد من أصحاب البيت بأنها فرداً من أفراد هذا البيت .. لكن فى تلك الليلة حضرت على غير عادتها .. نظرت اليها "سمر" ساخره وقالت:

-بجد نسيتك

رفعت "فيروز" حاجبيها بدهشة .. فقالت "سمر: "

-جبت هدية لكل واحد فى البيت .. ونسيتك

نظرت اليها "فيروز" بإباء وقالت:

-وأنا مش مستنية هديتك .. أنا جاية أخد هدومى وبعض متعلقات ليا عشان مسافرة كام يوم

قالت ذلك وهى تخرج من الغرفة بخيلاء

هزت "سمر" رأسها وكأنها تنفض أى صورة لـ "فيروز" و اى كلمة لها من رأسها .. عادت تنظر اليهم مبتسمة .. قالت لـ "بيسان : "

"-بيسان" لو سمحتى شيلي "فريد"

حملت "بيسان" فريدة من بين ذراعى "سمر "التى نهضت وتوجهت الى الطاولة التى دفعتها "لميس" من الخارج محمل عليها علب هدايا ملفوفة بعناية فاقة .. حملت هدية تلو الاخرى وأخذت تقدمها لكل فرد منهما .. كانت كل هدية ملصق عليها كارت صغير بإسم صاحبها .. كانت العلبة الخاصة بـ "مهند" هى أصغرهم .. كانت صغيره للغاية حتى أن "نهال" اندهشت من شكلها .. لم تكن مغلفة فى علبة كما هو الحال فى باقى الهدايا .. حتى نوع التغليف كان مختلفاً .. كان يبدو أرخص وأقل قيمة ! .. انتهت من توزيع الهدايا وعادت الى مقعدها فى حين تنطلق من الأفواه عبارات الشكر والإعجاب بتلكم الهدايا القيمة المقدمة لكل منهم .. بدا للجميع أنها أنفقت مبلغ محترم على تلك الهدايا .. تأمل كل منهم هديته بإعجاب .. صاحب "بيسان" قائله :

" -سمر" ميرسى أوى ذوقك يجنن

نظرت الى البرفيوم فى يدها والذى تعلم قيمته جيداً وقالت بإمتنان:

-بجد ميرسى أوى

نهضت لتقبلها فقالت "سمر" بسعادة:

-أنا مبسوطة أوى انه عجبك

قالت "بيسان" بحماس:

-طبعاً ده يجنن
قالت "فريدة" بتأثر وهى تعانقها هى الأخرى:
-بجد تعبتى نفسك
ابتسمت "سمر" قائله بسعادة:
-لا أبداً ولا تعب ولا حاجه
قالت "يسرية" وهى تتأمل البروش القيم فى يدها:
-هدية جميلة يا "سمر" .. ذوقك فعلاً حلو
ابتسمت قائله:
-مبسوطة انه عجبك
قالت "نهال" فجأة وهى تنظر بفضول شديد الى هدية "مهند" والتى لم يفتحها بعد:
" -مهند" افتح هديتك
نظر "مهند" الى "سمر" فرأى فى عينيها نظرة غريبة .. وساوره القلق وهو يلف بين يديه تلك الهدية الصغيرة والتى لا تتعدى طول الاصبع .. أخذ يفض غلافها .. لتتوقف يداه فجأة وهو يرفع الهدية ينظر اليها بدهشة شديدة .. هتفت "نهال" ضاحكة:
-ولاعة ؟ .. جبتى لـ "مهند" ولاعة
ظلت "سمر" محتفظة بتعبريات وجهها الهادئة .. قالت "فريدة" بدهشة:
" -سمر" .. "مهند" مبيشربش سجاير ولا عمره شربها
قالت "نهال" ضاحكة بشدة:
-بقالك أد ايه عايشة معانا .. ولسه لحد دلوقتى متعرفيش ان "مهند" مبيشربش سجاير .. أصلاً مفيش حد فى العيلة بيشرب سجاير الا "علاء"
ثم نظرت ضاحكة الى "علاء" وهو يحمل هديته قائله:
-حتى "علاء" اللى بيشرب سجاير جبتيله ساعة
قالت "بيسان : "
-يمكن "سمر" غلطت وادت هدية "علاء" لـ "مهند "
قالت "سمر" بهدوء:
-لا مغلطتش
تدراكت "انعام" الموقف وقالت:

-معلش يمكن مكنتش تعرف انه مبيشربش سجاير .. ميرسى يا "سمر" على الهدايا الحلوة دى

فى تلك اللحظة حضرت "الميس" لتخبرهم بأن الطعام معداً على طاولة الطعام .. نهض بعضهم واندمج آخرون فى الحديث بينما أخذت الخادمة فى جمع أغلفة الهدايا الملقاة على المقاعد .. رفع "مهند "هديته أمام ناظريه وهو يعقد جبينه بشدة .. لم يكن مندهشاً فحسب من نوع الهدية التى اختارتها له وخصتها له دون سواه .. فلعلها لا تعلم بأنه غير مدخن .. لكن ما ادهشه .. وأصابه بالحيرة .. هو أنها أنفقت مبالغ كبيرة على هدايا تحمل ماركات عالمية .. إلا هديته .. لم تكن حتى ذات قيمة ! .. لم تكن حتى موضوعه فى علبه .. بل كانت من تلك القداحات الشعبيه التى تباع على الأرصفة والتى لا يتجاوز ثمنها خمسة جنيهات ! .. حتى الغلاف بدا .. رخيصاً ..ظهر الضيق على وجهه وهو يسأل نفسه .. ماذا تقصد بذلك ؟ . .أتقصد اهانتى ؟ ..اتقصد التحقير من شأنى ؟ .. رفع رأسه يبعد ناظريه عن الهدية لينظر الى "سمر" .. التى وجدها تنظر اليه بنفس النظرة التى يحتار دائماً فى تفسير معناها .. تلك المرة لم يهرب بعينيه بل غاص فى عينيها أكثر يحاول فهم ما فيهما .. لم تكن نظراتها تحمل سخرية .. ولا تهكم .. ولا تحقير من شأنه. . بل حملت شئ غريب لا يجد كلمات لوصفه .. أطبق على القداحة بين أصابعه ونظراته تشع حيره وأخذت عيناه ترسم أمام عيناها علامة استفهام كبيرة .. تمنى أن تستطيع محوها ليرتاح باله .. وليخرج من حيرته .. لكنها أطرقت برأسها للحظات .. ثم قامت لتغادر الغرفة فى صمت!

نهض خلفها .. وجلس فوق مقعده فى مواجهتها ..لم يتناول طعامه بل لازمه الشرود طوال العشاء .. ناظراً من حين لآخر لتلك القداحة التى وضعها أمامه فوق الطاولة .. رفع عينيه الى "سمر" ليجدها تشرف من العصير فى يدها وهى ترمقه بنظراتها التى زادته حيره .. قال بهدوء:

-انتى منين من المندرة ؟

وضعت الكوب أمامها فوق الطاولة وهى تقول بهدوء مماثل:

-مش فاكرة

رفع حاجبيه بدهشة قائلاً:

-ازاى مش فاكرة ؟

قالت "انعام: "

-أكيد يا حبيبى عشان بعدت عن اسكندرية سنين .. فطبيعى تنسى أسماء الشوارع
وضعت "سمر" عينيها فى طبقها .. فعاجلها "مهند" بسؤال آخر:
-سافرتى تركيا امتى ؟ من كام سنة يعني ؟
ساد الصمت حتى ظن بأنها لن تجيب سؤاله .. وأخيراً رفعت نظرها اليه قائله:
-مش فاكرة
لاحت على شفتيه ابتسامة ساخرة وهو يقول:
-ازاى يعني مش فاكرة ؟
نظرت الى كوب العصير فى يدها وهى تقول بهدوء:
-بطلت أعد .. مش هتفرق خمس سنين ولا عشرة ولا خمساتر ولا عشرين .. أصلاً السنة فى الغربة بعشرة
قال "عدنان" بمرح:
-معاكى حق أنا لما بسافر يوم واحد بره مصر بحس انى بشتاقلها ونفسى ارجعلها .. أكن فى حاجه ربطانى بيها بخيط متين
ابتسمت له "سمر" وهى تقول:
-نفس احساسى
ثم نظرت الى "مهند" قائله بجدية بالغة:
-طول ما أنا بره .. كنت حسه ان روحى هنا .. فى مصر .. فى اسكندرية .. فى المندرة .. على شط البحر .. فوق الصخور
عقد "مهند" حاجبيه قائلاً بإستغراب:
-فوق الصخور ؟
أومأت برأسها وقالت وهى تنحنى الى الأمام وتستند بمرفقها الى الطاولة:
-أيوة فوق الصخور .. عارف صخرة ليلى "مراد" اللى فى مطروح ؟
أومأ برأسه وهو لايزال ينظر اليها فى حيرة .. فأكملت بهدوء:
-أنا ليا صخرة هناك .. فى اسكندرية .. ملهاش اسم .. بس أنا مسمياها بإسمى .. لانها بتاعتى أنا .. ولسه لحد دلوقتى فاكرة شكلها
قالت ذلك ثم أبعدت عينيها عن عينيه وهى تزيح مرفقها من فوق الطاولة .. أكملت طعامها فى صمت .. ندم "مهند" على ذلك الحديث الذى بدأه معها .. لأن كلامهــا لم يزيــده الا حيـرة فوق حيــرة !

الفصل الثامن عشر

وقفت "سمر" فى شرفة غرفتها تتابع "مهند" الذى عبر بسيارته بوابة الفيلا ليتوقف أمام بابها .. داعبت نسمات الليل شعرها الأسود فأعادت خصلاتها التى نزلت على عينيها لتحجب الرؤية الى الوراء .. وأخذت تتبعه الى أن نزل من سيارته .. توقف للحظات يستند بظهره الى السياره ويتحدث فى هاتفه .. بدا مندمجاً فى الحديث .. وكذلك هى مندمجة فى التطلع اليه .. شعر بشئ ما يدفعه لأن ينظر الى الأعلى .. لعلها حاسته السادسة التى أنبأته بوجود عينين متفحصتين تنظران اليه فى اصرار .. التقت نظراتهما .. لم تحاول "سمر" التوارى .. أو التظاهر بأنها تتطلع الى شئ آخر .. بل نظرت الى عينيه فى ثبات .. ثبات جعله يجفل .. وتضيق عيناه فى حيرة .. أنهى مكالمته .. ودخل الفيلا!

****

نزلت تلك الفتاة نحيفة الجسد .. طويلة القامة .. هادئة الملامح .. من الحافلة وهى تعيد ضبط حقيبتها فوق كتفها .. توجهت فى هدوء الى ذلك الشارع الهادئ والذى تحدوه من الجانبين فيلل أنيقة فاخرة لم تحلم يوماً بدخول احداها .. سارت بحذائها الرث سيراً طويلاً .. فما كانت ستضحى بتلك الجنيهات القليلة فى حقيبتها وتركب مواصلة أخرى الى وجهتها .. سارت تحت شمس الظهيرة الحارقة والعرق يتصبب من وجهها وشعرها فيبلل خمارها المسدل على رأسها .. فى وقار .. توقفت عند فيلا "عدنان زياكيل" .. وهى تتطلع حولها فى توتر توجهت الى أحد حراس الأمن الواقفون بجانب بوابة الفيلا وقالت :

- السلام عليكم

- وعليكم السلام

قالت بخجل :

"لو سمحت ممكن أقابل "عدنان" بيه .. أو البشمهندس "مهند -
: نظر الحارس بشك الى ملابسها وهيأتها ثم قال
وعايزاهم فى ايه -
: قالت بتوتر
حاجه خاصة -
: قال ببرود
لازم أعرف ايه الحاجة الخاصة دى عشان أبلغهم بسبب الزيارة -
: قالت بخفوت
قولهم "دعاء" بنت عم "مرزوق" الجناينى الله يرحمه -
أومأ الحارس برأسه وأجرى مكالمة هاتفيه باللاسلكى ينبأهم بأمر تلك الفتاة ..
:أنهى المكالمة ليقول لها
عدنان" بيه نايم .. و البشمهندس "مهند" لسه مجاش" -
: قالت بضيق
طيب .. هيرجع أمتى -
: هز الرجل كتفهي وقال
معرفش -
: ما كاد ينهى كلمه حتى ظهرت سيارة "مهند" تتقدم نحو الفيلا فصاح
أهو البشمهندس "مهند" وصل -
انتظرت الفتاة الى أن اقتربت السيارة وتوقفت أمام البوابة .. قالت الفتاة بلهفة
: "وهى تنظر الى "مهند
"بشمهندس "مهند -
: أومأ "مهند" برأسه فقالت على الفور
أنا "دعاء" بنت الجناينى اللى كان بيشتغل عندكوا هنا واتقتل -
: أوقف "مهند" سيارته ونزل منها قائلاً
البقاء لله-
: قالت الفتاة بتوتر
متشكره أوى -
: صمتت وبدا عليها الارتباك فقال
فى حاجه أقدر أساعدك فيها -

: قالت بخجل وهى مطرقة برأسها
بصراحة أنا الظروف ضاقت بيا بعد والدى ما اتوفى .. أنا حاولت كتير أدور - على شغل بس مش لاقيه .. ولو لقيت المرتب بيضيع تلت تربعه فى المواصلات قولت آجى هنا وأجرب حظى .. أنا ممكن أشتغل أى حاجه .. يعني أى حاجة .. ممكن اعملها
: "كانت تفرك يديها بإرتباك وهى تنظر أرضاً فقال "مهند
انتى خريجة ايه ؟ -
: قالت بخفوت
بكالوريوس زراعة -
: قال بحماس
طيب تمام .. اتفضلى ادخلى عشان نتكلم فى التفاصيل -
: نظرت اليه بدهشة وهى تقول
يعني خلاص بجد .. هشتغل هنا .. هتشغلونى ؟ -
: أومأ برأسه قائلاً
أيوة ان شاء الله .. انتى ليكي حق فى رقبتنا .. ولازم نسدده -
: اغرورقت عينا الفتاة بالعبرات وهى تقول
بجد متشكرة .. ربنا يكرمك -
تنهد "مهند" وهو يركب سيارته ويدخل الفيلا تتبعه الفتاة والابتسامة على محياها .. بينما تنهد هو فى ضيق حسرة على ذلك الرجل الذى انتهت حياته !.. بطلقة غاشمة .. غادرة

****

: هتف "علاء" بحنق وهو يقود سيارته مسرعاً
وبعدين .. الواحد هيفضل مطحون فى الشركة دى وتحت رحمة "عدنان" - باشا
: قال صديقه وهو يلف احدى السجائر
بص هى خلاص بانت لبتها .. يا انت يا هو -
: التفت اليه "علاء" قائلاً
ازاى يعنى ؟ -

: قالت صديقه بحزم
لازم نقتله قبل ما مراة عمك تحمل منه وتبقى واقعة سودة -
: "هتف "علاء
حمل ؟ .. حمل ايه .. لا متقولش كده -
: قال صديقه ساخراً
وليه بأه ما أقولش كده .. ايه مجاش على بالك ان عمك يخلف .. لا وياسلام - لو طلع ولد .. يبقى هيتربى فى عزه بصحيح .. وانت بأه .. ربنا يتولاك
: أحكم "علاء" قبضتيه على المقود وهو يقول بحزم
ده على جثتى -
يبأه تعمل الى بقولك عليه .. مفيش حل غير كده . .اديني انتى التمام .. - وسيب الباقى عليا
طيب ما هى مراة عمى برده هتورثه -
: صاح صديقه
يا ابنى تورثه وهى بطولها أحسن ما تخلف منها وتكوش على كل حاجه .. - وبعدين مش هنغلب يعني نبقى نشوفلها صرفه هى كمان .. فكر ورد عليا

****

: وقف "دياب" يعدل من ملابسه وهو ينظر الى زميله قائلاً
سلام بأه أشوفك بكرة -
: قال زميله
"سلام يا "دياب -
خرج "دياب" من المكتب الصغير المخصص للحرس فرآى "دعاء" وهى تخرج من بوابة الفيلا وتسير فى طريقها عبر الشارع الطويل .. التفت
: بإستغراب الى زميله قائلاً
ايه ده مين دى ؟ ودخلت امتى ؟ -
دخلت من كام ساعه .. البشمهندس "مهند" هو اللى دخلها .. دى بنت عم - "مرزوق" الجناينى الله يرحمه
: نظر اليه "دياب" بإصتغراب قائلاً

- بنت عم "مرزوق" .. طيب وجايه تعمل ايه ؟

- جايه تدور على شغل .. والبشمهندس "مهند" قالها انه هيشغلها فى الفيلا

- هيشغلها ايه يعني ؟

- معرفش .. بس هى قالته ان معاها بكالوريوس زراعة

أوما "دياب" برأسه ونظر الى ساعته ثم انطلق فى طريقه .. وقف مع الجمع ينتظر الحافلة الى أن حضرت أخيراً .. تزاحم بين الركاب وبقوة الدفع تمكن من الصعود وايجاد مكان يقف فيه بالكاد .. التفت فرأى تلك الفتاة بنت الجناينى.. تقف بين الركاب .. أشارح بوجه وشرد عقله بعض الوقت الى أن انتبه الى رجل يتقرب من "دعاء" وبدا أنه يتعمد الاطاحه بجسده يميناً ويساراً مع حركة الحافلة فيرتطم بها وتنظر اليه بحده .. تحاول أن تبتعد عن طريقه لكن الزحام وتتقهقر هى .. منعها من الابتعاد أكثر من سنتيمترات .. فيقترب الرجل تاره تاره أخرى .. تقدم "دياب" يشق طريقه بين الركاب الى أن توقف خلف الرجل وطرق على كتف قائلاً بحزم :

- لو سمحت

تحرك الرجل جانباً فأخذ "دياب" مكانه .. نظر اليه الرجل بالغيظ فقد ظن بأنه يريد المرور لا أن يقف مكانه ! .. نظرت "دعاء" حولها فى تأفف فها هو رجل آخر يقترب منها.. شعرت بغصة فى حلقها .. وهى تعقد جبينها بشدة .. فلولا حاجتها للمال لما خرجت من بيتها أبداً .. ولبقيت فيه مصانة .. لكن ماذا تفعل فى عالم خلت فيه القلوب من الرحمة .. رفض خالها استضافتها بعد وفاة والدها بحجة صغر بيته وكثرة ولده .. أما عمتها التى تنعم بما آتاها الله من نعم .. فقد تهربت منها وكأنها داء خبيث .. لمعت دمعة في عينيها وقد صعبت عليها نفسها .. وأنهكتها قسوة القلوب حولها .. ممكن يسمون أرحامها .. ! انتبهت الى الرجل بجوارها خشت أن يفعل مثل سابقه .. التفتت تنظر اليه ثم تشيح بوجهها على الفور .. نعم انه أحد الحرس فى فيلا "زياكيل" رأته أثناء خروجها من الفيلا .. اطمئنت قليلاً .. رأته بطرف عينيها يتشبث جيداً بالمقعدين على كل الجانبين .. حتى لا تدفعه مطبات الطريق وحركة الحافلة الى الاصطدام بها .. رأته يحافظ على المسافة بينهما دون أن يتخطاها رغم حركة الحافلة القوية أثناء توقفها عن كل محطة ! .. فإطمئنت فى وقفتها .. نظر "دياب" الى الطريق .. ها قد أتت محطة نزوله .. التفت ينظر خلفه ليجد الرجل

لايزال واقفاً .. التفت ينظر الى "دعاء" وقد خشى أن يحاول مضايقتها مرة أخرى .. فقال بهدوء :

- يا آنسة

جفلت "دعاء" والتفتت فقال بهدوء :

- اطلعى اقفى فى أول الأتوبيس أحسن .. هو فضى شويه من أدام

التقت نظراتها مع نظرات الرجل خلفه .. فتقدمت بين الزحام ووقفت فى بداية الحافلة .. شق "دياب" طريقه هو الآخر الى أن توقفت الحافلة لينزل منها فى محطته !

****

وقف "بشير" ينظف سيارة "عدنان" .. بدا منهمكاً فى عمله فسمع من خلفه صوتاً يا قول :

- زعلان منك أوى

التفت ليجد "مهند" واقفاً خلفه واضعاً يديه فى جيب بنطاله .. علت الابتسامة وجه "بشير" وهو يقول :

- ليه بس يا بشمهندس .. عملت ايه ضايقك ؟

قال "مهند" بجدية :

- ليه معدتش بتصلى الفجر ؟ .. أو عشان ما أسئش الظن بيك .. ليه معدتش بتصلى الفجر فى المسجد يا "بشير" ؟ .. بشوفك فى باقى الصلوات الا الفجر

أطرق "بشير" برأسه فى خجل .. فقال "مهند" :

- ايه اللى شاغلك عن الصلاة فى المسجد ؟ .. مفيش حاجة أهم من الصلاة يا "بشير" حتى شغلك ده ميستحقش انك تأخر صلاتك عشانه

قال "بشير" وهى يفرط الفوطة بأصابعه :

- معرفش يا بشمهندس .. بقيت بحس ان الصلاة فى المسجد تقيلة .. خاصة الفجر .. أنا مكنتش كده بس مش عارف ايه اللى حصل

قال "مهند" بهدوء :

- انت عارف يا "بشير" ان الصلاة فى المسجد لينا فرض .. عارف كده ولا لأ

وأمأبرأسه وقال بخفوت :

- أيوة عارف انها فرض
قال "مهند" بحزم :
- وتعرف كمان .. ان النبى صلى الله عليه وسلم قال " أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلا فيصلي بالناس ، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار" .. والمقصود الرجاله اللى مش بتصلى جماعة فى المسجد .. وكمان النبى قال "لولا ما في البيوت من النساء والذرية أقمت صلاة العشاء وأمرت فتياني يحرقون ما في البيوت بالنار" .. يعني لولا النساء والأطفال كان النبي أمر الصحابة بحرق البيوت اللى فيها رجال لا يشهدون صلاة الجماعة
أطرق "بشير" برأسه بخجل فقال "مهند" :
- يا "بشير" فى حاجه شاغله قلبك ومقيداك عن الصلاة .. فضى قلبك من اللى شغله .. مش عارف ممكن كلامى يبقى غلط .. بس أنا حاسس انك واقع فى فتنه
نظر اليه "بشير" وهو يقول بضيق :
- فعلاً أنا واقع فى فتنه وفتنه كبيرة .. ومش عارف أخرج منها .. ولا عارف أشيلها من قلبى .. عارف لو فى أمل .. كنت ارتحت .. لكنى معلق نفسى بحبل مسيره فى يوم من الأيام هيتلف حولين رقبتى ويخنقنى
أومأ "مهند" برأسه وقال :
- توقعت كده .. بص يا "بشير" .. حلك فى اصلاة مش فى البعد عنها .. ادعى ربا ان اللى فى قلبك يكون من نصيبك .. لو ربنا مأردش .. متضايقش .. ارضى ارضى باللى مكتوب .. لأنه أكيد أحسنلك من اللى انت عايزه .. محدش .. عارف الخير فين .. ارضى باللى ربنا كتبهولك يا "بشير" .. ومتخليش أى حاجة فى الدنيا تشغلك عن عبادتك .. النبى صلى الله عليه وسلم يقول "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له"
أومأ "بشير" برأسه وهو يقول :
- معاك حق يا بشمهندس

: ابتسم "مهند" وهو يربت على كتف "بشير" قائلاً بمرح
مستنيك الفجر فى المسجد .. ولو مجتش .. انت حر بأه .. مش هقولك هعمل -
ايه .. هسيبك تكتشف بنفسك
: ضحك "بشير" وقال
لا ان شاء اللى هتلاقين الفجر فى المسجد .. ربنا يكرمك يا بشمهندس -

****
مش فاهم .. انتوا عايزنى أعمل ايه بالظبط ؟ -
هتف "علاء" بتلك العبارة فى دهشة وهو يتطلع الى "يسرية" و "كوثر" التى
: قالت
يا "علاء" افهم .. اللى أعرفه عنك انك واد مخلص ومفيش واحدة تستعصى -
"عليك .. ورينا همتك بأه مع الست "سمر
: قال بإستغراب وهو يحك شعره
يعني عايزنى أرسم عليها -
: قالت "يسرية" بحده
ارسم وخطط واعمل اللى تعمله .. المهم البت تقع فيك -
: قال بدهشة وهو ينقل نظره بينهما
طيب وهتستفادوا ايه من كده -
: قالت "كوثر" بحماس
هنستفاد اننا هنصوركوا كام صورة حلوين على كام فيديو حليون ونبعت -
الحاجت الحلوة دى لعمك "عدنان" .. يقوم يرمى عليها اليمين ويرميها هى
ومراة أبوها الحداية من الفيلا
: هتف "علاء" بسخرية
وعمى يتف فى خلقتى ويحرمنى من الميراث .. أهبل أنا وبريالة عشان -
عشان أعمل اللى انتوا بتقولوه ده
: الت "يسرية" بحده
يا ابنى افهم .. احنا ممكن نلعب فى وشك الفوتوشوب وميظهرش مين اللى -
"مع "سمر
: قال بخسرية

والفيديو هتلعبوا فيه بالفوتوشوب ازاى ان شاء الله -
: قالت "يسرية" بدهشة
ايه ده هو يمنفعش أعدل فى الفيديو بالفوتوشوب -
: ضرب كفاً على كف وقال بتهكم
والله شكلكوا هتضيعونى .. لا طبعاً مينفعش -
: قالت "كوثر" بحماس
خلاص بلاها الفيديو .. كفاية الصور .. المهم انت بس خلى "سمر" تطب - واحنا وقتها نبقى نتصرف ونشوف هنعمل ايه .. ممكن حتى نسجلكوا مكالمة ونغير فى صوتك
: نظر اليهما بسخرية ضاحكاً
انتوا اشتغلتوا فى المونتاج وأنا معرفش -
: هتفت "يسرية" بجديه
هاا هتسد ولا نشوف حد غيرك -
: فكر "علاء" قليلاً ثم قال
طيب أما نشوف هتوصلونا لفين -

****

توجه "مهند" الى غرفة المعيشة ليجد مربية "فريد" حاملة اياه وجالسة فوق : الأريكة .. فسألها "مهند" قائلاً
هو محدش هنا ولا ايه ؟ -
: قالت المربية
لا يا فندم كلهم بيتغدوا فى الجنينة -
أومأ برأسه .. كاد أن يخرج من الغرفة الا أنه تراجع عن ذلك وتقدم منها قائلاً :
طيب سبيهولى شوية -
حمله بين ذراعيه .. فتوجهت المربية الى الخارج .. جلس "مهند" فوق احدى .. الأرائك فى الغرفة وهو يبتسم فى وجه الصغير .. متلمساً وجنته الناعمة انحنى يقبل أصابع يده مرات عدة .. ثم يعود ليتطلع اليه من جديد .. رق قلبه

: وهتف بلسانه بخفوت
سبحان الله -
تحرك الصغير مصدراً أصواتاً مختلفة بتلهى باللعب فى أصابعه .. تجمد "مهند" : فى مكانه عندما سمع صوتاً أنثوياً يقول
نفسك فى واحد زيه ؟ -
: رفع رأسه لتصطدم عيناه بعيني "سمر" .. اتسعت ابتسامتها وهى تقول
أنا كمان لما شوفته وشيلته حسيت انى نفسى فى واحد زيه -
عاد "مهند" ينظر الى الصغير مرة أخرى دون أن يعقب على حديثها .. ظلت واقفة على باب الغرفة .. ظن بأنها سترحل .. لكنه كان مخطئاً .. تقدمت فى خطوات تؤدة .. لتجلس الى جواره .. محافظة على مسافة بينهما .. مدت يدها لتلمس وجنة الصغير مبتسمة مداعبة اياه .. التفت الصغير اليها مبتسماً وهو يطلق أصوات تنم عن استمتاعه بحركة أصابعها فوق وجنته .. اتسعت : ابتسامتها وهى تقول بسعادة
أول مرة ألعب مع بيبى .. كل صحاب بابا مكنش عندهم أطفال صغنيين كده -
شعر "مهند" بالحرج لجلوسهما معاً بمفردهما وبهذا الاسترخاء وبذلك الحديث : الودى بينهما .. فالتفت اليها يمد يده بالصغير قائلاً
خديه أنا خارج -
حملت منه الصغير فوضعت كفها بدون قصد فوق كفه .. رفعت رأسها تنظر : اليه وجهه الخالى من أى تعبيرات .. قبل أن ينهض قالت بلهفه
مجاوبتنيش -
: التفت ينظر اليها بإستغراب .. فقالت وهى تنظر الى عمق عينيه
نفسك فى واحد زيه ؟ -
ازداد استغرابه من السؤال .. ومن اصراها على القاءه .. صمت ولم يجيب .. : فقالت هامسه وهى لا تزال تنظر اليه
كنت بتحبها ؟ -
تحولت نظراته من الاستغراب الى الحده وهو يزم شفتيه فى غضب .. فأكملت : هامسه وقد لاحت الدموع فى عينيها
نهلة" .. اتجوزتها لمدة سنة .. حبيتها ؟ .. أد ايه ؟ .. لسه بتوحشك ؟ .. " - لسه فاكرها ؟

: احتد قائلاً وهو ينهض من مكانه
مبحبش أتكلم فى حاجة خاصة كده مع حد -
استمرت فى النظر اليه وتلك النظرة الغريبة فى عينيها وقد ازدادت تلك العبرات
: فى عينيها هى تقول بصوت مضطرب
قولى بس .. فاكرها ولا نسيتها ؟ .. فى قلبك ولا بأت ذكرى ؟ .. نفسك -
ترجعلك وتعيش معاك .. ولا نويت ترمى ذكرياتها ورا ضهرك وتكمل حياتك ؟
: نظر اليها بدهشة قائلاً
انتى ازاى تتكلمى معايا كده ؟ .. ازاى تتكلمى معايا فى حاجة خاصة كده ؟ .. -
حاجة مبتكلمش فيها مع أى حد حتى مع أختى ؟
أطرقت برأسها تنظر الى الصغير .. بينما خرج "مهند" من الغرفة مسرعاً
وامارات الغضب على وجهه .. حاولت رسم بسمة على شفتيها وهى ترجع
: بظهرها الى الوراء وتنظر الى الصغير هامسه
! جاوبنى انت .. طالما هو مش عايز يجاوب -
وضعت أذنها على فم الصغير وكأنه يسرى اليها بالإجابه .. ثم رفعت رأسها
: تنظر اليه وهى تقول بأسى
! أنا برده قولت كده -

****

زفرت "نهال" بحنق وهى تتطلع الى طلب الصداقة الذى ظل معلقاً منذ أن
حاولت النفاذ الى عالم "مهند" على الفيس بوك .. لم تيأس .. وظلت تتابع
طلبها .. آملة أن يقبله .. آملة أن يسمح بأى تواصل بينهما .. لكن طلبها ظل
! معلقاً .. بلا قبول .. بلا رفض
سمعت صوتاً فى الخارج .. قامت وفتحت باب غرفتها .. فرأت "سمر" و
يدخلان الى غرفة هذه الأخيرة وأصوات ضحكاتهما عالية .. أغلقت ""فريدة
باب غرفتها بحدة وقد ضايقها تقرب "سمر" من "فريدة" الى هذا الحد ..
: جلست فوق فراشها وهى تهتف بغيظ
! طبعاً .. حبيب حبيبى يبقى حبيبى -

جلست "سمر" فوق فراش "فريدة" وهى تتأمل ذلك الألبوم الذى وضعته

: "فريدة" فوق ساقيها وأخذت تشير الى احدى الصور وهى تقول بمرح
ودى صورتى على البيلاج .. شوفتى المايو الخطير ده -
: ضحكت "سمر" وهى تتأمل تلك الطفلة الصغيرة الباكية .. فقالت
كنتى بتعيطى ليه ؟ -
: قالت "فريدة" بمرح
فقرية بعيد عنك -
: ضحكت "سمر" .. ثم أشارت الى احدى الصور قائله
دى فين دى ؟ -
: "قالت "فريدة" وهى تنظر الى الصورة التى أشارت اليها "سمر
دى كنا فى مطروح -
: أومأت "سمر" برأسها وهى تقول
"ما شاء الله كنتى أموره يا "فريدة -
: ضحكت "فريدة" وقالت
كنتى ؟! .. قصدك انى دلوقتى مبقتش أموره يعني .. ماشى مقبوله منك -
: هتفت "سمر" على الفور
لا والله مش قصدى -
: ضحكت "فريدة" وقالت
عارفه يا بنتى .. مالك اتخضيتي كده -
ابتسمت "سمر" وهى تعيد النظر الى الصور .. اختفت ابتسامتها وهى تتطلع الى صورة "مهند" وهو يلاعب أحد الأطفال الصغار .. بدا سعيداً مبتسماً تلمع
: عيناه بسعادة وفرح .. قالت "فريدة" وهى تنظر الى الصورة
مهند" وهو صغير" -
ظلت "سمر" تتطلع الى الصور الى أن سمعتا طرق على الباب .. فنهضت
: "فريدة" قائله
أكيد الشاى -
فتحت "فريدة" الباب لتأخذ صنية الشاى .. وعلى حين غفلة منها .. أخرجت سمر" صورة "مهند" من الألبوم وطوتها واضعة اياها فى جيبها .. ثم أغلقت " "الألبوم بسرعة حتى لا تنتبه "فريدة" الى الصورة المفقودة .. جلست "فريدة بجوارها واضعة صنية الشاى أمامها .. حاولت فتح الألبوم من جديد فقالت

: على الفور وهى توقفها بيدها ""سمر
سبيه دلوقتى .. خلينا نتكلم مع بعض شوية -
أومأت "فريدة" برأسها وتركت الألبوم من يدها .. رفعت "سمر" فنجان الشاى
: الى فمها .. بدت نظراتها شاردة .. قالت "فريدة" فجأة
سمر" انتى ليه مش لابسه حجاب ؟" -
: توقفت "سمر" عن شرب الشاى ثم قالت بخفوت
.... أنا كنت محجبة .. بس لما سافرت -
: قالت "فريدة" وهى تنظر اليها
قلعتيه -
: أومأت "سمر" برأسها وهى تقول
بابا ضغط عليا كتير وكمان "فيروز" .. أصلاً بابا مكنش حابب انى أتحجب -
أنا اللى أصريت .. ولما سافرنا .. ضغطوا عليا كتير لحد ما قلعته
هزت "فريدة" رأسها بأسى وهى لا تتخيل ذلك الأب الذى يمنع ابنته من أن ترتدى الحجاب وتبلى أمر رب الأرباب ! .. ماذا سيقول لربه عندما يقف بين يديه ؟ .. الله أمر بالحجاب وأنا عصيت أمر ربى ؟! .. الله أمر ابنتى بإرتداء الحجاب وأنا أمرتها بأنه تعصيه ! .. كيف يفكر أولئك الآباء والأمهات .. ألا يخشون من يوم الحساب .. يتعللون بغير البنت وبأن الحجاب يكبت من حريتها ويزيد على عرمها أعماراً .. ألا يعلمون أن الله لا يأمر الا بما فيه الخير والصلاح لنا ولقلوبنا .. ألا يعلمون أن فى احتشام البنت عفة لها ولذلك الشاب المسكين الهائم فى الطرقات لا يجد قوت يومه فضلاً على أن يجد المال الذى تتطلبه نفقات الزواج ! .. ألا يعلمون أن الكلاب المسعورة فى الشوارع ليست ملامة وحدها ! .. بل يشاركها كل ذكـر سمح لابنته أو لزوجته أو لأخته أو لأمه أن تسير كاسية عارية تنهش الكلاب فى جسدها وأعراضها بنظراتهم .. ! وتحرشاتهم ! .. ألا يعلمون أن الدبوث هو الذى لا يغار على حرمة بيته
: تنهدت "فريدة" بأسى وقالت
بس دلوقتى باباكى مات الله يرحمه .. ليه متلبسيهوش تانى ؟ .. أعتقد ان -
عمى "عدنان" عمره أبداً ما هيرفض انك تلبسيه
: قالت "سمر" شاردة
معرفش .. عارفه لما تحسى ان فى حاجة جواكى ضايعة منك .. انا حاسة -

في حاجه مفتقداها .. وحشاني .. حاجه مش مخلياني حسه اني أنا ..بكدة
: التفتت اليها قائله
فهماني يا "فريدة" ؟ -
: قالت "فريدة" بحيرة
بحاول أفهمك -
: نظرت "سمر" الى فنجان الشاى فى يدها وهى تقول بأسى ومرارة
نفسى أغمض عيني وأفتحها وألاقى كل السنين اللى قضتها فى تركيا اختفت -
من أدام عينا .. نفسى اغمض وأفتح ما أشوفش أدامى الا ماما .. واسكندرية والبحر .. وكل الناس اللى بحبهم ..
: نظرت اليها "فريدة" بحيرة تتأمل امارات الألم على وجهها وهى تقول
ايه اللى مضايقك يا "سمر" .. حسه ان فى حاجه مضايقاكى .. أكنك عايزة -
تعيطي
: التفتت اليها "سمر" بأعين دامعة وهى تقول بصوت مرتجف
صح معاكى حق .. انا نفسى أعيط -
: اقتربت منها "فريدة" أكثر وهى تقول
طيب قوليلى ايه اللى مضايقك .. موضوع دراعك -
: نظرت "سمر" الذى ذراعها المعلق الى رقبتها وهى تقول بمرارة
انتى فاكرة ان دراعى بس هو اللى مشلول ؟ -
نظرت اليها "فريدة" بدهشه .. فأكملت "سمر" وقد هربت دمعة من عينيها لتسقط حارة على وجنتها الملساء وهى تترك فنجانها وتشير الى قلبها قائلاً :بمرارة
أنا حسه ان ده كمان مشلول .. بيموت .. بيطلع فى الروح .. بيتحرق .. -
ومحدش حاسس بيه
: ازدادت دهشة "فريدة" وهى تقول
ليه .. ايه اللى مخليكي حسه بكده يا "سمر" ؟ -
: أطرقت "سمر" برأسها وهى تتناول فنجانها مرة أخرى وترشف منه ثم تقول
معرفش -
: قالت "فريدة" بحزم
ازاى يعني متعرفيش .. أكيد عارفه .. أكيد عارفه سبب احساسك ده -

: التفتت اليها "سمر" وقالت برجاء وهى تعقد ما بين حاجبيها
.. فريدة" .. غيري الموضوع .. عشان خاطرى .. نتكلم فى أى حاجه تانية" -
اى حاجة حلوة .. مش عايزة أتكلم دلوقتى غير فى الحاجات اللى تفرح .. مش عايزة تكلم عن أى حاجه تضايق أو توجع
استجابت "فريدة" الى ذلك الرجاء فى عينيها وصوتها .. وحاولت بذهن شارد أن تبحث عن موضوع آخر للنقاش .. لكن عقلها ظل منشغلاً بـ "سمر" .. وبما
! .. قالت .. وبما تشعر

خرجت "سمر" من غرفة "فريدة" وبينما هى متوجهة للأسفل .. توقفت حيث ثم التفتت .. تنظر .. الى حيث .. غرفة "مهند" .. تلفتت حولها .. فلم .. هى ترى أحداً .. نظرت الى الباب الغلق مرة أخرى .. ثـم .. سارت نحوه .. ببطء وقفت أمامه للحظات .. وفى تردد .. طرقت الباب .. مرة .. اثتنين .. ثلاث .. مرات .. دون مجيب .. تلفتت حولها مرة أخرى .. ثـم .. أدارت مقبض الباب .. تفتحه .. تمرر عيناها فى الغرفة الخالية .. تدخل .. تغلق الباب خلفها .. وقفت فى سكون .. تجول بعينها فى الغرفة .. وأثاثها .. ومحتوياتها .. اقتربت .. ببطء .. الى تلك التسريحة الصغيرة .. الموضوع عليها متعلقاته الشخصية تلفتت .. نظرت الى حاجياته .. تتأملها .. تتفحصها .. تمرر عينيها عليها برقه حولها .. الى تلك المنضدة الصغيرة .. والى ذلك الكتاب فوقها .. رفعته الى ..يدها .. وقرأت عنوانه .. ثم أعادته مكانه مرة أخرى .. تجمدت فى مكانها وانحنت .. وهى تنظر الى نقطة ما على الأرض .. أمام الدولاب .. تقدمت ببطء والدموع .... والتقطت تلك الهدية التى أهدته اياها .. قلبت القداحة بين يديها تتجمع فى عينيها يؤلمها بنغزاتها الحارقة .. ارتجفت شفتيها وهى تضمهما الى تنظر .. بعضهما بقوة .. رجعت عدة خطوات للخلف .. وجلست فوق الفراش الأرض .. .. الى القداحة وعبراتها تتساقط فوق وجنتيها .. ثم تعود لتنظر الى الى حيث كانت القداحة ملقاة فى اهمال .. أجهش فى البكاء وهى تضع كفها فوق فمها تحاول كتم صوتها حتى لا يفضحها فيسمعه أحد القاطنين فى هذا الطابق من الفيلا .. ارتعدت فرائصها وأنتفض جسدها بشدة وهى تسمع صوت مقبض الباب يُفتح .. ثم "مهند" يدخل الغرفة ويغلق الباب خلفه .. وقف

متجمداً فى مكانه وقد اتسعت عيناه دهشه وهو يراها جالسة فوق فراشه ..
: هتف
انتى بتعملى ايه هنا ؟ -
تركت "سمر" القداحة من يدها فوق الفراش ونهضت وهى تجعد تنورتها بقبضة يدها فى توتر .. بدت كتلميذة صغيرة ضبطها معلمها بخطأ قد اقترفته ..
: ازدادت حدة صوته وهو يقول
بتعملى ايه هنا ؟ -
: مسحت بكفها عبراتها المتساقطة وهى تقول بصوت مرتجف
.. أنا .. كنت -
صمتت وهى تضغط على شفتيها ببعضهما البعض بقوة بينما الدموع تتساقط من عينيها من جديد .. اقترب منها "مهند" والشرر يتطاير من عينيه ونظر اليها بإحتقار قائلاً :
.. انتى ايه ؟ .. مفيش عندك حدود ؟ .. مبتعرفيش تميزى الصح من الغلط - اللى يصح واللى ميصحش .. ازاى تدخلى أوضة راجل غريب .. وتقعدى فوق لو حد من البيت شافك هيقول ايه .. لو جوزك شافك هتقوليله ايه .. .. سريره بتعملى ايه هنا ؟ ..جاوبينى
:أطرقت "سمر" برأسها وقد ازداد انهمار عبراتها وهى تقول بصوت مرتجف
أنا .. كنت .. كنت بس .. كنت عايزة أتكلم معاك -
: قال بحدة شديدة دون اقتناع وهو يراعى ألا يرفع صوته عالياً
واللى عايز يتكلم مع حد يدخل أوضته بدون استئذان ؟ -
: قالت بصوت باكى وهى تطرق برأسها
أنا آسفة -
ودون أن تضيف كلمة أخرى خرجت مسرعة من الغرفة .. أغلق "مهند" الباب خلفها وهو يشعر بغضب ممزوج بحيرة ودهشة .. وضع يديه على خاصرتيه وهو يزفر بعمق .. حانت منه التفاته الى الفراش ليجد القداحة موضوعه فوقه اقترب منها والتقطها فى دهشه .. ثم عقد جبينه بشدة وهو يتوجه الى .. دولابه ويضعها بداخله .. كما كانت ! .. وهو يشعر بالغضب لإقدام "سمر" ! وفتح دولابه .. ! على دخول غرفته

****
أدى العكسرى التحية لـ "عادل" وفتح له باب المكتب .. دخل "عادل" بحماس
: وهو يلتقط المغلف الموضوع فوق مكتبه قائلاص
ايه ده ؟ -
: قال العسكرى
ده جواب جه بإسم حضرتك يا فندم -
: فض "عادل" المغلف ليفاجأ بتلك الرسالة
سلاح الجريمة فى غرفة القاتل الحقيقى بالفيلا .. فاعل خير -
! قرأها "عادل" عدة مرات .. ثم نهض مغادراً مكتبه

****

بينما كانت "سمر" جالسه فى غرفة المعيشة .. فوجئت بـ "علاء" يتقدم
: تجاهها قائلاً
"مساء الفل يا "سمر -
: نظرت اليه مبتسمة وهى تقول
"مساء النور يا "علاء -
: اقترب منها وهو يمد يده بباقة زهور قائلاً
اتفضلى دى عشانك -
: اتسعت ابتسامة "سمر" وهى تنظر الى الباقة بسعادة وتقول
بجد .. ميرسى أوى -
التقطتها منه وأخذت تتشمم بتلاتها .. فأكمل مبتسماً وهو يجلس على طرف
: الطاولة الموضوعة أمامها
بصراحة بتصعبى عليا كتير -
: نظرت اليه بدهشة فأكمل بلؤم
يعني على طول محبوسة فى الفيلا .. وعمى الله يعينه بيشتغل طول اليوم -
والليل كمان .. وانتى لوحدك .. لا بتخرجى ولا بتتفسحى ولا لاقيه اللى يهتم
بيكي
: نظرت الى الورد مبتسمة ثم نظرت اليه قائلة

كفاية عليا انى وسطكوا .. دى فى حد ذاتها حاجه تفرحنى -

: نظر الى عينيها قائلاً

وردة زيك مينفعش صاحبها يهملها كده والا تدبل وتموت .. الوردة اللى زيك - محتاحه اللى يهتم بيها ويراعيها

لكنها ..نظرت الى عينيه بحيرة فلم يسبق أن رأته يتحدث اليها بتلك الطريقة

: رسمت ابتسامة مجاملة على شفتيها وقالت

"ميرسى يا "علاء -

: استمر فى النظر اليها بتلك الطريقة وهو يقول

على فكرة عمى محظوظ أوى بيكي وبصراحة مستخسرك فى راجل عجوز - زيه

: لاح الغضب فى عينيها .. ولكن قبل أن تجيبه سمعا صوتاً يصيح

"علاء" -

التفت الاثنان ينظران الى "مهند" الواقف أمام مدخل غرفة المعيشة ينظر

: اليهما فى غضب .. نهض "علاء" ببرود وهو يلتفت الى "سمر" قائلاً

سلام دلوقتى -

"خرج "علاء" ومر بجوار "مهند" دون أن يحاول النظر اليه .. تابعه "مهند بعينيه الى أن اختفى ثم عاد ينظر الى "سمر" التى أرادت الخروج هى الأخرى

: فأوقفها "مهند" قائلاً بإحتقار

مش عارف أقولك ايه -

: رفعت نظرها اليه قائله بحده

متدخلش فى حاجه متخصكش -

: قال "مهند" ونظرة الاحتقار لاتزال فى عينيه

راقبى تصرفاتك كويس .. انتى فى بيت محترم -

: صاحت بحزم

أنا عارفه نفسى كويس ومعنديش استعداد أسمع منك أى كلمة تقلل منى -

: ثم قالت بتوتر

وبعدين هو اللى اتكلم معايا مش أنا -

: قال "مهند"بحدة

انتى اللى ادتيله فرصة .. بلبسك ده وشكلك ده .. وتصرفاتك اللى ملهاش -

ظابط ولا رابط
أنا عملت ايه عشان ده كله .. هو اللى جه اتكلم معايا -
: قال "مهند" بصرامة وهو ينظر اليها بقوة
ميصحش تفضلى أعده مع راجل غريب فى مكان لوحدكوا .. لقيتيه دخل - المفروض تخرجى .. لقيتيه تجاوز معاكى فى الكلام وفى النظرات تقومى وقبل ده كله تغطى نفسك الأول .. وتسبيه وتمشى
نظرت بخجل الى ذراعها العارى والى التنورة القصيرة التى ترتديها .. تنهد : "مهند" قائلاً بصرامة
المفروض ميصحش أصلاً انى أتكلم معاكى فى حاجة زى كدة .. بس انتى كل - تصرفاتك مستفزة .. بتخليني أخرج عن شعورى
: أطرقت برأسها للحظة .. ثم نظرت اليه قائله بعتاب
براحه عليا .. انا عارفه انى غلط .. ومحتاجه فرمته من أول وجديد .. بس - براحه عليا
أشعرته كلماتها ونظراتها المعاتبه بالأسف على حدته فى الحديث معها .. : فأطرق قائلاً وهو يتنهد بعمق
.. أنا اللى آسف انى اتكلمت معاكى كده .. بس أنا مبحبش الحال المايل - ومحبش ان واحدة تدى فرصه لواحد انه يطمع فيها .. ومع ذلك أنا آسف على اسلوبى فى الكلام معاكى
: ابتسمت ابتسامة صغيره وهى تقول
خلاص مسامحالك .. شوفت قلبى أبيض ازاى -
رفع عينيه لينظر اليها .. تبدو بملابسها ومكياجها وتصفيفة شعرها كإمرأة بالغة .. لكن عينها تبدو بنظراتها كطفلة صغيرة .. طفلة ضلت طريقها .. وتبحث عن الدليل .. لينتشلها من طريق ضاعت فيه طويلاً .. أشاح بوجهه ! وخرج فى صمت .. عنها

خرجت "سمر" من الفيلا .. لا تدرى الى أين تذهب .. فقط أرادت السير بغير هدى .. لكنها فوجئت بسارة الشرطة تتقدم لتعبر بوابة الفيلا .. نظرت بدهشة : الى "عادل" الذى خرج من سيارته .. وتوجه اليها فقالت بدهشه

خير .. فى حاجه ؟ -
: قال "عادل" بحزم
معانا أمر بتفتيش الفيلا -
: قالت بدهشة وهى تنظر الى الرجال الذين يترجلون من السيارة
ليه ؟ -
: "قال "عادل
هتعرفى بعدين -

جلس "مهند" فوق فراشه تتخبطه الحيرة .. نهض وتوجه الى دولابه حيث .. كانت القداحة .. وقف أمام الدولاب يشعلها ويطفئها عدة مرات متأملاً لهيبها حاول جذب احدى المنامات ..ناظراً له عن قرب .. مد يده ليعيدها الى مكانها اتنبه فجأة الى شئ أسود تحت المنامة الأولى .. أمسكه بيده لتتجمد الدماء .. فى عروقه .. قلب المسدس أمام عينيه فى حيرة .. ثم تنبه فجأة على صوت
: سمر" وهى تطرق الباب قائله"
"مهند" .. "مهند" -
: تقدم الى الباب ففتح فقالت وهى تلهث
البوليس تحت بيقولوا عايزين يفتشوا الفيلا -
اتسعت عيناها دهشه وهى تنظر الى المسدس فى يده .. نظرت اليه والى
: الحيرة فى عينيه وهو يقول بصوت أتى من مكان سحيق
لقيته فى دولابي -
سمعا صوت رجال الشرطة وهم يصعدون الدرج قادمون فى اتجاههم .. نظرت بلهفة الى "مهند" والى السلاح الذى يحمل بصمات أصابعه .. وهى واثقه الى حد كبير أنه السلاح الذى استخدم فى جريمة قتل الجناينى .. دسه أحدهم فى للايقاع به .. اقتربت أصوات الخطوات أكثر .. اضطرب تنفس "غرفة "مهند "مهند" وعلامات الحيرة والتوتر على محياه .. كيف سينجو من ذلك المأذق ماذا لو لم تصدقه الشرطة .. الأصوات تقترب .. وتتعالى .. و .. فى غفله منه المسدس من يده .. وبحركة واحدة وأمام عينيه المندهشتين "انتشلت "سمر رفعت بلوزتها ودسته فى بنطالها .. و .. أتى ثلاث رجال وهموا بدخول الغرف
: .. انتبه "مهند" وصاح

ثوانى هخلى البنات تلبس وتنزل وبعدها فتشوا براحتكوا -

أمر "عادل" بتوجه الجميع الى غرفة المعيشة ففعلوا .. أخذ "مهند" ينظر بتوتر الى "سمر" الجالسه قبالته .. خفق قلبه بعنف .. ثم أخرج هاتفه وانحنى على أذن "فريدة" قائلاً :

"من غير ما حد يحس ملينى رقم "سمر -

فى دهشة فعلت "فريدة" ما طلب .. بينما كانت "انعام" مندمجة فى الحديث مع عادل" رأت "سمر" "مهند" وهو يعبث فى أزرار هاتفه .. ثم يرفع رأسه " وينظر اليها قبل أن تشعر بذبذبة هاتفها فى يدها .. بحركة سريعة ودون أن بنتبه أحد فتحت الرسالة وقرأت ما فيها :

خلى بالك .. متتحركيش كتير .. ممكن يكون المسدس متعمر -

لاحت ابتسامه عذبه على شفتيها وهى تقرأ رسالته .. أعادت قرائتها مرات ومرات .. ثم رفعت عينيها لتنظر اليه والى ذلك الإضطراب على وجهه .. والى الخوف الذى ظهر جلياً فى نظرات عينيه .. اتسعت ابتسامتها وهى تحرك ببطء .. ودون صوت ..شفتيها :

متخفش عليا -

قرأ "مهند" رسم شفتيها .. ومجدداً . . لمح تلك النظرة فى عينيها .. فهم .. برعب .. .. خفق قلبه بقوة ! .. وارتعدت فرائصه .. أخيراً وخوف .. وفزع ! .. معنى تلك النظرات !

الفصل التاسع عشر

قال "عادل" وهو ينهض :

أنا بعتذر عن الإزعاج اللى سببناه بس جالنا بلاغ وكان لازم نتأكد منه -

التفت اليه "مهند" قائلاً :

بلاغ ايه ؟ -

جالنا بلاغ ان السلاح متخبى هنا فى الفيلا .. فى أوضة القاتل اللى قتل -
الجناينى
تبادل "مهند" نظرة "سريعة مع "سمر" قبل أن يرافق "عادل" الى الخارج
..ظلت "سمر" جالسه فى مكانها وهى شاردة .. تًرى من الذى دس المسدس
فى غرفة "مهند" .. عاد "مهند" الى غرفة المعيشة وهو ينظر الى "سمر"
وهو يومئ برأسه بأن تتبعه .. ففهمت مراده ونهضت ببطء وتبعته الى المكتب
: .. أغلق الباب خلفهما وتطلع اليها بصمت للحظات .. ثم قال
ليه عملتى كده ؟ -
: نظرت اليه بثبات وقالت
عشان واثقة انك مش ممكن تكون القاتل .. أكيد حد حط المسدس فى أوضتك -
: زفر "مهند" بضيق وهو يقول
مين اللى يجرؤ يعمل حاجة زى كده .. وايه مصلحته -
: هزت "سمر" كتفيها بحيةر وقالت بجدية
محدش بيدخل الفيلا الا احنا واللى بيشتغلوا فيها .. أكيد حد من الخدامين أو -
من أهل البيت هو اللى حط المسدس فى أوضتك
: نظر اليها "مهند" بحزم وبسط يده قائلاً
هاتيه -
: أخرجت المسدس من بنطالها وأعطته اياه وهى تسأل فى قلق
هتعمل ايه ؟ -
: قال بحزم
"هروح دلوقتى أسلمه للرائد "عادل -
: نظرت اليه بدهشة ثم قالت بلهفة
بس كده هيشك فيك .. ممكن يفتكر انك القاتل -
: هز رأسه بثقه وهو يقول
لأ طبعاً .. لو كانوا لقوه فى أوضتى أو لقوه معايا كان هيبقى الموضوع فيه -
شك .. وممكن مكانوش صدقونى .. لكن دلوقتى هما مشيوا ايه اللى يخلينى
لو أنا القاتل أكيد مش هفتح النار ..أروح أسلمه بنفسى الا اذا كنت برئ فعلاً
على نفسى وأروح أسلمه
: قالت بقلق

ربنا يستر -
: ثم نظرت اليه قائله
خلى بالك من نفسك -
أشاح "مهند" بوجهه عنها سريعاً ودون كلمه دس المسدس فى الجيب الداخلى
! لسترته وفتح الباب وخرج

****
نظر "عادل" فى دهشة الى المسدس الموضوع أمامه فوق المكتب ثم رفع
: رأسه الى "مهند" قائلاً
وبعدين ؟ -
: قال "مهند" بهدوء
سمر" عشان تعرفنى انك "مفيش كنت واقف فى الأوضة مذهول .. طلعت -
موجود وهتفتش البيت .. اتلخبطت واتبرجلت ومعرفش لقيت نفسى اتسمرت
فى مكانى
: "صمت فحثه "عادل
وبعدين -
: قال بسرعة وكأنه لا يريد سماع ما سينطقه فمه من كلمات
سمر" خدت منى المسدس وخبته فى هدومها" -
: عقد "عادل" حاجبيه بإستغراب ثم قال
طيب وليه مدام "سمر" تعمل كده ؟ -
: قال بإقتضاب
لأنها حست انه مدسوس فى أوضتى -
مممممم -
أومأ "عادل" برأسه قائلاً وهو ينظر الى المسدس الذى خلفه بكيس شفاف
: حفاظاً على البصمات
كويس انك اتصرفت كدة .. وأنا من غير ما أنتظر المعمل الجنائى ان مش -
"هنلاقى عليه الا بصماتك وبصمات مدام "سمر
: قال "مهندطبإستغراب

- نفس أعرف مين ده اللى بيعمل كل البلاوى دى .. وليه يحط المسدس فى أوضتى ويبلغ
قال "عادل" على الفور :
- واضحة جداً ده حد عايز يخلص منك
نظر اليه "مهند"بحيرة وقال :
- بس أنا مليش أعداء
ابتسم "عادل" قائلاً :
- واضح ان ليك .. بدليل اللعبة دى
تنهد "مهند" وشرد وهو يفكر فى ذلك الشخص الذى أراد الايقاع به وايهام الشرطة بأنه قاتل الجنايني !

****

التف الجميع حول مائدة الطعام .. كان البعض شاردا وآخر يتحدث فى مواضيع شتى .. تنهدت "انعام" قائله :
- مش عارفة مسلسل الرعب اللى احنا عايشين فيه ده هيخلص امتى
قالت "كوثر" ببرود :
- لما يبقى يمسكوا القاتل اللى مش عارفين لحد دلوقتى يمسكوه
قالت "انعام" بإستغراب :
- بس الظابط قال انه متأكد بنسبه كبيرة ان القاتل الأول هو نفس القاتل اللى فى الغيبوبة .. يعني يعتبر كدة خلاص مسكوه
صاحت "يسرية" بحده :
- أيوة بس مش متأكد بنسبة ١٠٠% .. يعني لسه فى شكل ان يكون فى ٢ قتالين قتله .. مش قاتل واحد
قال "عدنان" بحزم :
- ممكن يا جماعة نقفل على الموضوع ده خلاص الواحد أعصابه تعبت

- السلام عليكم

.. التفتت "سمر" تنظر الى "مهند" الذى دخل الغرفة ألقى السلام عليكم
وعليكم السلام -
وعليكم السلام -
جلس "مهند" فى مكانه وانضم اليهم فى تناول طعام العشاء .. ظلت تتطلع اليه
التفتت "يسرية" لتقول الى "مهند" بلطف .. طيلة الوقت دون أن ينظر اليها
: على غير العادة
مهند" .. "نهال" كانت عايزة حد يشرحلها مشروع صغير طلبه منها " -
الدكتور بتاعها .. ولما انكوا مهندسين زى بعض ياريت لو تقدر تساعدها
لاحت ابتسامة واسعة على شفتى "نهال" وهى ترمق والدتها ببهجة ثم تتطلع
: الى "مهند" الذى قال بأدب
مفيش مشكلة يا طنط .. مع ان "نهاد" بردة ممكن يشرحلها -
: ضحكت "يسرية" وقالت
لا "نهاد" تخصصه غير تخصصك .. انت هتفيدها أكتر .. معلش لو كنت بتقل -
عليك
:قال بإقتضاب
لا أبداً-
نهال" التى اتسعت ابتسامتها "رشفت "سمر" من كوب الماء وهى تتطلع الى
ووشت يعينها بفرحتها لهذا الترتيب .. وضعت الكوب أمامها وظهر الضيق
: على محياها .. التفت اليها "عدنان" قائلاً
فى حاجه يا "سمر" ؟ -
: هزت رأسها نفياً ونهضت قائلاً
تعبانه شوية .. هروح أنام .. بعد اذنكوا -
غادرت غرفة الطعام وتوجهت الى غرفة النوم وهى لا تزال تشعر بالضيق

****

:شهقت جارة "سحر" بحدة وهى جالسه معها فى بيتها وقالت
بتتكلمى بجد ؟ .. وبعدين -

قالت "سحر" بحنق :
- لما رجع من الصلاة فضحت الدنيا وسمعته من المنقى يا خيار .. قال عاملى فيها بتاع ربنا وبيصلى الوقت بوقته والناس فاكراه راجل محترم ييجوا يوشوف البلاوى اللى بيتفرج عليها
قالت جارتها وهى تحتسى قهوتها :
- أنا لو منك كنت سبتله البيت ... ..تؤ تؤ تؤ .. ايه ده وازاى سكتى على كده ده أنا كنت فاكراه راجل محترم .. كل ما يشوفنى يبص فى الأرض قولت بس تؤ تؤ تؤ ..هى دى الرجاله ولا بلاش .. يطلع فى الآخر كده
قالت "سحر" بغيظ :
- لا واللى يفرسك انه مركبنى أنا الغلط .. بالله عليكي عمرك جيتي شوفتى بيتى ناقصه حاجه
هتفت جارتها على الفور :
- لا طبعاً الشهادة لله انتى دى ست ولا كل الستات .. ست بيت بصحيح .. بس هما الرجالة كده عينهم فرغه ويندب فيها رصاصه .. بس انتى يا "سحر" باردة أوى .. ايه اللى مأعدك هنا كنتى اغضبيلك يومين عند أمك كان هييجى يبوس ايدك ورجلك ويقولك محتاس من غيرك ارجعى نورى بيتك .. آه ما الراجل من دول ميحسش بقيمة مراته الا لما تغيب عنه
قالت "سحر" متنهده :
- وبعدين هعمل ايه يعني ربنا .. انتى عارفه انى مبحبش أعد عند أمى يصبرنى عليه ويهديه ويعقل كده ويعرف انه خلاص بأه زوج وأب وفوق كتافه مسؤليه تخلى الواحد ينسى نفسه
هتفت جارتها وهى تترك فنجان القهوة فوق الطاوله :
- يوه كنت هنسى .. أما أنا عامله النهاردة بساره تاكلى صوابعك وراها أما أقوم أجيبلك طبق
ابتسمت "سحر" قائله :
- ماشى مستنياكى .. فرصة البت نايمة ونعد نتساير مع بعض على ما ولادك يرجعوا من المدرسة
قالت وهى تغادر :
- طيب رجعالك مش هعوق

****

: فتحت "انجى" باب بيتها وهى ترفع حاجبيها بدهشه وقالت
"نهاد" -
: نظر اليها قائلاً
ازيك يا انجى -
: رسمت تعبرياً جامداً على وجهها وهى تقول
أفندم عايز ايه يا "نهاد" ؟ -
انتى مش ليكي فلوس معايا .. ..مبترديش على موبايلك ليه .. كلمتك كتير - حتى "بيسان" قالتلى انها .. بحاول أكلمك عشان أوصلك الأربح مبترديش مش عارفه توصلك .. قولت آجى أشوف فى ايه
: قالت ببرود
عادى يعنى .. زهقت من الناس وقولت أعد مع نفسى كام يوم -
: أومأ برأسه وهو يخرج مظروفاً من جيبه وقال
اتفضلى -
: أخذته منه وقالت
ميرسى -
: التفت ليغادر فعاجلته بقولها
على الأقل ادخل اشرب حاجه .. حد قالك عليا بخيله ولا ايه ؟ -
: التفت اليها وقال بأسف -
معلش يا "انجى" عشان مستعجل -
: قالت بحنق وهى تمسك الباب لغلقه
أحسن برده -
: أوقف الباب بكفه قائلاً
طيب عندك شاى -
: فتحت الباب مرة أخرى وهى تنظر اليه بتحدى وقالت
ولو مش عندى هبعت البواب يجيبلك .. مش حجه يعني -

: ابتسم وقال
طيب هشرب الشاى وأمشى -
: فتحت الباب مبتسمه وهى تقول
اتفضل -
!! "ودخل "نهاد

****

نزلت "سمر" الدرج تبحث عن أى أحد فى الفيلا فلم تجد .. توجهت الى غرفة
: "لميس" فلم تجدها .. التفتت فكادت أن تصطدم بها فقالت
آه سورى يا مدام "لميس" .. هو مفيش حد هنا ولا ايه -
: باتسمت "لميس" وقالت
لا أعتقد محدش موجود .. "عدنان" بيه و مدام "انعام" فى المرسم .. و -
"مهند" مع "نهال" فى الجنينه .. و "فريدة" معرفش فين
: عقدت "سمر" جبينها وقالت
طيب .. ميرسى -
ازدادت امرارات الضيق ..خرجت "سمر" تبحث تجول بعيناها فى الحديقه على وجهها وهى ترى "مهند" جالس برفقة "نهال" على احدى الطاولات فى الحديقة .. لم تشعر بنفسها الا وهى تتوجه اليهما .. لكنها أبطات السير بعدما اقتربت فظهرت "فريد" جالسه معهما وقد أخفتها احدى الشجيرات فلم تنتبه الى وجودها فى أول الأمر .. وعلى الرغم من ذلك ظل الضيق مرسوماً بوضوع
: على وجهها .. اقتربت منهم وقالت
صباح الخير -
صباح النور -
صباح النور -
: لم يجب "مهند" ! .. فزادها ذلك ضيقاً .. نظرت اليهم قائله
بتعملوا ايه على الصبح كده ؟-
: قالت "نهال" وهى تنظر الى "سمر" بتحدى

مهند" بيشرحلى حاجات مش فاهماها .. وانتى عطلتينا" -
: نظرت اليها "سمر" ببرود فقالت "فريدة" على الفور
متزعليش أكيد "نهال" مش قصدها -
: قالت "نهال" ببرود
لا قصدى -
: ثم التفتت الى "مهند" مبتسمة وهى تقول
يلا نكمل -
أكمل "مهند" ما يشرح وكأنه يستثقل المهمة الموكله اليه .. كان يتحدث بسرعة وبعجاله وتزيد "نهال" من ابطاء شرحه بكثرة أسئلتها .. الى أن قالت : "سمر" بتهكم
ايه يا "نهال" شكلك مبتفهميش من أول مرة ... تعبتى "مهند" معاكى -
: نظرت اليها "نهال" ببرود وقالت
محدش اشتكالك -
: ثم قالت بلؤم
عمى "عدنان" فى المرسم .. روحيله سليه بدل ما هو آعد لوحده -
! احتقنت الدماء فى وجه "سمر" وغادرت .. ليس الى المرسم .. بل الى الفيلا

****

جرعة زايدة هتخلص الليلة -
: ألقى "علاء" تلك العبارة على مسامع صديقه الذى قال
لا سك على فكرة القتل عندى فكرة أحلى من القتل .. القتل هيجيبلنا وجع - الدماغ والشك وخاصة بعد ما البوليس بأه داخل خارج وبيشك فيكوا كلكوا
: قال "علاء" بلهفه
طيب ايه الفكرة اللى أحلى من القتل -
: قال صديقه بحماس
(بص بأه .. هنرجع للخطة (أ -
: قال "علاء" بإستغراب
(وايه هى الخطة (أ -

: قال صديقه مبتسماً بثقه
قضية الحجر -
حجر ايه يا ابنى .. ما قولنا متجوز وعاقل و ٢٤ حصان -
: قال صديقه بحماس
لا ما احنا هنجننه وهنخلى كل الناس تشهد بكده حتى مراته نفسها -
طب ازاى ؟ -
: قال صديقه وكأنه يبوح بسر خطير
حبوب هلوسه -
: رفع "علاء" حاجبهي دهشة وهو يقلب الفكرة فى رأسه
حبوب هلوسه ؟ -
أيوة يا برنس .. حبوب هلوسة هتخليه مش على بعضه وعقله يفوت وكل - اللى حواليه يشهدوا انه مش طبيعي .. وبكده تقدروا ترفعوا قضية الحجر وساعتها نبقى نشوف صرفه لمراة عمك .. ايه رأيك يا برنس البرانيس
: شرد "علاء" فأكمل صديقه قائلاً
ولا جثه ولا قتل ولا ..وبكده تبقى خلصت منه ومن غير نقطة دم واحدة - يحزنون .. ايه رأيك بأه ؟
: قال "علاء" بإعجاب
قشطة .. قشطة أوى -

****

: قال "عادل" بعدما أنهى طعامه
"تسلم ايدك يا أم "عادل -
: ابتسمت قائله
"انشاله تسلم يا "عدول -
: أشار "عادل" الى طبق الفاكهة فى أول السفرة وقال
ما تديني صابع موز -
: قالت أمه بحزم

أما تغسل ايدك الأول -
: ثم استدركت بسرعة ولهفة
اسكت يا وله يا "عادل" مش انا جبتلك عروسه -
: هتف "عادل" قائلاً
اسكتى يا ماما مش أنا مش عايز -
: هتفت والدته فى حده
مش عايز ايه .. انت مش عايز أنا عايزه .. نفسى أفرح بيك بأه وأشوفلك - عيال بتتنطط حواليا بدل ما خلقتى فى خلقتك على طول كده
: رفع "عادل" حاجبيه قائلاً
بدل ما خلقتى فى خلقتك .. مكنش العشم يا أم "عادل" .. للدرجة دى مش - طايقانى
: ثم أشار الى طبق الفاكهة قائلا
ما تديني صابع موز -
: تجاهلته أمه قائله
بص بأه .. العروسة اللى جيبهالك المرة دى نقاوه .. نقاوه -
: أومأ "عادل" برأسه وهو يصب الماء فى أحد الأكواب قائلاً
آه نقاوه .. قولتيلى -
: قالت أمه بحماس
"وانت تعرفها كويس يا وله يا "عادل -
: نظر اليها قائلاً
تبقى مين بأه ؟ -
: قالت بحبور وحماس
البت "فتكات" بنت ست "روحية" جارتنا -
كاد "عادل" أن يختنق بالماء فأخذ يسعل بقوة .. أسرعت أمه بضرب ظهره
: قائلاً
بسم الله الرحمن الرحيم .. اتشاهد يا وله -
: نظر اليها هاتفاً
ايه يا ماما هو أنا بموت -
: ثم قال

قوليتيلى مين ؟ سمعيني تانى كده -
: قالت وهى تستعيد حماسها
"بقولك البت "فتكات" بنت الست "روحية -
: أشار الى طبق الفاكهة قائلاً
طب هاتى موزه -
مدت أمه يدهل والتقطت واحدة ثم أعطته اياها أخذ يقشرها ثم تناول قضمة
: كبيرة وهو يقول
اللى كانت بتمشى فى الشارع ناكشه .. " قولتلى .. "فتكات" بنت "روحيه - شعرها وعيال المنطقة كلهم يزفوها ويمشوا وراها يغنوا الشعنونه أهى الشعنونه أهى
: اختفت الابتسامه من وجه أمه وهى تقول بحماس
لا ما هى كبرت دلوقتى وبأت عروسه .. والله يا "عادل" لو شوفتها هتتهبل - عليها
: هتف "عادل" قائلاً
هى ناقصه هبل .. هاتى كمان صابع -
: أحضرت له ثمرة أخرى فى تبرم وهى تقول
ها ايه رأيك ؟ -
: تناول قضمة من الثمرة فى يده وهو يقول
أنا لما أحب أتجوز هختار ..بصى يا حجه من الآخر كده وعلى سيراميك - اللى أتجوزها دى على مزاجى .. "فتكات" بتاعتك دى بأه تخرطيها وتأكليها للبط .. قال نقاوه قال .. دى كانت كل ما تشترى آيس كريم توقع نصه على هدومها والباقى تلحوس بيه خلقتها
: أشار الى طبق الفاكهة قائلاً
هاتى كمان صابع -
: هتفت أمه بحده
خلاص مفيش .. شطبنا .. قوم يله .. قوم يله من أدامى -
: نهض "عادل" وهو يقول
خلاص يا ستى هتذليى عشان كام صابع موز .. انا اللى جايبه على فكره -
: نظرت اليه أمه بحده وهى تقول بحنق

والنقاوه بتاعتك دى ناوى تلاقيها امتى ؟ .. لما توصل للستين ؟ -
: ضحك "عادل" قائلاً وهو يغمز بعينه
لا احتمال قريب -
: نهضت أمه قائله بهلفه
بجد يا "عدول" فى واحده منشن عليها -
: ضحك "عادل" مره أخرى قائلاً
منشن آه .. منشن -
: قالت بلهفه
طيب ما تيلا -
: اختفت ابتسامته وقال بدهشة
يلا ايه ؟ -
: قالت بحماس
يلا نروح نخطبها -
: ضرب "عادل" كفاً بكف وقال
لا حول ولا قوة الا بالله .. انتى مصدقتى يا حجه .. لسه شويه -
: قالت بحده
شويه ايه بس متنقطنيش .. مستنى ايه بس -
: قبل "عادل" وجنتها قائلاً
متقلقيش شويه بس وهقولك يلا روحى اخطبيهالى -

****

شعر "مهند" بالضيق لما كلفه اياه عمه من توصيل "سمر" من الشركة الى الفيلا .. ود لو اعتذر عن ذلك لكنه خشى أن يتضايق عمه .. أقبلت "سمر"
: فأشاح بوجهه عنها وتطلع أمامه .. قالت مبتسمه
مروح على طول ؟ -
أومأ برأسه دون أن يتحدث .. وانطلق فى طريقه .. أخذ قلبه ينبض بإضطراب

منذ أن وطأت قدما "سمر" .. .. ظهر الضيق على محياه وهو يفكر بعمق الفيلا وهو يرى فى عينيها شيئاً غريباً .. شيئاً لم يكن لديه القدرة على تفسيره .. لم يكن يستطيع ترجمته .. ليس لأنه لا يجيد ترجمة لغة العيون .. بل لأنه لم يستطع عقله أن يستوعب الترجمة التى توصل اليها ! .. ازدادت تعابير جبينه صراع بين تصديق وعدم تصديق ما .. حده وبدا وكأنه يعانى صراعاً بداخله اكتشفه .. أيمكن أن ....؟ .. أيمكن أن تكون تلك النظرة التى يراها فى عينها كيف تفعل وقد أوضح لها جيداً ..دائماً هى مشاعر تحملها تجاهه ؟ .. كيف ؟ بطبيعة العلاقة بينهما .. وطبيعة الصلة التى تربطهما .. كيف وهى زوجة عمه حتى وإن لم تكن من محارمه .. كيف تستطيع حتى أن تتخيل أو تتصور مشاعر كتلك .. رفض عقله أن يصدق .. بالتأكيد انت مخطئ يا "مهند" .. بالتأكيد لا ليست نظراتها فحسب .. .. فسرت نظراتها بطريقة خاطئة .. هتف فى نفسه بل كل شئ .. ايماءاتها نبرة صوتها تصرفاتها .. لما تقحم نفسها فى مشكلة وتخفى المسدس بين طيات ملابسها وهى لا تعرفك الا من فترة بسيطة ؟ .. ما الذى يجعلها تلغى من تفكيرها فكرة أن تكون أنت الجانى وتقول بكل ثقه بأنك لا يمكن أن تكون القاتل من أين أتت بتلك الثقة ؟ .. عاد ليفكر فى نظراتها مرة أخرى .. بل فى عينها .. نعم تلك العينان بشكلهما برسمهما .. ! .. توقف عن الاسترسال فى أفكاره وهو يزفر بضيق شديد .. التفتت اليه "سمر" قائله : بإهتمام

فى حاجه مضايقاك ؟ -

زفر بضيق أكبر عندما أغلقت .. هز رأسه نفياً بقوة دون أن ينظر اليها الاشارة واضطر الى الوقوف مع طابور السيارات الطويل .. التفتت اليه "سمر" : قائله ببنرة حملت الكثير من العتاب

خلصت مذاكره لـ "نهال" ؟ -

صمت ولم يجيب .. رأت الضيق على ملامحه .. وعينيه الغائرتان وكأنه شارد : فى مكان آخر .. فأكملت

مش أخوها برده مهندس .. خليه هو يذاكرلها .. حتى لو تخصص مختلف - .... بس أكيد هيفهم فى

: قاطعها "مهند" وهو يلتفت اليها قائلاً بحده

لو سمحتى متدخليش فى أى حاجه تخصنى -

شعرت بغصة فى حلقها وتجمعت العبرات فى عينها وهى تنظر اليه نظرة أجفلت قلبه فأشاح بوجهه عنها على الفور .. ازداد شعوره بالدهشه .. وأخذت نفسه تهتف .. صدق يا "مهند" صدق ما تراه .. فهتف عقله كيف أصدق .. بالتأكيد أنا مخطئ .. بالتأكيد ! .... تنهد بعمق وبدت متوتراً للغاية وهو يطبق بيديه على مقود السيارة .. تابعته "سمر" بعينيها بإهتمام .. فتحت الاشاره بدا وكأن الغضب مسيطراً .. فإنطلق "مهند" بالسيارة وهو لا يزال يعقد جبينه عليه بشدة .. بدت عيناه كشرارة غضب آخذه فى التزايد .. قالت "سمر" : بهدوء

"مهند" -

لم يجب .. كان شارداً بعمق فلم يسمعها .. مدت كفها لتلمس كفه فوق المقود : وهى تقول

"مهند" -

جذب كفه بسرعة وهو يلتفت اليها ناظراً اليها بغضب شديد .. بلعت ريقها : بصعوبة وهى تقول

ناديتلك مردتش -

عبرت السيارة مطبعاً صناعياً لم ينتبه اليه "مهند" فطاحت السيارة الى أعلى سمر" المفتوحة من فوق قدميها الى "والى الأسفل فى حدة .. وقعت حقيبة اليسار لتخرج محتويات الحقيبة متبعثرة داخل السيارة .. انحنت تجمع أشيائها .. لكنها تسمرت فى مكانها عندما امتدت يد "مهند" الى الصور الواقعة الى تلك الصورة التى أخذتها من ألبوم " فريدة" دون ..جوارها .. صورتــه : علمها .. نظر "مهند" بغضب الى الصورة ثم التفت اليها قائلاً

صورتى بتعمل ايه فى شنطتك -

: ارتبكت بشدة وهى تقول

... أنا .. كنت -

: ضغطت قدمه على دواسة البنزين وهو يصيح

انتى بتعملى ايه بالظبط .. ايه اللى انتى بتعمليه ده ؟ -

أطبق "مهند" بأصابعه على الصورة بشدة فى قبضة يده .. قفذت العبرات الى عين "سمر" . .أخذ "مهند" ينهج بسرعة وكأنه فى سباق للعدو .. زاد من : الضغط على الدواسة وقد بدا غضبه جامحاً وهو يقول

- مش عارف .. قولتك ..انتى مش ..انتى ... انتى .... مش عارف أقولك ايه
بس مراة عمى .. انتى من محارمى .. أنا مش قادر أفهم ولا أتصور البشاعه
أكيد مش طبيعية .. اللى انتى فيها .. انتى واحدة مش طبيعية
بكت "سمر" وهى تنظر الى عداد السرعة وتقول :
- "مهند" براحة "
ما زادة ذلك الا ضغطاً على الدواسة فزادت سرعة السيارة وهو يقول يتمتم بغضب :
- أستغفر الله العظيم .. أستغفر الله العظيم
أجهشت "سمر" فى بكاء هيستيري وهى تنظر الى العداد صائحة بخوف :
- عشان خاطرى براحه .. "مهند" كفاية
أحاطت نفسها بذراعها وهى تنظر الى الطريق وقد أخذ جسدها يرتعش خوفاً .. أنحنت لتخفى وجهها بين قدميها وهى تصدر أنيناً من بين شفتيها .. انتبه الى بكائها وارتجافتها فأوقف السيارة على جانب الطريق وهى لا تزال تبكى وترتجف .. قال بإقتضاب وهو يتذكر أمر اصابتها فى حادثة سيارة من قبل :
- أنا آسف مكنش قصدى أخوفك
لم تتوقف عن البكاء أو عن الأنين .. كانت تمسك ذراعها المشلول وهى لا تزال تخفى رأسها فى قدميها
رفعت وجهها وهى تصيح بأمل :
- دراعى مش قادره
نظر الى ذراعها ثم قال بقلق :
- فى ايه .. مالك ؟
قالت وهى تستند بظهرها الى المقعد وتعببرات وجهها تنطق بألم شديد :
- مش قادرة .. بيألمنى أوى .. مش قادرة
نظر بخوف الى ذراعها وهو يتمتم بدهشه :
- ازاى يعني بيألمك مش المفروض انه مشلول
لم تجيب .. سكنت فجأة .. وتوقفت عن البكاء .. والحركة ! .. ناداها "مهند" قائلاً :
- "سمر" .. "سمر"
لم تجيب .. فهزها بيده :

- "سمر"
التفت فجأة وانطلق بالسيارة بسرعة وتوجه بها الى المشفى وهو ينظر اليها بين الحين والآخر فى قلق !

****

تكرر نفس المشهد .. "دعاء" واقفة فى الحافلة تحاول الابتعاد عن أحد الرجال الذى يصر على الاقتراب منها متظاهراً بأن هذا بفعل الزحام .. وكالمرة السابقة .. أخذ "دياب" مكان الرجل ووقف هو بجوارها .. اطمأنت "دعاء" عندما رأته .. وبعدما خف الركاب من مقدمة الحافلة توجهت ووقفت فى المقدمة .. وفى محطة "دياب" وهو متوجه الى الباب لكى ينزل .. قال دون أن ينظر اليها :
- لما تلاقى الأتوبيس زحمة متطلعيش
أطرقت برأسها فوقع نظرها على الدبلة التى تزين يده اليسرى .. لم تجيب .. ونزل فى محطته .. ولم ينتظر رداً .. عاد الى بيته ليجد "سحر" نائمة كالعادة بجوار طفلتهما .. حاول ايقاظها فتعللت برغبتها فى النوم .. تركها وجلس على الأريكة شارداً واجماً يزفر بضيق بين الحين الى آخر .. أغمض هيينه مستندا بها على الأريكة ثم فتح عينيه فجأة وقد ترائى أمام عيناه .. صورة تلك الفتاة التى يراها يومياً أثناء عودته الى المنزل ! .. نفض رأسه وكأنه يزيل منها صورتها .. ثم استغفر ربه ونهض بتثاقل وأخذ دشاً ثم .. أوى الى فراشه بجوار زوجته وطفلته !

****
* *******

اندفع "عدنان" الى داخل المشفى وهتفت بـ "مهند" قائلاً :

مهند" .. ايه اللى حصل ؟" -
: نهض "مهند" وقال
الدكتورة معاها جوه -
: قال "عدنان" بلهفه
ايه اللى حصل ؟ -
: اضطرب "مهند" وهو يقول
فجأة صرخت وقالت ان دراعها بيوجعها وبعدما أغمى عليها وجبتها -
المستشفى واتصلت بيك يا عمى
وقف "عدنان" والقلق قد استبد به ينتظر خروج الطبيبة التى قالت وهى تنقل
: نظرها بينهما
؟ "مين فيكوا "مهند -
: ارتجف قلب "مهند" وهو يقول
أنا -
: ابتسمت الطبيبة وهى تنظر اليه قائله
متخفش المدام بخير .. اظاهر بس ان فى حاجه ضايقتها .. وألم دراعها ده -
وانا طلبت شويه فحوصات ..ممكن أوى يكون بداية استجابه لاعصاب دراعها
بعدها هنتطمن ان شاء الله
شعر "مهند" بالضيق لظن الطبيبة بأنه زوجها وعمه واقف بجواره .. قال
: "عدنان" بلهفه
طيب وهى هتتحجز فى المستشفى ولا تقدر تروح .. يعني هى كويسة تقدر -
تمشى ؟
: قالت الطبيبة
حضرتك باباها -
: قال "مهند" بإقتضاب
ده جوزها -
: رفعت الطبيبة حاجبيها بدهشة ثم قالت
سورى أصلها أول ما فاقت فضلت تقول "مهند" فإفتكرت انك جوزها -
ارتجف قلب "مهند" وبسرعة التفت لينظر الى وجه "عدنان" الذى قال بلهفه
:

طمنينى يا دكتورة تقدر تخرج ؟ -
: ابتسمت الطبية وقالت
أيوة تقدر تخرج .. هى كويسة أوى .. بعد اذنكوا -
توجه "عدنان" الى الداخل .. فيما غادر "مهند" المستشفى .. فقد شعر بأنه ! يريد أن يبتعد عن هذا المكان فى الحال

****

عادت "سمر" الى الفيلا ومرت الأيام فى انتظار نتيجة الفحوصات الجديدة بلهفة وقلق .. نزلت من غرفتها وتوجهت الى غرفة المعيشة لتجد "مهند" : "جالساً برفقة "فريدة" .. صاحت "فريدة
"تعالى يا "سمر -
شارداً فى مكان آخر .. بدا الضيق "دخلت "سمر" وجلست معهم .. بدا "مهند والوجوم على وجهه .. دخلت "نهال" وبنظرات تحدى صوبتها الى "سمر" أخذت تسأل "مهند" عدة أسئلة .. ورغم أنه كان يجيب عليها بإقتضاب شديد . .إلا أن الضيق ظهر على وجه "سمر" وغادرت الغرفة تحت نظرات "نهال" المتشفيه .. انتهت "نهال" من القاء أسئلتها وغادرت غرفة المعيشة .. التفتت : ""فريدة" وقالت لـ "مهند
مهند" انت فى حاجه بينك وبين "سمر" ؟" -
: التفت "مهند" ينظر اليها بدهشه وهو يقول
مش فاهم -
أصلى بحس انك بتتجاهلها أوى .. حتى لما بتكلمك مبتردش عليها .. من - ساعة ما تعبت من كام يوم وأنا حسه انك بتتعامل معاها ناشف أوى .. حتى "أنشف ما بتتعامل مع "نهال
: قال "مهند" بإقتضاب
عادى بيتهيألك .. وبعدين انتى عارفه انى بحب أحط حدود بينى وبين أى - واحدة
: قالت "فريدة" بحيرة

أيوة تحط حدود حاجة وتعاملها ناشف كده حاجه تانية .. انت حتى مبتردش - ليه بتتعامل معاها كده ؟ ..عليها يا "مهند" لما بتوجهلك كلام وبتكسفها

: زفر "مهند" بضيق وقال

احنا هنقضيها كلام عنها ولا ايه .. قولتيلى عايزه تتكلمى معايا هو ده اللى - عايزه تكلميني فيه

: ابتسمت قائله

.... لأ مش ده .. بس -

طاقعها دخول "سمر" الغرفة برفقة أحدى الخادمات تحمل صينية موضوع فوقها ثلاثه أكوار .. أمرت الخادمه بوضعها على المنضدة وجلست قبالتهما ..

: ابتسمت "سمر" وقالت

عملت حاجه نشربها سوا -

: نظرت "فريدة" بدهشة وهى تحمل أحد الأكواب قائله وقد فعلت "سمر" مثلها

ايه ده انتى اللى عملاه بجد ؟ -

: أومأت "سمر" برأسها مبتسمه .. فقالت "فريدة" بدهشه

وعرفتى الأبريه منين ؟ .. ده مشروب نوبى ميعرفوش الا النوبيين بس -

عقد "مهند" جبينه بدهشه وهو يتناول كوبه وينظر الى السائل بداخله ..

: رشفت "فريدة" عدة رشفات ثم قالت

مممممم مشربتوش من زمان أوى .. ماما الله يرحمها هى اللى كانت بتعمله -

: ثم نظرت الى "سمر" وقالت بمرح

انتى تعرفى ان ماما الله يرحمها كانت نوبيه ؟ -

: ابتسمت "سمر" بهدوء قائله

بجد ؟ -

: قالت "فريدة" بحماس

أهاا كانت نوبيه عشان كده الأبريه ده عندنا مميز جدا أنا و "مهند" بنموت - فيه

: رفع "مهند" رأسه ينظر الى "سمر" التى قالت بهدوء

مش هتشرب -

: أخفض بصره ورشف عدة رشفات .. قالت "فردية" مبتسمه

لا وعملاه مزز أوى -

: قالت "سمر" بهدوء
ايه مبتحبيهوش كده ؟ -
: قالت "فريدة" بمرح
. بصراحة لأ .. أنا مش بحبه يكون مزز أوى -
: ثم التفتت الى "مهند" وقالت
بس "مهند" بيحبه كده -
انحنى "مهند" الى الأمام يدير الكوب بين كفيه يرشف منه بين الحين والآخر
: وهى يعقد جبينه شارداً .. رفع رأسه ونظر الى "سمر" قائلاً بإهتمام
اتعلمتيه فين ؟ -
: نظرت اليه "سمر" قائله بهدوء
فى اسكندرية -
: قال بإهتمام
بس ده مش مشروب مشهور فى اسكندرية .. ده ميعرفهوش الا اللى عاش -
فى النوبه .. انتى عشتى فى النوبة قبل كده ؟
هزت رأسها نفياً
: فضاقت عيناه وهو يقول
طيب تعرفى حد عاش فى النوبة ؟ -
ساد الصمت للحظات .. ثـم .. أومأت برأسها ايجاباً بهدوء .. والتقت نظراتهما ليخفق قلـب "مهند" بقـوة .. نظر الى عينيها وهو يشعر بأنه يعرف تلك نظراتهـا .. حديـث عيناهـا وشفراتهـا ..العينـان جيداً .. شكلهـا .. رسمهـا التى ترسمها أمام عيناه فى الهـواء .. بـدت عيناهـا البنيتـان كبحـر عميـق .. بحـر شعـر بأنـه .. سبـح فيـه من قبـل .. بل وغاص الى أعمـق
! أعماقـه

الفصل العشرون

أنا مسافر سوريا -
أثارت كلماته الدهشة التى ظهرت جليه فى عيون الجميع .. هتفت "انعام" فى استغراب :
اشمعنى سوريا يا "مهند" .. انت مش عارف الوضع هناك عامل ازاى ؟ -
قال "مهند" بحزم :
أيوة عارف .. وعشان كده مسافر -
نظر الجميع الى بعضهم فى دهشة .. خفق قلب "سمر" وهى تتطلع اليه بينما سأله "عدنان" فى دهشة :
يعني ايه عشان كده مسافر ؟ .. عشان ايه بالظبط ؟ -
أخذ "مهند" نفساً عميقاً وقال بثبات وبأعين تشع عزم واصرار :
عشان الجهاد -
وقعت كلماته كالصاعقة على رؤس الجميع .. هتفت "كوثر" :
....جهاد ؟ .. جهاد ايه ؟ -

نظر اليها "مهند" وقال :
الشيعة بينزلوا ..الجهاد يا عمتو .. مسلمين بيتدبحوا على ايد قتلة ومرتزقة -
طيب نقول .. نقف نتفرج عليهم ؟ ..لسوريا من كل مكان يقتلوا فى المسلمين وقفنا نتفرج ؟ ..ايه لربنا لما نقابلهم ؟
ران الصمت على الجميع .. وبأعين ملتاعه وبقلق وجل قالت "سمر" :
طيب انت ناوى تعد هناك أد ايه ؟ -
صمت "مهند" وأطرق برأسه .. لا يرفع عينه اليها .. ثم قال بحزم :
معرفش -
قال "عدنان" بقلق :
طيب هتروح مع مين يا "مهند" .. معاك حد ولا لوحدك .. وهتروح ازاى - أصلاً .. وفى حد مستينيك هناك .. يعني عارف هتنزل فين ؟
نظر اليه "مهند" قائلاً :
متقلقش يا عمى .. كل حاجة مترتبه ومتسألنيش ازاى لانى مش هقدر أتكلم - فى التفاصيل .. كل اللى أقدر أقوله انى هسافر تركيا ومن تركيا على سوريا ان

شاء الله
: رفع "مهند" عينيه ينظر الى "فريدة" ثم التفت الى "عدنان" قائلاً
وصيتك "فريدة" خلى بالك منها يا عمى -
: انفجرت "فريدة" فى البكاء ونهضت مقتربة من "مهند" وهى تقول
مهند" متقولش كده .. عشان خاطرى متقولش كده .. ان شاء الله هترجع " -
بالسلامة وانت اللى هتخلى بالك منى
: عانقها "مهند" وهو يضمها الى صدره قائلاً
ان شاء الله يا "فريدة" .. ان شاء الله -
: ثم أبعدها عنه ونظر اليها مبتسماً وهو يقول
بس لو ربنا أراد ومرجعتش عايزك تخلى بالك من نفسك وتدعيلى ان ربنا -
يرحمنى
أعين اخرى .. أجهشت فى البكاء مرة أخرى وهى تلقى بنفسها بين ذراعيه
تجمعت فيها العبرات فنهضت مسرعة تغادر الغرفة قبل أن تفضحها عيناها أمام
وقفت "سمر" خارج غرفة المعيشة لتسمح بعبراتها بالإنهمار خوفاً ..الجميع
! وقلقاً

****

انتهى سريعاً من حزم أغراضه قبل أن يترك لهم فرصة أن يفيقوا من هذا القرار
"مهند"المفاجئ .. ساد الوجوم الوجوه .. بكت "فريدة" كثيراً .. اقترب منها
: وقال بحنان
انتى أكتر واحدة المفروض تفهمنى -
: أومأت برأسها وهى تقول
فاهماك يا "مهند" .. ومقتنعة باللى هتعمله بس غصب عنى -
: عانقها طويلاً ثم قال
متخفيش .. عمرى مكتوب لا هيزيد يوم ولا هيقل يوم -
: نظرت اليه بأعين دامعه وقالت
ربنا ينصرك -
: ابتسم قائلاً

ادعيلى بيها دايماً .. ماشى -
أومأت برأسها وهى تمسح عبراتها .. سلم "مهند" على الجميع .. هتفت
: "نهال" بلهفة
مهند" ابقى اتصل بينا طمنا عليك" -
مختفية "سمر"كانت .. أومأ برأسه ايجابا .. ودع الجميع وخرج من باب الفيلا
توجه الى باب السائق ..عن الأجواء .. وضع "مهند" حقيبته داخل السيارة
صدم ..ليفتحه .. فحانت منه التفاته الى أعلى بعدما شعر بمن يقف فى الشرفة
وارتعدت لها أوصاله ..دامعة العينين تنظر اليها .. نظرة أرعبته "لرؤية "سمر
!منطلقاً بها الى وجهته ..وركب سيارته ..هرب بعينيه سريعاً ..

****

..قطع "مهند" المسافة من تركيا الى سوريا وفى عقله تدور أحاديث عده
حاول جاهداً أن ينقى عقله وقلبه وروحه من زينة الحياة الدنيا وآثارها فى
تذكر حديث النبى ..أخذ يتلمس فى نفسه الإخلاص واحتساب النية ..النفس
.. "من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار" صلى الله عليه وسلم
وتذكر أيضاً .. " مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب
لو اعتزلت الناس :فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته لطيبها ، فقال
فأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال : لا تفعل فإن مقام أحدكم في
سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ألا
تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا في
سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت
له الجنة " .. أغمض "مهند" عينيه وهو يستنشق هواء
رحلة الجهاد فى سبيل الله .. يعلم بالدهشة ..الرحلة
التى اعتملت فى نفوس الجميع لقراره الذى بدا لهم
فلطالما تمنى أن تتاح له ..مفاجأ .. لكنه لم يكن كذلك

الفرصة ليحمل قلبه بين كفيه ويشد الرحال الى حيث
أعد العدة منذ فترة .. يبذل نفسه وماله فى سبيل الله
لكنه انتظر أن تحين ساعة الصفر .. وها هى قد حانت

وصل "مهند" الى زميله الذى ظل على تواصل معه عبر
الهاتف .. لم يريا بعضهما البعض من قبل لكن تم اعطاء
الى المكان المنشود بعد "مهند"رقمه لـ "مهند" .. وصل
كان المعسكر ..عناء وتعب وارهاق سفر ساعات طوال
يضم رجال من جنسيات عربية مختلفة .. رجال تركوا
خلفهم متاع الدنيا وهبوا لنصرة اخوانهم الذين تعالت
فهبوا وثارت ..صيحات استغاثاتهم تمزق القلوب بقوتها
حميتهم فى الدفاع عنهم وحماية أعراضهم وأرواحهم
مهند" على رجلين سيمكث "تعرف .. وحقناً لدمائهم
معهما فى خيمة واحدة الى أن تنتهى تدريباتهم
ويصبحوا على أهبة الاستعداد للقيام بعمليات ممنهجة
ومنظمة يقودها رجل ذو سمت اسلامى قيل لـ "مهند"
بأنه قائد تلك المجموعة .. حيث يتم تقسييم الرجال
الملبون لنداء الجهاد فى سبيل الله الى عدة مجموعات
ولكل منها قائد ذو خبرة وحنكة يقوم على تدريبهم
: مهند" يقدما أنفسهما"تقدم الرجلين من ..وتأهيلهم
أهلاً بيك أنا "حمزة" مصرى -
اهلاً فيك أخى أنا أخوك "باسل" من هون من سوريا -
نصرها الله
: سلم "مهند" على الرجلين وعرفهما بنفسه
أهلاً بيكوا أنا "مهند" .. مصرى -
: ابتسم "حمزة" وقال مرحباً وهو يعانقه بشدة
ابن بلدى .. أهى هى دى الرجاله ولا بلاش .. ربنا -

ينصرنا ان شاء اللهّٰ
: ربت "باسل" على كتفى الرجلين وقال
ربنا يحميكوا ويحمى مصر.. ويجزيكوا الجنة ان شاء - اللهّٰ

****

انتهى اليوم الأول من التدريبات وقد شعر "مهند" بإنهاك شديد فى جسده.. جلس على الرمال يروى ظمأه من زجاجة مياة ظلت تلازمة طوال التدريب.. ضحك" "حمزة قائلاً :
شكلك مش رياضى خالص -
: ضحك "مهند" قائلاً
فعلاً من زمان ممارستك رياضة -
قال "باسل" وهو يقوم بتمرينات حركة فى مكانه وهو واقف أمامهما :
لا تقلق بكرة بتصير أحسن منا -
:نظر "مهند" الى "حمزة" قائلاً
انت متجوز يا "حمزة" ؟ -
: جلس "حمزة" بجواره على الرمال وقال
خاطب .. وان شاء اللهّٰ لو ربنا أراد ورجعت .. هنعمل - الفرح على طول
: ابتسم "مهند" وهو يربت على كتفه قائلاً
ان شاء اللهّٰ ترجعلها بالسلامه -
: قال "حمزة" شارداً
مليش حد فى الدنيا دى الا خطيبتى وأمى ربنا يديها - الصحة .. بس مقدرتش ما أجيش .. صعب انك تشوف

وتعرف ان اخواتك بيتدبحوا وتنتهك حرماتهم على ايد كلاب خونه ميعرفوش دين ولا مله وتفضل آعد فى مكانك .. مقدرتش ما أجيش

قال "مهند" بيقين :

- ان شاء الله ربنا ينصرنا عليهم .. ربنا معانا اجنا .. لكن هما معاهم الشياطين والعياذ بالله .. أكيد ربنا هينصرنا .. أنا واثق

ابتسم "باسل" وهو ينظر اليهما قائلاً :

- كويس انك يكون عندك هاد الثقة واليقين بالله .. أنا كمان عندى ثقة ويقين انه هينصرنا ويحرر أسرانا وندوس على هادول الكلاب برجلينا ووقتها محدش هيخلصهم مننا

ثم أوقف تمرينه وهتف بحنق :

- بعد ما حزب نصر اللات اتدخل وبعتولنا لهون شيعة من كل مكان عشان يحاربونا ويدبحوا فينا .. نفسى أفهم نحنا .. المسلمين مستنيين ايش منشان يساعدونا ؟ ..أخوات فى الدين وفى العقيدة .. كيف بيتركونا هيك ؟ كيف .. كيف كل واحد بيقول وأنا مالى المهم حالى الشيعة بيجوا من كل مكان ومن كل بلد عشان ينصروا حزب الشيطان والمسلمين نايمين فى بيوتهم ومطمنين وآمنين ونحنا هون عم بنموت ونساءنا بتغتصب وأطفال بيتقطعوا أمام عيونا .. هدموا المساجد فوق المصلين .. ما بتشوفوا اللى بيحصل هون عن جد لما تنتهى التدريبات هتشوفوا كل شى على حقيقته .. وهتعرفوا ان الواقع هون أفظع وأبشع من اللى عم سمعتوا عنه وخلاكوا تيجوا تساعدونا وتقفوا جمبنا وتحموا أرواحنا وأرضنا

تنهد "مهند" بحسرة وهو يفكر فى كلمات "باسل" .. هو الآخر الى أن رُفع آذان الظهر .. "بينما شرد "حمزة فى تضرع وخشوع .. فوقف الرجال صفاً خلف صف يضعون جباههم فوق التراب داعيين النصر من رب الأرض والسماء

****

هتفت "فريدة" بسعادة وبأعين دامعة وهى تستمع الى صوت أخيها عبر الهاتف :
"مهند" -
قفزت "سمر" من مكانها وتوجهت الى "فريدة" وقالت بلهفه :
مهند" بيكلمك ؟" -
أومأت "فريدة" برأسها وهى تقول بسعادة :
مهند" انت كويس .. طمنى عليك" -
قال "مهند" بهدوء مطئناً اياها :
أيوة يا "فريدة" كويس الحمد لله متقلقيش عليا أنا - كويس أوى .. طمنينى عليكى عامله ايه
قالت بتأثر :
الحمد لله يا "مهند" .. أنا ارتحت دلوقتى لما سمعت - صوتك واطمنت عليك
قال "مهند" مبتسماً :
متقلقيش هبقى أتصل بيكي على طول -
قالت بقلق :
مهند" الوضع عندكوا صعب مش كده ؟" -
قال بهدوء :

متقلقيش انا لسه فى فترة تدريبات -
قالت بلهفة :
ابقى طمنى عليك دايماً -
متقلقيش -
أشارت لها "سمر" لتعطيها هاتفها .. وبدهشه أعطتها "فريدة" الهاتف لتهتف "سمر" بلهفه :
مهند" .. "مهند" انت كويس ؟" -
تجمد "مهند" فى مكانه .. وتوقف تماماً عن التنفس .. هتفت "سمر" :
مهند" سامعنى .. انت كويس ؟" -
أطلق "مهند" انفاسه الحبيسة .. ثــم .. أغلق الهاتف على الفور .. هتفت "سمر" :
مهند" .. ألو .. ألو "-
أعطت الهاتف الى "فريدة" فوضعته على أذنها ثم قالت :
أفل .. اظاهر الخط قطع -
ظهر الأسى على وجه "سمر" ثم نظرت الى "فريدة" قائله :
قالك ايه ؟ -
قالت "فريدة" وهى ترمق "سمر" بنظرات متفحصه :
قالى كويس .. وهيتصل بيا بإستمرار -
أومأت "سمر" برأسها وخرجت من الغرفة شارده .. بينما عينا "فريدة" تتابعها بإهتمام

نظر "مهند" الى هاتفه للحظات .. ثم وضعه فى جيبه وهو يعقد جبينه فى ضيق شديد .. ربت "باسل" على

كتفه قائلاً :
- خلصت ؟
أومأ "مهند" برأسه .. ركبا معاً فى السيارة للعودة الى ثكناتهم .. بعدما اضطروا لمغادرتها الى حدى قرى "دير الزور" حيث تتمتع شبكات المحمول بالتغطية بينما تفتقر الى تلك التغطية حيث يمكثون فى العراء
افترش "مهند" الأرض وتوسد ذراعيه وهو ينظر الى سقف الخيمة وانعقاد جبينه يتزايد كلما توغل فى أفكاره أكثر .. التفت اليه "باسل" ليلاحظ عبوس وجهه وقال :
- بدك شى يا "مهند" ؟
التفت اليه "مهند" وقال :
- لا أبداً يا "باسل"
قال "باسل " بإهتمام :
- انت بخير ؟ فى حاجه مزعلاك ؟
هز "مهند" رأسه نفياً وهو يقول :
- لا مفيش حاجه مضايقانى .. تصبح على خير
- وانت بخير

أغمض "مهند" عينيه ليروح فى ثبات عميق .. ما هى الا عدة ساعات حتى استيقظ من نومه وقد فتح عينيه فجأة .. ثم يجلس فى مكانه وصدره يعلو ويهبط بسرعة كبيرة .. زم شفتيه بشده وهو يتمتم بحده بالغة :
- استغفر الله .. استغفر الله
نهض من مكانه وهو يزيح الغطاء بعنف .. ثم توجه الى المكان الذى أعده الرجال بأيديهم وخصصوه للإغتسال ..

فقد كان كل شئ فى حياتهم فى تلك البقعة شبه بدائياً .. فما قدموا من أجل أن ينعموا بحياة الترفيه بل بخوض الصعاب وبذل النفس بطيب خاطر .. غسل "مهند" وجهه ورأسه عدة مرات .. ثم خرج وقطرات الماء تتصبب من شعره دون أن يهتم بتجفيفها .. جلس فوق الرمال .. الرمال التى اكتسبت من الليل برودته قذف بكعب جذائه بحده بالغه .. خرج "باسل" من الخيمة ليجد "مهند" جالساً لوحده فى العراء .. اقترب منه وقال :

- مهند" شو بك ؟"

زفر بقوة دون أن يجيب .. بدا متضايقاً بشكل كبير ..

جلس "باسل" الى جواره وهو ينظر اليه قائلاً :

- قولى يمكن بقدر أساعدك

قال "مهند" بحدة :

- "مفيش يا "باسل

صمت قليلاً ثم أكمل بضيق شديد :

- شوفت حلم ضايقنى

أومأ "باسل" برأسه وقال :

- استعيذ بالله

أمعن "باسل" النظر اليه ثم قال :

- واضح انه ضايقك كتير .. هاى أول مرة من يوم ما اجيبت بشوفك مضايق هيك

زفر "مهند" بضيق وهو يركل الرمل مرة أخرى بكعب جذائه ويقول بصوت مختنق :

- شوفت الحلم ده ازاى .. مش قادرة أتخيل .. حاسس انى مخنوق أوى

رآى "باسل" صدر "مهند" يعلو ويهبط بسرعة كبيرة وهو

: يلهث بشدة وعيناه تشعان غضباً فقال له
يا "مهند" ليش مزعل حالك .. هاى حلم .. ما إلك دخل -
فيه .. مو بكيفك .. غصب عنك .. ليش تضايق حالك
منشان شى مو بإيدك ؟
: هتف "مهند" بغضب
حتى لو حلم .. برده مكنش المفروض أحلمه -
أسند "مهند" رأسه الى قبضتى يده وهو يغمض عينيه
تمتم بكلمات غير ..بشده ويحرك قدميه بعصبيه
ربت ..مسموعه فسرها "باسل" أخيراً بأنها استغفار
: على ظهره وقال "باسل"

-لا تزعل حالك .. قال صلى الله عليه وسلم " :رُفِع القلم عن ثلاث :عن الصّبى حَتّى يَبْلُغَ، وَعَنِ النّائِمِ حَتّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتّى يُفِيقَ" .. يعني من رحمة ربنا انك ما بتتحاسب على حلمك لان ما إلك دخل فيه
لم تتوقف حركة قدميه العصبيه وقال بحدة وهو مطرقاً برأسه ومغمض العينين :
-عارف .. أنا مش بقول ان عليا ذنب .. بقول انى مضايق .. مضايق انى شوفت حلم زى ده .. حلمت بحاجه بشعة .. بشعة جداً .. واللى قهرنى انى فى الحلم مكنتش شايف بشاعتها .. كان الشيطان مزينهالى .. بجد مخنوق من نفسى أوى
ربت "باسل" على ظهره مرة أخرى وقال:
-ممكن يكون الشيطان عم يضايقك ويشغلك عن العمل العظيم اللى عم بتقوم بيه هون .. لا تعطيه الفرصه يا "مهند" .. اتفل عليه ورده خائب خاسر
أومأ "مهند" برأسه وقال بحماس:
-معاك حق .. معاك حق
قال "باسل" وهو ينهض:
-يلا تعا نقوم نعمل شوية تدريبات .. بدنا نبلش اليوم بكير
نهض "مهند" معه ونفض من رأسه كل شئ عن حلمه .. وحاول أن يتناساه بكل ما فيه

مرت الأيام التالية على "مهند" فى التدريبات وكل يوم تقوى عزيمته أكثر

ويكبر حماسه .. يسمع عن سقوط جرحى شهداء فى صفوف كتيبتهم فيصيبه الحزن تارة والبشارة بالجنة تارة أخرى .. وفى أحد الأيام نزل الى البلدة القريبة لمهاتفة "فريدة" كما هى عادته .. تحدث معها لعدة دقائق قبل أن تقول له:
" -مهند" .. "سمر" عايزة تكلمك
صاح بحده:
-لأ
صمتت "فريدة" بحيرة فأكمل "مهند" بسرعة:
-متديهاش التليفون .. واوعى تديها الرقم اللى بكلمك منه
أومأت "فريدة" برأسها وكأنه يراها .. وهى تنظر الى "سمر" التى تقف أمامها وتمد يدها اليها متلهفة على التقاط الهاتف منها .. أنهت "فريدة "المكالمة وهى تنظر الى "سمر" بتوتر قائله:
-كان مضطر يقفل
أومأت "سمر" برأسها وبدا على وجهها الحزن والأسى وهى تعيد يدها الممدومة الى جوارها .. جلست على أحد المقاعد تستند وجنتها الى قبضة يدها شارده ..جلست "فريدة" أمامها .. وفى داخلها علامات استفهام كثيرة .. كثيرة جداً

****

حانت محطة نزوله .. لكنه لم ينزل فيه كعادته كل يوم .. بل بقى فى الحافلة .. الى أن نزلت هى فى محطتها .. نزل "دياب "وسار خلفها عدة خطوات قبل أن يناديها بخفوت:
-يا آنسة
التفتت "دعاء" لتفاجأ بـ "دياب" خلفها .. توترت بشدة وهى تنظر حولها .. فقال بتوتر مماثل لتوترها:
-معلش بس كنت عايز أسألك عن حاجة
صمتت وهى تحدث نفسها بأن تتركه وتنصرف لكنه عاجلها قائلاً:
-أنا عارف انك بنت عم "مرزوق" الله يرحمه .. أنا بس كنت عايز أعرف .. يعنى .. مين ولى أمرك ؟
نظرت اليه بدهشة .. فأكمل "دياب" فى توتر وبصوت مضطرب:
-أقصد يعني .. لو عايز اتكلم مع ولى أمرك أتكلم مع مين ؟ .. يعني ياريت تديني رقم حد كبير فى العيلة .. أو حد مسؤل عنك
أطرقت برأسها فى توتر شديد وهى تتلفت حولها لا تدرى ما تفعل أتعطيه رقم

خالها أم تتركه وتنصرف.. كادت أن تنصرف دون أن تجيب عن سؤاله ولا على طلبه لكنه أوقفها قائلاً:
-بصى بس .. أنا مش قصدى أضايقك والله .. أنا بس عايز رقم حد قريبك
أخرج "دياب" هاتفه من جيبه وهو يقول:
-اديني بس الرقم
وبتوتر كبير ودهشة أكبر أخرجت "دعاء" هاتفها وهى تلمح مرة أخرى دبلته فى يده اليسرى وأملته رقم خالها بصوت خافت للغايه لا يكاد يكون مسموعاً من فرط توترها ..بمجرد أن انتهت من تمليته للرقم التفتت لتنصرف مسرعة دون أن تترك له فرصة للإستزادة فى الحديث معها .. لاحت على شفتى "دياب " ابتسامة صغيره ثم عبر الطريق فى انتظار عودة الحافلة ليعود معها الى حيث محطة نزوله

****

جلست "الرجال يتناولون ما يسدون به رمقهم من الزاد القليل .. قال "باسل" وهو شاخصاً ببصره:
-نفسى كتير أنولها
التفت اليه "مهند" وفى عينيه استفهام .. فنظر اليه "باسل" قائلاً:
-الشهادة .. نفسى أنولها
ابتسم "مهند" وأطرق برأسه .. قال "باسل" منتشياً:
-نفسى فى كل اللى النبى صلى الله عليه وسلم وعد بيه الشهيد لما قال " : إنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ " .. انا نفسى فى كل هاد
قال "حمزة" مبتسماً:
-كلنا نفسنا فى كده .. كلنا نفسنا فى الشهادة
قال "باسل" وفى عينيه نظرة غريبة وعبرة تقطر شوقاً:
-لا .. أنا شوقى أكبر اكتير
فجـأة سمعوا صوتاً عالياً وكأن صاعقة نزلت من السماء .. انتفض الرجال وصاح أحدهم:
-كلاب "بشار" هجموا على البلد اللى جمبنا بالقنابل والرشاشات

هب الرجال من أماكنهم تاركين الطعام من أيديهم تأنفه أنفسهم .. كل منهم يحمل سلاحه .. أسرع "مهند" الى الخيمة وحمل سلاحه قبل أن ينطلقوا داخل السيارات الى حيث سُمع دوى القنابل عالياً .. وصلوا الى البلده فهال "مهند" ما رآى ..صراخ وعويل وأجساد ممزقة وبيوت مهدمة فوق رؤس ساكنيها .. راحة الدخان مختلطة برائحة البارود والدماء فى مزيج مرعب زاد من بشاعته اللون الأحمر الذى تلطخت به الأرض وتشربته الى أن تشبعت ولم تعد تجد فى نفسها القدرة على تشرب المزيد ! .. نزل الرجال من السيارات ليجدوا الشبيحة فى كل مكان .. وكأنه جراد انتشر فى الزرع الأخضر فحوله الى أرض بور .. انطلقت أصوات الرصاص مختلطة بأصوات الصراخ من حناجر النساء والأطفال ..اندفع الرجال البواسل الأحرار بجرأة وشجاعة مرددين صيحات الجهاد .. هاتفين بقلوبهم وألسنهم "الله أكبر" .. بينما اندفعت ميليشيات حزب الشيطان هاتفين بقلوبهم وألسنتهم "بشار أكبر! "

اندفع عدد من الشبيحة مقتحمين أحد البيوت ليجدوا امرأة تضم طفلين باكيين الى صدرها وزوجها يحمل حديدة فى يده يدافع بها عن أسرته الصغيرة .. اندفع الشبيحة فى اتجاه الرجل وكبلوه وأرغموه على الجلوس ممرمغين رأسه فى التراب ساجداً أمامهم رغماً عنه .. أطلقت زوجته صيحة رعب عالية عندما اندفع اثنان من الشبيحة فى اتجاهها جاذبين اياها من شعرها الى أن تمزقين فى أيديهم .. يحاول زوجها الفكاك من قبضة الرجلين الممسكين به دون جدوى يطلق صيحات ألم وقهر وهو يرى زوجته العفيفة وقد انتهك سترها أمام عينيه وعيني اطفالها الصغار الذين انزووا الى أحد الجدران صارخين باكيين ملتاعيين ..أغمض الرجل عينيه ليبكى دماً وهو يطلق آهات تفلق الحجر وتفتته بعدما جثم أحدهم على أنفاس زوجته مغتصباً اياها بوحشية دون أن يكون لها حول ولا قوة فى دفعه وصده عنها ..تناوبوا اغتصابها أمام عيناه وعيني أبنائه الصغار الى أن اندفع أحدهم فى اتجاه ابنته التى لا تتجاوز خمس أعوام .. أطلقت الطفلة صيحات رعب وفزع وهى تبكى وتتوسل اليه أن يتركها .. توسل اليه الأب المكلوم والزوج المطعون دون أن يجد لتوسلاته صدى .. أخرج أحدهم مطواته وأمام ناظريه شق عنق الصغيره لتنفجر الدماء منها ويسقطها من يده فاقدة الحياة .. فقدت المرأة قدرتها على التحمل ما رأته عيناها فأغشى عليها .. بكا الرجل كما لم يبكى من قبل وهو يدعو عليهم بشتى أنواع العذاب .. وكأن الدعاء عليهم لم يزيدهم الا عنفاً اندفعوا فى اتجاه الرضيع ذو العامين الذى شهد مقتل أخته واغتصاب أمه ليطرق برأسه فى الجدار كما لم كان يطرق عليه بمطرقة وليس برأس رضيع الى أن اختفى صوته وسكنت حركة جسده وفارق الحياة ملحقاً بأخته الكبيرة الصغيرة .. وقبل رحيلهم أخذوا بالرجل المنهار

يجروه جراً لا تقدر قدماه على حمله بعدما رآى ما حدث بزوجته وطفليه .. جروه الى سطح البناية وألقوه به من فوقهاً ليقط مهشم الجسد وسط بركة من الدماء ..أنتشوا من تعذيبهم وساديتهم وانصروفوا مغادرين يبحثون عن بيت آخر يعيثون فيه فساداً ويقذفون الرعب فى قلوب أصحابه

لم يكن حال المنزل المجاور أفضل حالاً .. بعدما اقتحمه عددا من الشبيحة جنباً لجنب مع أفراد من حزب نصر الله الشيعي ليمثلوا بجثث عدداً من أفراد الأسرة أمام ذويهم لقذف الرعب فى قلوبهم ليتلهى كل منهم بمصيبته ويروى لغيره عن بشاعتهم فيقذف الرعب فى قلوب غيره فما هى الا حرب نفسية قبل أن تكون حرب بالسلاح .. غادروا المنزل واللون الأحمر يكسو أرضه وجدرانه وكأن دماء المسلمين لم يعد لها حرمه ! .. لا يعلمون أو يتناسون قول النبى صلى الله عليه وسلم " والذي نفسي بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا " .. لا يبالون بما أعده الله لهم من عذاب سيصيبهم فى الآخرة" .. وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً"

فى الوقت الذى ظنوا فيه أنهم أحكموا الحصار على البلدة وصلت الكتيبة التى تضم "مهند" وأفراد فرقته ليذيقوا ميليشيات النظام صنوف العذاء .. فهذا يندفع عن عقيده وايمان وقلب لا يخاف ونفس تأبى الهوان .. وهذا يندفع من أجل بضعه جنيهات تدس فى جيبه أو عقيده مهزوزه لا أساس لها ولا بنيان .. ! فتتقهره القلوب الضعيفه و الأنفس المريضة بعدما تُسمع صيحات الجهاد من قلوب أسود الجيش السورى الحر جنباً الى جنب مع النازحين الى سوريا من مجاهدين فى سبيل الله .. دارت المعارك الطاحنة بين الفريقين لينفك الحصار رويداً رويداً فتقل أعداد ميليشيات النظام بعدما يلوذ بعضهم بالفرار ويقع آخرون قتلى وجرحى وأسرى فى أيدي الجنود البواسل والمجاهدين الأحرار ..
ربت "باسل" على كتفى "مهند" و "حمزة" وقال بلهفة:
-شوفت الحين قائد كتيبة لحزب اللات .. مو حواليه رجال كتير .. تعالوا معى نحاول نوقعه فى الأسر
اندفع "مهند" و "حمزة" خلف "باسل" والرصاص يندفع حولهم من كل مكان ..وأصبحت الرؤية مشوشة بسبب دخان البارود وقنابل الهاون التى يقذفها طيران النظام من السماء على رؤس الشعب الأعزل ! .. احتمى الرجال الثلاث خلف أحد السيارات وأشار "باسل" فى اتجاه أحد الرجال الذى يقف وبيده هاتفاً لاسلكياً يتحدث فيه بإستمرار بينما يحيط به بعض الرجال .. بل بعض الذكور ! .. اتفقوا على خطة الهجوم .. و .. وضعوها موضع التنفيذ .. اندفع الرجال

البواسل فى اتجاههم وقبل أن يستوعب أحدهم ما يحدث دارت المعركة بين الفريقين .. فريق مكون من ثلاث رجال أبطال .. وفريق مكون من ٦ رجال يرتجفون خوفاً من بطش البواسل وشراستهم فى القتال .. احتمى قائد الكتيبة فى احدى السيارات ينظر بأعين متسعة الى المعركة الدائرة بجواره وهو يتحدث فى الهاتف بعصبيه يطلب حضور المزيد من رجاله لحمايته .. اندفع "مهند" الى السيارة يحاول بكعب سلاحه كسر الزجاج فوق رأس قائد الكتيبة .. ساعده "باسل" بينما كان "حمزة "يقترب من هزيمة آخر رجلين .. جذب "مهند" قائد الكتيبة من ملابسه ليخرجه وسط الزجاج المهشم فيصيب وجهه وجسده الجروح ويصرخ الرجل فى ألم .. كتفد "باسل" يديه خلف ظهره جيداً بحبل سميك .. واندفع ثلاثتهم فى اتجاه احدى السيارات ليعودوا بغنيمتهم الى ثكناتهم مرة أخرى

لكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ! .. اندفع مجموعة من الشبيحة من لا مكان ..لينقضوا على الفرسان ..أحكم "مهند" قبضته على قائد الكتيبة فهو كالصيد الثمين وعزم وأصر أن يعود به الى المعكسر ظافراً به .. اندلعت المعركة بين البواسل والشبيحة مرة أخرى ..فأندفع "مهند" فى اتجاه احدى السيارات المفتوحة من الخلف التى تشبه سيارة الشرطة التى تراها فى مصر .. دفع "مهند" بقائد الكتيبة بعنف داخل السيارة بينما اندفع "حمزة" ليجلس أمام المقود .. نادى "مهند" على "باسل" الذى كان يصارع بمفرده ثلاث رجال:

" -باسل" .. يلا يا "باسل"

صرخ "باسل" بأعلى صوته وهو يقاومهم فى شراسه:

-امشى يا "مهند" .. امشى من هون .. يلا انت و "حمزة" قبل ما يهجموا علينا أكتر ويفكوا أسر قائدهم

رأى "حمزة" فى مرآة السيارة عدد من الشبيحة يهرولون فى اتجاه السيارة فصاح:

-يلا يا "باسل"

صاح "باسل" بحزم واصرار:

-امشوا انتوا .. امشوا الحين

اندفع "حمزة" بالسيارة يشق طريقه قبل أن يتمكن الشبيحة من الوصول الى السيارة وانقاذ قائدهم من الأسر .. أخرج "مهند" رأسه من السيارة وهو يطلق عدة طلقات فى اتجاة الشبيحة الذين تجمعوا على "باسل" وتجاوز عددهم العشرة حتى يتفرقوا ويبتعدوا عنه .. لكن اتسعت عيناه فزعاً وهو يرى باسل قد وقع أسيراً فى أيديهم فأمسكوه وكتفوه يبقر أحدهم بطنه فتتدفع الدماء منها غزيرة حارة .. صاح "مهند" من أعمق أعماقه:

" -باااااسل"
نظر "حمزة" فى مرآة السيارة ليرى ما حدث لـ "باسل" فتندفع الدموع من عينيه بغزارة وهو يتمتم بصوت مرتجف:
-طلبها ونالها
غزت عينا "مهند" العبرات وهو يرى "باسل" وقد ألقاه الرجال أرضاً وداسوا عليه بالنعال .. اندفع بجسده خارج السيارة أكثر وهو ممسكاً بها متشبثاً بيده اليسرى لا تفترق عيناه عن جثة "باسل" التى فارقت الحياة وهو لايزال يطلق النار فى اتجاههم فيتساقطون واحداً تلو الآخر .. لو اقترب أكثر لاستطاع رؤية تلك الابتسامة العذبة التى تزين وجه "باسل" وتلك النظرة فى عيناه وكأنه ينظر الى ما اشتهاه ! .. وقبل أن يفيق "مهند" من صدمة استشهاد "باسل" اندفعت قذيفه هاون أطلقتها احدى الطائرات التى تحوم فى الهواء كالغراب .. لتنفجر السيارة وتتمزق الأجساد الى أشلاء!

****

وقفت "سمر" فى شرفة غرفة المعيشة فى حين كان الجميع بالداخل .. تسمع أصوات الحديث والضحكات دون أن يكون لديها أدنى رغبة فى مشاركتهم سمرهم .. وقفت تستند بمرفقها الى سور الشرفة تنظر الى السماء والقمر يزينها فى ليلة تمامه ..يلمع ضوءه داخل عينيها فتكتسب عبراتها لون القمر الفضى لتقط كلألئ على وجنتيها .. ارتجفت شفتيها وهى تفرج عنهما ببطء هامسه للقمر:
-وحشنى أوى .. أوى .. قوله ييجى بأه .. قوله انى بستناه .. قوله انى مش بنساه .. ولا هنساه
سمعت من خلفها صيحة "عدنان: "
-ايه بتقولى ايه ؟ .. "مهند"
اندفعت تدخل الغرفة وهى تتطلع الى "عدنان" مثلما يتطلع الجميع فى مزيج من الدهشة والخوف والفزع .. أنهى "عدنان" المكالمة .. شعرت "سمر" بإنقباض فى قلبها.. خشيت أن تسأل عما حدث .. هتفت "فريدة: "
-فى ايه يا عمو .. فى حاجه ؟ .. حاجه بخصوص "مهند"
رفع "عدنان" رأسه ليجول بعيناه فى وجوههم وهو يقول فى أسى وحيرة واضطراب:
-بيقولولى ان "مهند....... "
صمت فحثته "انعام" قائله:

-خير يا "عدنان" .. قول متوقعش قلبى
تنهد وهو يقول بمرارة:
-قالولى انى أحتسبه فى الشهداء
تعالت الشهقات فى لوعة قبل أن يسمعوا ارتطاماً قوياً .. التفت الجميع الى مصدر الصوت لتتسع أعينهم وهم يرون "سمر" الملقاه على الأرض وقد سقطت مغشياً عليها!

الفصل الحادى والعشرون

مرت الليلة ثقيلة لزجة على نفوس الجميع .. لم تتوقف "فريدة" عن البكاء "مهند"وهى تدعو لأخيها بالرحمة والمغفرة .. كذلك تأثر "عدنان" كثيراُ لفقد فقد كان له بمثابة الإبن وليس ابن الأخ .. جلست النساء فى غرفة المعيشة .. يعلو وجوههم الحزن والأسى تدمع الأعين من حين الى آخر .. جلس الرجال فى المكتب برفقة "عدنان" يجرون اتصالات طوال الليل فى محاولة استعادة مهند" ودفنه بالقاهرة الأمر الذى كان شاقاً للغاية لعدم وجود امكانية نقل "جثة الجثث من حيث موقع المجاهدين .. بل وعدم وجود ثلاجات لحفظها .. فكان برفقة "القرار أن يدفن "مهند" فى الأراضى السورية .. جلست "لميس ومحاولة .. "سمر" التى أمر الطبيب بإعطائها مهدئاً بين الحين والآخر ..... تخفيف الصدمة عليها .. انهمك الجميع فى التفكير بمصابهم

فقد ظل عقلها يعمل دون توقف عن سر تأثر "سمر" بخبر "يسرية"أما مهند" الى حد أن تفقد وعيها وتحتاج الى مهدئات للسيطرة عليها ! "استشهاد .. لكن الوقف لم يكن مناسباً لبحث أمر كهذا .. كذلك شعرت "لميس" بالدهشة وهى جالسه معها فى غرفة النوم .. تسمع همساتها وهى نائمة على الفراش الوحيد بالغرفة .. تلفظ بإسم "مهند" بين الحين والآخر وكأنها تنادى على لميس" أن تفهم همهمتها لكن صوتها كان خافتاً لا "حبيبها الراحل ! .. حاولت مهند" .. نهضت "لميس" تتجول فى تلك الغرفة "تستطيع سوى تمييز كلمة

التى تدخلها فيما ندر .. نظرت بحسرة الى الأثاث الذى ينم عن ذوق رفيع والذى يصلح لعرسان جدد ! .. وقفت أمام التسريحة تتأمل مقتنيات "سمر" المرصوصة فوقها فى عناية .. شعرت بوغز الدموع فى عينيها وهى تنظر الى لا تعلم كيف واتتها الجرأة على .. فتح الدولاب .. التفتت .. كل ركن فى الغرفة فتحت الدولاب الجرار وأخذت تنظر ..لتجدها تغلط فى النوم "تنظر الى "سمر فتحت الجهة الأخرى من الدولاب .. المرصوصة بعناية "الى ملابس "عدنان وفساتينها القصير منها والطويل .. اغلقت الدولاب "ونظرت الى ملابس "سمر بسرعة وقلبها يخفق بشدة لا تدرى سبب ما فعلت لكنها تعلم أن وجودها فى عادت لتجلس بجوار "سمر" .. تلك الغرفة يزيد من لهيب قلبها اشتعالاً قربت أذنيها فإستطاعت تلك ..فلاحظت انها عادت الى همهمتها من جديد المرة أن تميز كلماتها .. قفز قلب "لميس" الى حلقها واتسعت عيناها فى : دهشة وهى تسمع "سمر" تهمهم

مهند" متسبنيش .. أنا بحبـك" -

****

جلس "دياب" يحرك الموبايل بين يديه شارداً .. بحث عن الرقم الذى أملته اياه "عاء" وأخذ ينظر اليه وهو يضع اصبعه على زر الإتصال فى تردد .. تنهد بعمق وهو يمعن التفكير فى تلك الخطوة التى تشغل عقله كثيراً فى الآونة .. الأخيرة .. أصبح الوضع لا يحتمل .. لم يعد يستطيع تحمل اهمال زوجته له وعدم تقديرها لمشاعره .. وكأنه جماداً وليس بشراً من لحم ودم .. تنهد بعمق وهو يسند ظههر الى الأريكة وهو يفكر فيما اقترفه من خطأ بتحميل تلك الصور بل .. والمقاطع الى هاتفه .. يعلم بجرم ما فعل .. وبالذنب الذى أوقع نفسه فيه ومن ..وتقززت نفسه من أن يعيد الكرة مرة أخرى .. لكنه يخاف من نفسه يخشى .. شيطانه .. يخاف أن يقع فى خطأ أكبر من مجرد ذنب تقترفه عيناه أن تبدأ باقى حواسه فى عصيان أمره .. وفى جره الى طريق لم يتخيل أبداً أن إما أن ..يفكر فيه فى يوم من الأيام .. ليس أمامه سوى حلين لا ثالث لهما يعف نفسه بالحلال .. وإما أن يلجأ الى الحرام ّ

نهض من مكانه وذهب الى الحمام وتوضأ وضوءه للصلاة .. لحظات وسمع آذان الفجر فارتدى خفه ونزل الى المسجد يؤدى الصلاة .. بقى بعد الصلاة يردد الأذكار الى أن طلعت الشمس من مشرقها .. عاد الى بيته ليجد "سحر" جالسه فى وسط الفراش ترضع الصغيرة .. توجه الى المطبخ وأعد لنفسه ساندوتش من الجبن وكوب من الشاى .. تناوله فى شرود .. عاد الى غرفة النوم فرآهما تغطان فى نوم عميق .. ارتدى ملابسه .. وتوجه الى عمله والشرود لا يفارق !

****

فتحت "سمر" عينيها لتجد نفسها وحيدة فى ظلام الغرفة الدامس .. جلست فى فراشها وهى تشعر بثقل شديد فى رأسها .. لحظات .. وتذكرت ما بها من نكبة فأجهشت فى البكاء وهى تشعر بكل ذرة فى جسدها تصرخ ألماً وقهراً .. أطبقت بيدها على ملاءة السرير تجعدها بين أصابعها فى عنف وجسدها يرتج لقوة بكائها .. شعرت بألم حارق يغزو ذراعها الأيسر .. أسندت بظهرها الى السرير وهى تبكى لما تحمله فى قلبها وذراعها من آلام .. طرقت "لميس" الباب ثم فتحته وهى تنظر الى "سمر" فى لوعة .. اقتربت منها قائله :

- مدام "سمر" .. حضرتك كويسة

التفت لها "سمر" بوجهها الباكى وهى تسألها بصوت مبحوح :

- فين "عدنان" ؟

قالت "لميس"بهدوء :

- سافر

قالت بصوت مرتجف :

- سافر فين ؟

قالت "لميس" بأسى :

- سافر سوريا .. أصر انه يشوف الجثة قبل ما تدفن .. حابب يتأكد من انه هو فعلاً "مهند"

قالت ذلك وقد لمعت عيناها بالعبرات .. فأجهشت "سمر" فى البكاء وهى تردد : بلهفه

- يارب ميكنش هو .. يارب يكون لسه عايش

ازدادت نزرات "لميس" حدة وهى تصوبها الى "سمر" التى لا تهتم بما تلفظه من كلمات .. بدت فى غير وعيها تماماً والا لما أخطأت بلفظ كلمات تجعلها موضع شك هكذا ! .. اقتربت "لميس" من الكمودينو بجوار الفراش وأعطت لـ "سمر" أدويتها .. ثم قالت :

- ارتاحى شوية زى ما الدكتور قال .. "عدنان" بيه وسانى عليكي وقالى أهتم بيكي بنفسى

لم تعبأ "سمر" بكلامها نهضت وتوجهت الى الحمام الملحق بالغرفة وغسلت وجهها .. وقفت تنظر فى المرآة الى أعينها الحمراء كالدماء .. ثم جففت وجهها وخرقت من الغرفة متوجهة الى غرفة "فريدة" التى رأتها جالسه برفقة "نهال" تبكيان سوياً فى لوعة .. لم تتحمل "سمر" وهى تراهما على هذا الحال .. فأجهشت بالبكاء هى الأخرى وهى تلقى بنفسها فوق احد المقاعد فى انهاك لحظات مرت قبل أن تقول بصوت مرتجف :

- ان شاء الله مش هيطلع هو اللى مات .. ان شاء الله هيكون عايش

مسحت "فريدة" عبراتها وهى تقول بلهة :

- يارب يا "سمر" .. يارب

نهضت "فريدة" فجأة وتوجهت الى الخارج .. وبعد دقائق عادت ثم حملت اسدالها وفرشت سجادة الصلاة ووقفت تصلى فى خشوع .. نظرت اليها "سمر" بأعين دامعة .. رأتها تسجد وتبكى فى سجودها تسمع همساتها بالدعاء الى "مهند" .. شعرت "سمر" فى داخلها بعجز كبير .. وكأن جوارحها كلها مشلولة .. شعرت بقهر غريب .. لا تقوى حتى الدعاء الى الله عز وجل .. تذكرت كلمات "مهند" لها عند النافورة فى ذلك الفندق .. عندما قال لها .. كيف تدعين الله وأن تعصيه .. كيف تجرؤين .. تساقطت العبرات من عينها حارقه .. مسحتها بظهر كفها وهى لا تزال تنظر الى "فريدة" الساجدة .. قبل أن تناولت هاتفها النقال واتصلت بـ "عدنان" وهى .. تنهض وتعود الى غرفتها تقول بلهفة :

- انت فين دلوقتى ؟

قال "عدنان" بصوت كمن انتهى للتو من البكاء :

- لسه واصل تركيا

- طيب انت عارف هتكلم مين وهتوصل ازاى

- أيوة عارف

- ضرورى تطمنا لما توصل لحاجة .. ضرورى

- أكيد .. هقفل دلوقتى .. هتصل بيكى أول ما أوصل سوريا

ألقت "سمر" الهاتف فوق فراشها .. ثم جلست بجواره وهى لا تزال تشعر بذلك الشعور .. بالعجز والشلل .. تنامى الى مسامعها آذان الفجر .. فبكت أكثر .. بكت وهى تسمع ذلك النداء الذى تجاهلته لسنوات طويلة .. تشعر بأنها عاجزة عن تلبية النداء وعن الاستجابة له وعن الخضوع له .. شعرت بنفسها تريد التضرع والهتاف .. يارب احميه .. يارب أعده سالماً .. لكن كيف .. كيف يستجيب الله لها ؟ .. كيف يلبى حاجتها ؟.. كيف وهى تعصاه سراً وجهاراً .. كيف وهى تأتى بما نهى وتعزف عما أمر ؟ .. انتهى المؤذن وبدأ الكون فى تلبية النداء .. ارتجف قلبها وهى تحمل اللاسلكى لتطلب من الخادمة الصعود الى غرفتها .. ولأول مرة منذ أن اتت الفيلا تطلب من الخادمة هذا الطلب :

- ساعديني اتوضا

أومأت الخادمة برأسها وتوجهت برفقة "سمر" الى الحمام .. كانت "سمر" تستعين بالخادمة فى كل شئ .. لم تكن تستطيع حتى ارتداء ملابسها بمفردها ولا أن تصفف شعرها بمفردها .. كانت تعتمد عليها فى كل شئ .. انتهت من الوضوء بحسب ما تتذكر .. ثم طلبت من الخادمة الإنصراف وهى تشعر بالاستحياء أن تصلى أمامها .. بل شعرت بالاستحياء أن تقف بين يدي الله .. أتت بسجادة "عدنان" وفرشتها أرضاً ثم وقفت وهى تشعر بشعور غريب يتملكها .. وقفت تطلقت تنهيدات وهى تشعر بتوتر .. يجفل قلبها كالموظف الذى عصى مديره كثيراً حتى طرده وأغلق بابه فى وجهه .. وبعد سنوات أراد العودة الى ذلك المدير واستسماحه أن يعطيه فرصة اخرى .. لكنه وقف على باب المدير يخشى أن يطرقه .. يخشى أن .. يتمنى أن يدخل .. لكنه لا يجرؤ . يخشى أن يظل المدير حاملاً له الغضب فى نفسه .. يعود خائب صفر اليدين .. ولله المثل الأعلى !

بلعت ريقها ووقفت تغمض عينها للحظات تستشعر ما هى مقدمة عليه من صلاة يشاركها فيها الله عز وجل بالمعنى .. كما قال فى الحديث القدسى "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل. فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين. قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله: أثنى علي عبدي. فإذا قال: مالك يوم الدين. قال: مجدني عبدي. وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل "

رفعت كفها بمحاذات أذنها وكبرت للصلاة .. أطرقت برأسها فى خشوع تنظر الى موضع سجودها وقلبها ينبض داخل صدرها بتوتر .. لم تجد تنتهى من تلاوة الفاتحة حتى انفجرت الدموع من عينيها كنبعين صافيين يرويان ظمأ سنوات من الجفاف الذى لاقاه ذلك الوجه وتلك العيون .. حرموا سنين طوال من لذة البكاء من خشية الله .. ولذة الإنابة والخشوع والتضرع والتسليم .. شعرت بأنها أمة تقف بين يدي مولاها وسيدها .. ترجوه رحمته وتخشى عذابه .. نظرت الى موضع سجودها قبل أن تلمسه بجبهتها وأنفسها ككمال الذل والخضوع لله .. أغمضت عينها وهى تتمتم :

- سبحان ربى الأعلى

لم تكن كلمات عادية لتتم بها صلاتها .. بل استشعرت كل حرف فيها .. سبحانك ربى وأنت فوق عرشك مستوٍ عليه استواء يليق بجلالتك .. سبحان أعلى وأكبر من كل شئ .. سبحانك وأنت ملك الملوك تدير هذا الكون بمعرفتك كيفما شئت .. كل شئ فى هذا الكون أمره بين حرفين .. الكـــاف والنـــون .. من غيرك يدبر لى أمرى ويصلح لى حالى ويلبى لى طلبى ويكون منتهى رجائى .. من غيرك يغفر لى ذنبى ويزيل وحشة قلبى ويطهر لحمى وعظمى وروحى من ذنوب كستها وتشربتها وعشقت فيها الى أن فاض بى الحال وجئت خاشعة ضارعة أعلن استسلامى وخضوعى وفشلى فى أن أنعم بحياتى فى بعدى عنك .. أعلن فشلى فى أن أدبر أمورى دون الرجوع اليك .. أعلن فشلى فى أن أكون حره العقل والفكر .. سيدة امرى .. علمت وأيقت أن ما أنا الا أمة تحتاج

لسيدها ومولاها ليرشدها ويأمرها فتطيعه وينهاها فتنأى بنفسها عما نهى .. "أستغفر الله " .. كلمة ترددها الألسن حتى لربما فقدت الشعور بتذوق معناها استغفر الله من كل ذنب امتدت له يداى وذهبت .. وبإستشعارها بالقلب والروح له قدماى وتأملته عيناه وطربت له أذناى وتحدث به لسانى .. استغفر الله من كل ذرة كبر فى نفسى أبعدتنى ومدتنى بقوة وهمية اشعرتنى بأننى مالكة أمرى لجأت اليك فلا ملجأ منك الا اليك .. أترد أمة ضعيفه تطرق .. ومديرة حالى بالك وتبتغى رضاك .. أترد أمة تبكى وتنتحب أن تغفر لها وتتنزل رحماتك ولن تغلق فى وجهى بابك .. أستحق عذابك .. عليها .. ظنى بك أنك لن تردنى لكن رجائى فى رحمتك كبير .. أعلم أن لتوبتى شروط .. وستجدها تامه بلا لا ينقصها سوى أن تصدق ..نقصان .. فتوبتى نبعت من اعماق قلبى وروحى أستغفرك ربي .. عليها بعفوك !

****

فى الصباح خرجت "سمر" من غرفتها فقابلت "فريدة" وهى تنزل من الطابق الثالث للفيلا حيث غرفتها .. تمتمت "فريدة" :

- صباح الخير
- صباح النور
- فى جديد

تنهدت "سمر" قائله :

- كلمت "عدنان" من شويه .. قالى انه فى سوريا دلوقتى وأول ما يوصل للمعسكر بتاعهم ويشوف الجثة هيتصل بيا

لمعت العبرات فى عين "فريدة" وهى تقول :

- يارب .. يارب

لاحت ابتسامه صغيره على شفتي "سمر" وهى تقول :

- مماتس .. قلبى حاسس انه مماتش

قالت "فريدة" بلهفه وكأنها تتعلق بآخر أمل لها :

- يارب .. يارب يكون عايش

رن هاتف "سمر" فقالت بلهفة :
- "عدنان" .. ايه .. فى جديد ؟"
تطلعت "فريدة" الى "سمر" بلهفة وهى تضم يديها الى صدرها تراقب تعبيرات وجهها .. فجـأة رأت ابتسامة كبيرة على وجه "سمر" وهى تهتف بلهفة :
- بجد ؟ .. واثق يا "عدنان" ؟
هتفت "فريدة" :
- "سمر" قوليلى .. عمو قالك ايه ؟"
ضحكت "سمر" وهى تقول :
- طيب .. ماشى .. ربنا معاك
أنهت المكالمة وهى تقول لفريدة بحماس :
- مش هو
عانقتها "فريدة" بقوة وهى تهتف بأعين دامعة :
- الحمد لله .. اللحمد لله
نظرت اليها "سمر" بأعين دامعة وبسمة على شفتيها وهى تقول :
- قالى ان حصل انفجار وراأس الجثة مكنتش باينلها أى معالم .. بس شاف جسمه وحجمه ولون بشرته واتأكد انه مش "مهند"
هتفت "فريدة" بفرح :
- الحمد لله .. الحمد لله
عمت البهجة أرجاء البيت عندما علم الجميع بأن الجثة لم تكن لـ "مهند" ..
استمر "عدنان" فى المكوث فى سوريا ليبحث عن ابن اخيه .. حياً أو ميتاً ..
شعرت "سمر" بيقين أنه لايزال على قيد الحياة .. وكأن الحياة قد دبت فيها من جديد .. ليس لهذا الخبر فحسب .. بل لتلك المشاعر التى عادت للشعور بها مرة أخرى بعد هجر سنوات وسنوات .. عادت تحمل المصحف فى يدها تنهل من تلك الكلمات التى اشتاقت كثيراً اليها .. أصبح الدمع فى عينيها لا ينقطع .. تنظر حولها وكأنها ترى كل شئ بأعين جديدة وقلب جديد .. رق قلبها حتى أصبح كريشه رقيقه تطير داخل صدرها كلما فعلت طاعة .. واستشعرت عظمة خالقها
فوجئ الجميع بعودة "سمر" من الخارج فى أحد الأيام وهى محملة بحقائب كثيرة .. كانت نظراتهم اليها ما بين الدهشة و الاستنكار فمنذا الذى يجد في

نفسه البال الرائق للقيام بالتسوق فى مثل هذه الظروف ! . .لكن دهشتهم تضاعفت لمرآى "سمر" الجديدة .. التى زين رأسها حجـابهـا .. وزادتها زينة واحتشاماً ملابسها التى تخيرتها بعناية .. وضعت "فريدة" نصب عينها كمثال يُحتذى به .. وقلدتها حتى فى ألوان ملابسها الداكنة الغير ملفته .. لبم يصدق الجميع ما يرون .. لعلها هى الوحيدة التى لم تستعجب ذلك التغيير المفاجئ العودة .. ! لأنه كان بالنسبة اليها هو العودة الى طبيعتها .. الذى حدث لها الى الفتاة التى تركتها فى الاسكندرية منذ سنوات ورحلت متحولة الى تلك الانسانة التى كرهتها الآن ولا ترغب فى عودتها من جديد .. شعرت أخيراً بأنها لم يكن ..استعادت جزء كبير من نفسها .. وبأن روحها ردت اليها من جديد التغيري ثقيلاً على نفسها وهى تتقرب به الى الله عز وجل تثبت به صدق توبتها ورغبتها فى طى الماضى والقائه خلف ظهرها

اراد "علاء" الاستمرار فى تلك الخطة الخبيثة التى وضعتها "يسرية" و كوثر" للايقاع بـ "سمر" بين حبائله .. لكن "سمر" ردته صفر اليدين .. فإذا " ! سمر" القديمة تضايقت من تصرفاته فـ "سمر" الجديدة تقززت منها"كانت أيقن تماماً أنها خطة لقيت الفشل مثل سابقتها .. لم يجد أمامه سوى الخطة .. التى اتفق عليها معه صديقه لولا سفر "عدنان" وانشغاله بموضوع (أ) لكان وضعها فى حيز التنفيذ على الفور ""مهند

****

فى غياب "عدنان" كان المسؤل عن الشركة هو "حسنى" و "نهاد" .. أما فلم يتسلم سوى زمام الأمور التى اعتاد الاهتمام بها .. تزمر "علاء ""علاء من قلة الثقة التى يتعمل بها "عدنان" معه .. لكنه لم يفصح عن شعوره وأبقاه بداخله الى حين تنفسذ خطته الشيطانية التى ظل يحلم بنجاحها وتحقيق هدفه سمر" أيضاً لم تترك الشركة على الرغم من عملها البسيط .. لكنه " .. منها كان يشغلها عن الانتظار واحتساب الأيام .. رميت فى البداية بنظرات دهشة من الموظفين خاصة مع استمرارها فى أداء صلواتها فى أول وقتها فى المكان الذى خصصه "مهند" كمصلى للنساء العاملات بالشركة .. رُفع الأذان فغادرت

مكتبها متوجهه الى المصلى تقف مع النساء جنباً الى جنب لأداء الفريضه وتلبية النداء .. أنهت صلاتها وجلست فى مكانها وهى تخرج كتيب صغير من حقيبتها مكتوب فيه أذكار ما بعد الصلاة .. ظلت ترددها الى أن انتهت .. تقهقرت للخلف وأسندت ظهرها على الجدار لا تجد فى نفسها القدرة على العودة الى عملها .. لا قدرة .. ولا رغبة .. لمعت العبرات فى عيناها وقد عاودتها مخاوفها فى أن يكون "مهند" قد استشهد بالفعل .. فعلى الرغم من مرور اسبوع من البحث المضنى لم يجد له "عدنان" أثراً لا حياً ولا ميتاً ! ..

رأت احدى السيدات اللاتى يرتدين الزى الرسمى لعاملات النظافة تقترب منها وتقول :

- انتى كويسة يا بنتى ؟

نظرت اليها "سمر" وهى تمسح عبراتها قائله بخفوت :

- أيوة كويسة

نظرت اليها المرأة بإشفاق وقالت :

- مالك يا بنتى ايه اللى مضايقك .. بقالى اسبوع بشوفك وانتى بتصلى معانا وبعد ما بتخلصى بتاخدى ركن وتفضلى تعيطى

وكأن كلمات المرأة فجرت بداخلها رغبة قوية فى البكاء .. أجهشت فى البكاء وهى تحاول خفت صوتها .. غادرن جميع العاملات كل منهما الى مكتبها وبقيت "سمر" بمفردها مع تلك العاملة البسيطة التى افترشت الأرض بجوارها وهى تقول :

- ارمى حمولك على الله يا بنتى

أومأت "سمر" برأسها وهى تحاول التحكم فى دمعها .. قالت المرأة وهى تنظر اليها بإشفاق :

- انتى جديدة فى الشركة مش كده ؟ .. أصلى مشفتكيش هنا قبل كدة .. لو فى حد مضايقك قولى لصحاب الشركة دول ناس محترمين أوى

صمتت "سمر" دون ان توضح لها حقيقة نسبها الى أصحاب الشركة .. فوجدت المرأة وقد أجهشت فى البكاء فجأة .. التفتت "سمر" تنظر اليها بدهشة وقد اعتدلت فى جلستها وهى تقول :

- فى ايه ؟ .. بتعيطى ليه ؟

قالت المرأة بصوت باكى :

- فى واحد جدع ربنا يحميه .. من صحاب الشركة دى .. يا عيني سافر وأهله مش لاقينه ولا عارفين هو عايش ولا ميت
لمعت العبرات فى أعين "سمر" وهى تسألها :
- تقصدى "مهند" ؟
نظرت اليها المراة فى دهشة وهى تمسح عبراتها قائله :
- انتى تعرفى البشمهندس "مهند" ؟
تمتمت "سمر" بخفوت :
- أيوة أعرفه
قالت المرأة بتأثر :
- انا كمان أعرفه .. راجل بجد ربنا يحميه .. تعرفى انى أول ما شوفته شوفته فى الشارع كنت ببيع درة على الرصيف وهو جبنى وشغلنى هنا الهى يباركله ويرده لأهله بالسلامه
تمتمت "سمر" :
- يارب
قالت لها المرأة بتأثر وأعين دامعه :
- جابلها .. تعرفى انه ساعدنى فى جهاز بنتى .. الهى ربنا يستره دنيا وآخرة كل حاجة وخلانى رفعت راسى أدام أهل خطيبها بعد ما كانوا كلوا وشى وكانوا عايزين يفسخوا الخطوبة .. قالى ان جهازها كله عليه أنا فى الأول مصدقتش .. بس لقيته وعد ونفذ وجهزها لحد ما دخلت من اسبوعين
لاحت ابتسامه عذبة على شفتى "سمر" وهى تقول :
- هو دايماً كده .. بيحب يساحد غيره سواء معاه أو معهوش .. بيعمل اللى بيقدر عليه
نظرت المراة الى ذراع "سمر" قائله :
- مال دراعك يا بنتى كفا الله الشر
نظرت "سمر" بأسى الى ذراعها وهى تقول :
- معرفش ومحدش عارف .. مفيش دكتور عارف يعالجنى .. وآخر دكتورة روحتلها قالتلى معنديش اى حاجة عضوية .. قالتى ممكن تكون حاجة نفسية .. حتى موصفتليش علاج .. معرفش
ثم قالت بمرارة :

- خلاص أنا اتعودت عليه كده .. وعارفه انى هفضل على طول كده .. مش عايزه أروح لدكتور تانى ولا اعمل فحوصات تانى .. خلاص بأه .. تعبت .. وأصلاً مفيش فايده .. أمل على الفاضى .. وفى الآخر بيضيع وبتعب أكتر
أطلقت "سمر" تنهيدة عميقة أخرجت معها ناراً تعتمل بداخلها .. فقالت المرأة بحماس :
- طيب واللى يعالجك ؟
التفتت "سمر" تنظر اليها وقالت بحزم :
- أنا مش هروح لدكاتره تانى .. خلاص بجد .. مش عايزه
قالت المرأة بحماس :
- ومين قال بس دكاتره .. أنا اللى هعالجك
نظرت اليها "سمر" بدهشة .. فابتسمت المرأة وهى ترى سر دهشتها وقالت :
- يا بنتى انتى بتقولى جربتى دكاتره كتير ومحدش عرف يعالجك .. مش هتخسرى حاجة لو سمعتى كلامى .. وأنا بعون الله واثقة ان ربنا هيجعلنى سبب فى شفاكى
نظرت اليها "سمر" وهى متعجبه من ثقة المرأة بنفسها وهى تلقى على مسامعها تلك الكلمات ثم قالت بإستغراب :
- طيب هتعالجيني ازاى ؟
قالت وهى تربت على كفها :
- بكرة بعد صلاة الضهر هتعرفى ان شاء الله .. هستناكى هنا فى المصلى

*** **

دخل "دياب" البيت فسمع أصوات ضحك في الصاله واستطاع تمييز صوت "سحر" .. ألقي نظرة علي "سحر" لبريها بأنه عاد من صلاة الجمعة .. نظرت اليه "سحر" .. جارتهم وعادت الي الاندماج في الحدث مع جارتها .. دخل "دياب" غرفه النوم يبدل ملابسه وهو يشعر بالامتعاض لهذا الحديث الدائر بين المرأتين عن فلانه وعلانه .. اختنق من جلسة النميمة التي تشارك فيها زوجتها .. أرسل لها رساله عبر المحمول كتب فيها :
- مش كفايه بأه .. هفضل محبوس في الاوضة كدة كتير

وفي تبرم قالت "سحر" لجارتها :

- معلش يا حبيبتي "دياب" عايز يتغدي أحضرله الأكل وأجي نعد مع بعض شويه

قالت جارتها وهي تنصرف :

- ماشي مستنياكي .. ومتنسيش تقوليله علي الموضوع اللي اتكلمنا فيه .. دي فرصه مش هتتعوض

دخلت "سحر" الي المطبخ بينما حمل "دياب" الصغيرة ودخل خلفها قائلا :

- موضوع ايه اللي جارتك بتقول علبهويا "سحر" ؟

قالت "سحر" وهي مستمرة في عملها :

- جيبالي شغل

عقد جبينه قائلا :

- شغل ايه ان شاء الله ؟

تركت ما بيدها ونظرت اليه قائله بحماس :

- ممرضه عند ناس أغنية أوي .. عارف هيدوني كام في الشهر .. ألف ونص

هتف "دياب" بحدة :

- ممرضه عند ناس .. مش فاهم

اكملت "سحر" بنفس الحماس:

- دول ناس راجعين من دبي والست الكبيرة تعبانه وبتحتاج ادوية ياما ومرافق معاها ١٢ ساعه

هتف "دياب" بغضب :

- انتي بتستهبلي سا "سحر" .. ازاي يعني .. لا طبعا مش ممكن اوافق ان مراتي تشتغل في بيت غريب عند ناس معرفهمش ١٢ ساعه في اليوم .. وبعدين انتي ناسيه ان عندك بت صغيره

قالت سحر بحده:

- لا مش ناسيه .. ما انا هوديها عن أمي وأنا راحه الشغل ووأنا راجعه هبقي أخدها

قال دياب بحزم شديد :

- انسي الموشوع ده يا "سحر"

هتفت بغضب:

انسي ايه دول الف ونص .. فاهم يعني ايه الف ونص .. في حد تجيله النعمه - لحد عنده ويرفصها؟
قال "دياب" بصرامة:
تغور الفلوس أنا مشغلش مراتي عند ناس معرفهمش الله اعلم اخلاقهم - عامله ازاي
هتفت بتهكم :
وانت هتعرف ناس زي دول ازاي يا حبيبي .. دول ناس اغنية كبيرك - تشتغلهم حارس علي البوابة زي عيلة "زياكيل" اللي انت بتشتغل عندهم اللي بياكلوا من خيرات ربنا وفي اخر اليوم يرمولك انت وزمايلك بواقي اكلهم
تجمد "دياب" في مكانه وهو ينظر اليها فأكملت بحزم:
أنا مش هشيع من ايدي مبلغ زي ده .. نفسي بأه اعيش زي ما الناس عايشة -
قال "دياب" بألم وقلب مطعون:
هو انا حارمك من حاجه يا "سحر" .. انا لما بيتبقي فلوس بديهالك تجيبي - اللي نفسك فيه
هتفت بتهكم :
فلوس ايه يا أبو فلوس .. بقولك هيدوني الف ونص في الشهر .. نفسي بأ - اعيش زي نا باقي الستات عايشة .. نفسي ألبس حتت دهب في ايدي ده انا من يوم ما اتجوزنا وانا بعت الخاتم والدبله اليتيمة اللي جبتهالي ومن يوميها وايدي فاضيه بتكسف لما جاره ليا تبص علي ايدي وهي فاضيه كده .. وايدها ما شاء الله الدهب ماليها
قال "دياب" بأسي:
انا وعدتك اني هجبلك غيرهم لما الظروف تتحسن -
هتفت بغضب:
ولحد دلوقتي مشفتش منك حاجه ولا هشوف .. ليه بأه ارفض فرصه زي دي - هو انت غاوي فقر وخلاص يا "دياب"
اخذ نفسا عميقا ثم قال بحزم:
الشغل اللي بتقولي عليه ده مرفوض .. ومستحيل أوافق عليه ابدا .. ويكون - في علمك الست جارتك دي أنا مبرتحلهاش وواضح انها بتملى دماغك بكلام فاضي.. مش عايزك تتكلمي معاها كتير وتدخليها البيت

هتفت بسخريه:
وده اسمه ايه ان شاء الله مش كفايه ملطوعه لوحدي بين اربع حيطان طول -
اليوم كمان تقولي جارتك متعرفيهاش .. بطل خنقه بأه خنقتني
قال "دياب" بنبرة تهديد:
سحر" اسمعي الكلام اللي هقولهولك كويس لاني جبت أخري معاكي .. " -
قدامك شهر لو متظبطتيش متلوميش الا نفسك
هتفت بغضب:
يعني ايه ان شاء الله؟ -
هتف بغضب مماثل :
"يعني هتجوز يا "سحر -
اتسعت عيناها دهشه فأكمل بغضب:
هتجوز واحدة تريحني .. واحدة تسمع كلامي .. واحدة عارف حقوق جوزها -
عليها .. واحدة مش نكديه وبتحب المشاكل .. واحدة تراعي ربنا فيا زي ما
براعي ربنا فيها
وضعت يديها في خاصرتيها وهي تهتف بتهكم شديد: -
ودي مين دي اللي هترضي بيك يا حبيبتي تكونش فاكر نفسك حاجه .. فوق -
لنفسك ده أنا عايشة معاك وأنا حطه جزمة في بقي ومستحمله .. مين دي اللي
هتبص لواحد زيك وتقبل تعيش العيشة الهم اللي انا عايشاها
قال ببرود يخفي به كرامته الجريحه:
اذا كنتي شايفه ان عيشتك معايا هم فغيرك تتمناها -
اطلقت ضحكة ساخرة وهي تقول :
لا ده انت مصدق نفسك بجد .. قال غيرك يتمناها قال .. اللي خدته القرعة -
تاخده أم الشعور
لم تتحمل كرامته الاستماع الي المزيد من تهكماتها وسخريتها .. ترك طفلته علي الفراش وخرج من البيت لا يلوي علي شئ .. جلس علي احدي الدرجات والعبرات في عيناه يميحها بأصابعه قبل أن تسقط علي وجهه وتزيد من جرح كرامته .. شعر بقلبه يكاد يتمزق ألما وبحمم تشتعل في صدره أوشكت علي خنقه بلهيبها

****

دخل "نـهاد" الي بيته فتنامي الي مسامعه صوت "انجي" برفقة "بيسان" ..
:كاد أن يغادر البيت مرة اخري لولا ان رأته "بيسان" وهتفت
نـهاد" حمدالله علي السلام يا حبيبي" -
:في تبرم أغلق "نـهاد" باب البيت وتوجه الي "بيسان" مقبلا اياها وهو يقول
ازيك يا حبيبتي -
:ابتسمت قائلـه وهي تعانقه بعيناها
الحمد لله يا حبيبي كنت فاكراك هتبات النـهارده كمان -
: "قال وهو يتحاشي النظر الي "انجي
خلصت بدري فرجعت وكمان عشان مسبش الشركة لوحدها .. بعد غياب -
عمي و "مهند" الحمل زاد عليا
:امسكت بكفه قائلـه
طيب يا حبيبي ادخل خد شاور وغير هدومك علي ما اقولهم يحضروا الاكل-
:نـهضت "انجي" وقالت بلؤم
طيب همشي انا بأه مبحبش ابقي عزول -
:التفتت اليها "بيسان" قائلـه بعتاب
اخس عليكي ليه بتقولي كدة .. انتي واحدة مننا .. خليكي اتغدي معانا -
: "كاد "نـهاد" أن ينصرف لولا أن صاحت "انجي
نـهاد" عايزاك لو سمحت .. انت ناسي ان بينا شغل ولا ايه" -
بنفردهما "تسمر في مكانه وهو لايزال يتحاشي النظر اليها .. تركتهما "بيسان
انجي" "ودخلت الي الخادمة في المطبخ تشرف علي تجهيز الطعام .. اقتربت
:من "نـهاد" فرجع الي الخلف .. نظرت اليه بعتاب قائلـه
معدتش بشوفك ليه .. حتي الفلوس بتحولـها علي حسابي في البنك وبتعاملني -
زي الغريب
:قال "نـهاد" بحده وهو ينظر حولـه في توتر مخافة ان تسمع "بيسان" حديثهما
انجي" ابعدي عني .. كفايه بأه" -
:قالت بدلال
كفايه ايه يا "نـهاد" .. انا بحبك وانت عارف كدة -

ثم قالت بلؤم:
وانت كمان بتحبني انا واثقه من كدة -
هتف بحنق شديد بصوت خافت:
لا مبحبكيش ولا عمري حبيتك .. اللي حصل بينا كان غلطه .. غلطة فظيعة -
مش اكتر من كده .. ملوش أي معني بالنسبه لي ولا هيكونله أي معني
ثم نظر اليها باحتقار وقال:
ازاي بيجيلك الجرأة تبصي في عين صحبتك بعد ما خنتيها بالشكل ده -
قالت بتهكم وبنظرة تحدي:
بالظبط زي ما انت بيجيلك الجرأه انك تبص في عنيها بعد ما خنتها -
امتقع وجه "نهاد" بشده حتي كان ان يبكي ثم قال بصوت مختنق:
ابعدي عني وعن "بيسان" -
قالت وهي ترفع حاجبيها بتحدي:
مش هبعد عنك يا "نهاد" .. انا مش واحدة من الشلرع عشان تقرب مني -
وقت ما انت عايز وتبعد وقت ما انت عايز
تركها "نهاد" ودخل غرفة النوم .. جلس علي الفراش واضعا وجهه بين كفيه
انتفض فجأه بعدما شعر بيد تمسح علي شعره .. ابتسمت "بيسان" وقالت ..
بحنان:
شكلك مرهق اوي - .
أوما براسه وهو ينهض قائلا بصوت مختنق:
شويه -
لفت "بيسان" ذراعيها حول عنقه وهي تضمه اليها قائله بإشتياق:
وحشتني أوي -
اغمض "نهاد" عينيه بألم وهو يحيطها بذراعيه وامارات الأسي علي وجهه

يعني ايه الخطه باظت ؟ -

هتفت "يسريه" بهذه العبارة فقال "علاء " بتبرم:
- معرفش ايه اللي شقلب كيانها فجأه كدة .. دي حتي معدتش بتسلم عليا بايدها .. هو في حد بيتغير ١٨٠ درجه فجأة كدة
قالت "كوثر" باستغراب:
- انا كمان مستغرباها جدا التغيير بيكون تدريجي لكن دي اتغيرت فجأة .. نامت وصحت وبقت واحدة تانيه .. بأت نسخه من "فريدة" و "مهند"
عقدت "يسريه" جبينها بشدة وهي شارده ثم هتفت:
- "كوثر" .. خدتي بالك من اللي حصل ل "سمر" لما عرفت بخبر استشهاد "مهند"
هتفت "كوثر" :
- بنت حلال كنت لسه هتكلم في النقطة دي .. ده اذا كان اخته بنت امه وابوه ما اغماش عليها كده .. لكن دي بمجرد ما سمعت الخبر وقعت من طولها
قالت "يسريه" باستغراب:
- ازاي يعني .. بس دول محرمين علي بعض
قال "علاء" بسخريه:
- قولنا كده من الاول محدش صدقني
اتسعت عينا "كوثر" وهي تقول:
- ازاي يعني .. لا طبعا مستحيل .. تقصد ان في علاقه بين "سمر" و"مهند"
قال "علاء" بثقه:
- ايوة طبعا .. أمال اللي جرالها ده من ايه .. اكيد متحملتش تسمع خبر وفاة حبيب القلب
قالت "يسريه" شارده:
- طيب ازاي .. هي ماشي واتوقع منها كده .. اللي تقدر تلف علي راجل زي "عدنان" تقدر تلف علي غيره بس الغريب هو "مهند" ازاي يسمح بكده .. ده مبيسلمش عليا بايده يقوم يخون عمه ومع واحدة متحللوش كمان
قال "علاء" بغيظ:
- محسسني ان "مهند" ده ملاك .. ما هو راجل زي باقي الرجاله .. وارد انه يغلط ويخون كمان

****

: جلست "سمر" في المسجد بجوار المراة الطيبة التي قالت لها
اكشفيلي دراعك يا بنتي -
:نظرت "سمر" بشك الي الادوات الموضوعه في حقيبه المرأه وهي تقول
ايه ده؟ -
:قالت المراه بثقه
بصي بأه صلي علي سيدك النبى -
عليه الصلام والسلام -
دي حاجه اسمها حجامه بتنقي الجسم من الدم الفاسد اللي بيأذيه وبيسبب -
أمراض كتير .. الحجامه دي سيدك النبى وصي بيها
ثم اخرجت ورقه كبيرة من حقيبتها مرسوم عليها هبكل لانسان وأسهم عديدز
:منطقه من كل مكان في جسده وقالت
دي خريطة لجسم الانسان .. وكل مكان بتعملي فيه الحجامه بيعالج مرض -
.. يعني علي حسب المرض بنختار المكان اللي هنعمل فيه الحجامه ..شكل
والحجامه نوعين ناشف ودي من غير تشريط ومن غير دم .. والنوع التاني
بالتشريط وده اللي هعملهولك
:اخرجت المرأه موس نظيف فقالت "سمر " بخوف
هيوجعني؟ -
:ضحكت المرأه وقالت
متخفيش ايدي خفيفه مش هتحسي بحاجه -
ساعدت المرأه "سمر" علي كشف ذراعها وسمت بالله ثم بدأت في التشريط و
شفط الدم الفاسد بالكاسات المخصصة للحجامة .. نظرت "سمر" بدهشة الي
:اللون الاسود للدماء وهي تقول
ليه الدم لونه كده؟ -
:قالت المرأه بخبره
كل ما كان الدم فاسد كل ما لونه اغمق -
ظلت المراة تشفط الدم بالكاسات الي ان انتهت .. ثم قالت بحماس وهي تخرج

علبه صغيره من حقيبتها :

- بصي بأه يا ست البنات ده عسل جبلي .. طبعا عارفه ان العسل شفاء ان شاء الله .. هتاخدي منه معلقة علي الريق كل يوم الصبح .. انا قرأتلك عليه ودلوقتي بأه اديني دراعك هدلكهولك بزيت زتون وأنا برقيك

ثم ابتسمت قائله:

- الله يرحمها حماتي جالها مرض رقدها في السرير وما فاقتش الا لما واظبت علي رقيتها كل يوم .. مع العلاج اللي كان بيوصفهولها الدكتور .. ربنا يرحمها

نظرت "سمر" الي المرأه التي أخذت بضمير تمسد لها ذراعها وتمتم بآيات وأدعية الرقية الشرعية .. شعرت "سمر" بالراحة تسري بداخلها حتي وان لم تشعر بتحسن في ذراعها .. انتهت المرأه ثم قالت:

- بصي بأه يا بنتي .. عشان اللي بعمله يجيب نتيجه لازم روشته علاج تمشي عليها .. زي ما بتروحي لدكتور ويديكي روشته أد كدة عشان تخفي

قالت "سمر" بحماس:

- طيب قوليلي الادوية اللي اخدها وانا اشتريها

ابتسمت المرأه وقالت:

- لا الأدوية اللي هقولها مش بتشتريها

رفعت "سمر" حاجبيها باستغراب فاكملت المرأه بحزم:

- الروشته هي انك تصلي كل صلاة في معادها خاصة الفجر لانك لو مصليتيهوش في وقته الشيطان بيعقد عليكي ٣ عقد كل يوم .. اذكار الصبح والمساء والنوم متفوتيش يوم من غير ما تقوليها .. ولازم ولابد تتصدقي بنية ان ربنا يشفيكي. وكمان .. سيدك النبي قال :"داووا مرضاكم بالصدقة" متنسيش الاستغفار كل يوم 1000 مرو علي اد ما ربنا ٥٠٠٠ ولا ٢٠٠٠ ولا .. يقدرك وكل يوم هتجيلي هنا المسجد هرقيكي وكل فترة هعملك حجامه وانا واثقه ان ربنا هيشفيكي من اللي صابك واللي محدش عارف يعالجك منه

ابتسمت "سمر" وهي تومئ برأسها وقد شعرت براحة تتسرب اليها وثقه في كلام المرأة البسيطة والتي ما هي الا عاملة نظافه لكن الثقه واليقين الذي كانت تتحدث بهما كان كفيلا بأن يبث الأمل و الثقة في نفس "سمر" وتوقن هي الاخري بأنه طريق الشفاء .. قالت المرأه بفضول:

- متأخذنيش يا بنتي في السؤال .. بس كنت عايزة اعرف انتي تعرفي

البشمهتدس "مهند" منين؟ .. أصلك يغنى المرة اللي فاتت كنتي بتقولي
حاف كده من غير بشمهندس ""مهند
:اختفت ابتسامة "سمر" وأطرقت برأسها للحظات ثم نظرت الي للمرأه وقالت
السمك لو خرجتيه من البحر يحصله ايه ؟ -
:نظرت اليها المرأه بدهشه وقالت
يموت طبعا -
: قالت سمر
لا .. ممكن تحطيه في حوض سمك وتمليه مايه ويعيش .. مش كده؟ -
:قالت المرأة
ايوة صح -
: لمعت العبرات في عيني "سمر" وقالت بصوت مرتجف
أنا بأه لو بعدت عن مهند أموت .. أموت بجد -
نظرت المرأة في مزيج من الفضول والدهشة الى ملامح "سمر" التى تنطق
:ألما والي عبراتها التي ملأت عيناها ثم قالت بصدق
ربنا يجمعكوا ببعض يا بنتي ولا يحرمكوا من بعض ابدا -
:قالت "سمر" بلهفه وهي تضع يدها فوق يد المرأة
ايوة عشان خاطري ادعيلي الدعوة دي .. ادعيها علي طول -
:قالت المرأة بإشفاق
حاضر يا بنتي هدعيلك .. وهدعيله ان ربنا يرجعه بالسلامة -
:قالت "سمر" وهي تتنهد بقوة
يارب .. يارب يرجع بالسلامة -

****

توجهت "فريدة" الي "سمر" التي اتخذت زاويه في الحديقه وجلست فيها
:بمفردها شارده .. التفتت اليها "سمر" عندما اقتربت منها وقالت باهتمام
في جديد؟ -
:هزت "فريدة" رأسها نفيا وهي تجلس بجوارها قائله

- لسه مكلمه عمو "عدنان" قالي مفيش جديد
ثم تنهدت قائله:
- بس وعدني انه مش هيرجع الا و "مهند " في ايده
أومات "سمر" برأسها وعادت تنظر أمامها وتشرد من جديد .. تنهدت "فريده" قائله:
- مكنتش متصوره اني هتحرم منه تاني
التفتت اليها "سمر" فأكملت "فريده" وهي تنظر اليها:
- أصل ماما وبابا مطلقين من زمان .. وبعد ما اطلقوا اتفقوا ان ماما تاخد " مهند " وبابا ياخدني .. وانا عشت مع بابا في السعوديه .. و "مهند" فضل عايش مع ماما هنا في مصر .. للاسف مكناش بننزل مصر الا كل كام سنه مره ولما بابا اتوفي رجعت مصر ومن يومها ما افترقتش عن "مهند" ابدا ..
ثم لمعت عيناها بالعبرات وهي تقول:
- نفسي يرجع .. وحشني اوي
اطلقت "سمر" تنهيدة حارة .. فالتفتت "فريده" تنظر اليها وفي داخلها علامات استفهام كبيرة ودت لو القتها علي مسامعها لتجد لها اجابات شافيه .. تطلعت بتمعن الي "سمر" الشارده .. شردت هي الاخري وهي تشعر في داخلها بشعور ازعجها وافكار نبذتها فطرتها السليمة .. استعاذت بالله من الشيطان الذي يوسوس في صدرها ويبث فيها افكاره وسمومه .. وهي تقول :
- مهند" صعبان عليا .. قاسى في حياته كتير"
التفتت "سمر" تنظر اليها فاكملت "فريده" وهي لا تزال شارده سابحة في ذكرياتها :
- عاش مع ماما في مستوي صعب في الوقت اللي كنت انا عايشه مع بابا عيشه مرتاحه .. كان نفسي اوي نرجع نتجمع كلنا في بيت واحد زي ما كنا واحنا صغيرين .. بس للاسف مشاكل ماما و بابا كانت اكبر من انهم يحلوها او ينسوها عشانا
اطلقت تنهيده عنيقه وهي تقول:
- ومهند" قاسى كتير في حياته عشان يقدر يفتح بيت ويتجوز وكان بيرفض أي مساعده مني رغم انها كانت مساعدات عبيطة .. وللاسف بابا محاولش ابدا انه يساعده في جوازه اللي اتاخر كتير بسبب ظروفه

تساقطت العبرات بغزاره من عين "سمر " ووجهها يقطر ألما .. كانت "فريده" تنظر امامها فلم تنتبه لوجهها الباكي واكملت:

- بعد ما مراته ماتت في الحادثه اتالم اوي .. خاصة انه كان حاسس بالذنب مع انها مش غلطته

قالت "سمر" بشفتين مرتجفتين ونبرة حزينه:

- تفتكري لسه بيحبها؟

التفتت "فريده" بعدما التقطت اذنيها نبرة الحزن في صوت "سمر" .. نظرت اليها بفضول وهي مندهشة من تلك الدموع التي تتساقط من عينيها واحدة تلو الاخري وقالت :

- ايوة اعتقد انه لسه بيحبها بدليل انه مش راضي ابدا يتجوز تاني

اشاحت "سمر" بوجهها وهي تمسح عبراتها بكفها قائله :

- يمكن نساها .. ايه ضمنك انه لسه بيحبها

قالت "فريده" وهي لا تزال تراقب تعبيرات وجهها بتمعن:

- لا انا واثقه انه لسه بيحبها .. كانوا مبسوطين مع بعض ومرتاحين مع بعض .. صحيح انا معشتش معاهم الا كام شهر وبعدها حصلت الحادثه بس في الكام شهر دول حسيت ان مفيش اي مشاكل بينهم .. يمكن "مهند" مبيعبرش عن مشاعره بالكلام ومتقدريش تعرفي اللي جواه بس "نهلة" كانت بتموت فيه كانت بتحبه بجنون .. وانا واثقه انه هو كمان كان بيحبها ولايزال

اطرقت "سمر" برأسها وهي تغمض عيناها بألم ثم تفتحهما لتتساقط منهما العبرات غزيرة تحرق وجهها وهي تقول بصوت مرتجف :

- مش مهم أي حاجه .. المهم يرجع بالسلامة .. أي حاجه تانيه مش مهمة

شعرت "سمر" بغصه في حلقها بينما نظرت اليها "فريدة" قائله بدهشة:

- انتي بتعيطي بيه يا "سمر"

مسحت "سمر" وجهها المبلل وهي تنظر اليها قائله بابتسامه باهته:

- اصلي اتاثرت بقصة حبهم .. يعني صعب انك تلاقي دلوقتي اتنين بيحبوا بعض كدة

نهضت "سمر" وتوجهت الي الفيلا بينما تتابعها "فريدة" باهتمام .. وهي لا تصدق التبرير الذي سمعته !

****

تفاجأ الجميع بمكالمة "عدنان" التي أكد فيها عثوره علي "مهند" في منزل أحد السوريين بعدما لحقت به اصابة ادخلته غيبوبة لايام .. تكفل السوري بعلاجه وبمجرد ان استعاد "مهند" وعيه أخبره عن المعسكر الذي ينتمي اليه وطلب منه الاتصال ب "عدنان" ليطمئنهم عليه .. سجدت "فريدة" شكرا وحمدت سمر الله عز وجل وقد غشيت عيناهما بعبرات الفرح لعثورهم اخيرا اخبرهم "عدنان" بانه متوجه الي منزل السوري لملاقاة .. "علي "مهند "مهند""

بكت "فريدة" وهي تستمع الي صوت اخيها عبر الهاتف بدا متعبا منهكا .. هتفت باكيه:

- مهند" انت كويس طمني علي"

نظر اليها الجميع بتأثر وهي تتحدث اليه بينما لم تستطيع "سمر" التحكم في عبراتها المتساقطة .. هتفت "سمر" بلهفة:

- شغلي الاسبيكر يا "فريدة"

فعلت "فريدة" فخفق قلب "سمر" بقوة وهي تستمع الي صوت "مهند" الذي كان واضحا عليه اثار التعب والاجهاد وهو يقول:

- انا كويس الحمد لله متقلقيش

انتفض جسد "سمر" بالبكاء وهي تضع كفها فوق فمها تحاول السيطرة علي مشاعرها المتأججه في حين تتابعها نظرات "كوثر" و"يسريه" باهتمام شديد هتفت "انعام" بأعين دامعه:

- مهند" حبيبي هترجع امتي .. قلقتنا عليك اوي"

تمتم "مهند" بصوت مجهد:

- شويه كدة يا عمتو لما اقدر اتحرك هاجي ان شاء الله

قالت "نهال" بقلق:

- مهند" مالك .. فيك ايه؟"

قال "مهند" بهدوء:

مفيش اصابة بسيطة متقلقوش -
سالته "فريدة" بقلق:
يعني انت كويس؟ -
اجاب بنفس الهدوء:
الحمد لله .. كويس اوي .. خلي بالك من نفسك يا "فريدة" .. وقريب اوي - هكون عندكوا ان شاء الله
عم الارتياح قلوب الجميع بعد انتهاء المكالمة بينما هتفت "نهال":
انا حسه ان "مهند" مخبي حاجه علينا .. وكمان عمو "عدنان" كان صوته - غريب اكنه بيعيط
قالت "انعام" بحزم:
لا بيتهيالك يا "نهال" .. هو بخير وكلنا سمعنا صوته واطمنا عليه وان شاء - الله قريب هيكونوا هنا بلاش نقلق نفسنا .. ان شاء الله "مهند" هيقوم بالسلامة ويرجع وسطينا
قالت تلك الكلمات لتخفي شعورا بالقلق لازمها وهي تستمع الي صوت "عدنان" المضطرب عير الهاتف !

****

بعد ما يقرب من اسبوعين تابع خلالها "عدنان" ادارة شركته عبر الهاتف لرفضه العودة دون "مهند" .. اتصل لينبأهم أخيرا بعودته هو و "مهند" في مساء اليوم التالي .. لكنه اتصل في الصباح ليخبرهم بتأخرهم يومين لعدم وجود أماكن شاغره علي الطائرة التي ستغادر تركيا الي مصر في ذلك اليوم .. وعلي الرغم من علم الجميع بتأخر وصولهما الا أن "سمر" جفاها النوم ونزلت الي غرفة المعيشة مرتدية حجابها بعدما قرر "علاء" المبيت في الفيلا .. وقفت في شرفة غرفة المعيشة تنظر الي الطريق وهي تعلم علم اليقين أنهم لن يأتوا اليوم بسبب الزحام علي خطوط الطيران لكن بقي لديها أملا أن يتمكنوا من القدوم .. أمسكت هاتفها واتصلت ب "عدنان" بلهفة قائله :
ايوة يا "عدنان" .. لسه برده مش لاقيين أماكن فاضيه ؟ -
اتسعت ابتسامتها وهي تهتف :
بجد .. يعني ايه .. وصلتوا مصر ؟ -

: كادت أن تقفز في الهواء وهي تحتضن هاتفها وتدور في الغرفه قائله
طيب منتظراكوا .. تيجوا بالسلامة .. منتظراكوا -
انتهت المكالمة وعادت الي الشرفة وابتسامة واسعة تزين محياها وهي تضع كفها فوق صدرها .. بينما كفها الآخر ترفعه ببطء شديد لتتمسك بسور الشرفه لم تكن سعادتها ببداية شفاء ذراعها بأكبر من سعادتها لرؤية "مهند" مرة .. أخري .. نظرت الي ذراعها وهي تتحسسه مبتسمة داعية بالخير الي المرأة الطيبة التي يسرت لها سبل الشفاء من شللها الذي لم يكن لسبب عضوي بل كان لأسباب نفسيه تتعلق بتعرضها لصدمات متتاليه .. وفاة والدها وخيارتها للشركة ولكل ما تملك واخيرا قرار باهر بالانفصال .. تذكرت ذلك اليوم الذي وقفت معه أمام النادي ليخبرها بقراره في فسخ الخطبه .. تذكرت شعورها .. بالدوار وبالالم يغزو ذراعها وبزغللة عينها وبشعورها بالقئ في السيارة والتي اكدت لها آخر طبيبة فحصتها بأن كل تلك العوامل هي التي أدت الي اصابتها بالشلل دون أن يكون هناك سبب عضوي لذلك .. وهذا ما حير الأطباء خاصة بعد شفاء كدمة رأسها والتي ظنوا بأنها السبب في اصابة ذراعها بالشلل نظرات الي السماء بتأثر وهي تحمد الله عز وجل ان رزقها بتلك المرأة التي .. عاونتها وبثت فيها الأمل في الشفاء بيقينها وصبرها واخلاصها .. دون أي مقابل مادي

مرت اكثر من ساعتين وهي لا تزال تنتظر في الشرفه بعدما فشلت في الاتصال عدنان" بسبب نفاذ بطارية هاتفه من الشحن .. خفق قلبها كالطبل داخل "ب صدرها وهي تتطلع الي أضواء مصابيح السيارة القادمة من بعيد تشق طريقها في الشارع الخالي من المارة في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل .. رأت لم .. "سيارة أجرة تقف أمام بوابة الفيلا .. وانفتح الباب ليهبط .. "عدنان تنتظر أكثر اندفعت للخارج تفتح باب الفيلا وهي تهرول نزولا فوق الدرجات وبرفقته "وتقطع الممر الطويل الي البوابة التي فتحها الحارس ليدخل "عدنان توقفت فجأة وغارت الدماء في وجهها وارتجف جسدها وقلبها .. .. ""مهند غزت العبرات عيناها وقد توقفت عن التنفس وهي تتطلع بحيرة ودهشة وألم تقدم منها "عدنان" الذي أمسك "مهند" من ذراعه ليقطع .. "الي "مهند المسافة الفاصلة بينهما ببطء ويقفا أمام "سمر"زهما ينظران الى ملابسها وحجابها فى دهشة .. بينما "سمر" هطلت الدموع من عيناها بغزارة وهي

تنظر بألم وحسرة الي الفراغ الذي حل مكان ذراع "مهند" الأيسر !

الفصل الثانى والعشرون

قال "عدنان" بدهشة:
" -سمر" .. انتي اتحجبتي؟
لم ترد "سمر" .. بل لم تسمعه .. كانت عيونها الممتلئة بالعبرات تتطلع الي "مهند" والي فراغ ذراعه وجسدها يرتحف بالبكاء .. خرجت "فريدة" من الفيلا وهي تهرول تجاههم بعدما رأتهم من شرفة غرفتها .. هتفت بلهفة:
" -مهند"
لكنها تسمرت في مكانها وهي تنظر اليه وقد اتسعت عيناها وهي تصيح:
" -مهند" .. "مهند" .. ايه اللي حصل
اجهشت في البكاء وهي تهتف:
-حسبي الله ونعم الوكيل فيهم .. ربنا ينتقم منهم .. انت ذنبك ايه يجرالك كدة...
احاطها "مهند" بذراعه وقد انفجرت في بكاء مرير .. ربت علي ظهرها قائلا:
-قولي الحمد لله
تعالي صوتها بالبكاء فأبعدها عنه وقال:
-قولي يا "فريدة" .. قولي الحمد لله
قالت وسط بكائها:
-الحمد لله
ربت علي كتفها قائلا بهدوء:
-انا كويس الحمد لله .. احسن من غيري كتير .. الحمد لله
تطلعت اليه "سمر" بألم مغلف بالاعجاب .. كيف يمكنه ان يكون قويا هكذا .. يواسي فريدة بدلا من ان تواسيه هي .. شعرت بانه قوي .. قوي للغايه .. لا شئ يقدر علي هزيمته .. او اضعاف ايمانه .. علي الرغم منها امتلأت عيناها بالاعجاب ممزوج بلهفة اللقاء وشوق ايام مضت دون لقاء .. رأي "مهند" في عينيها تلك النظرات .. فاشاح بوجهه عنها علي الفور .. بعدما فهم تلك النظرات جيدا

تحولت اجواء البيت من فرحة برجوعه الي حزن وألم لما اصابه خاصة "انعام " التي تأثرت بشدة ..وفي الوقت الذي كان يستعد كل منهم لتقديم عبارات المواساة ادهشهم "مهند" بصبره واحتسابه ..كأن شيئا لم يكن .. وعلي الرغم من كل شئ امتلات أنفس الجميع بالاعجاب بقوته وصلابته .. حتي أولئك الذين يضمرون الشر في نفوسهم .. لم يملكوا سوي الاقرار بأنه رجل غير عادي .. رجل قلما يأتي الزمان بمثله .. جلست "سمر" أمامه علي طاولة العشاء وهي ترمقه بنظراتها بين الحين والاخر شعر بتلك العينان وهما تتطلعان اليه فتعمد الا يرفع رأسه وينظر اليها .. شعر في تلك اللحظة بأن النظر اليها محرم .. رغم انها من محارمه .. الا انه شعر بشئ غريب ضايقه .. تذكر حلمه في سوريا فازدادت تعبيرات وجهه ضيقا .. و غضبا .. استأذن ونهض مغادرا الغرفه علي الفور .. وكأنه يفر من الجحيم

****

-انا عايز اطلب من حضرتك ايد الانسه "دعاء"

نظرت اليه "دعاء" في دهشة شديدة وهو يلقي تلك الكلمات علي مسامع خالها ..عندما اتصل بخالها وطلب مقابلته في حضورها ظنت بأنه يريدها لأحد أصدقاؤه او لأحد أقاربه خاصه وأنها رأت في يده دبلة الزواج .. لم تتوقع وهي تتوجه الي بيت خالها اليوم أنها ستسمع منه رغبته في الزواج منها .. حانت من خالها التفاته الي يده وقال بإستغراب:

-هو انت متجوز

نظر "دياب" بإرتباك الي دبلته ثم قال:

-أيوه متجوز .. وعندي بنت عندها شهور

عقدت "دعاء" جبينها وهي تستمع اليه .. نهض خالها وقال:

-طيب .. هسيبكوا تتكلموا مع بعض

ودت "دعاء" لو قالت لخالها لا تتركنا بمفردنا فليس هناك ما نتحدث عنه .. متزوج ولديه طفله ! .. سمعت وهي تطرق برأسها أرضا "دياب" وهو يتنحنح قائلا:

-طبعا انتي عارفه اني بشتغل حارس عند "عدنان زياكيل" .. أنا مرتبي ....وحاليا بدور على شغل تاني بجانب شغلي ده .. طبعا انا مش في امكاني اني اعمل فرح او اني أجيب شبكة

ثم قال بتوتر بالغ وهو مطرقا برأسه:
-أنا كل اللي هقدر أوعدك بيه هو اني هجيبلك شقه لوحدك يعني مش هعيشك مع مراتي .. والحاجة التانية اللي أوعدك بيها هي اني أراعي ربنا فيكي
ساد الصمت بعد كلماته .. الي أن قطعته "دعاء" قائله بخفوت:
-ممكن أعرف ليه حضرتك عايز تتجوز تاني
تنهد "دياب" و أطرق صامتا .. ثم نظر اليها قائلا"
-أنا كنت عارف طبعا انك هتسألي السؤال ده .. وحقك تعرفي .. بس أنا مش هقدر أعيب في واحدة علي ذمتي وكلت معاها عيش وملح مهما كنت مضايق منها .. كل اللي أقدر أقوله اني مش لاقي راحتي معاها .. ومستحيل أطلقها لان بينا بنت .. يمكن لو مكنش ليا منها بنت كنت فكرت في موضوع الطلاق .. بس دلوقتي مش ممكن .. لاني مش عايز بنتي تتربي بعيد عني أو بعيد عن أمها
كانت "دعاء" تستمع اليه بإهتمام .. أعجبها كونه يحفظ سر زوجته ولا يرغب في أن يفشي أسرارهما الزوجية أمام أحد .. لكنها قالت بإستغراب:
-طيب ليه اخترتني أنا بالذات .. مع ان حضرتك أكيد عارف اني آنسه .. ليه مدورتش علي واحده أرمله أو مطلقه
قال "دياب" علي الفور:
-لاني مكنتش بدور اصلا .. بس ربنا حطك في طريقي
ثم توتر وهو يقول:
-من أول يوم شوفتك فيه في الفيلا وأنا حاسس بحاجه نحيتك .. رغم اني بغض بصري .. وبحاول اني معملش حاجه تغضب ربنا .. بس غصب عني ارتحتلك .. وحسيت بإنجذاب نحيتك
ثم قال بحزن:
-أنا مش راجل حابب التعدد .. بس الظروف اضطرتني لكده .. مراتي اتكلمت معاها بدل المرة ألف .. وبرده مش مرتاح معاها ومعندهاش استعداد تغير من نفسها .. وأنا مش عايز الا الحلال .. لاني الحمد لله مليش قي سكة الحرام
استمعت "دعاء" اليه ثم شردت في كلامه .. نظر اليها وهو يقول بخفوت:
-أنا عارف ان ظروفي صعبة .. وانك بنت متجوزتيش قبل كدة .. وانك المفروض انك ترفضيني وتستني فرصه احسن مني .. بس أنا صليت استخارة قبل ما أجيلك .. ودلوقتي وأنا آعد معاكي حاسس اني مرتاح جدا
شعرت "دعاء" بالخجل لكلماته التي يلقيها رجل لأول مرة علي مسامعها .. قال "دياب" مبتسما:
-تعرفي اني حاسس انك هتوافقي
رفعت رأسها تنظر اليه في دهشه .. فأكمل وابتسامة واسعة تزين وجهه:

-آه والله حاسس بكده .. معرفش ليه ولا ازاي .. بس هو ده اللي أنا حاسس بيه .. حاسس ان رغم ظروفي المهببة دي كلها انك هتوافقي عليا .. وهتكوني من نصيبي
انتهت المقابلة علي مهلة محددة لرد الطرفين .. لكن قبل أن ينصرف "دياب" نظر اليها مبتسما بخجل وهو يقول:
-أنا موافق علي فكرة .. أنا قولت أقولك عشان يعني تبقي مطمنة انك عجبتيني
أطرقت "دعاء" برأسها وهي تشعر بسخونة في وجنتيها .. تأملها "دياب " للحظة في اعجاب .. قبل أن يستأذن للإنصراف .. تركت "دعاء" بيت خالها وتوجهت الي بيتها وقد علي وجهها الشرود .. وأخذت تتذكر كل المرات التي رأته فيها منذ أن وافق "مهند" على عملها في الفيلا

****

-ايه سبب التغيير المفاجئ اللي حصل ل "سمر" ؟
ألقى "مهند" هذه العباره على مسامع "فريدة" فردت قائله بحماس:
-والله ما أعرف يا "مهند" .. فجأه لقيناها نزلت اشترت هدوم و طرح ولبستهم .. تعرف انها مبقتش تسلم علي "علاء" و "نهاد" بإيديها ولا حتى تبين شعرها أدامهم
رفع "مهند" حاجبيه في دهشة فأكملت "فريدة" قائله:
-تعرف كمان اني بقيت أشوفها بتصلي .. وبتقرأ قرآن .. في الفترة اللي انت كنت غايب فيها كنت لما أصحى الفجر ألاقي الشغاله خارجه من أوضتها .. ولما سألتها في مرة قالتلي انها بتوضيها
بدا عليه الشرود قبل أن ينظر اليها بإهتمان قائلا:
-ازاي ايديها رجعت تتحرك .. راحت لدكتور جديد؟
قالت "فريده" بحيرة:
-أهي دي كمان حاجه غريبه .. لا راحت لدكتور ولا حاجه ولما سألناها قالت ان في واحدة في الشركة اللي اللي بتعالجها كل يوم .. بتعملها حجامه وترقيها
قال "مهند" بدهشه:
-هي مين دي ؟ .. واثقه انها عندنا في الشركة ؟
قالت "فريدة" بثقه:
-أيوة واثقه .. "سمر" قالتلنا كده .. وقالت كمان انها كانت بتشتغل في شوي الدرة .. وانت جبتها تشتغل في الشركة
ضاقت عينا "مهند" وهو يتذكر تلك المرأة التي ساعدها ووفر لها عملا في

الشركة .. والتي وعدته أن ترد له الجميل يوما .. تري أفعلت هذا من باب رد الجميل ؟ .. أتعلم أن "سمر" زوجة عمه ؟ ألهذا ساعدتها ؟ .. ما أشعره حقا بالدهشة هو تواصل "سمر" مع امرأة بسيطة كتلك .. تنهد وهو يشعر بأن "سمر "وتصرفاتها دائما ما تصيبه بالحيرة!

****

هتف "نهاد" بحنق عبر الهاتف:
-مش جايلك يا "انجى" افهمي بأه
أتاه صوتها البارد وهي تقول:
-قولتلك أنا مش واحدة من الشارع تعرفني وتسيبني وقت ما تحب
هتف بغضب بالغ:
-انتي عايزه مني ايه .. أه .. عايزه مني ايه
قالت بنعومه:
-عايزاك تحبني زي ما بحبك يا "نهاد"
وقف وقد ازداد غضبا قائلا:
وأنا يا ستي مبحبكيش .. هو بالعافيه
ظهر علي صوتها الغضب وهي تقول:
-أمال اللي حصل بينا ده كان ايه
صمت "نهاد" وهو يمرر أصابعه في خلاص شعره بعصبيه وقد أغمض عينيه في ألم .. فقالت:
" -نهاد" أنا مستنياك بكرة .. ولو مجتش .. تليفون صغير ل "بيسان" وهقولها فيه علي اللي حصل بينا
هتف بغضب هادر:
-حقيرة
أطلقت ضحكة ساخرة وهي تقول:
-أمال فاكرني هحافظ علي مشاعرها .. لو مش عايز تحصل مشاكل بينكوا يبأه خليك لذيذ معايا زي ما كنت
صمت وهو يجلس علي الأريكة بالمكتب يسند رأسه الي قبضة يده وهو يحرك قدميه في عصبيه .. فقالت بصوت ناعم:
-انت ليه بتضطرني اني استخدم معاك الاسلوب ده يا حبيبي .. أنا بحبك يا "نهاد" وحبي ليك هو اللي بيوصلني أقولك الكلام ده
تمتم بغضب مكبوت:

-انتي واحدة حقيرة مبتحبيش الا نفسك وبس
هتفت بغضب:
-اذا كنت أنا حقيرة فإنت كمان حقير زيي .. وخنت "ببسان" زيي بالظبط
أغمض عينيه بألم وهي يقول بأسى:
-معاكي حق .. أنا حقير زيك بالظبط

****

اقترب "دياب" من "بشير" الذي جلس فوق أحد مقاعد في حديقة الفيلا شاردا ..اعتدل "بشير" في جلسته وقد أخرجه قدوم "دياب" من شروده .. جلس "دياب "بجواره فوق المقعد وقال:
-حالك مش عاجبني
ابتسم "بشير" ابتسامه باهته وهو يقول:
-ليه بس ما أنا كويس أهو
تنهد "دياب" قائلا:
-لا مش كويس يا "بشير" اوعى تكون فاكرني مش حاسس بيك وعارف اللي جواك
ارتبك "بشير" وهو يقول:
-مش فاهم قصدة ايه
شرد "دياب" ينظر الي مساحة الخضرة الشاسعة أمامه وهو يقول:
_بص يا "بشير" ..أنا أكبر منك سنا وخبره .. وبحبك في الله .. عشان كده هنصحك
أخذ نفسا عميقا فالتفت اليه "بشير" ينظر اليه بإهتمام وهو يقول:
-سعادة أي اتنين متجوزين .. مش في الحب .. ولا في الفلوس .. ولا في الجمال والوسامة .. سعادة أي اتنين متحوزين في التفاهم والتكافؤ
ثم نظر الي "بشير" قائلا:
-لو التفاهم والتكافؤ موجود .. عمر ما المشاكل تدخل بينكوا .. وحتي لو دخلت هتبقى مجرد زوبعه في فنحان وتنتهي بسرعة
ثم قال:
-عارف يا "بشير" لو اتجوزت واحدة أعلي منك في كل حاحة .. واحدة من عالم غير العالم اللي انت اتولدت واتربيت وعشت فيه .. مهما كنت بتحبها ومهما كانت بتحبك .. لازم هيكون بينكوا خلافات كتير .. الجواز يا "بشير" مش حب في حب .. ولا وسيلة انك تفضي بشهوتك في الحلال وخلاص .. لأ .. الجواز

هو انك تحس انك عايش مع واحدة بتكملك وانت بتكملها .. واحدة تحس بقوامتك عليها .. واحدة تحس ان همها هو همك .. ورضاها في رضاك .. واحدة بينك وبينها موده ورحمة قبل ما يكون بينك وبينها حب وعشق .. واحدة تشوف فيك الأب والأخ والزوج وانت تشوف فيها الأم والأخت والزوجة .. واحدة تعينك علي طاعة ربنا ..وتتقي ربنا فيك .. وتتقي ربنا فيها .. والله يا "بشير" هو ده الحب اللي بيدوم .. لو لقيت واحدة حسيت انها شبهك متضيعش وقت وخدها في الحلال .. لكن حب وغرام من غير تفاهم وتكافؤ هيكون مسيره الموت .. بس مش هيموت لوحده .. هيخنقك ويموتك معاه

شرد "بشير" في كلام "دياب" الذي لمس وترا حساسا في نفسه .. ربت "دياب" علي ثم "بشير" قائلا:

-لو مكنتش بحبك مكنتش دخلت نفسي في حاجه متخصنيش .. بس أنا بحبك في الله وبتمنالك الخير .. عشان كده نصحتك يا "بشير" والدور عليك بأه يا تاخد بالنصيحة يا ترميها ورا ضهرك

نهض "دياب" وعاد الي عمله علي البوابه .. بيننا أخذ "بشير" يتطلع الي لاشئ .. وعقله يعيد كلمات "بشير" مرات و مرات و مرات!

****

جلست "الميس" برفقة "نهال" في غرفتها تقص عليها تلك الأخيرة طرائفها مع أصدقائها في الجامعة .. هدأت الضحكات .. وساد الصمت لبضع لحظات قبل أن تقطعه "الميس" قائله بنبرة ذات معنى:

-شوفتي "سمر" .. ما شاء الله عليها .. اتحجبت ولبسها بأه حلو أوي

قالت "نهال" وهي تمط شفتيها:

-بس لبسها بأه واسع أوي .. هي ممكن تتحجب وتغطي شعرها بس متقفلهاش أوي كده

ابتسمت "لميس" قائله:

-بس يا حبيبتي هو ده الحجاب الصح .. لكن الحجاب المودرن اللي بتشوفي صحابك لبسينه ده ميعتبرش حجاب خالص

نظرت اليها "نهال" بدهشه وهي تقول:

-ازاي يعني مش حجاب .. ده أنا كنت بفكر أغطي شعري وألبس حجاب روش زيهم

قالت "الميس" بهدوء:

-أهو كلمة روش دي متنفعش تتقال علي الحجاب الصح .. لان من شروط

الحجاب انه ميكنش ملفت .. ولا مزين .. ولا لبس بتلبسيه للشهرة .. عشان تتعرفي بيه ..ولازم يستر جسمك وميبينش تفاصيله .. يعني ميكنش ضيق ولا يكون شفاف .. وميكنش معطر ببرفيوم أو بخور أو أي حاجه يشمها اللي ماشي جمبك .. وميكنش شبه لبس الرجاله ولا يكون شبه لبس الكفار .. دي شروط الحجاب اللي ربنا أمر بيه .. بصي علي صحابك وقوليلي كام واحدة فيهم حققت الشروط دي في حجابها؟

صمتت "نهال" وهي لا تتذكر واحدة فقط منهن قد حققت تلك الشروط .. فأكملت "لميس" بحنان وهي تمسح على شعرها:

-الشعر الجميل ده لازم يتغطي زي ما ربنا أمرنا .. عشان ندخل الجنة اللي ربنا أعدها وجهزها للمؤمنين .. مش نفسك تدخلي الجنة يا "نهال"؟

أومأت "نهال" برأسها .. لكنها قالت:

-بس الحجاب اللي بتقولي عليه ده هيكبرني .. وهيخلي صحابي يتريقوا عليا ويقولولي لابسه شوال

ابتسمت "لميس" وهي تقول:

-الصحابة اتحملوا عذاب شديد أوي .. وعلي الرغم من العذاب ده الا انهم فضلوا متمسكين بدينهم واسلامهم .. تفتكري تريقة بنت عليكي ولا بنتين ولا حتي عشرين بنت ييجي حاجه جمب التعذيب اللي اتعرضله الصحابة ؟ ..كان النبي صلي الله عليه وسلم بيمر علي الصحابة وهما بيتعذبوا ويشد من عزيمتهم .. كان بيشوف سيدنا "عمار" بن "ياسر" بيتعذب هو وأمه و أبوه ويقولهم "صبرا آل "عمار" ان موعدكم الجنة" .. انتي بأه معندكيش القوة اللي تخليكي تصبري علي تريقه أو كلام مش هينقص منك حاجه .. بالعكس ده هما بيدوكي من حسناتهم .. معقول انتي ضعيفه لدرجة ان خوفك من تريقتهم عليكي يخليكي تعصي ربنا ؟ .. يعني خايفه منهم ومش خايفه من ربنا

تنهدت "نهال" وهي تنهض قائله:

-يلا أنا جعت .. زمانهم تحت بيستعدوا للغدا

شعرت "لميس" بالإحباط فلم ذلك هو رد الفعل الذي أرادته .. لكنها رسمت بسمة على ثغرها وهي تقول:

-ماشي حبيبتي .. بالهنا والشفا مقدما

****

دخل "مهند" الفيلا متوجها الي غرفة المعيشة التي وجدها فارغة .. جلس علي الأريكة وهو يشعر بألم مكان البتر .. أغمض عينيه قليلا ووضع يده بجواره

علي الأريكة لترتطم بأجنده صغيره مفتوحه علي احدى الصفحات .. أمسكها "مهند" في يده .. ليجد تلك الكلمات مسطرة فوق أحدى صفحاتها بخط أنيق:

-غريبة أنا في بلدي .. وحيدة أنا بين الناس .. لا أجد لنفسي موطنا .. لا أجد لها حاميا .. سوى قلب أسد لا يشعر بنبضات قلبي التي تصرخ بإسمه غير عابئ بتلك الصرخات .. يسمعها .. يفهمها .. لكنه لا يشعر بها وبي .. كم أريد نسيانه ومحوه من حنايا عقلي .. واسكات قلبي وارغامه على نسيان اسمه .. و منع روحي من أن تهفو اليه .. لكنني لم أستطع أن أفعل .. فسلطانه على نفسي قويا مهيبا لا أستطيع الفكاك منه .. قلبي يئن .. يتألم .. يحترق .. وصاحب القلعة يرفض ادخالي .. يرفض أن يمنحني رشفة من يداه أروي بها ظمأي.. وعطش أيامي .. يرفض أن يطفئ نيران قلبي المشتعل .. يا صاحب القلعة أستسلم .. فحصونك أنهكت قواي .. بنيتها عالية شامخة فأذاقتني العذاب والهوان .. يا صاحب القلعة أستسلم .. غلبتني حصونك بصلابتها .. رشقتني بسهام صفت ما بداخل جسدي من دماء .. وها أنا أسقط أمام عينيك القاسيتين أشلاء .. لن أمد يدي لتنقذني .. لن أصرخ طالبة أن تنجدني .. بل سأدعك تنظر الي وأنا أحتضر ..تتذكر صريعة حبك يوما .. اقترب من جسدي المسجى علي الأرض أمام قلعتك .. أخرج خنجرك من جرابه .. ارفعه عاليا واهوى به فوق قلبي .. اطعنه وفجر دماؤه ..اطعنه وبعثر أشلاؤه .. هيا تقدم ولا تتردد .. ها أنا أراك تخرج خنجرك يا صاحب القلعة .. وتقترب مني في تؤدة .. ها أنت ترفعه عاليا لتهوى به فوق قلبي .. لماذا توقفت يداك .. لماذا التفت الي خنجرك .. هيا اطعن ولا تنظر اليه .. لماذا أنت متعجب .. أتتعجب من الدماء التي تغلف خنجرك وأنت لم تطعني بعد؟ .. أخطأت يا صاحب القلعة .. فالدماء علي خنجرك هي دمائي .. لعلك لا تتذكر ولكنك .. طعنت قلبي بخنجرك من قبل .. ها أنا أغمض عيناي .. اطعني الثانية ولا تتردد .. فقلبي لن يموت مرتين!

عقد "مهند" جبينه وهو يقرأ تلك الكلمات التي لا يعلم كاتبها .. أراد قرائتها مرة أخرى لكنه سمع صوتا من خلفه يقول بصوت مشاكس:

-مش تستأذن قبل ما تقراها

التفت بحدة ليجد "سمر" واقفة خلفه .. نهض من فوق الأريكة ومد يده بالمفكرة قائلا:

-أنا آسف مكنتش أعرف انها بتاعتك

أخذتها منه وابتسمت وهي تنظر اليها قائله:

-أنا طول عمري بحب الكتابة .. وكنت بكتب خواطر وأنا صغيرة .. بس لما سافرت تركيا نسيت الهواية دي .. بس من كام يوم لقيت نفسي بمسك بالقلم وبشخبط الشخبطة دي

ابتسمت بخجل .. ورفعت رأسها لتنظر اليه .. اختفت ابتسامتها وهي تنظر الي ذراعه المبتور .. لمعت الدموع في عينيها ونطق وجهها بالألم وهي تهمس:
-انت كويس؟ .. صعب عليك مش كده ؟ .. حتى لو انت بينت أدامنا كلنا انك كويس .. بس أكيد من جواك اتأثرت .. وحزنت .. أنا حسه بيك
رأته يغادر الغرفة مسرعا .. فارا منها .. ولم تكن مخطئة .. شعر "مهند "بأنه يفر بالفعل .. توجه الي غرفته وجلس فوق فراشه وهو يلهث .. بلع ريقع بصعوبة وقد تجمدت ملامحه .. أخافه ما يشعر به بداخله .. زفر في ضيق وهو يحاول أن يسيطر علي مشاعره الغريبه التي تجتاحه .. وتتسرب الي كيانه .. كالهواء الذي ينتشر في غرفة مغلقة الأبواب .. يتسرب اليها من فتحات خفيه وثغرات .. رأى أمامه صورتها .. عيناها .. تلك العينان .. لماذا يشعر دائما .. بذلك الشعور المخيف .. شعور بالحنين الي الغوص داخل عيناها .. والتسليم لأمواجها .. تأخذه الي حيث شاءت!

****

توجهت "سمر" في الصباح الي غرفة الطعام .. لم تجد سوي "مهند" و "علاء" .. فابتسمت قائله:
-صحيين متأخر زيي
أجاب "علاء" مبتسما:
-أيوة واتأخرنا علي الشغل زيك بالظبط
تجاهلها "مهند" تماما وكأنها غير موجودة .. فقالت بهدوء:
-ممكن يا "مهند" تاخدني معاك وانت رايح الشركة؟
قال بإقتضاب دون أن ينظر اليها:
-خلي "علاء" يوصلك ..أنا رايح مشوار قبل الشركة
قال "علاء" مرحبا:
-مفيش مشكله يا "سمر" هوصلك أنا
شعرت بغصة في حلقها حتي أنها لم تكمل طعامها .. نهضت وقالت:
-هستناك بره يا "علاء"
خرجت الي الجراج وعلي وجهها علامات ضيق شديد .. بعد دقائق خرج "علاء" و "مهند" متقدما كل منهما في اتجاه سيارته .. ركب "بشير" أمام المقود في سيارة "مهند" وركب هو بالخلف وانطلق بها .. و"سمر" تتابعه بضيق

****

في مسجد الشركة جلست "سمر" بجوار المرأة الطيبة ترقيها .. وبعدما انتهت قالت المرأة بتأثر شديد:
-قلبي انفطر لما شوفت اللي صابه .. حسبي الله ونعن الوكيل فيهم .. شاب زي الورد يحصله كده .. منهم لله البعدا
تمتمت "سمر" بخفوت:
-الحمد لله انه رجع بالسلامة .. دي أهم حاجه
ربتت المرأة علي ذراع "سمر" وهي تقول:
-باينك بتحبيه أوي
ابتسمت "سمر" وهي تقول:
-أوي
قالت المرأة ببشاشه:
-ربنا ما يحرمكوش من بعض
أخرجت "سمر" محفظتها وأخرجت منها بعض المال تعطيه للمرأة لكنها أصرت بشدة علي عدم تقاضي أجر علاجها وهي تقول:
-عيب عليكي يا بنتي .. ده البشمهندس خيره مغرقني .. وكان نفسي من زمان أردله الجميل بأي شكل
ردت "سمر" يدها الي حقيبتها فوقع نظر المرأة علي صورة في محفظتها فسألتها:
-مين الأموره دي ؟
أخرجت "سمر" الصورة وهي تنظر اليها بتأثر قائله:
-دي أنا
أخذت منها المرأة الصورة تنقل عينها بدهشة بينها وبين "سمر" وهي تقول:
-سبحان الله اللي يشوفها يقول واحدة تانية خالص
صمتت "سمر" وقد اكتسي وجهها الحزن وهي تقول:
-زمان حصلتلي حادثة .. حصلي كسور كتير في وشي .. وكان محتاج ترميم .. عملت عمليات كتير .. وده غير شكلي كتير
قالت المرأة بدهشة:
-فعلا يا بنتي شكلك اتغير أوي
ثم قالت تطيب بخاطرها:
-بس انتي دلوقتي أحلي

ابتسمت "سمر" بوهن وهي تقول:
-كنت بحب شكلي الأول أكتر .. عشان اتعودت عليه .. أما دلوقتي ساعات لما ببص في المراية بستغرب شكلي .. علي الرغم من ان الحادثة فات عليها سنين طويلة
نهضت "سمر" واسأذنتها منصرفه ..

توجه "مهند" الي مكتب "عدنان" في موعد الانصراف .. لم يجد السكرتيرة ووجد باب المكتب مفتوحا فدخل لكنه تسمر في مكانه وهو يري "سمر" بين ذراعي "عدنان" معانقا اياها ضاما اليها بشدة الي صدره .. وهي تلقي برأسها فوق صدره في استكانه .. لم ينتبها لدخوله .. فخرج مسرعا وقلبه يرتجف .. و نفسه يضيق!

****

نظر "مهند" الي "عدنان" بضيق وهو يقول:
-ما تطلعوا اسكندرية تغيروا جو .. "سمر" و "فريدة" محبوسين علي طول في البيت .. وانت كمان يا "مهند" محتاج تغير جو .. اطلوا اتفسحولكوا يومين ..أنا عارف انكوا اسكندرانية وهتفضلوا اسكندرية عن أي بلد تانية
قال "مهند" وهو يتهرب من تلك الرحلة التي ستكون برفقة آخر شخص يتمني مرافقته:
-في الشركة شغل كتير يا عمي .. مينفعش أسافر
لكن محاولة هروبه باءت بالفشل بعدما أصر "عدنان" على ضرورة أخذ فترة استجمام لكل منهم .. تحمست "فريدة" جدا للفكرة وكذلك "سمر" التي أعربت عن سعادتها لزيارة مسقط رأسها .. والمكان الذي حمل ذكريات طفولتها وصباها .. وفي تبرم استعد "مهند" للسفر في اليوم التالي .. رافضا اصطحاب "بشير" مصرا علي قيادة سيارته الأتوماتيك بنفسه .. ابتسمت "سمر" وهي تنظر اليه بإعجاب ..لا يعوقه شئ عن ممارسة حياته الطبيعية بشكل عادي .. في حين أنها تحتاج الي الخادمة بإستمرار علي الرغم من تحسن ذراعها بشكل كبير .. مكنها من تحريكة بحرية وحمل الأشياء الخفيفة .. انطلقت السيارة تشق طريقها الي بلدها الحبيب

لمعت عيناها بالعبرات وهي تتشمم رائحة اسكندرية وبحرها .. رائحة مميزة لا تجدها في مكان آخر .. أشعرتها تلك الرائحة بحنين جارف .. حنين الي أيام مضت وولت مدبرة .. أغمضت عيناها بألم تنهمر عبرة حزينه من بين أهدابها المغلقة .. حانت من "مهند" التفاته الي مرآة السيارة .. فخفق قلبه لمرآى عبرتها وتغبيرات وجهها المتألم .. تطلع أمامه وهو يتمتم بالاستغفار ويعقد جبينه بضيق شديد .. ضيق من نفسه ومن مشاعره .. ومن الشئ الغريب الذي يشعره اتجاهها بالألفة .. ومن عيناها وما بهما من أسرار يتمني حل ألغازهما .. لتختفي علامات الاستفهام من داخله .. قال "مهند" بهدوء:

-تحبوا تروحوا فين ؟

قالت "سمر" علي الفور:

-المندرة

خفق قلبه .. فتجاهله .. وصفت له "سمر" طريقا .. وقالت:

-المكان ده من أحب الأماكن لقلبي

خفق قلبه للمرة الثالثه لكن هذه المرة بقوة أكبر .. وهو يتبع تعليمات "سمر" ويوقف سيارته أمام .. أحب بقعه له في اسكندرية ! .. بل في الدنيا بأسرها .. عقد جبينه بشده .. وعيناه تنطق بالحيرة .. قالت "فريدة" ضاحكة:

-هو كل أهل المندرة بيحبوا المكان ده ولا ايه

ابتسمت "سمر" مجاملة ونزلت من السيارة تعانق تلك البقعة بعيناها الممتلأة بعبرات شوق وحنين .. وقفت أمام البحر تنظر الي أمواجه المتلاطمة وهي تغمض عيناها .. تاركه زمنها لتعود سنوات الي الوراء .. وكأنها بنت الأمس .. نظرت "فريدة" الي "سمر" التي كانت تبعد عنها عدة أمتار وهي تقول ل "مهند:"

-أول مرة أشوفها متأثرة كدة .. شكلها بتحب اسكندرية أوي

التفتت "سمر" تبحث بعيناها عن شئ ما .. ثم تمتمت فجأة بنبرة حملت شوق ولهفة:

-صخرتي

توجهت الي تلك الصخرة الكبيرة تتحسسها وتجلس فوقها .. تطلع اليها "مهند" بإهتمام شديد .. يراقب حركاتها وتعبيرات وجهها .. خفق قلبه من جديد .. وشعر بحنين يدفعه اليها .. استعاذ بالله وأشاح بوجهه عنها متقدما في اتجاه البحر .. رأت "فريدة" اللسان الصخري الممتد في البحر يشقه بصرامه .. تقدمت تجاهه تسير فوق صخوره المتراصه بجوار بعضها البعض .. التفت "مهند" ينظر اليها فيما كان البحر يهدر بأمواجه عاليا مصدرا صوته الرتيب .. فتح "مهند" شفتيه ليهتف ب "فريدة" أن تنتبه .. لكن الدماء تجمدت في

عروقه عندما هتفت "سمر: "
" -فريدة" خلي بالك .. في صخرة بتتحرك
التفت "مهند" بحدة ينظر الي "سمر" .. تلاقت نظراتهما في صمت .. للحظات طويله .. دون أن يحيد أحدهما بنظره عن الآخر .. اقترب منها .. وهي جالسه فوق الصخرة .. وقال:
-كنتي بتيجي هنا كتير ؟
أومأت برأسها .. فقال وهو يرمقها بنظراته الثاقبه:
-لوحدك؟
انتظر بلهفة أن يسمع اجابتها .. لكنها نظرت الي البحر دون أن تجيب .. سألها مرة أخري في اصرار لا يعلم هو نفسه سببه:
-لوحدك ؟
لكنها ظلت تنظر الي البحر .. دون أن تجيب
تقدمت منهما "فريدة" وقد ضايقها .. تحدثهما بمفردهما .. وقالت:
-تعالوا نتمشى شوية .. تعالي يا "سمر" يمكن تعرفي طريق الشارع اللي كنتي ساكنه فيه
نهضت "سمر" وسارت بصمت بجوار "فريدة" .. سار "مهند" خلفهما ونظراته تجمع ما بين الحيرة والخوف .. حيرة من غموضها .. وخوف مما من الممكن أن يكتشفه!

تأملت "سمر" بلهفة شوارع المندرة .. تتذكر بنيانها وحوانيتها .. تمتمت:
-اتغيرت كتير
ابتسمت "فريدة" وهي تقول:
-كل حاجه بتتغير .. انتي مسافرة بآلك كام سنة؟
قالت "سمر" بإقتضاب:
-كتير
قفزت في مكانها عندما سمعت "مهند" الذي كان يسير خلفهما يقول:
-كتير ده ملوش عدد محدد ؟ .. لتاني مرة تتسألي السؤال ده وتهربي منه .. انتي ليه بتحبي تكوني غامضة؟
التفتت تلقي عليه نظرة خاطفة .. ثم تعود لتنظر أمامها قائله:
-أنا مبحبش أكون غامضة ولا حاجه
هتفت "فريدة" وهي تشير الي أحد المنازل:
-ده بيت "مهند" .. تجمدت الدماء في عروق "سمر" وهي تنظر الى المنزل الذي تشير اليه "فريدة" .. تعلقت عيناها بالشرفة في الطابق الثاني فسمعت

"فريدة" تقول:
-كان عايش في الشقة دي .. في الدور التاني
توقفت أقدامهم تحت المنزل .. لاح علي وجه "مهند" ابتسامه وهو يتطلع الي أحد الرجال المقبل عليه برفقة امرأته .. ترك الفتاتين وتوجه الي الرجل مسلما عليه ومعانقا اياه .. تمتمت "فريدة: "
-ده حماه و حماته .. ثواني يا "سمر" هسلم عليهم و أرجعلك
تطلعت "سمر" بأعين دامعة وشفاه مرتجفة الي الرجل والمرأة .. سمعت صيحات الاستنكار مما أصاب "مهند" .. بدا في أعينهما التأثر وهما يواسيانه بالكلام والنظرات .. شعرت بغصة في حلقها ابتلعتها سريعا .. توجهت الي "فريدة" وقاطعت حديثها مع المرأة التي نظرت الي "سمر" بلا مبالاة .. انحنت علي اذنها قائله:
-معاكي مفتاح الشقة ؟
نظرت اليها "فريدة" بدهشة فقالت "سمر" بإبتسامه باهته:
-عايزة أتفرج عليها
نظرت "فريدة" الي "مهند" الذي اندمج في حديقه مع الرجل .. ثم لأخرجت من حقيبتها مفتاحا أعطته الي "سمر" في تردد وهي تقول:
-طيب استني نطلع سوا
لكن "سمر" لم تعبأ بكلامها .. أخذت المفتاح وتوجهت مسرعة الي بوابة البناية و "فريدة" تتابعها بقلق .. ثم عادت لتكمل حديثها مع المرأة .. وقفت "سمر" أمام الباب تتحسسه بيد مرتعشة .. أدارت المفتاح في الباب فإنفتح بسلاسة .. تقدمت الي داخل البيت .. ثم التفتت تنير المكان بالمفتاح المثبت علي الجدار جوار الباب .. امتلأت عيناها بالعبرات وهي تتأمل البيت بآثاثه ومحتوياته .. هطلت الدموع غزيرة من عينيها وجسدهت يرتعش من بكائها .. تقدمت الي احدى الغرفتين في المنزل وأنارت مصباحها .. كانت غرفة نوم كبيرة .. دخلتها في تؤدة ولا تزال دموعها تنهمر فوث وجنتيها .. نظرت بتأثر الي الأشياء الموضوعة فوق التسريحة والتي غلفها التراب .. مسحت بكفها جزء من التراب المعلق غلى المرآة ونظرت الي وجهها الباكي في ألم .. التفتت لتلقي نظرة علي الفراش خلفها .. قبل أن تغمض عينيها للحظات نطق خلالها وجهها بالألم .. في الأسفل انتهي "مهند" من حديثه مع الرجل ليلتفت فلا يجد حوله سوى "فريدة" التي اقترب منها قائلا:
-فين "سمر" ؟
قالت بقلق:
-خدت المفتاح وطلعت فوق

نظر اليها بحدة قائلا:
-فوق فين؟
أشارت بإرتباك الي شرفة بيته وقالت:
-في شقتك
تطاير الشرر من أعينه فشعرت "فريدة" بالخوف وهي تراه متوجها الي البناية .. فالتفتت تكمل بعقل متشتت حديثها مع المرأة التي كانت نهمه تواقه لمعرفة أخبارهما .. وجد "مهند" باب البيت مواربا ففتحه ودخل .. بحث بعيناه عنها فرأى ضوء المصباح يتسرب من غرفة النوم .. توجه اليها ليتجمد في مكانه وهو ينظر الي "سمر" الي استندت بظهرها الي الجدار تغلق عيناها بألم بينما العبرات تقفز من بين أهدابها وعرتجف شفتيها وهي تطبق عليهما بشدة .. دخل الغرفة .. شعرت بحركته ففتحت عينيها وحاولت مسح عينيها ووجهها في توتر ..فاتسخ وجهها من التراب الذي علق في يدها .. حاولت مسحه أكثر فلم يزيدها ذلك الا اتساخا .. نظر اليها "مهند" بإمعان كما لو أنه يراها لأول مرة .. تأمل نظرات عينيها الدامعة المضطربة ووجهها الذي يعلوه التراب المختلط بدموعها وهو يشعر برجفه في قلبه .. حاولت تجاوزه فوقف أمامها قائلا:
-ادخلي اغسلي وشك
وقفتز ساكنه للحظات ثم أومأت برأسها وتوجهت الي المطبخ يتبعها "مهند " بإصرار وهو ينظر اليها بتمعن .. وبتلقائية شديدة مدت "سمر" يدها خلف الثلاجة لتفتح محبس المياة ! .. ثم تتوجه الي الحوض وتغسل وجهها .. وقف "مهند" خلفها وهو يقول بصوت عميق كأنه قادم من كهف مظلم:
-عرفتي منين ان محبس الماية ورا التلاجه؟
توقفت عن غسل وجهها وقد تجمدت في مكانها .. وبحركة واحدة اقترب منها "مهند" وأدارها لينظر الي وجهها الذي تتساقط منه قطرات الماء .. أطبق علي ذراعها بقوة وهو ينظر اليها بعيني صقر قائلا:
-اتكلمي .. عرفتي منين مكان المحبس
نظرت اليه "سمر" بنظرة جمعت ما بين البرود و الألم والعتاب .. لهث بشدة وصدره يعلو ويهبط وهو يزيد من ضغط قبضته فوق ذراعها وهو يقول بصرامة :
-انتي مين ؟
ثم هتف بغضب:
-عرفتي منين مكان المحبس .. عرفتي منين الأكل اللي بحبه .. ايه معنى الولاعة اللي جبتهالي
ظلت "سمر" ترمقه في ثبات بنفس النظرات وهي تقول:

-سيبني
حاولت أن تفلت ذراعها من قبضة يده الحديدية ففشلت .. حاولت التحرك والابتعاد عنه فلم تستطع .. قال وهو ينظر اليها بنظرات ثاقبه تود النفاذ الي أعماقها:
-جاوبيني علي أسألتي .. كفاية غموض بأه
ثم قال بحيرة ممزوجة بالألم:
-انتي مين ؟
نظرت اليه بتحدي وهي ترفع حاجبيها وتقول بقوة:
-أنا "سمر" مراة عمك
تبادلا النظرات كل منهما ينظر الي الآخر بثبات .. في تلك اللحظة دخلت عليهما "فريدة" لترى اقترابهما من بعضهما بهذا الشكل و "مهند" مطبق علي ذراعها .. فإمتلأت عيناها دهشة وضيق وهي تهتف بإستنكار:
" -مهند! "

الفصل الثالث والعشرون

ابتعد "مهند" عند "سمر" تاركا ذراعها .. تطلع بتوتر الي "فريدة" التي تنظر اليه بإستنكار .. خرجت "سمر" من المطبخ وتمتمت :
هستناكوا تحت -
ساد الصمت للحظات .. قبل أن يغادر "مهند" دون أن يقدم تفسيرا ل "فريدة" .. لم تندهش "سمر" عندما قال "مهند" بعدما ركبوا السيارة :
هنرجع القاهرة -
عقدت "فريدة جبينها بدهشة ممزوجة بالضيق .. بينما نظر "مهند" في مرآة السيارة ليجد نظرة عتاب في عيني "سمر" قبل أن تشيح بوجهها عنه .. ظل شاردا طوال الطريق .. محاولا تفسير تصرفاتها ونظراتها الغير مفهومه .. أكثر ما كاد أن يصيبه بالجنون هو علمها بتفاصيل دقيقة في بيته الذي لم يسكن فيه الا مع زوجته "نهلة" ......

وانضمت اليهما "فريدة" بضعة أشهر قبل الحادث .. هذا ما كان يدهشه .. نهلة" ولكن لم يكن لها صديقات "ويشتت تفكيره .. شك بأنها احدي صديقات تودهن ويودونها .. ولم تدخل أحدا قط بيت الزوجية .. ولم يكن لها سوي والدها ووالدتها .. حتي أنها ليس لها اخوة ولا أخوات .. تطلع مرة أخري في السيارة .. الي ملامحها التي يشعر تجاهها بأنها شخص غريب عنه .. لكن تلك العينان .. لماذا يشعر بهذا الانجذاب وهذا الحنين اليهما .. فجأة انفرج ما بين التفتت .. فرأت .. شفتيه وهو يتطلع اليها .. لا يحيد بنظره عنها .. عن عينيها وقلبه.. وتعالت .. عيناه المصوبة تجاهها في مرآة السيارة .. خفق قلبها أصواتهما حتي كاد كل منهما يسمع دقات قلب الآخر .. رأته يلهث .. يتنفس بسرعة .. يركز علي عينيها .. قالت عيناه كلمة .. فتوترت واضطربت .. استطاعت ترجمة تلك الكلمة التي نطقت بها عيناه :

- عرفتك!

****

قالت "دعاء" بإهتمام وهي تطرق برأسها :

- و مراتك عارفه انك هتتجوز ؟

أومأ "دياب" برأسه قائلا :

- أيوة عارفه .. أنا حذرتها .. ان مكنتش العلاقة تتحسن بينا .. هتجوز .. وللأسف محاولتش حتي مجرد محاوله انها تصلح من نفسه .. وعاطيه ودنها لجراتها بيودودوا في ودانها ليل نهار

ثم نظر اليها قائلا بحزم :

- أنا مظلمتهاش .. أنا حذرتها كتير .. وحتي لو اتجوزت مش هظلمها .. هعدل بينك وبينها في النفقه و المبيت

أطرقت "دعاء" برأسها وهي شارده .. تفكر .. هل توافق غلي تلك الزيجة وتلك الظروف الشاقه .. أم تنتظر لعل تأتيها فرصة أفضل .. تنهدت وهي تتذكر

أنها استخارت الله مرات عدة .. وفي كل مرة تري حلما حميلا .. يزينه وجه
: أصابتها حيرة شديدة .. فوجدت يقول بنبرة حانيه .. ""دياب

- أنا عارف انك مستصعبة الموضوع .. عشان ظروفي و موضوع جوازي
: قغلت "دعاء" علي القور

- لا ظروفك مش مشكلة بالنسبة لي
: ثم أطرقت برأسها وهي تقول بخجل ممزوج بالألم

- أنا كمان ظروفي صعبة .. أنا حتي مش هقدر أجهز نفسي .. وبابا الله يرحمه مسبليش حاجه قبل ما يموت .. من ساعة ما اشتغلت عند البشمهندس "مهند" وهو بيديني مرتب حلو أوي .. بحوش منه .. بس يدوبك اللي لحقت أحوشه هو مرتب شهر واحد .. يعني ميعمليش حاجة .. ميجهزش عروسه

رغم ظروفها الصعبة .. الا أن "دياب" شعر بالارتياح لتشابه ظروفهما ..
: فابتسم قائلا بحنان

- متقلقيش بكرة ان شاء الله أنا اللي هجيبلك ةل حاجة

شعرت "دعاء" بسعادة خفية .. سعادة أن تكون مسؤلة من شخص ما .. يهتم بها ويراعيها ويتقي الله فيها .. علي الرغم منها تسرب اليها شعور بالراحة دياب" .. لم تراه سوي مرتين .. لكن حديثه واسلوبه اشعراها بمدي "تجاه جديته واحترامه ونقاء سريرته .. سأل خالها عنه في مكان سكنه مع زوجته .. فلم يسمع عنه الا كل خير .. الصغير والكبير يمتدح أخلاقه .. ويصفه ب : جدع
: قاطع "دياب" أفكارها ليقول ..ابن حلال

- لو محتاجه نقعد مع بعض مرة تالته معنديش مشكلة .. المهم تكوني مرتاحه و مطمنة

ودت لو أخبرته بأنها بالفعل تشعر بالراحة والاطمئنان .. صمتت قليلا وهي تتذكر حديث النبي صلي الله عليه وسلم : "اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه" .. بحثت بداخلها لتجد نفسها راضيه بدينه وخلقه .. فأخذت نفسا
: عميقا ثم أطرقت برأسها قائله بخجل

- لا مفيش داعي نقعد مع بعض مرة تالته
: نظر اليها "دياب" بتوتر وهو يقول

- يعني ايه ؟

لاحت علي شفتيها ابتسامه خجول وهي لا تزال مطرقه برأسها .. فاتسعت ابتسامة "دياب" وطلت الفرحة من عيناه وهو يقول :
- الحمد لله .. الحمد لله

****

أوقف "مهند" سيارته أمام الفيلا .. نظر في المرآة يتابع بعينيه "سمر" التي تنزل بسرعة ثم تتوجه الي الفيلا دون أن تنظر خلفها .. نزلت "فريدة" والتفت حول السيارة لتقف أمام "مهند" قائله:
- مش هتدخل ؟
قال بإقتضاب :
- لأ
انطلق بسيارته وعيناها تتابعانه في دهشة .. وقلق
قاد "مهند" السيارة بغير هدى وعقله يعمل بلا توقف .. نعم عرفتك .. مهما وضعتي علي وجهك من أقنعه فسيعرفكي قلبي حتما .. استطعتي تغيير كل ملامحك .. لكن بقيت عيناكي كما هي ليتعرفها قلبي .. لماذا .. لماذا فعلتي ذلك .. لماذا غيرتي ملامحك .. لماذا تركتيني .. لماذا هربتي مني .. لماذا تركتيني .. أتعذب في بعدك .. لماذا .. لماذا عدتي الآن .. تظهرين من العدم .. وكأن شيئا لم يكن .. ما تلك اللعبة التي تلعبيها مع عمي .. لماذا أخفيتم الأمر عني .. من حقي أن أعرف .. نعم من حقي
أوقف "مهند" سيارته علي جانب الطريق وهو يلهث غضبا وقد ازداد انفعاله حتي خشى ألا يستطيع التحكم في مقود السيارة .. أغمض عينيه بألم وهو يقول لماذا تخفين نفسك عني .. لماذا؟ .. أتعاقبينني ؟ .. لست أنا من يحتاج الي .. العقاب .. سكن للحظات شاردا ثم أخذ نفسا عميقا وهو يقول وقد ظهرت ابتسامه عذبه علي شفتيه :
- عادت يا بحر .. عادت
عاد الي الفيلا قرب الفجر ليجد الجميع نيام .. توجه الي غرفته .. الي خزينته .. وأخرج منها القداحة التي أهدته اياها "سمر" .. جلس فراشه ينظر الي

لهيبها المشتعل وهو يبتسم

****

جلست "بيسان" برفقة "نهاد" حول طاولة الطعام تتحدث في مواضيع شتي بينما هي شاردا .. وضع كفها فوق كفه الموضوع فوق الطاوله فانتفض .. قالت بحنان :

- سرحان في ايه

قال بخفوت :

- مفيش

ابتسمت بحنان وقالت:

- ازاي يعني مفيش .. هو أنا مش عارفاك ولا ايه

أطرق"نهاد" برأسه .. فزعت "بيسان" لمرآى العبرات في عينيه فهتقت :

- نهاد" .. ايه اللي حصل .. "نهاد" قولي"

صمت قليلا .. ثم قال بصوت مختنق وهو لايزال مطرقا برأسه خجلا من مواجهتها :

- أنا خنتك

ضحكت وهي تنظر اليه بحيره .. فرفع رأسه ونظر اليها بأعين مبلله بالعبرات وهو يقول:

- مع صاحبتك .. "انجي" .. خنتك معاها

اختفت ابتسامتها لتتسع عيناها وقد تسمرت في مكانها وتوقفت عن ابتنفس وهي تحاول أن تبتسم قائله :

- بتهزر صح ؟ .. بتختبر ثقتي فيك ؟ .. صح ؟

أطرق برأسه وهو يقول بألم :

- ياريته كان هزار

نهضت "بيسان" فجأة وهي تشعر بأن الأرض تتحرك من حولها .. بل تتزلزل .. هتفت :

- قول تاني .. قول اللي قولته تاني

نظر اليها "نهاد" بألم وهو يقول :
"خنتك مع "انجي -
ارتجف جسدها وارتعد .. أحاطت جسدها بذراعيها وعلي وجهها علامات التقزز وهي تقول بصوت مرتجف :
ازاي ؟ -
نهض "نهاد" ومد يده محاولا لمسها .. فابتعدت للخلف وهي تتمتم وكأنها تتحدث الي نفسها :
ازاي ؟ -
قال بصوت مضطرب :
كنت بروحلها البيت عشان أديها مكسبها الشهري علي الفلوس اللي - بشغلهالها .. وفي مرة ... وفي مرة .....
توقف عن الحديث .. لم يجد في نفسه القدرة علي ذكر تفاصيل ما حدث .. لا كيف حدث .. انهمرت العبرات من عينيها في غزارة ووجهها ينطق بالألم .. غادرت من أمامه وهي تمسح عبراتها وتأمر الخادمة بحزم :
لبسي "فريد" .. وحضري شنطته -
توجهت الي غرفة النوم و "نهاد" يتبعها .. أخرجت حقيبه فارغه وأخذت بجمع ملابسها وبعض متعلقاتها .. اقترب منها "نهاد" محاولا لمسها قائلا :
"بيسان" -
انتفضت مبتعده عن يده وهي تصرخ في وجهه :
متلمسنيش .. انت فاهم .. متلمسنيش -
عادت الي حزم أغراضها بوجه جامد كالحجر .. عبرات عينيها تزداد غزاره .. وقف يتابعها في ألم الي أن انتهت .. حاول حمل الحقيبه عنها فانتفضت مبتعده حملت "فريد" بيد والحقيبة بيد وتوجهت الي باب البيت .. فتحت لها الخادمة .. الباب فانظلقت الي المصعد .. لحق بها "نهاد" وهتف :
"رايحه فين ؟ .. "بيسان -
دفعته بيدها وأغلقت باب المصعد .. نزل "نهاد" الدرج مسرعا .. لحقها قبل أن توقف سيارة أجرة وهو يهتف :
مش هينفع أسيبك تمشي كده .. قوليلي عايزة تروحي فين وأنا أوصلك -

هتفت بألم :
- ابعد عني .. مش عايزه حاجه منك .. ابعد عني
توجه "نـهاد" مسرعا الي سيارته وأوقفها أمامها .. ثم نزل وفتح لها الباب قائلا :
- طيب عشان "فريد" .. خليني أوصلك للمكان اللي انتي عايزاه .. هخاف تركبوا تاكسي لوحدكوا والوقت متأخر كده

بدأ الصغير بالبكاء فتركت حقيبتها أرضا محاوله اسكاته .. تناول "نهاد" حقيبتها وحقيبه "فريد" االتي علقتها فوق كتفها ووضعهما في المقعد الخلفي .. دخل "بيسان" السياره فانطلق بها .. قالت بحزم :
- وديني عند "فريدة"
أومأ برأسه علي الفور وهو يراقب تعبيرات وجهها قائلا:
- حاضر
ما عي الا لحظات كانت كالسكون الذي سبق عاصفة بكاء وأنين انطلقت من "بيسان" وهي تهتف :
ليه .. قولي ليه .. قولي سبب واحد عشان تخوني
تجمعت العبرات في عين "نهاد" وهو يتطلع الي الطريق أمامه .. فصرخت وهي تضرب كتفه بقبضه يدها باكية بقوة :
- ليه خنتني .. ليه خنتني .. كان ناقصك ايه. . أنا مقصرة معاك في ايه .. انطق .. اتكلم
قال "نهاد" بألم وهو يتطلع اليها :
- بطلي عياط يا "بيسان" أنا مستهلش دمعة واحدة من دموعك دي
أجهشت في بكاء مرير .. مد يده محاولا لمسها فانتفضت وهي تصرخ :
- قولت ابعد عني متلمسنيش
أعاد يده الي المقود وهو يطلق تنهيدة حارة .. تعرب عما بداخله من نيران .. أشعلتها خطيئته !

****

أنا اتجوزت -

: لم تصدق "سحر" أذنيها .. أكمل "دياب" بهدوء

كتبنا الكتاب النهاردة .. والدخله هتكون قريب -

: سادت لحظة صمت قبل أن تصرخ "سحر" قائله

عملتها يا "دياب" .. عملتها واتجوزت .. أنا كنت عارفه من الأول انك راجل - تيييييييت .. وياما جارتي حذرتني منك وأنا اللي مكنتش بصدقها .. كنت بقولها "دياب" أبدا .. "دياب" مش ممكن يعمل كدة .. مش ممكن يخوني بس طلعت تييييييييت

: نظر اليها "دياب" بحزم وقال

أنا لا خونتك ولا ظلمتك .. أنا استخدمت شرع ربنا بعد ما عملت معاكس البدع عشام تغيري من نفسك .. فضلتي تسمعي لدي شوية و دي شوية وتخرجي اسرار بيتك لحد ما ضيعوكي

: انفجرت في البكاء وهي تصيح بغضب

مش ممكن اعيش معاك بعد كده .. طلقني يا "دياب" أنا مستحيل أعيش معاك يوم واحد بعد ما جبتلي ضره

: اندفعت الي الدولاب لتجمع اغراضها لكن دياب اوقفها قائلا

ده بيتك .. أنا اللي هسيبه مش انتي .. لحد ما تهدي ونقعد نتكلم مع بعض - بهدوء .. وعلي فكرة أنا لو عايز اطلقك كنت طلثتك .. لكن انتي أم بنتي و .. نستخيل أظلمك .. وكمان أنا مش هعيشها معاكي .. أنا هاخدلها شقة لوحدها يعني ده هيفضل بيتك انتي و بنتي

: خرج "دياب" من المنزل .. لتجلس "سحر" فوق الفراش باكية وهي تصيح

"منك لله .. منك لله .. يارب اكسره زي ما كسرني .. ربنا ينتقم منك يا "دياب -

****

طرقت "لميس" مكتب "عدنان" بالمرسم فأذن لها بالدخول .. وقفت أمامه بإرتباك وهي تقول :

- بعد اذنك يا "عدنان" بيه .. لو مش هعطلك في حاجه عايزة اتكلم مع حضرتك فيها .. حاجه مهمة

أشار لها بالجلوس ونظر اليها بإهتمام قائلا :

- خير يا مدام "لميس"

مر علي ذهنها صورة "سمر" يوم أن حاءهم خبر استشهاد "مهند" وتلك الحالة التي أصابتها .. والكلمات التي أخذت تهذي بها في نومها بعدما تناولت المهدئ .. تذكرت قول سمر : بحبك يا "مهند" .. جفلت عندما حثها "عدنان" قائلا :

- اتفضلي .. أنا سامعك

بلعت ريقها بصعوبة وهي تحول أن تتخير كلماتها بعناية ثم قالت :

- حضرتك ومدام "سمر" لسه عرسان جداد .. ومدام "سمر" شابه صغيرة .. وكمان كانت عايشة بره

ثم قالت بجدية :

يعني اللي أقصد أقوله انها محتاجه اهتمام زيادة .. خروج .. فسح .. يعني تحس انعا عروسه جديدة .. أنا عارفه فرق السن اللي بينكوا كبير .. ويمكن ده ميخليش حضرتك تاخد بالك من نقطة زي دي

ثم قالت بإرتباك :

- أنا عارفه طبعا اني بتدخل في خاجه متخصنيش .. بس أنا اتعودت من زمان اني أهتم بكل فرد في العيلة دي .. واني اعتبر نفسي مسؤله عن راحتهم وسعادتهم .. وأنا ......

صمتت لا تدي ما تقول .. كيف تخبره بأنها تشك ب "سمر" .. وأنعا سمعتها تنطق بحبها لابن أخيه الذي هو بمثابة ابنه .. كيف تخبره بأن تلك الفتاة لم تكن مناسبة له بأي حال من الأحوال .. من مقاومات الزواج الناجح التكافؤ .. في كل شئ .. أما "عدنان" و "سمر" لم تري بينهما أي تكافؤ علي الاطلاق .. كان بإمكانها أن تخبره بتلك الكلمات التي هذيت بها "سمر" .. لكنها لم تستطع أن تظعنه في مقتل .. لم تستطع أن تكون سببا في شعوره بالألم .. حتي وإن

كانت تتألم بسببه .. بسبب حبها الغير متكافئ .. أطرقت برأسها وهي تقول بخفوت :

أنا آسفة مرة تلنية اني اتدخلت في حاجه متخصنيش .. بس أنا نيتي خير -

نهضت واستأذنت للانصراف دون أن تجرؤ علي النظر الي وجهه .. تابعها "عدنان" بعيناه .. والابتسامه على شفتاه !

****

جلست "مهند" مع العائلة حول مائدة الطعام وهو يتطلع الي المقعد الفارغ أمامه ويقول بهدوء :

هي "سمر" مش ظاهره اليومين دول ليه ؟ -

شعرت "فريدة" بالضيق لاهتمامه بتواجد "سمر" وملاحظه اختفائها .. قال "عدنان":"

اليومين دول تعبانه شويه وملهاش نفس للأكل -

قالت "انعام" مبتسمه :

بس هي كويسة الحمد لله ودراعها كل يوم بيتحسن عن اليوم اللي قبله -

شرد "مهند" قليلا .. ثم أخرج هاتفها يلعب بأزراره ثم يعيده الي جيبه

مدت "سمر" يدها بتكاسل الي الطاولة بجوارها في شرفة غرفتها بعدما سمعت تنبيها بوصول رساله .. انتفض جسدها واتسعت عيناها وهي ترى رقم "مهند" فتحت الرسالة ليرتجف قلبها وهي تقرأ فيها .. :

بتهربي ؟ -

أسندت ظهرها الي المقعد وهي تلق تنهيدة عميقه وعلامات الضيق والحزن علي وجهها

****

في مساء اليوم التالي لاحت الابتسامة علي شفتي "مهند" عندما دخلت "سمر"

غرفة المعيشة بصحبة "عدنان" .. بدا علي وجهها الحزن والاضطراب ..
جلست بجوار "عدنان" علي الاريكة .. فيما قالت لها "كوثر":
- سلامتك يا "سمر" .. سمعنا انك تعبانه
ابتسمت "سمر" ابتسامه باهته دون أن تجيب .. أطلقت تنهيده أعربت عن انشغالها بما يضايقها يؤرقها .. وقف "عدنان" والتفت حول "سمر" واضعا كفيه فوق كتفيها وهو ينظر الي الجميع قائلا بإبتسامه واسعه :
- أنا جمعتكوا هنا النهاردة عشان عندي ليكوا خبر يجنن
نظر الجميع الي بعضهم البعض في قلق .. فأخبار "عدنان" دائما صادمة !
قال بسعادة وهو قبل رأس "سمر" :
- أحب أعرفكوا كلكوا .. ان "سمر" حامل .. بس فمش حامل في ابني
اتسعت أعين الجميع دهشة وقد فغر كل منهم فاهه وكأن علي رؤسهم الطير ..
فأطلق "عدنان" ضحكة مرحة وهو يقول :
- سمر" حامل في ولادي.. حامل في توأم"
كادت أعينهم أن تخرج من محجريها وهم يرشقونها كالسهام في بطن "سمر" المختفي خلف ملابسها الواسعة .. هتفت "يسرية" بحده:
- عشان كدة لبستي واسع ؟ .. عشان تخبي الحمل عننا
أطرقت "سمر" برأسها تجيب علي عبارات التهنئة بهمهمات غير مفهومه ..
.. وعلي وجهها حزن وضيق ملحوظ
ألقت نظرة علي "مهند" الذي ترك الغرفة ووقف في الشرفه بعدما ألقي علي مسامعها كلمة تهنئة مقتضبة .. وقف يستند بيده الى سور الشرفه وهو يزفر بضيق شديد وقد أطلق الشرر من عيناه السوداوان .. لحقت به "فريدة" وقالت بحده :
- مالك يا "مهند"
التفت اليها ثم عاد ينظر أمامه وهو يقول :
- مفيش
وقفت بجواره وهي تقول بحده وترمقه بأعين متفحصه :
- لا في .. مالك .. ليه وشك اتغير لما سمعت خبر حمل "سمر"
زفر "مهند" بضيف شديد .. فارتعدت فرائص "فريدة" وهي تقول:

- "انت "مهند ....

لم تستطع أن تكمل عبارتها .. لم تستطع .. غزت العبرات عيناها وهي تقول بضيق :

- "ازاي تسمح لنفسك "مهند ....

لم يدعها "مهند" تكمل جملتها بل قاطعها وهو ينظر اليها بحزم قائلا:

- "فريدة" أنا كل ما أشوف "سمر" أحس انها ....

صمت فحثته قائله :

- تحس انها ايه ؟

زفر بقوة وهو يقول بعصبيه :

- مش مهم خلاص .. طلع احساسي غلط .. "فريدة" أنا عايز أسيب الفيلا .. علي الأقل مؤقتا .. حاسس اني مخنوق

نظرت اليه بحزن وقالت :

- طيب هتروح فين .. وهتقول لعمي ايه

قال بضيق :

- هروح اسكندرية .. هقوله محتاج لأغير جو معتقدش انه هيمانع

أومأت برأسها وهي تشجعه قائلا بحماس :

- ماشي يا "مهند" سافر .. علي الأقل عشان تعيد حساباتك .. واستعيذ بالله كتير .. ربنا ينجيك ويعصمك من الفتن

قال بخفوت :

- آمين

****

بالفعل لم يعارض "عدنان" في سفر "مهند" بل شجعه علي ذلك .. حزم أغراضه وقد أضناه السهر .. يشعر بحيره ما بين ما يشعر به .. وما يراه أمام عيناه .. .. ويضعفه .. نزل الدرج وهو يتمني ألا يلتقي بها .. بدا كمن يهرب من شئ يخيفه وضع حقيبته في السيارة .. و "دياب" يتطلع اليه ..ويشتته بإعجاب قائلا لزميله :

ما شاء الله عليه .. رغم اللي حصل في دراعه بس تحسه بيتصرف زي أي -
حد طبيعي .. صابر وراضي لأبعد حد .. ربنا يباركه في صحته وماله ويرزقه ببنت الحلال اللي تسعده

لم يكد "مهند" يركب سيارته ويتوجه بها الي بوابة الفيلا .. حتي رأى "دياب" هرولا في اتجاهه وهو ينظر الي أعلي ويصيح :

- حريقه .. حريقه

ضغط "مهند" مكابح سيرته وتوجل منها ليتجمد في مكانه هلعا وهو يرى النار تشب من غرفة "سمر" فهرول بعزم طاقته في اتجاه الفيلا .. صعد الدرج في لهفه وهو يحاول فتح باب الغرفة دون جدوى صارخا بإحضار نسخة المفتاح لميس" .. فإستعان ب "دياب" وهشموه معا فيما ارتفعت أصوات "التي بحوذة الصراخ من حناجر النساء .. استطاعا أخيرا أن يهشما باب الغرفة .. قبل أن تضعد "لميس" الدرج حامله المفتاح .. اختنق الجميع بالدخان المنبعث من ليجد "سمر" ملقاة علي الأرض وبجوارها كأس مهشم "الغرفة .. دخل "مهند : ".. وعلي ملابسها بضع قطرات من لون دموي .. صرخ ب "دياب

- شيلها معايا

لكن "دياب" حملها بمفرده بين ذراعيه وأخرجها من الغرفة .. فأسرع "مهند" أمامه وهو يهتف :

- "بسرعة يا "دياب

وضعها "دياب" في المقعد الخلفي وانطلق برفقة "مهند" الي المشفى ! .. بينما النساء من خلفهم في حالة خوف و فزع

وقف "مهند" و "دياب" خارج غرفة الفحص .. بدا علي "مهند" الاضطراب .. ربت "دياب" علي كتف "مهند" قائلا:

- بعد اذنك يا بشمهندس هتصل أطمن الجماعة عندي في البيت اني هتأخر

أومأ "مهند" برأسه وهو شاردا .. ابتعد "دياب" يتحدث الي هاتفه .. خرجت الظبيبه فهب "مهند" واقفا وهو يقول :

- ازيها .. عامله ايه دلوقتي؟

قالت الطبيبة مبتسمة :

- متقلقش الآنسة بخير
: تمتم "مهند" بخفوت بصوت قلق
- هي مدام مش آنسه .. جوزها اتصلت بيه وجاي في الطريق .. الحمل كويس .. يعني الجنين محصلوش حاجه؟
:اتسعت عينا الطبيبة وهي تقول بحيرة
- جوزها ايه وحمل ايه .. دي فيرجن
: وقع الخبر كالصاعقة علي رأس "مهند" .. وهو يقول بحيرة واضطراب
- مش فاهم .. أكيد حضرتك غلطانه
: قالت الطبيبة بهدوء وهي تضع يديها في جيب معطفها
- لما فاقت شافت العصير المدلوق علي هدومها فاتخضت وطلبت مني اني أفحصها .. يعني أنا متأكده من اللي بقوله .. وهي بخير الحمد لله .. الحمد لله انكوا خرجتوها بسرعة قبل ما تتخنق بالدخان
انصرفت الطبيبة وتركت "مهند" الذي يحاول أن يفيق من صدمته .. في تلك : اللحظة حضر "عدنان" وقال بلهفة
- هي فين ؟
أشار "مهند" الي الغرفه وهو ينظر الي عمه متفحصا اياه في امعان .. دخل " عدنان" الغرفة فتبعه "مهند" .. رآه وهو يجلس بجوار "سمر" ويمسك يدها : ويقول لها
- انتي كويسه يا حبيبتي
: أومأت برأسها وابتسمت بوهن قائله
- أيوة الحمد لله
!وقف "مهند" علي باب الغرفة يرمق كليهما في غضب .. غضب شديد

الفصل الرابع والعشرون

عادت سيارة "مهند" يقودها "بشير" والي جواره "دياب" .. تتبعها سيارة

عدنان" يقودها بنفسه والي جواره "مهند" و في الخلف "سمر" يبدو عليها " التعب و الارهاق .. استقبلهم الجميع محاولين الاطمئنان علي صحة "سمر" و علي حملها ! .. طمأنهم "عدنان" قائلا:

الحمد لله هي بخير واللي في بطنها بخير -

ظهر علي وجه "مهند" امارات الضيق .. وصعد متوجها الي غرفته .. اقتربت "بيسان" من "سمر" وعانقتها قائله :

حمدالله علي سلامتك يا "سمر" .. الحمد لله انك بخير والبيبي بخير -

قالت "فريدة" :

.... سلامتك يا "سمر" .. الحمد لله انك كويسه -

توجه الجميع برفقة "سمر" الي غرفة النعيشة بينما صعدت "فريدة" الي غرفه مهند" .. طرقت الباب فأذن لها بالدخول .. نظرت اليه بقلق قائله" :

رجعت ليه .. مش كنت هتسافر .. خلاص "سمر" بأت كويسه -

تمتم بخفوت وهو مطرقا برأسه :

غيرت رأيى .. مس هساقر -

ثالت بحدة :

ليه يا "مهند" مش هتسافر -

نظر اليها بإنهاك قائلا :

هقولك بعدين .. لما كل حاجه تتكشف -

رفعت حاجبيها بإستغراب وهي تقول :

هو ايه ده اللي يتكشف ؟ .. مش فاخمة كلامك -

وقف "مهند" قائلا بحزم :

فريدة" قولتلك هشرحلك بعدين .. ممكن تسبيتي دلوقتي لاني مرهق جدا " - ومحتاج أرتاح شويه

غادرت "فريدة" الغرفة بتبرم وهي تشعر بالقلق علي أخيها .. وقلب أخيها !

****

نزل "عادل" من سيارته أمام فيلا "زياكيل" وهو يقول بتهكم :

- هو أنا مفيش ورايا الا العيلة دي ولا ايه .. ده باينه مرار طافح

كالعادة .. اتخذ "عادل" من مكتب "عدنان" مكانا لبدء التحقيق بينما كان فريقه يفحصون مكان الحريق لمعرفة أسبابه .. أول من استمع الي شهادته هي "سمر" التي قالت :

معرفش ايه اللي حصل .. أنا فوقت لقيت نفسي في المستشفي

قال "عادل" بإهتمام :

- يعني مشوفتيش النار .. مشمتيش ريحة الدخان

هزت "سمر" رأسها نفيا وقالت :

- لا خالص

قال "عادل" وهو يحك ذقنه مفكرا بإمعان :

- طيب احكيلي اللي حصل من أول ما دخلتي الأوضة .. وعل شوفتي فيها حاجه غريبة ولا لأ

قال "سمر" شارده وهي تتذكر :

- أنا طلعت أريح في الاوضة زي كل يوم .. بنام شويه بعد ما برجع من الشغل وطلبت العصير بتاعي شربته .. ودي اخر حاجه انا فاكراها .. ممكن أكون .. نمت من الارهاق وعيني غفلت من غير ما أحس

قال "عادل" وهو ينظر اليها بإهتمام:

- انتي متوعده تشربي عصير كل يوم

- أيوة .. بعد الغدا .. انا بشربه معاهم . أو بطلع أشربه في أوضتي

- ومين اللي بيجبهولك .. بتعمليه بتفسك ؟

- لأ .. الشغاله هي اللي بتعملهولي .. دي واحدة مسؤله عن كل حاجه خاصه بيا من يوم ما جيت الفيلا

- وبعد ما حبتلك العصير ايه اللي حصل

قالت "سمر" مؤكدة:

- خرجت وأقفلت أنا الباب وراها بالمفتاح

- علي طول بتقفليه بالمفتاح ؟

- أيوة

- المفتاح له نسخ تانيه

- 3 نسخ .. وواحدة مع "عدنان" وواحدة مع مدام "لميس"

- مديرة الفيلا مش كده

-أيوة

شرد "عادل" وهو يقول في نفسه ها هو ذالك الاسم يتردد مرة أخرى !

جلس "عدنان" أمام "عادل" مجيبا:

- الأوضه ملهاش الا ٣ مفاتيح بس .. ومستحي حد يطلع علي المفتاح حتي لو سرقه.. الكالون ده أنا جايبه من بره .. مينفعش يطلع للمفتاح بتاعه نسخ تانيه

- طيب بتشك في حد معين .. مدام "لميس" مثلا

قال "عدنان" بحزم :

- لا طبعا مستحيل أشك فيها

رفع "عادل" حاجبيه بدهشه .. ها هو للمرة الثانية يدافع عن مدبرة منزله بقوة .. قال "عادل" :

- طيب تفسر بايه الحريقه اللي خصلت .. واللي الخبرا بتوعنا اللي فحصوا الاوضه دلوقتي أكدوا انها بفعل فاعل .. حد ولع في الفرش اللي في البلكونه.. تفسر ده بايه

قال "عدنان" بوجوم :

- معرفش .. حقيقي معرفش

قال خادمة "سمر" علي الفور :

- أنا اديت لمدام "سمر" كوباية العصير وخرجت وسمعتها وهي بتقفل الباب ورايا بالمفتاح

- مخدتيش بالك من حاجه غريبه

- لا أبدا .. أنا اديتلها كوباية العصير ونزلت علي طول

: قالت "لميس" بأعين دامعة
"لا طبعا مش ممكن أعمل كده .. وأنا ايه مصلحتي في أذية مدام "سمر -
: قال "عادل" بلؤم
يعني ممكن تكوني شايفاها أخدت من البيت ده حاجه كانت عينك عليها .. -
وخبر الحمل كان القشة اللي قطمت ظهر البعير
: احتدت "لميس" هاتفه
لو سمحت مسمحلكش تكلمني كده .. أنا واحده محترمة -
: قال "عادل" بلؤم
طيب اديتي مفتاح الاوضه لحد ؟ -
قالت بحزم:
لا مستحيل أديه لحد لان "عدنان" بيه طلب مني كده .. حتي البنت اللي -
بتنضف وبتشوف طلبات مدام "سمر" .. أنا اللي بفتحلها الأوضة بنفسي وبقف
لحد ما تخلص تنضيف وتخرج وأقفل وراها

احتار "عادل" بشدة .. وظل يفرك ذقنه بعصبيه اندثرت فجأة عندما دخلت
علي استحياء .. لمعت عيناه وهو يشير اليها بالجلوس أمامه ويطلب ""فريدة
: من أحد العساكر أن يأتي بكوب عصير ليمون ثم التفت اليها يقول ضاحكا
شكلك متماسك النهاردة .. مش منهاره كالعاده .. ولا عشان المرة دي مفيش -
جثث .. عامة طلبتلك اللمون احتياطي عشان لو انهرتي فجأة
أطرقت رأسها وهي تحاول ألا تبتسم .. تنحنح ثم تحدث بجديه قائلا:
قوليلي بأه اللي تعرفيه عن الحريقة اللي حصلت -
: قالت "فريدة" مقطبة الجبين
كنت في الجنينه .. سمعت "دياب" الحارس اللي علي البوابة بيصرخ وبيقول -
.. حريقه .. بعدها شوفته هو و "مهند" بيجروا ناحية الفيلا فجريت وراهم
وكسروا الباب وطلعوا "سمر" من الأوضة وخدوها علي المستشفى
: أومأ "عادل" برأسه وهو يفكر في كلامها قائلا بمكر مبتسما

- طيب ملكيش أي توقعات المرة دي .. زي توقع المرة اللي فاتت بتاع ان اللي مقصود بالقتل هو الجنايني
قالت "فريدة" بحماس :
- أيوة عندي توقع .. صحيح هو مبني علي مجرد احساس .. بس ممكن يكون بداية الخيط
استمع لها "عادل" في انتباه .. انتباه شديد !

****

طرقت "فريدة" غرفة "بيسان" التي تقيم بها في الفيلا .. فتحت "بيسان" ورسمت ابتسامة باهته علي شفتيها وهي تدعو "فريدة" للدخول .. جلست "فريدة" أمامها علي الأريكة المواجهة للفراش وهي تقول :
- بيسان" في حاجه حصلت بينك وبين "نهاد" ؟"
اضطربت "بيسان" وقالت :
- لا أبدا ليه بتقولي كدة .. أنا بس حبيت أغير جو أنا و "فريد" مش أكتر من كدة
لم تقتنع "فريدة" بتلك الكلمات كمبرر علي بقاء "بيسان" في الفيلا بدون "نهاد" ! .. لكنها قالت :
- أنا مش قصدي أتدخل في خصوصياتك .. بس أنا حابه أتطمن عليكي
عندها لم تستطع "بيسان" الاستمرار في التظاهر بأن كل شئ علي ما يرام وانفجرت في البكاء .. نهضت "فريدة" من فوق الأريكة وجلست بجوارها علي الفراش وهي تربت علي ظهرها قائلا :
- خلاص يا "بيسان" .. كفايه .. اهدي
حاولت "بيسان" السيطرة علي عواطفها وهي تمسح عبراتها بأيدي مرتجفه وتقول :
- أنا كويسه .. كويسه
نظرت اليها "فريدة" بأسى قائله :
- لو تحبي تتكلمي معايا اتكلمي .. وكوني واثقه ان محدش هيعرف أبدا

قالت "بيسان" ووجها ينطق بالألم :

- نفسي فعلا أتكلم مع حد وأخرج اللي جوايا يمكن أرتاح شويه .. بس مش هقدر .. مش هقدر أبدا أفشي سر "نهاد" وأخلي صورته تتهز أدام أي حد

لاحت الابتسامه علي شفتي "فريدة" وهي تقول:

- انتي عاقله أوي يا "بيسان" .. ما شاء الله عليكي

قالت "بيسان" بمراره :

- ياريت العقل ده كان فادني .. بس للأسف مافادنيش

قالت "فريدة" بحنان:

- بصي يا "بيسان" صحيح أنا معرفش ايه هي المشكلة اللي بينك وبين جوزك بس أنا عارفه الحل

نظرت اليها "بيسان" بإهتمام فأكملت "فريدة" بثقه :

- لو عايزين البركة تدخل حياتكم وعلاقتكم ببعض .. لازم تقربوا من ربنا أكتر من كدة .. ما عند الله لا ينال الا بطاعته .. صحيح "نهاد" بيحبك وانتي بتحبيه .. بس الحب مش كفاية أبدا عشان يعصم الواحد من الزلل .. لازم يبقي في جواكي وجواه خوف واحساس بالمراقبة .. ومش انتي وجوزك بس .. لا .. كلنا لازم نستشعر احساس اننا متراقبين في كل ساعة وكل لحظة .. وان مفيش حاجه بنقولها ولا بنعملها ولا حتي بنفكر فيها الا وربنا بيعلمها .. سبحانه وسع علمه كل شئ .. الخوف من ربنا والقرب منه هو اللي هيحمينا من الوقوع في الغلط

ثم قالت وهي تنظر الي "بيسان"بإمعان وقد استشعرت في نفسها سبب الخلاف :

- مهما كان "نهاد" بيحبك يا "بيسان" .. مش حبك هو اللي هيمنعه من انه يغلط .. لازم يخاف من ربنا قبل ما يخاف منك .. لازم يخاف انه يغضب ربنا قبل ما يخاف انه يزعلك .. لازم يندم علي غلطه في حق ربنا قبل غلطه نحيتك

فكرت "بيسان" فيما قالت "فريدة" ثم تنهدت قائله :

- معاكي حق يا "فريدة" .. معاكي حق .. أنا كنت فاكرة ان الحب ده أقوي حاجه في الدنيا .. وهي اللي تخلي أي راجل مخلص لمراته .. وأي واحدة مخلصه لجوزها .. بس الكلام ده فعلا غلط .. الحب مش أقوي حاجه تمنع

زي ما قولتي الخوف من ربنا و من عقابه أقوي من ..الانسان من انه يغلط الحب بكتير
ابتسمت "فريدة" وهي تربت علي كتفها قائله :
- وأنا اللي أعرفه عنك انك عاقله يا "بيسان" وهتقدري نعدي من الأزمة دي ..
" نهاد" ابن عمي كويس مش وحش .. بس هو زي رجاله كتير أقصي طموحاته من الدنيا انه يتجوز ويخلف ويبقي عنده شقه وعربيه وحساب في البنك .. مبيفكرش في اللي أبعد من كده .. ودي مهمتك انتي .. تاخدي بإيد جوزك واحدة واحدة وتعرفيه الطريق الصح
ثم ألقت "فريدة" نظرة علي حجاب "بيسان" القصير وملابسها الضيقه وهي تقول:
- بس لازم تغيري من نفسك الأول .. تتغيري من بره وجوه .. ازاي هتعنيه علي الصح وانتي بتعملي الغلط ؟ .. ربنا بيقول "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم"
أومأت "بيسان" برأسها وهي تقول :
- معاكي حق .. لازم أبدأ بنفسي الأول
ثم شردت قائله بصرامة في نفسها :
- لازم أحافظ علي بيتي من أي حية عايزه تهده فوق دماغي .. مش ممكن أدي الفرصة لواحدة حقيرة انها تخطف جوزي مني
ثم لمعت عيناه بخبث وهي تردد في نفسها :
- بس لازم أسيب "نهاد" كده شويه .. عشان يتربي

****

التف الجميع حول طاولة الطعام ..أقبلت "سمر" فرفع "مهند" رأسه علي الفور يتأملها الي أن جلست .. قالت لها "انعام" بحنان :
- ازيك دلوقتي يا "سمر" ؟
ابتسمت "سمر" قائله :
- بخير الحمد لله

رفعت عيناها الي "مهند" الجالس أمامها لتجده ينظر اليها فأشاحت بوجهها علي الفور ..حضرت خادمة "سمر" لتعطيها هاتفها .. قالت "فريدة" الي الجميع :

علي فكرة أنا عرفت من الظابط "عادل" ان القاتل اللي قتل الحارس فاق من - الغيبوبة .. وقال معلومة مهمة جدا

التفت اليها الجميع في اهتمام .. وهتفت بها "يسرية" بلهفة :

قال ايه ؟ -

قالت "فريدة" وهد تجول بعيناها في وجوه الجميع :

قال انه كتب ورقه وخباها في الجراج .. والورقه دي فيها اسم الشخص اللي - استخدمه عشان يدخل عندنا الفيلا

نظر الجميع الي بعضهم البعض في دهشة .. التفت "مهند" قائلا اليها :

غربية ايه اللي بخليه يكتب ورقة زي دي .. طيب ليه البوليس مفتش - الجراج؟

قالت "فريدة" بلا مبالاة وهي تتناول طعامها :

الظابط "عادل" بيقول مستنيين أمر من النيابة بتفتيش الجراج -

شردت "كوثر " .. بينما نهض"حسني" علي عجل حاملا هاتفه وهو يقول:

بعد اذنكوا هرد علي التليفون -

غادر الغرفة ومن بعده "علاء" .. بينما جلست "انعام" مقطبة الجبين وهي تتمتم بصوت خافت :

غريبة -

عادت "فريدة" لاكمال طعامها وكأن شيئا لم يكن .. دعت الله أن تنجح خطتها التي رسمتها مع .. "عادل" .. للايقاع بالشخص الذي استخدم القاتل وأدخله الفيلا يوم حفلة اصدار "مهند" لكتابه .. فهو نفس الشخص الذي دبر الحريق "في غرفة "سمر !

****

مد "دياب" يده الحامله بعلبة قطيفه صغيرة الي "دعاء" مبتسما وهو جالس

قبالتها في بيت خالها قائلا :
- اتفضلي
نظرت "دعاء" بدهشة الي العلبة .. فحثها "دياب" قائلا :
- خديها .. افتحيها
أخذتها من يده بعد لحظة توتر وفتحتها لتجد خانما ذهبيا خفيف الوزن .. رفعت عيناها المتسائلتين الي "دياب" فابتسم بخجل قائلا :
- كان نفسي أجيبلك حاجه أكبر من كدة .. بس معلش .. بكرة أجيبلك أحسن منه ان شاء الله
ابتسمت "دعاء" وهي تنظر بسعادة الي الخاتم وتمتم :
- شكرا
اقترب منها "دياب" وجلس علي الاريكة التي تجلس عليها تاركا مسافة بينهما .. توترت "دعاء" وهو يمد يده ليأخذ الخاتم من العلبة ويقول مبتسما :
- عايز ألبسهولك أنا
أخذت تفرك أيديها بتوتر لا تجرؤ علي مد يدها اليه .. مد "دياب" يده ليلتقط كفها بين راحته فاشتعلت وجنتاها خجلا وارتعش كفها وهي مطرقة برأسها .. اتسعت ابتسامة "دياب" وأطل الشغف من عينيه وهو يتأمل خجلها الذي جعل قلبه يرقص طربا .. وألبسها الخاتم .. بضميــر

****

بعد الانتهاء من العشاء جلس الجميع أمام التلفاز .. شعرت "سمر" بعينان مصوبتان تجاهها .. رفعت رأسها ليخفق قلبها بقوة وهي تتطلع الي عيني أشاخت بوجهها وقد بدا التوتر علي محياها .. كانت "سمر" تجلس .. ""مهند علي مقعد كبير في الزاوية البعيدة للغرفة وبجوارها منضدة صغيرة .. نهض "مهند" وتظاهر بأنه يحضر منديلا من فوق المنضده .. وقف خلفها ينحني لالتقاط المنديل و بعد أن أدار عيناه علي الجميع ليتأكد من اندماجهم فيما يشاهدون .. همس بالقرب من أذن "سمر" :
- هستناكي في أوضتي بعد ما الكل ينام

: خفق قلبها بقوة وهمست وهي تتطلع الي الجميع بقلق
مش هاجي -
: همس بحزم
هتيجي -
زمت شفتيها بقوة بينما عاد "مهند" الي مكانه وهو يرمقها بنظراته بين الحين والآخر ..نهضت فجأة واستأذن من الجميع للخلود الي الفراش .. بعد دقائق حسني" برفقة "عدنان" و توجها الي المرسم للحديث عن العمل .. "نهض "فريدة" و "انعام" و "بيسان"بقيت "نهال" و
بقي "مهند" الي أن صعد الجميع الي غرفهم .. ثم صعد الي غرفته .. أخرج : هاتفه وأرسل ل "سمر" رساله يقول فيها
كلهم ناموا .. وعمي "حسني" مع عمي "عدنان" في المرسم .. مستنيكي في - أوضتي
ألقت "سمر" الهاتف من يدها فوق الطاولة في الشرفه وهي تزفر بقوة .. أخذ مهند" يسير في غرفته بتوتر مجيئا وذهابا الي أن مر أكثر من نصف ساعة " "دون أن تظهر "سمر
سمعت "سمر" طرقات علي باب الغرفة فذهبت لفتحها .. اتسعت عيناها دهشة : وهي ترى "مهند" واقفا علي أعتاب غرفتها .. هتفت وهي تنظر خلفه
انت بتعمل ايه في أوضتي .. "مهند" انت اتجننت -
حاولت غلق الباب لكنه دفع الباب بكفه ثم دفعا ودخل الغرفة .. ثم .. أغلق :الباب بالمفتاح الموضوع في الباب .. هتفت "سمر" بحدة
انت اتجننت .. اتفضل اطلع بره .. افرض حد شافك -
فجأة صاحت "سمر" بألم عندما قبض "مهند" بقوة علي شعرها ودفعها الي الخلف ليلتصق ظهرها بالجدار .. أصدرت آهات ألم وهي تحاول الفكاك من : قبضة يده وهي تهتف
مهند" انت اتجننت .. سيب شعري" -
سحب شعرها للخلف فاضطرت أن ترفع رأسها فالتقت عيناها بعينيه التي تشع : غضبا وسمعته بقول بغضب شديد وهو يزيد من ضم قبضة يده علي شعرها
فرحانه بيه وبجسمك وعاملالي عرض أزياء من أول ما جيتي ؟ .. عارفه أنا -

عايز أعمل فيكي ايه دلوقتي .. أديكي كام قلم علي وشك أطفي بيهم النار اللي جوايا

هتفت بغضب وهي تحاول من جديد أن تفلت شعرها من بين أصابعه المتشبثة بها بقوة :

- سيب شعري .. انت ملكش حكم عليا .. ملكش دعوة أبين شعري ولا مبينوش .. ألبس متغطي ولا عريان .. أنا حرة .. آآآآآه

أطلقت صرخة ألم أخري عندما اشتدت قبضته علي شعرها حتي تمزقت شعرتين أو ثلاث بين أصابعه وهو يقول بغضب شديد:

- قسما بالله لو شوفتك من غير حجاب تاني ولا شوفتك لابسه حاجه تبين مللي واحد من جسمك لهديكي حتت علقة .. وأدامهم كلهم ولا هيهمني

علي الرغم من قسوة قبضته علي شعرها وما تشعر به من ألم الا أنها لم تستطع أن تمنع شعور السعادة الذي تسرب اليها وجعل قلبها يخفق بقوة .. لكنها أخفته بداخلها وهي ترسم تعبيرات غاضبة علي وجهها قائله بحده :

- ممكن تسيبني بأه

ترك "مهند" شعرها فأعادت جمع الخصلات المشعثة وهي تتطلع الي عيني التي تحولت من الغضب الي الحنان في لمح البصر .. أخفضت بصرها ""مهند لا تقوي علي مواجهة نظراته التي تتأمل في ملامحها بإمعان خشية أن يفضحها وجهها معلنا عما يعتمل في داخلها من أحاسيس .. سمعته يهمس متنهدا :

- هحتاج فترة عشان أتعود علي شكلك الجديد

رفعت رأسها قائله بكبرياء :

- تتعود أو متتعودش دي حاجة متهمنيش

لكن كبريائها تحطم ومقاومتها تلاشت عندما رفع كفه يمرره علي وجنتها بحنان وهو يحتضنها بعينيه .. اضطربت "سمر" .. ثم .. لاحت في عينيها العبرات تصرخ معلنة عن ألم يشعل النيران داخل صدرها .. همس "مهند" بحنان وهو يمسح بأصابعه احدي العبرات الهاربه من عينيها :

- متعيطيش .. عشان خاطري متعيطيش

اضطرب تنفسها وتسارع وهي تنظر اليه برجاء هاتفه بألم :

- اخرج .. أرجوك اخرج

أطرقت برأسها .. فما كان من "مهند" الا أن أومأ برأسه بهدوء ثم غادر الغرفة في صمت وامارات الأسى علي محياه

****

اختفت ابتسامة "دياب" بعدما هتفت "سحر" بسخرية وهي تقلب الخاتم بين أصابعها :

- دهب ده ولا صفيح

قال بجدية :

- دهب طبعا يا "سحر"

قالت وهي تلوي شفتيها :

- ده كام جرام ده .. ده محصلش خاتم أطفال من اللي بيلبسوه للعيال اللي لسه مولودين .. هتكسف طبعا ألبسه قدام جيراني

تنهد "دياب" بقوة ثم قال بضيق :

- أنا جبتلك واحد زي ما جبت ل "دعاء" .. عشان أنا مش عايز أفرق بينكوا في المعاملة .. زي ما هجيبلك هجيبلها .. وزي ما هجيبلها هجيبلك .. عشان عقاب اللي ما بيعدلش بين زوجاته انه بييجي يقوم القيامة وأحد شقيه مائل .. ربنا يعفينا

هتفت "سحر" بغضب :

- البتاعة دي متجبش سيرتها أدامي ابدا انت فاهم .. أنا أعده هنا عشان بنتي وبس مش أكتر من كدة

قال "دياب" بحزم وهو يغير ملابسه :

- مسمهاش بتاعه .. اسمها "دعاء"

زفرت "سحر" بحنق ثم توجهت الي المطبخ تجلي الصحون وتنظف المطبخ قرابة الساعة .. تحممت وتوجهت الي الفراش .. اقترب منها "دياب" يسمح علي شعرها محاولا تقبيلها .. الا أنها دفعته عنها وقالت بحنق :

- "دياب" أنا مش فايقه دلوقتي

لم ينبت ببنت شفه .. بل أعطاها ظهره وتدثر ونام وهو يغمض عيناه قائلا بهدوء:

علي فكرة أنا مكنتش عايزك .. بس محبتش أكون مقصر معاكي -

زادتها كلماته حنقا تقلبت بعنف وهي تضع الصغيرة بينهما .. تنهد "دياب" وهو يهز رأسه يمينا ويسارا ثم يخلد للنوم

****

هتفت جارة "سحر" بتهكم :

سكتناله دخل بحماره -

جلست "سحر" بجوارها وهي تقول بحنق :

لا وجاي يضحك عليا بحتت خاتم معفن .. والله لو تشوفيه مستحيل ترضي تلبسيه ابدا أدام حد

قالت جارتها بلهفة :

وناويه تعملي ايه .. هتسيبي العقربة اللي اتجوزها دي تخطفه منك -

هتفت "سحر" وهي تشيح بيدها :

تخطفه يختي .. تشبع بيه -

قالت جارتها بلؤم :

يا خايبه .. ده انتي لازم تلاعبيهم علي الشناكل .. أمال تسيبهالها خضرة - مخضرة كده

قالت "سحر" بإستغراب :

يعني أعمل ايه يعني -

قالت جارتها وقد ازداد حماسها :

هقولك علي حاجه تعمليها تطلع من حبابي عنيهم .. بس قوليلي الأول .. انتي - عارفه معاد دخلتهم

قالت "سحر" بضيق :

- أه يختي عارفاه الاهي ما يوعوا يتهنوا بيها
لمعت عيناها وهي تبث سمها في أذني "سحر" قائله:
- حلو .. تعالي بأه أقولك ازاي تبوظيلهم الليلة .. وشهر العسل كله

****

في المساء خرجت "سمر" الي الحديقه تتمشي فيها .. شارده .. قلقه .. كعابرة سبيل ضلت طريقها .. وصلت الي المرسم .. وأشعلت ضوءه .. وضعت كفيها في جيبها تتطلع الي اللوحات المرصوصة بجوار بعضها علي الجدار .. فجأة انطفأ النور.. التفتت بسرعة فرأت عبر ضوء القمر المتسلل من الجدار "الزجاجي للمرسم ثم ببطء يدخل مقتربا .. وهو يقف أمام باب المرسم "مهند منها .. بلعت ريقها بصعوبة ثم سارت متجه الي باب المرسم .. لكن قبضة "مهند" علي ذراعها منعتها من التحرك .. نظرت اليه قائله بحده :
- سيبني
علت شفتيه ابتسامه خبيثه ونظرة مرح في عينيه وهو يهز رأسه نفيا ..
ازدادت حدتها وهي تحاول افلات ذراعها من قبضته قائلا :
- "مهند" سيبني .. ممكن حد يشوفنا
اختفت ابتسامته ليقول بجدية :
- لازم نتكلم
استطاعت أخيرا تحرير ذراعها من قبضته التي تراخت ونظرت اليه ببرود قائله
:
- مفيش بينا حاجة نتكلم فيها
حاولت المغادرة لكنه أطبق علي ذراعها وأوقفها أمامه مرة أخري مقتربا بوجهه منها حتي استطاعت أن تشعر بأنفاسه الساخنة تلفح وجهها وهو يقول بحدة :
- ليه أوهمتوني انك اتجوزتي .. ايه اللي استفدتوه من اللعبة دي
صمتت للحظات دت خلالها مصدومة ثم نظرت الي عينيه بتحدي وهي تقول بقسوة شديدة :

- ومين قالك اني متجوزتش .. صحي النوم
لاحت علي شفتيه ابتسامه وهو يقول بتهكم :
- أنا عرفت كل حاجة
توترت "سمر" وقالت :
- عرفت ايه
قال "مهند" والغضب علي محياه :
- الدكتوره قالتلي انك لما فوقتي اتخضيتي لما شوفتي العصير اللي كان علي هدومك وطلبتي منها تفحصك
بلعت "سمر" ريقها بصعوبة وقد احمرت وجنتاها خجلا وغضبا في نفس الوقت .. فأكمل "مهند" بغضب :
- اتكلمي .. عايز أفهم .. ليه عملتي كده .. انطقي ليه عملتي كده .. كان كتب كتاب بس مش كده ؟ .. ولا مكتبتوش الكتاب اصلا ؟ .. انطقي
هتفت بغضب :
- "مهند" ابعد عني .. أنا معنديش استعداد أفهمك أي حاجه أو أشرحلك أي حاجه
نزعت ذراعها من يده وسارت متوجهة الي باب المرسم لكن قبل أن تصل اليه أمسكها "مهند" مرة أخري وأدارها تجاهه .. وقبل أن تعي ما يحدث وجدته يحيط جسدها بذراعه يضمها اليه بشده .. بشوق .. بحنان .. سكنت فجأة .. لحظات بدت كسنوات خفق خلالها قلبها بقوة وأغمضت عيناها .. همس في أذنها بعذوبه :
- يااااه .. أخيرا
تنهد بقوة ثم أبعدها قليلا ينظر الي أعماق عينيها هامسا :
- بحبك
خفق قلبها بشدة واضطرب تنفسها .. حاولت أن تبعده عنها لكنه كان مطبقا عليها بقوة .. نظرت اليه وقالت وهي تحاول أن تتصنع البرود :
- وأنا مش حسه بأي حاجه نحيتك
قال بحنان وهو يغوص بنظراته في عيناها :
- كدابه .. عنيكي بتقول غير كده .. عنيكي بتصرخ وتقول أنا كمان بحبك يا

""مهند

لمعت العبرات في عيناها وهي تهتف بألم :

- لو عنيا قالت كدة هغمضهم .. مش هفتحهم أبدا .. هغيرهم زي ما غيرت وشي

نظر اليها "مهند" هاتفا بأسي بصوت متهدج :

- الخنجر اللي اتكلمتي عنه في خاطرتك خنجرك انتي .. واللي علي الخنجر ده دمي أنا

قالت بتهكم ممزوج بالغضب :

- بتحاول تخدع نفسك ولا تخدعني ؟

أطرقت برأسها فوقعت عيناها علي فراغ البدلة مكان ذراعه الأيسر المبتور .. ازداد لمعان عينيها .. ودون تفكير .. رفعت كفها تتحسس ذلك الفراغ بطول ذراعه من أعلي الي أسفل والعبرات تتساقط فوق وجنتيها علي وجهها الذي ينطق ألما .. نظر "مهند" الي كفها الذي يرتعش متحسسا ذراع البدلة الفارغ ثم نظر اليها يضمها اليه بشدة .. ما ان لامس وجهها صدره حتي انفجرت في البكاء .. وكأنها تحبس بداخلها بركانا تفجر فجأه لا تريد حممه أن تهدأ .. بدت "مسح "مهند" بيده علي ظهرها وقبل رأسها وهو يقول بحنان بالغ متأثرا لبكائها :

- حبيبتي أنا كويس .. صدقيني كويس .. وراضي باللي ربنا اختارهولي .. حالي أحسن من حال شباب كتير اصاباتهم كانت أكبر .. الحمد لله علي كل حال

رفعت وجهها المبلل العبرات وهي تنظر اليه هامسه :

- انت جميل أوي .. و قوي أوي .. ياريتني كنت قوية زيك

مسح عبراتها بأطراف أصابعه وهو يقول برقه :

- الحمد لله ان ربنا شافاكي .. الست ردتلي الجميل بأحسن حاجه ممكن أي حد في الدنيا يقدمهالي

نظر الي ذراعها الذي عاد كليا الي طبيعته .. متحسسا اياه .. ثم نظر اليها متطلعا الي تلك العينان التي لطالما رآهما تتطلعان الي .. بحب .. وعشق .. تحسس وجنتها بأنامله قبل أن ينحني ليطبع قبل رقيقه علي شفتيها دون مقاومة منها

وعلي مقربة منهما شهقت "يسرية" التي كانت تصورهما بهاتفها .. وقفت للحظات أخري فرأتهما يتحدثان قليلا وتنظر "سمر" الي ساعتها ثم يستعدان لمغادة المرسم .. أسرعت وتوجهت الي داخل الفيلا وهي تقبض علي هاتفها وكلها عزم واصرار علي فضح .. "مهند" .. و .. "سمر" !

توجهت الي غرفة المعيشة حيث اجتمعت العائلة بأسرها وصاحت بقوة :

- شوفت "مهند" بيبوس "سمر" في المرسم

بدا وكأن صاعقة ضربت في المكان ونزلت فوق رؤسهم !

الفصل الخامس والعشرون

(((فـلاش بــاك)))

فى الإسكندرية .. المندرة .. وفى أحد الشوارع القريبة من البحر .. والتى تضم بيوت سكنيه متراصة ملتصقة ببعضها البعض .. أطلقت الصغيرة ذات الست سنوات ضحكاتها المرحة وهي تسير برفقة صديقاتها عائدة الي بيتها .. لوحت لهم مودعة ودخلت البناية وصعدت الدرجات القليلة التي تفصلها عن باب بيتها .. فتحت لها الباب امرأة بشوش تبدو امارات الطيبة والحنان جليه علي ملامحها وعيناها وهي تتطلع الي ابنتها .. عانقتها الطفله قائله:

-ازيك يا ماما....

قبلت الأم رأس الصغيرة وداعبت شعيراتها المتمردة قائله بعتاب:

-قولنا اللي يدخل مكان يقول ايه

هتفت الصغيرة مبتسمة:

-السلام عليكم

ابتسمت أمها قائلة:

-وعليكم السلام .. يلا حبيبتي ادخلي غيري علي ما أغرفلك تاكلي

دخلت الصغيرة الي غرفتها الصغيرة تنزع عنها مريلة المدرسة ذات اللون البني بعدما ساعدتها والدتها علي فك أزرارها القوية علي يداها الصغيرتان .. دخلت والدتها المطبخ تضع طعام الصغيرة في طبقها المفضل .. انتهت الصغيرة من

تبديل ملابسها لتجلس علي فراشها الصغير حاملة عروستها المصنوعة من القماش والتي تحبها كما لو كانت ابنتها .. وفجأة فزعت الصغيرة وهي تستمع الي أصوات الصراخ التي عمت المكان .. نظرت بخوف واضطراب الي والدتها التي ارتدت اسدالها وهرولت تفتح باب المنزل وهي تتساءل بخوف:

-في ايه .. ايه اللي حصل ؟

رأت امرأة تنزل الدرج بسرعة وفي يدها ابنتها ذات الستة عشر ربيعا وهي تهتف بلوعه:

-في ماس في العمارة .. حصلت حريقة في شقة أم "رامي" .. هاتي "سامرين" واخرجوا بسرعة

دخلت الأم مسرعة وحملت الصغيرة علي ساعدها وأخذت مفتاح البيت المعلق خلف الباب وهرولت مسرعة الي خارج البنايه .. وقفت بجوار المرأة وهي تهتف بلوعة:

-أمال فين أم "رامي" ؟

قالت المرأة وهي تلهث:

-متقلقيش شوفتها نازله

أقبلت عليهما امرأة يبدو علي ملامحها امارات الهلع .. فهتفت بها أم "سامرين " :

-أم "رامي" ايه اللي حصل .. وفين "رامي" لسه في المدرسة ؟

قالت المرأة بهلع وهي تتطلع الي النيران التي تلتهم شقتها من الشباك:

" -رامي" عنده درس بعد المدرسة .. لقيت فجأة شرارة ومسكت في الستارة والأنترية فضلت أصوت ونزلت جري من علي السلم

تجمهر الجيران حولهم مطمئنين اياهم .. بكت الصغيرة "سامرين" علي كتف والدتها وتعالت شهقاتها .. اقتربت منها احدي الجارات وربتت علي ظهرها قائله :

-يا حبيبتي متخفيش .. بطلي عياط

ثم نظرت اليهم قائله:

-تعالوا اتفضلوا عندي في البيت علي ما الرجالة تطفي الحريقه ويتأكدوا ان الكهربا سليمة مش معقول هتفضلوا واقفين في الشارع كدة

دخلت الثلاث نساء بيت الجارة فحضرت لهم العصير قائله:

-اشربوا حاجه تروق دمكوا .. دا أنا اتفزعت من صوت الصويت

ثم نظرت الي أم "رامي" ضاحكة وهي تقول:

-عليكي صرخة يا أم "رامي" تخض العفريت

ابتسمت أم "رامي" ابتسامة باهته وهي تنظر الي المرأة بجوارها قائله:

-علي فكرة أم "فريدة" كان صويتها أعلي مني
قالت الجارة ضاحكة:
-افتكرتها انتي
قالت أم "فريدة" وهي تشد علي يد ابنتها:
-أعمل ايه اترعبت لما لقيتها بتصرخ وبتقول حريقه .. ومفيش راجل في البيت ..لا جوزي ولا "عدنان" ولا "حمدي" بيرجعوا دلوقتي من الشغل .. فضلت أصرخ غصب عني
نظرت "فريدة" الي الصغيرة قائله:
" -سامرين" خلاص متخافيش مفيش حاجه
تعلقت "سامرين" بعنق والدتها أكثر بينما نظرت أمها الي أم "فريدة" قائله:
-أمال فين "مهند" في المدرسة برده ؟
هزت رأسها نفيا وقالت:
-لا في الدكان
لحظات وسمعوا طرقات علي الباب نهضت الجارة لتفتح الباب فطالعها شاب في السادسة عشر من عمره .. أسمر البشرة .. طويل .. نحيل .. قال لها بأدب:
-السلام عليكم .. هي ماما عند حضرتك ؟
هتفت أم "فريدة" من الداخل:
-تعالي يا "مهند"
بمجرد أن رأته الصغيرة .. تركت عنق والدتها واندفعت كالسهم في اتجاه الشاب فانحني ليسمح لها بأن تحيط عنقه بذراعيها ويرفعها حاملا اياها بخفه ..
أشارت له الجارة بالجلوس وقالت:
-اتفضل يا ابني
جلس "مهند" والصغيرة تضم يديها تغلقهما حول عنقه .. مسح علي شعرها فقالت أم "فريدة" بحنان:
-يا عيني اتخضت وفضلت تعيط
فابتسم للصغيرة مربتا علي ظهرها ضاما اياها اليه أكثر ليبث فيها الأمن والأمان
سألته أم "سامرين" قائله:
" -حمدي" جه معاك؟
أومأ برأسه قائلا:
-أيوة يا عمتو .. و عمو "عدنان" و بابا .. والحمد لله طفوا الحريقة .. بس مستنيين الكهربائي يتأكد ان مش هيحصل ماس تاني
بعد قليل نظر الي الصغيرة ليجدها تغط في النوم وقد أسندت رأسها الي صدره دون أن تفك ذراعيها من حول رقبته .. فابتسم وهو يقبل شعرها ويسند ظهره

للمقعد حتي ترتاح في نومتها أكثر

****

))بعد مرور عام((

دخلت أم "رامي" الشرفة حاملة صنية موضوع فوقها كوب من الشاي وقطعة كيك .. وضعتها أمام الرجل الجالس في شرود وهي تقول:
-الشاي يا "عدنان"
خرج "عدنان"من شروده وتناول كوب الشاي بين أصابعه يرتشف رشفات صغيرة .. جلست بجواره شارده قليلا ثم هتفت بغيظ:
-يعني "حمدي" مش قادر يستني لما حتي يمر سنه علي وفاة أختك .. عايز يجيب للبت مراة أب من دلوقتي
تنهد "عدنان" بأسي وهو يقول:
-أنا مش صعبان عليا الا البت الصغيرة .. من يوم ما أختي الله يرحمها ماتت وهي حالها يصعب علي الكافر
نظرت اليه أم "رامي" بعتاب قائله:
-كده يا "عدنان" .. ربنا يعلم أنا بعاملها زي "رامي" ابني بالظبط .. حتي أم "فريدة" مبتسبهاش .. خاصة بعد ما اطلقت هي وأخوك وخد "فريدة" وسافر ..بقت يا عيني بتعوض شوقها لبنتها في "سامرين"
تنهد "عدنان" ثم رشف رشفة أخري قائلا:
-يارب بس اللي هيتجوزها "حمدي" دي تبقي حنينة علي البت .. البت صغيرة ومش ناقصة مراة أب تعكنن عليها عيشتها
قالت زوجته بسخرية:
-والله مش متفائله من الموضوع ده .. اذا كان "حمدي" نفسه مش حنين علي البت ولا بيشوفها الا علي النوم .. هتبقي مراته حنينه عليها
تنهدت في حسرة وهي تتمتم:
-الله يرحمك يا أم "سامرين" .. كانت ست طيبة ومفيش منها اتنين
قال "عدنان" بحزن وهو يدعو بالرحمة لأخته :
-الله يرحمها .. للأسف كنت قاسى عليها أوى .. ربنا يسامحه أبويا على طول ميحبناش نتعامل بحنيه مع اخواتنا البنات .. وبيشد عليهم وبيخلينا نشد عليهم ..الله يرحمك يا أختى

****

دخل "مهند" الشرفة ليجد "سامرين" تدخل رأسها من السور الحديدي وتشاهد الأطفال الذين يلعبون الكرة بالأسفل .. أخفي يديه خلف ظهره وهو يقول:
-بتعملي ايه
التفتت اليه وهي تخرج رأسها قائله:
-بتفرج علي العيال وهما بيلعبوا
جلس علي الكرسي وأخرج يده من خلف ظهره .. فابتسمت وهي تنظر الي الحلوي في يده .. أخذتها منه وهي تحاول فتحها بأسنانها .. فقال "مهند "بعتاب
:
-اللي يديكي حاجة تقوليله ايه؟
اقتربت منه لتطبع قبلة صغيرة علي وجنته وهي تقول:
-شكرا
فتحت الحلوي و أخذت تتناولها بنهم .. ثم ما لبثت أن غطي الحزن وجهها وهي تنظر الي "مهند" قائله:
-هي ماما هتيجي امتي ؟
شعر "مهند" بالأسي وهو ينظر الي عيناها الحزينتين التي تفصح عن مدي اشتياقها لرؤية والدتها .. حملها وأجلسها فوق قدمه وأحاطها بذراعيه قائلا:
-بصي يا حبيبتي .. ماما ان شاء الله في مكان جميل أحسن من هنا بكتير
لمعت عيناها بالعبرات وهي تقول بأسي:
-ليه ما خدتنيش معاها؟
تنهد "مهند" قائلا:
-ربنا هو اللي بيختار المعاد اللي كل واحد هيموت فيه .. مش أنا فهمتك يعني ايه موت .. ويعني ايه جنه ونار ؟
أومأت برأسها وهي تقول باكية:
-أيوة .. بس هي برده وحشاني
ضمها "مهند" الي صدره وهو يقبل شعرها قائلا:
-أنا معاكي و بابا و عمتو و عمو "عدنان" و "رامي" و طنط أم "رامي "
قالت بحزن وهي ترفع رأسها تنظر اليه
" -فريدة" كمان وحشتني .. هي خلاص كدة سافرت ومش هترجع تاني؟
شرد "مهند" بأسي وهو يقول مفتقدا توأمه:
-ان شاء الله هترجع تاني
ثم نظر الى شعيراتها المتمرة وهو يقول بمرح:

-هو انتى على طول ناكشه شعرك كده .. نفسى أشوفك مسرحة ١٠ دقايق على بعض
قالت بتبرم:
-هو اللى بيسيب التوكه ويخرج
أطلق "مهند" ضحكة عالية وقال لها:
-طيب ادخلى هاتى الفرشة بتاعتى من على الكمودينو
دخلت وأحضرت الفرشاة فأجلسها على قدميه ونزع التوكة وأخذ فى تصفيف شعرها وجمعه بالتوكة مرة أخرى .. رفعت "سامرين" يدها لتتحسس شعرها المرتب ثم تلتفت مبتسمة وهى تقول:
-شكرا يا "مهند"

****

فتحت أم "فريدة" باب البيت لتجد "سامرين" تبكي بحرقة .. انحنت تعانقها قائله:
-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. مالك يا "سامرين" بتعيطي ليه ؟
لم تستطع أن توقف بكائها لتتحدث .. جذبتها من يدها وأجلستها بجواها علي الاريكة وهي تمسح علي شعرها قائله:
-مالك يا حبيبتي مين زعلك؟
مدت "سامرين" يديها وهي لا تزال تبكي .. فانتبهت أم "فريدة" لأول مرة الي العروسة الممزقة في يدها فشهقت قائله:
-ايه دة .. مين اللي قطعلك عروستك كدة ؟
ازدادت حدة بكائها حتي ظنت أم "فريدة" أن قلب الصغيرة سينفطر من فرط البكاء .. فهتفت بحدة:
-مراة أبوكي اللي قطعتها ؟
أومأت "سامرين" برأسها .. فهتفت أم "فريدة: "
-لا حول ولا قوة الا بالله .. معلش يا بنتي متزعليش .. قومي اغسلي وشك علي ما أعملك العصير اللي بتحبيه
ساعدتها أم "فريدة" علي النهوض وهي تنظر اليها بأسي

بعد عدة ساعات فتح "مهند" باب البيت واقترب من والدته الجالسه تشاهد التلفاز فقبل رأسها وقال:
-السلام عليكم .. ازيك يا أمي

لم يسمع ردها فأنظاره كانت معلقة بالعروسة الممزقة فوق الطاولة .. التقطها وهو يهتف بلوعة:
-ايه ده ايه اللي قطع عروسة "سامرين" كده
قالت أمه بأسي:
-الوليه مراة أبوها .. منها لله كل شوية تنكد علي البت وحطه راسها براسها أكنها من سنها
عقد "مهند" جبينه بضيق وهو يقول:
-هي فين دلوقتي
أشارت أمه الي غرفته قائله:
-نايمة في أوضتك .. فضلت تعيط لحد ما حسيت ان روحها هتطلع .. أكلتها وعملتلها عصير ودخلتها تنام
دخل "مهند" غرفته ليجد "سامرين" تتوسط فراشه الصغير وهي متقوقعة علي نفسها كنوم الجنين في أحشاء أمه .. مسح علي شعرها برفق ثم خرج قائلا لأمه:
-أنا خارج يا ماما
هتفت والدته وهي تخرج من المطبخ:
-رايح فين استني أما تتغدي
قال وهو يفتح باب البيت:
-هروح أجيبلها عروسة بدل اللي اتقطعت
وقبل أن تجد أمه ما تقول خرج وأغلق الباب خلفه

استيقظت "سامرين" من نومها وتنامي الي مسامعها أصوات التلفاز بالخارج ..أزاحت الغطاء ونهضت تغادر الغرفة .. ابتسمت عندما وقع نظرها علي "مهند "الذي اتسعت ابتسامته وهو يقول بمرح:
-صحي النوم يا هانم .. انتي فاكره أوضتي لوكانده ولا ايه
ضحكت وهي تجلس علي أحد المقاعد .. نظرت بدهشة الي العروسة الموضوعه فوق الطاوله .. فابتسمت أم "فريدة" قائله:
-عجبتك ؟
رفعت رأسها تنظر اليهما بدهشة فانحني "مهند" وأمسك بالعروسة واضعا اياها فوق قدميها وقال:
-عروستك الجديدة .. شوفي بأه هتسميها ايه
اتسعت عيناها وهي تنظر بلهفة علي لعبتها الجديدة وهي تهتف:

-بجد بتاعتي
قال "مهند" بمرح:
-أكيد مش جايبها لنفسي .. ولا جايبها لماما
أطلقت الصغيرة ضحكة مرحة وهي تفض غلاف العلبة الشفافة وتتطلع بإنبهار الي لعبتها الجديدة وتمسح علي شعرها الناعم .. ثم تنهض معانقة "مهند" وهي تقول بحماس:
-شكرا .. شكرا .. شكرا.. شكرا .. شكرا
ضحك قائلا:
-كل ده شكرا
تركته والتفتت الي عروستها تلعب بها .. الي أن اتصل "حمدي" وطلب نزولها ..توجهت الي الباب مسرعة فهتفت أم "فريدة" وهي تنظر الي العروسه التي تركتها فوق الأريكة:
-عروستك يا "سامرين"
التفتت وهي تمسك بمقبض الباب تنظر الي العروسه في تردد ثم قالت بحسم:
-لا خليها هنا عشان متكسرهاليش تاني .. لما آجي هنا هبقي ألعب بيها
فتحت الباب وغادرت فتنهد "مهند" بأسي وهو يقول لأمه:
-ماما خلي بالك منها
هتفت أمه في تأثر:
-والله يا ابني دي في عنيا .. معزتها من معزة "فريدة" بالظبط

****

جلست "سامرين" في مقعدها بالمدرسة وهي تعد النقود القليلة التي تضعها في حقيبتها .. اقتربت منها احدي الفتيات قائله وهي تحرك الحلوي التي تأكل منها :
-مش هتجيبي حاجه حلوة ؟
قالت "سامرين" وهي تعيد عد النقود:
-لأ
قالت الفتاة وهي تشير الي النقود:
-ليه ما انتي معاكي فلوس كتير
قالت "سامرين" بحزم:
-لا أنا بحوشهم عشان هشتري حاجه
سألتها الفتاة وهي تأكل من حلواها:
-هتشتري ايه قوليلي ؟

قالت "سامرين" بحماس:
" -مهند" ابن خالى نجح وهيدخل الجامعة .. وأنا عايزة أجيبله هدية
أخذت الفتاة تأكل الحلوي بتلذذ وقالت لتغيظ "سامرين:"
-خليكي انتي عماله تحوشي وأنا آكل الحاجة الحلوة الجميلة دي .. ومش هديكي حته منها
قالت "سامرين" بحدة:
-بطلي تغيظيني يا "نهلة" .. مش عايزة منك حاجة أصلا

وقفت الفتاتان أمام أحد الباعة الذين يفترشون بضاعتهم فوق الأرصفة .. أخذت "سامرين" تجول بعينيها في البضاعة المعروضة .. فحثتها "نهلة" قائله:
-يلا يا "سامرين" هتأخر وماما هتزعقلي
انحنت "سامرين" لتلتقط احدي القداحات التي أعجبت بألوانها والأشكال الكرتونية المطبوعة فوقها ثم نظرت الي البائع قائله:
-بكام دي يا عمو ؟
-باتنين جنيه ونص
علت البسمة شفتيها فقد كان ثمنها بمقدار ما تحمله من مال في حقيبتها .. ابتاعتها وسارت مع "نهلة" بسعادة وهي تقلب القداحة بين يديها ..توجهت الي غرفتها لتعبث في أغراضها ثم تخرج غلاف هدايا قديم .. أحضرت لاصق وأخذت تلف القداحة .. بالغلاف الرخيص!
فتحت الباب مسرعة فعالجتها زوجة أبيها قائله:
-علي فين يا بت؟
قالت بسرعة وهي ترتدي خفها:
-طالعه عند طنط أم "فريدة"
وضعت أصابعها علي جرس الباب الي أن فتح "رامي" الباب وصاح:
-ايه يا بنتي انتي حد يضرب الجرس كدة
مرت بجواره ودخلت لتجد "عدنان" جالسا برفقة زوجته و "مهند" ووالدته .. ففتح "عدنان" ذراعيه قائلا:
-حبيبة خالو
ارتمت بين ذراعيه يقبلها وهي مبتسمة .. ثم نظرت الي "مهند" وتقدمت نحوه قائله بحماس:
-اتفضل
نظر "مهند" بإبتسامة واسعة الي الهدية الملفوفه بغير احتراف وأخذها قائلا:

-انتي جبتيها عشاني؟
أومأت برأسها مبتسمة وهي تقول بلهفة:
-افتحها
فض "مهند" مغلف الهدية ليتطلع بدهشة الي القداحة قائلا:
-ولاعة ! .. بس أنا مبشربش سجاير
أطلق "رامي" ضحكة عالية وهو يقول:
-يا هبلة حد يجيب لحد هدية عبيطة زي دي وكمان لواحد مبيشربش سجاير
اختفت الابتسامة من وجه "سامرين" ليحل محلها الوجوم الممزوج بالخجل وهي تقول ل "مهند" بحزن:
-يعني معجبتكش؟
ابتسم"مهند" وصاح علي الفور:
-طبعا عجبتني .. كفايه انك جبتيهالي عشان تفرحيني بيها
أطرقت برأسها فقال بمرح:
-لا وجايه في وقتها تمام .. رمضان قرب وهيبقي فيه شمع وفوانيس .. يعني أكيد هحتاج الولاعة
ابتسمت ولمعت عيناها خاصة بعدما نهض "مهند" وأحضر فانوسا مجوف وضع الشمعة بداخله وأشعلها بالقداحة و "سامرين" تتسع ابتسامتها .. مد يده بالفانوس قائلا:
-كل سنة وانتي طيبه يا "سمسمة" .. عشان أبقي أنا أول واحد جبتلك الفانوس
أخذته منه والسعادة علي محياها فقال:
-خلي بالك اوعي الشمعة تلسعك
قالت بحماس:
-متخفش
ابتسم الجميع وهم يراقبون السعادة علي محيا الصغيرة .. قال "رامي" بتهكم:
-طيب منا أنا كمان ثانوية عامة مجبتليش هدية ليه
اختفت ابتسامة "عدنان" وهو يقول بتهكم:
-وتجبلك هدية ليه من فلاحتك .. ابن عمك جاب مجموع دخله كليه هندسة .. وانت مش لاقينلك كلية تقبل بمجموعك .. اللي زيك يتكسف يوري وشه للناس
شعر "رامي" بالحنق وانتفخت أوداجه!

****

))بعد مرور ٣ سنوات((

سمعت أم"فريدة" طرقات متعجلة علي الباب فعلمت أن هذه الطرقات ل "سامرين "فتحت الباب فهالها وجه "سامرين" يعلوه الاصفرار والاضطراب .. أغلقت الباب وقالت:

-مالك يا حبيبتي

قالت "سامرين" بتوتر وهي تبلع ريقها:

-أصل يا طنط حصلت حاجة غريبة .. وأنا خايفه

أجلستها علي الأريكة وقالت:

-خير يا حبيبتي ايه اللي حصل .. قولي ومتخافيش

بعد تردد مالت "سامرين" بخجل علي أذنها وهمست ببعض الكلمات في اضطرات .. أطلقت أم "فريدة" ضحكة عالية وقالت:

-هو ده بأه اللي مخوفك

قبلتها قائله:

-لا يا حبيبتي متخافيش دي حاجه عاديه وبتحصل لكل البنات

ثم قالت بمرح:

-بس كده بأه احنا بقينا عرايس حلوين وربنا هيحاسبنا علي كل حاجة .. يعني في حاجات كتير لازم تتغير

نظرت اليها "سامرين" ببراءة قائله:

-حاجات ايه يا طنط ؟

قالت أم "فريدة" بحنان وهي تمسح علي شعرها:

-يعني الشعر الحلو ده لازم يتغطي عشان خلاص كده معدش ينفع تبينيه أدام حد

ثم أشارت الي يديها العاريتين وقالت:

-ولازم نلبس لبس يغطي جسمنا وميبينهوش .. وكمان الصلاة أنا عارفه انك بتصلي بس مقطع .. كدة خلاص معدش ينفع تقطيع في الصلاة لازم تصلي زي البنات الحلوين .. ماشي يا "سامرين"

أومأت برأسها قائله:

-ماشي يا طنط

في اليوم التالي عاد "مهند" الي البيت ليسمع ضحكات أمه و "سامرين" قادمة من الشرفة .. اتجه اليهما مبتسما .. اتسعت ابتسامته وهو ينظر الي "سامرين " بدهشة وقد لفت شعرها بحجاب طويل .. جلس علي المقعد بينهما وهو يقول:

-ايه ده .. من امتي الكلام ده
ضحكت أمه قائله:
-من النهاردة .. خلاص "سامرين" هتلبسه ومش هتقلعه .. مش كدة يا "سامرين"
قالت وهي تحتسي العصير:
-أيوة يا طنط
ابتسم "مهند" وهو ينظر الي المشروب في يدها قائلا:
-أبريه ؟ طيب مش كنتي تسيبيلي شويه .. أنتي عارفه اني بحبه
بتلقائية مدت يديها بكوبها النصف ممتلئ الي "مهند" فقرص خدها بلطف ثم أمسك يدها يعيدها اليها قائلا:
-لا يا حبيبتي بهزر معاكي .. بالهنا والشفا
بعد العشاء نزلت "سامرين" متوجهة الي شقتها .. فنهض "مهند" وهو يشعر بالانهاك قائلا:
-تصبحي علي خير يا ماما
أوقفته أمه قائله:
" -مهند"
التفت اليها فصمتت قليلا ثم قالت:
-حبيبي "سامرين" معدتش صغيرة .. معدش ينفع تهزر معاها كدة
بهت "مهند" للحظات فأكملت أمه:
-عارفه انك بتعاملها زي أختك الصغيرة .. بس "سامرين" كبرت علي المعاملة دي
صمت للحظات ثم أومأ برأسه ودخل غرفته يبدل ملابسه شاردا

****

))بعد مرور ٤ سنوات((

ارتدت المريلة الكحلي لأول مرة .. نظرت في المرآة قبل أن تحمل حقيبة المدرس علي كتفها وتدخل المطبخ تتناول ثمرة فاكهة بدل الفطور .. فمنذ طلاق أبيها من زوجته الثانية أصبح عبء البيت علي كاهلها وكثيرا ما تنسي نفسها في تناول طعام صحي .. فتحت الباب وخرجت .. ابتسمت عندما رأت "مهند" ينزل قائلا:

-رايحه المدرسة؟
أومأت برأسها وقالت بخجل:
-أيوة النهاردة أول يوم
ابتسم قائلا:
-ربنا معاكي
نزلت أمامه فرأت "نهلة" التي تنتظرها أمام البوابة وهي تصيح قائلا:
-ما بدري يا ست هانم
صمتت "نهلة" بعدما رأت "مهند" يخرج خلف "سامرين" ويسير في طريقه الي عمله .. تابعته بعيناها فهتفت "سامرين: "
-يلا يا بنتي سرحتي في ايه
أفاقت "نهلة" من شرودها وسارت برفقة صديقتها الي أول أيامهما في المرحلة الثانوية .. في احدي الحصص .. وبينما المعلمة مندمجة في شرح الدرس .. التفتت "نهلة" فشعرت بالحنق وهي تري القلوب التي ترسمها "سامرين" في كراستها وقد اخترقتها أسهم تحمل حرفي "M" و .. "S" فهتفت بصوت منخفض:
" -سامرين" ركزي بدل الهبل اللي بتعمليه ده
ابتسمت "سامرين" وهي تغلق كراستها وتهمس بهيام:
-الهبل ده نفسي أوي يحس بيه
قالت "نهلة" بحدة:
-أصلا لو قولتيله علي اللي انتي حساه نحيته مش هيحترمك وهيقول عليكي بنت قليلة الأدب
هتفت "سامرين:"
-يا بنتي انتي عبيطة .. بقولك بس نفسي .. أكيد طبعا مش هروح أقوله حاجه زي دي .. ده أنا أتكسف موت
تمتمت "نهلة"بحنق:
-طيب نركز في الشرح بأه ضيعتي علينا نص الحصة

عادت "سامرين" من المدرسة تسير في طريقها شارده .. همت بالدخول من البوابة لكنها فوجئت ب "رامي" يخرج منها وهو يصفر قائلا:
-ايه يا بت الحلاوة دي .. والله ولبسنا المريلة الكحلي
داعب وجنتها بأصابعه فأزاحتها بعنف وهي تقول:

" -رامي" قولتلك مبحبش الهزار بالايد .. حرام
قال بحدة:
-ايه يا بت انتي هتعملي فيها آنسه ولا ايه .. ما أنا بهزر مع بنات خالتي بايدي وأكبر منك
قالت بتحدي:
-أنا بأه مش زي بنات خالتك .. أنا مش زي أي بنت
أطلق ضحكة عاليه استفزتها ..حاولت الدخول من البوابة فسدها بجسده وهو يقول مداعبا:
-يا واد يا واثق انت .. أحب أنا اللي تبقي واثقه من نفسها كده
رفعت أحد حاجبيها وهي تضع يديها في خاصرتيها قائله:
-ممكن تعديني
تطلع اليها بجرأة وقال:
-تدفعي كام
لكن ابتسامته تلاشت عندما رأي "مهند" قادما تجاههما وعلي وجهه امارات الغضب .. قال "مهند" بحده:
-في ايه يا "رامي" متعديها
قال "رامي" بعناد وقد ضايقه حدة "مهند: "
-بنت عمتي وبهزر معاها فيها ايه يعني
قال "مهند" بغضب مكبوت:
-عديها يا "رامي" مينفعش تفضل واقفه تتكلم مع شابين لوحدها كده .. واياك تمد ايدك عليها تاني
كانت "سامرين" تنظر اليهما بإضطراب .. كتف"رامي" ذراعيه أمام صدره وهو ينظر اليه بتحدي قائلا:
-مالك انت أمد ايدي عليها ولا ما أمدش .. اذا كان أبوها نفسه لما بهزر معاها أدامه كده مبيقوليش حاجه .. هتعملي فيها ولي أمرها
قال "مهند" بغضب وهو ينظر الي "سامرين" بعينان تشعان شررا:
-هو انتوا متعودين تهزروا مع بعض كده ؟
قبل أن يجيب "رامي" هتفت "سامرين" بسرعة ولهفة وكأنها تنفي عن نفسها تهمة:
-لا والله .. دي مرة واحدة بس اللي هزر معايا بإيده وبابا قالي عادي ده ابن خالك .. بس أنا زعقتله وقولتله ميهزرش معايا كده تاني
وضع "رامي" كفيه في بنطاله وغادر وهو ينظر الي "مهند" بسخرية قائلا:
-سيبهالك مخضرة

دخلت "سامرين" بتوتر تصعد الدرجات التي تفصلها عن باب الشقة .. أنزلت حقيبتها من فوق كتفها تبحث عن المفتاح .. تجاوزها "مهند" ثم التفت اليها قائلا:
" -سامرين"
التفتت اليه بلهفه وتوتر فقال بحزم:
-لو "رامي" ضايقك تاني متردديش عليه وتعالي قوليلي علي طول
صمتت وهي تتطلع اليه بأعين مبتسمه .. فقال بحزم:
-سمعتي ؟
أومأت برأسها وهي تحاول أن تخفي الابتسامه التي أرادت أن تقفز الي شفتيها ..خفق قلب "مهند" وهو يتطلع الي عينيها البنيتين ونظراتها فوقع شئ في قلبه جعله يغض بصره عنها ويشيح بوجهه مكملا صعود الدرجات الي بيته ..
دخلت "سامرين" غرفتها ودارت فيها وهي تمسك عروستها .. ثم جلست علي الفراش وهي تنظر اليها بأعين حالمه وتهمس لها قائله:
-تفتكري بيغير ؟

الفصل السادس والعشرون

وقفت "سامرين" أمام المرآة تضع زبدة شفاه حمراء علي شفتيها وتدلكهما ببعضهما البعض .. عدلت حجابها ونادت علي والدها قائله:
-بابا أنا خارجه
أتاها صوته من غرفة النوم قائلا:
-طيب اقفلي الباب كويس وراكي
نزلت "سامرين" الدرج بخفه .. وسرعة .. اصطدمت أثناء خروجها من البوابه بصدر "مهند" الذي كان متوجها الي الداخل .. تراجعت الي الوراء بخجل وانتظرت أن يفسح لها الطريق .. انتفضت عندما سمعت نبرات صوته الغاضبه وهو يقول:
-ايه الهباب اللي حطاه علي شفايفك ده...
قالت بتوتر وهي تمسح الصبغة الحمراء بلسانها:

-دي زبدة كاكاو
قال بحزم:
-امسحيها
أخرجت منديلا من حقيبتها المسدلة فوق كتفها ومسحت شفتيها .. فأفسح لها الطريق .. أطرقت برأسها وتوجهت الي البناية المقابله حيث كتب كتاب ابنة جيرانهم .. سلمت علي العروس وجلست بجوار "نهلة" التي قالت لها بعد فتره :
-مالك مبتسمه كده ليه من أول ما دخلتي
مالت علي أذنيها قائله بنشوه:
-وأنا نازله قابلت "مهند" علي السلم .. كنت حطه زبدة كاكاو زعقلي وقالي أمسحها
غارت عينا "نهلة" وهي تقول بإقتضاب:
-وايه يعني
قالت "سامرين" بلهفة:
-تفتكري بيغير عليا .. هو مبيرداش أبدا اني احط ميك آب ولو لبست لبس ضيق شويه بيزعقلي .. حتي مبيرداش يخليني أقف أتكلم مع "رامي"
قالت "نهلة" بحده:
-أنا أصلا مش عارفه انتي بتسمحيله يتحكم فيكي كده ويزعقلك كده ازاي .. المفروض توقفيه عند حده قوليله ملكش دعوه بيا انت مش ولي أمري
قالت "سامرين" بهيام:
-بالعكس أنا ببقي مبسوطة أوي لما بيعمل كده .. بفرح أوي لما بيعلق علي حاجات خاصة بيا .. بحس انه مسؤل عني واني أهمه
احتقن وجه "نهلة" وصمتت قليلا ثم قالت بحزم:
-أصلا اللي بيعمله ده مش معناه انه حاسس بحاجه نحيتك ..هو بيعتبرك زي "فريدة" أخته وعشان كدة بيتعامل معاكي بالشكل ده ..لكن مش غيره ولا حاجه ..أصلا هو أكيد شايفك عيله صغيره
لاحت امارات الحزن علي وجه "سامرين" وتحولت السعادة في عينيها الي أسي

****

وقفت "سامرين" في المطبخ تقطع صنية البسبوسة وتضعها في طبق تقديم كبير ..
ارتدت الاسدال وحملت الطبق وصعدت به الي الأعلي .. فتح لها "مهند" فابتسمت بخجل .. سلمت علي أم "فريدة" التي قالت ببشاشه:
-ايه ده يا "سامرين"
قالت بسعادة ممزوجة بالخجل:
-دي بسبوسة يا طنط أنا اللي عملاها
هتفت أم "فريدة: "
-تسلم ايدك يا حبيبتي
توجهت الي المطبخ قائله:
-هروح أجيب اطباق
وضعت قطعتين في طبق وقدمته الي أم "فريدة" ثم فعلت المثل مع "مهند" وهي تطرق برأسها مبتسمه بخجل .. تناوله منها قائلا:
-تسلم ايدك يا "سامرين"
شعرت بالسعادة لكلماته كما لو كان أسمعها غزلا .. رأته يزيح القشدة بطرف الملعقة فقالت:
-بتشيلها ليه .. دي حلوة
ابتسم قائلا:
-مبحبهاش بالقشطة
هتفت أم "فريدة: "
-الله .. تسلم ايدك يا "سامرين" حلوة أوي
جلست وهي تقول بسعادة:
-بالهنا والشفا يا طنط
نهضت أم "فريدة" فجأة وتركت طبقها قائله:
-نسيت الأكل علي النار
بعد لحظات شعر "مهند" بالحرج من جلوسه بمفرده معها .. فنهض حاملا طبقه .. قالت "سامرين" بنبرة حزينة التقطتها أذناه:

-انت ليه معدتش بتتعامل معايا زي الأول؟
التفت اليها فأكملت بتوتر:
-انت مضايق مني في حاجه ؟ .. بحس علي طول انك مضايق مني ومبتحبش تعد معايا لما آجي
أطرق برأسه للحظات صامتا ثم قال بهدوء:
-لا انتي غلطانه أنا مش مضايق منك ولا حاجه .. وان كنتي شايفه فرق في معاملتي معاكي .. فده لانك كبرتي ومعدتيش "سامرين" الصغيرة بتاعة زمان
ثم قال مبتسما:
-يعني مينفعش أعد معاكي أنا وانتي لوحدنا .. بصراحة بقيت بتحرج
أطرقت برأسها بخجل .. توجه الي غرفته فتركت شفتيها تتسعان لتعرب عما بداخلها من سعادة لكلماته التي أشعرتها بأنه يراها فتاة كبيرة .. يتعامل معها كأنثي .. وليس كطفلة

****

))بعد مرور عامان((

قال "حمدي: "
-بس يا "عدنان" "سامرين" لسه في تالتة ثانوي
قال "عدنان" بمرح:
-بصراحة الواد خايف لتطير من ايده .. واحنا أولي بلحمنا .. وده ابن خالها يعني هيحطها في عنيه .. فعلي الأقل نلبس دبل دلوقتي .. ولما تخلص جامعتها يبقوا يتجوزوا
فكر "حمدي" قليلا ثم قال:
-بس فهم ابنك ان مفيش كتب كتاب الا قبل الفرح باسبوع .. عشان ميتنططليش كل شويه ويقولي نكتب الكتاب
قال "عدنان: "
-خلاص زي ما تحب .. عرف بأه "سامرين" بالموضوع .. وبالليل هكون عندكوا مع "رامي" و أم "رامي" و يا سلام لو ننزل نشتري الدبل النهاردة ..

الواد "رامي" هيفرح أوي
أومأ "حمدي" برأسه قائلا:
-علي خيرة الله

تلقت "سامرين" لكمة قوية في ذراعها من "حمدي" وهو يهتف قائلا:
-يا تيييييييييت اعقلي لربيكي عايزه تصغري رقبتي أدام الناس
أخذت "سامرين" تفرك ذراعها بألم وهي تهتف باكية:
-أنا مبطقش "رامي" ازاي اتجوزه
صاح "حمدي" فيها:
-هتتجوزيه ورجلك فوق رقابتك أنا محدش يكسرلي كلمة .. يلا قومي فزي البسي عشان خالك ومراته وابنه جايين بعد شوية وهنروح نشتري الدبل
دخلت "سامرين" غرفتها وألقت بنفسها فوق فراشها وقد أجهشت في بكاء مرير ..بعد دقائق طويلة نهضت وغسلت وجهها ودون أن يشعر والدها فتحت الباب وصعدت .. الي حيث ملجأها ومأمنها .. امتقع وجه "مهند" وهو ينظر الي وجهها الباكي وقال بلهفة:
-في ايه يا "سامرين" .. مين اللي زعلك ؟
تمتمت بصوت مضطرب:
-ممكن أدخل
لكنه ظل واقفا يسد الباب وقال بخفوت:
-ماما مش هنا
أومأت برأسها وقد تجمعت العبرات في عينيها وهمت بأن تنزل .. لكنها توقفت والتفتت تنظر اليه فوجدته لايزال واقفا أمام الباب وعلامات الضيق علي وجهه ..فنظرت اليه وهي تقول بنبره ذات معني:
-خالو "عدنان" و ابنه "رامي" هينزلولنا بعد شوية عشان نروح نشتري الدبل
تجمد "مهند" في مكانه واتسعت عيناه وهو يقول:
-دبل ايه ؟

قالت والعبرات تتساقط من عينيها:

" -رامي" اتقدملي و بابا وافق

رمقته بنظرة وكأنها تستنجد به .. ثم نزلت ودخلت بيتها ..ظل "مهند "واقفا في مكانه أمام الباب لفترة قبل أن يدخل ويجلس في وجوم .. عادت أمه من الخارج لتجده جالس فوق أحد المقاعد كالتمثال .. فاقتربت منه قائلا:

-مالك يا "مهند"

قال بوجوم:

" -سامرين" طلعت من شوية .. بتقول ان "رامي" اتقدملها وأبوها وافق .. وهيروحوا يجيبوا الدبل النهاردة

جلست أمامه دون أن يبدو عليها الدهشة وهي تقول:

-ما أنا عارفه

نظر اليها بدهشة قائلا:

-عرفتي منين ؟

قالت:

-بعد ما "عدنان" كلم "حمدي" النهاردة الصبح في الشغل .. أم "رامي" نزلت وعرفتني اللي حصل

قال بحدة:

-وليه ما قولتليش يا ماما

تفرست فيه قائله:

-عادي .. قولت أستني لما أشوف رأي "سامرين" وأبقي أقولك وننزل نباركلها

احتد وهو يقول:

-نباركلها علي ايه .. دي كانت مقطعه نفسها من العياط .. هي عمرها ما كانت بتطيق "رامي" .. ومستحيل توافق عليه أنا عارفها كويس

رفعت أمه حاجبيها قائله:

-ده بدل ما تعقلها وتحاول تقنعها ب "رامي"

هب واقفا وهو يقول بعصبيه:

" -رامي" ايه ده اللي أقنعها بيه .. ماما انتي بتلعبي بأعصابي ؟

لاحت ابتسامه علي شفتيها ونظرات خبث في عينيها وهي تقول:

-وهلعب بأعصابك ليه يعني
نظر اليها "مهند" بثبات وهو يقول بحزم:
-انتي عارفه كويس اني عايزها ليا .. واني حاطط عيني عليها
أطلقت أمه ضحك عالية وهو تقول:
-هعرف منين يا ابني هو انت عمرك نطقت بحاجه
قال بعصبية:
-أنا واثق انك كنتي حسه
ابتسمت بلؤم وقالت:
-طبعا كنت حسه .. ده أنا اللي مربياكوا انتوا الاتنين
قال "مهند" بلهفة:
-طيب ما دمتي عارفانا احنا الاتنين .. قوليلي بأه .. هي حسه بحاجه نحيتي ولا مشاعرها مشاعر اخوة من أكتر من كدة
أطلقت أمه ضحكة عاليه وهي تقول:
-اخوة ايه يا "مهند" ده اللي ميشفش م الغربال يبقي أعمي .. البت بتحبك من ساعة ما فتحت عنيها علي الدنيا
ابتسم "مهند" بسعادة وقال:
-طمنتيني ربنا يطمن قلبك
لكن ابتسامته ما لبثت أن تلاشت وحل محلها التوتر وهو يقول:
-طيب هنعمل ايه دلوقتي دي بتقول نازلين يشتروا الدبل
ضحكت أمه بسعادة قائله:
-قولتلك يا ابني أنا اللي مربياكوا وأكتر واحدة في الدنيا دي عارفاكوا وحفظاكوا .. "سامرين" قويه .. ومتحبش حد يغصبها علي حاجة هي مش عايزاها ..والله لو أبوها مسكلها السكينة وقالها هموتك هترفض "رامي "ولا هيهمها
فكر "مهند" قليلا ثم سألها:
-يعني رأيك متدخلش
قالت بحكنة:
-لا متدخلش .. لو اتدخلت هتحصل مشاكل .. سيبها تيجي منها
دخل غرفته وهو يشعر بالإضطراب .. خشي أن تضعف قوتها أمام اصرار

والدها ..توضأ وصلي ركعتين دعا فيهما الله عز وجل أن يجعلها نصيبه .. و حلاله

****

في صباح اليوم التالي فتحت أم "فريدة" الباب فقابلتها أم "رامي" بوجهها الممتقع .. دخلت صامته وجلست في وجوم .. جلست أم "فريدة" بجوارها وهي تسألها بإهتمام:

-خير يا أم "رامي" كفا الله الشر

وكأنها كانت تحتاج الي هذا السؤال لتندفع الكلمات من بين شفتيها بحدة وعصبية:

-البت المفعوصة اللي كنت بغيرلها البامبرز من كام سنة تقف عند الصايغ وبكل قلة أدب وبجاحه تقول انها مش عايزة تتجوز ابني

لاحت ابتسامة ارتياح علي شفتي أم "فريدة" أخفتها سريعا .. فأكملت أم "رامي" بغضب:

-تصوري لا همها أبوها ولا خالها ولا عملت اعتبار لحد ورفضت انها تنقي الدبل .. رجعنا من عند الصايغ وأفانا يقمر عيش .. الواد ابني منقوط من امبارح يا كبدي عليه صعبان عليه نفسه ان حتت بت زي دي ترفضه .. و "عدنان "هيطق هو كمان لانه فضل يحايل فيها أكنه بيشحت علي ابنه والهانم مركبة الوش الخشب وبتتكلم بطريقة لو شوفتيها يا أم "فريدة "تقولي ان عمرها ما شافت ربايه

قاطعتها أم "فريدة" وقالت:

-لا "سامرين" متربية متقوليش عليها كدة

هتفت أم "رامي" بحدة:

-لو شوفتيها امبارح كنتي قولتي زي ما بقول بالظبط

ثم قالت بشماته:

-بس أبوها رباها .. أول ما رجعنا واتقفل عليهم الباب .. واحنا طلعين سمعناه وهو ببضربها .. أحسن خليها تتعلم الأدب قليلة الحيا دي

هتفت أم "فريدة" قائله:

-لا حول ولا قوة الا بالله .. هو الجواز بالغصب .. يضربها ليه "حمدي" .. البت من حقها تقول آه أو لأ هي حره
قالت أم"رامي" بأنفه:
-هو ابني "رامي" يترفض برده .. دي البنات بتتجنن عليه .. وسامة وشياكة ومرتاح وهيهنيها لكن هيا وش فقر
ثم قالت بغل:
-الواد "رامي" أول ما لقاها مصره علي الرفض قال ل "حمدي" في وشه شكل بنتك شايفالها شوفه تانيه وحد لاعب بعقلها
هتفت أم "فريدة" بغضب:
-وكمان بتخوضوا في عرض البت .. لا حول ولا قوة الا بالله .. اتقوا ربنا دي البت غلبانه ومش ناقصه كفايه اللي شفته في جوازة أبوها .. دي أقل حاجه بتراضيها وبتفرح بيها .. الجواز مش بالغصب طالما مش عايزاه هي حره
خرجت أم "رامي" من بيت أم "فريدة" وهي تشعر بالغضب الشديد لعدم وقوفها في صفها .. ولدفاعها عن"سامرين"

وقفت "سامرين" تنظر الي المرآة تتحسس الكدمة التي خلفتها صفعة والدها علي خدها الأيسر .. سمعت طرقات علي الباب فارتدت اسدالها وفتحته ليخفق قلبها بقوة ويسقط أرضا وهي تري "مهند "أمامها .. لم يكن حاله مختلفا .. تعالت ضربات قلبه الذي ارتوي لرؤيتها وتألم لما أصابها .. ود لو مد أصابعه يتحسس تلك الكدمة ويقبلها برقة محاولا تخفيف آلامها .. انتبه لنفسه فغض بصره وقال بصوت مضطرب فضح مشاعره الجياشه :
" -سامرين" اطلعي لماما عايزاكي
غادر بسرعة فحملت "سامرين" المفتاح وصعدت الي الأعلي ..قصت علي أم "فريدة "ما حدث من رفضها شراء الدبل رغم اصرارهم الشديد الذي وصل الي حد تعنيفها ..ظنوا في بداية الأمر بأنه تمنع العروس الخجول .. لكن ثارت ثائرتهم بعدما أيقنوا من أن رفضها قاطع لن تتزحزح عنه .. ربتت علي ظهرها قائله:
-معلش يا بنتي .. أنا مش عارفه هما بيفكروا ازاي .. هو في حد بيتجوز

بالغصب .. ربنا يهديهم
ابتسمت "سامرين" رغم ألم وجهها وهي تقول:
-الحمد لله اني خلصت منه .. أصلا اضايق مني جدا وكان متنرفز يعني خلاص مش هيبص في وشي تاني
ابتسمت أم "فريدة" بحنان وهي تقول:
-للدرجة دي مكنتيش عايزه "رامي"
أومأت برأسها بقوة .. فقالت أم "فريدة" بلؤم:
-طيب في حد تاني حطه عينك عليه
اضطربت "سامرين" وأجابت بسرعة:
-لا طبعا يا طنط
قالت أم "فريدة" مبتسمة بخبث وعيناها تلمع بمرح:
-يعني مش حسه بأي حاجه كده ولا كده نحية "مهند" ابني
توقفت "سامرين" عن التنفس وقد شعرت بالفزع .. عادت لتلهث وكأنها تبذل مجهودا شاقا .. احتقنت وجنتاها بالدماء الساخنة ..بل امتدت لوجهها كله وهي تطرق برأسها .. ربتت أم "فريدة" علي كفها بحنان وهي تقول:
-أنا كنت حابه استني شويه لحد ما الموضوع يهدي بس "مهند" أصر اني اكلمك دلوقتي وأعرف رأيك
شعرت بأنها لحظات وتفقد وعيها .. ضحكت أم "فريدة" وقالت:
-مالك متبرجله كده ليه .. أول مرة أشوفك مكسوفة كدة
ثم قالت:
-ها قوليلي .. يكلم أبوكي ولا ياخدها من قاصرها وميحرجش نفسه معاه
أطرقت "سامرين" برأسها لا تقوي علي النظر اليها فحثتها أم "فريدة" ضاحكة :
-طيب هزي راسك وأنا هفهم
ببطء أومأت "سامرين" برأسها ايجابا .. وقبل أن ترد عليها أم "فريدة "سمعتا طرقات علي الباب ثم صوت المفتاح يجول فيه ..توترت "سامرين " واضطربت بشدة وهي تري "مهند" يدخل البيت .. ودت لو نهضت هاربه لكنه وقف أمام المنفذ الوحيد للهرب .. نهضت والدته ووقفت أمامه قائله:
-كنت واثقه انك مش هتصبر .. وانك مستعجل تعرف ردها

بلغ من "سامرين" الحياء مبلغه ودت لو انشقت الأرض وابتلعتها .. شعرت بأن نبضات قلبها العاليه تكاد تصل الي أذنيه .. ان لم تكن قد وصلت بالفعل .. نظرت "مهند" الي أمه مستفهما .. فتنهدت قائله وهي تتصنع الحزن:

-كل شئ نصيب يا ابني .. ربنا يوفقك مع واحدة تانيه

خفق قلب "مهند" بحسرة وألم .. التفت بحدة يتطلع الي "سامرين" بعتاب و التي رفعت رأسها وتطلعت الي عيناه وعيناها تصرخ قائله بلوعة:

-كلا .. لم أرفضك .. كيف أرفضك .. كيف أرفض من سكن فؤادي وملء كياني بحبه وعشقه .. كيف أرفض من علمني أولي كلماتي وأولي خطواتي .. كيف أرفض من تفتحت عيناي علي رؤية وجهه ومن احتواني صدره فكان ملجأي وأمني وأماني ..كيف أرفض من ذابت كلمات الهوي علي شفتاي كلما رأيته ..كيف أرفض من اعتلي قلبي حتي جلس متربعا علي عرشه لا ينازعه فيه أحد .. أحبك يا من تقطعت أنفاسي لقربه .. وودت لو تتوقف في بعده .. أحبك يا من سقيتني حنانك رشفه بعد رشفه فما كان من قلبي الضعيف الا أن سار ثملا فوقع أسيرا لعينيك ..متعطشا لأن ينهل المزيد من بحر حنانك .. تحركني أمواجك كيفما شئت ووقتما شئت .. كيف تسألني ان كنت أقبل بأن أكون وليفتك .. هذا لا يحتاج الي سؤالي ..فنظره الي عيناي تخبرك بحالي

قرأت عيناه كلمات عينيها .. فعلت البسمة ثغره وخفق قلبه يرقص طربا بين ضلوعه .. التفت ينظر الي أمه بتحدي .. فنقلت بصرها بينهما وهي تقول بمرح :

-آه يعني أطلع منها أنا

اقترب "مهند" منها وقبل رأسها فربتت علي صدره قائله:

-ربنا يهنيكوا ببعض يا ابني

****

سجد "مهند" لله شكرا بعدما تلقي الموافقة والقبول به خطيبا ل "سامرين .. " لكن هذا الخبر سبب شقاق كبير في نفس "عدنان" و "رامي" وأمه .. اعتبروا رفض "سامرين" ل "رامي" وقبولها ب "مهند "اهانه كبيرة لهم خاصة مع مميزات "رامي "المادية والتي لا يتمتع بها "مهند" .. تعجبت "سامرين "من

ذلك .. كلاهما ابن خالها .. لكن من حقها أن تختار الزوج الذي تتمني أن تقضي معه بقية عمرها .. لم تحسبها بالمال .. أيهما أغني .. بل امتثلت لأمر النبي عندما قال" : اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه .. "فاذا أضيف الي ذلك حبها له منذ الصغر فسيكون رفضها له هو ضربا من الجنون ..أصر "مهند" علي كتب الكتاب .. فالخطوبة لن تقدم له جديدا لأنه لن يستطيع الاختلاء بها ولا التحدث معها كيفما شاء .. وافق "حمدي "علي مضض .. وفي اليوم الموعود علقت الزينه وبثت الأناشيد من بيت أم "فريدة "وحولها الأهل والصحب .. تزينت العروس وجلست مع النساء .. فأميرها الولهان .. يغار عليها من عيون الرجال .. استأذن للدخول وسط الفرح والحبور .. وامتدت يداه للمس تلك اليد التي حرم عليه لمسها منذ أن كانت في العاشرة .. منذ أن تفجرت أنوثتها وخرجت من شرنقة الطفوله ..ها هو يلمسها مرة أخري .. ويحضنها بكفه .. كف الصغيرة كبر وأصبح كف أنثي يذوب قلبه حبا لها .. أدخل خاتمه الذهبي في اصبعها ليعلن للعالم بأسره أن تلك الفتاة صارت فتاته .. حقه وملكه وممتلكاته .. تركت كفها طيا بين كفه .. مستسلما للمسات تلك الأصابع التي تشد عليه فتنتقل عبرها نبضاته قلبه لترتطم بنبضات قلبها محدثة ذبذبات في جسدها وقشعريرة لذيذة ودت لو استمرت للأبد ..تركت أصابعه كفها علي مضض ..علي وعد بلقاء آخر أكثر حراره .. بعيدا عن العيون المتلصصة

أشع من عيون الجميع الفرح والسرور وانهالت الدعوات الصادقة من قلوب مخلصة ..قلب واحد امتلأ حقدا وكرها حتي غارت العينان وتجعد الجبين .. تطلعت "نهلة" الي "سامرين" الضاحكة بقلب مغلول وصدر يحمل بين جنباته الغيرة والحسد .. فازت صديقتها بقلب الرجل الوحيد الذي أحبته وتمنته ..لكنه لم يعيرها حتي مجرد نظرة بينما خفق قلبه بحب صديقتها .. تأملته "نهلة" وهو يضع خاتمه في أصابع "سامرين" وعيناه تشعان حبا وعشقا وهياما فازدادت غيرتها وظلت تأكل بقلبها حتي أحرقته من الغيظ

****

تعالي هدير البحر ليحمل الزبد الي الشاطئ يروي رماله الظمآنة .. اقتربت بعدها موجة عاليه حتي وصلت الي مقدمة الصخرة التي يجلس عليها هذان العاشقان اللذان يتهامسان بنعومه بينما نظرات كل منهما تحتضن الأخر .. وتتشبك الأصابع كأنها تتحدي الناظر اليهما أن يستطيع تفريقهما عن بعضهما البعض .. أحاط "مهند" كتفي "سامرين" بذراعه فوضعت علي الفور رأسها فوق صدره تستمع في استكانه الي نبضات قلبه المختلطة بصوت البحر ..
همست قائله وهي تتطلع الي شمس الغروب:
-تعرف نفسى في ايه .. نفسي نفضل هنا ومنروحش أبدا
ابتسم "مهند" مقبلا رأسها وهو يقول:
-عارفه بأه أنا نفسي في ايه .. نفسي أجيب منك ولاد كتير .. ويبقي عندي أسرة كبيرة أوي
رفعت رأسها وابتسم له قائله:
-طيب ولو مخلفتش الا بنات هتزعل ؟
قال علي الفور:
-أنا لما قولت ولاد كان قصدي أطفال .. يعني صبيان وبنات .. أنا عمري أبدا ما هفرق بين ولادي وبناتي .. عمري ما هسمح للغيرة انها تدخل بينهم .. الرسول أمرنا اننا نعدل بين أبنائنا
صمت قليلا ثم قال:
-اللى بيفرق بين البنت والولاد فى المعاملة ويضايق من خلفة البنات ده بيعمل زى ما كانوا بيعملوا فى الجاهلية" وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ .. "نسوا ان ربنا سبحانه وتعالى بيقول "لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور- أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير"
ثم قال بحزم:
-الرجاله اللى بتكره خلفة البنات دى رجاله جاهلة ميعرفوش ان البنات سبب فى دخول أبوهم الجنة .. النبي صلى الله عليه وسلم قال : "ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبها إلا أدخلتاه الجنة .. "وقال كمان : "من سعى على ثلاث بنات فهو في الجنة وكان له كأجر مجاهد في سبيل الله صائماً قائماً" .. وفى مرة دخل راجل من الأنصار على النبي صلى الله عليه

وسلم وقاله : "يا رسول الله إن لي بناتاً وأنا أدعو عليهن بالموت فقال : يا بن ساعدة لاتدع عليهن فإن البركة في البنات هن المحملات عند النعمة والمنعيات عند المصيبة والممرضات عند الشدة تقلهن على الأرض ورزقهن على الله" ..
وقال كمان" : من كان له ثلاث بنات يؤدبهن ، ويرحمهن ، ويكفلهن ، ويزوجهن ، وجبت له الجنة البتة " .. قيل : يارسول الله ، فان كانتا اثنتين ؟ .. قال " : وان كانتا اثنتين " .. قال : فرأى بعض القوم ان لو قالوا : واحدة ، لقال :واحدة"
ثم نظر الى "سامرني" قائلاً:
-تعرفى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : "سووا بين أولادكم في القبل "
نظرت "سامرين" اليه بدهشة وهى لا تزال واضعه رأسها فوق صدره فأكمل قائلاً:
-يعني حتى البوسة النبي أمرنا اننا نساوى فيها بين ولادنا منبسش واحد وننسى التانى .. لان ده هيولد الغيره والحقد والحسد فى نفوسهم
ثم قال بحزم:
-مش ممكن أغلط غلطة جدى وأفرق فى المعاملة بين ولادى
تنهدت "سامرين" بأسى وقالت:
-أنا مضايقه أوى ان عيلتنا مشتته كده .. جدو طول عمره مبيحبش ماما ولا خالتو "كوثر" و لا خالتو "انعام" وبيعاملهم وحش .. مامتك حكيتلى كده .. ده حتى ولاده الولاد بيفرق بينهم وطول عمره مسلم كل شغله هنا لخالو "عدنان" وكان واخد خالو "حسنى" معاه فى القاهرة ..حتى باباك كان بيعامله وحش عشان كده اضطر يسافر يشوف شغل بره
تنهد "مهند" بأسى وهو يقول:
-جدو طول عمره كان بيعامل بناته وحش جدا لدرجة انهم كرهوه .. تيتة الله يرحمها كانت بتراضيهم بس من تحت لتحت .. كتير كنت بضايق من معاملته الوحشة لبابا ..مش ذنب بابا انه مبيفهمش فى التجارة زى عمى "عدنان" و عمى "حسنى .. "كل واحد ربنا خلقه بصفات ومواصفات غير التانى .. ولازم يبقى فى تنوع لان الناس بتحتاج بعضها عشان يكملوا بعض .. بس للأسف ظلمهم وهو عايش وظلمهم بعد ما مات .. من ساعة ما كتب كل حاجة بيملكها لعمو "عدنان" و أنا حاسس ان العلاقات خلاص اتقطعت تماما بينه وبينه العيلة

فى القاهرة اللى اضايقوا جدا من اللى حصل .. حتى بابا اتصل بعمو وقاله حرام انه يقبل حاجه زى كده .. واذا كان جدو غلط هو يصلح غلطة جدى ..بس للأسف عمو "عدنان" مرجعش لاخواته حقهم اللى جدو كتبه كله بإسمه
قالت "سامرين" وهى تنظر الى البحر:
-كان نفسى نبقى عيلة كبيرة مترابطة .. وجدوا يبقى كبير العيلة .. آخر مرة سافرتله معاك ومع مامتك قبل ما يموت عاملنى وحش .. صعبت عليا نفسى .. مش معقول لسه فى حد بيفرق فى المعاملة بين البنات والولاد .. أكن البنات دول مش بشر .. أكنهم معندهمش كرامه .. رغم ان دينا جميل .. وبيدي للبنت وضعها ويحفظلها كرامتها
قال "مهند" وهو يقبل كفها:
-أنا كمان كان نفسى ان عيلتنا تكون مترابطة .. عمتو "انعام" وحشتنى أوى مسافرة من زمن مع جوزها ومخدتش أجازة بقالها فترة ..وعمتو "كوثر " بحس انها بعيدة عن الكل وواخدة جمب لوحدها .. الوحيد اللى قريب منها هو عمو "حسنى .. "يمكن لاننا عايشين هنا فى اسكندرية وهما فى القاهرة
رفعت "سمر" رأسها ونظرت اليه قائله بحده:
-فى حاجة اسمها تليفون .. حتى لو المسافة بعيدة رغم انها مش بعيدة .. حتى لما بكلمها فى التليفون بحس انها بارده معايا مش عارفه ليه .. جدو هو السبب هو اللى خلى كل أخ ميحبش أخوه ولا ولاد أخوه
ابتسم بعذوبة وهو يسند جبينه الى جبينها قائله:
-سيبك من العالم دى كلها .. أنا وانتى فى دنيا لوحدنا
ابتسمت وقالت:
-وطنط أم "فريدة" و "فريدة" وباباك كمان
اتسعت ابتسامة "مهند" ثم أبعد رأسه قائلا:
-انتى ليه بتقولى لماما طنط أم "فريدة" .. ليه مبتقوليلهاش يا ماما
صمتت فأكمل:
-ماما بتقولى سيبها براحتها ومش راضية تكلمك فى النقطة دى .. بس أنا حابب تقوليلها يا ماما
ابتسمت وقالت:
-وأنا كمان حابه .. بس خفت تضايق .. يعني هى عمرها ما طلبت منى كده..

معرفش اتكسفت
مسح على وجنتها بأصابعه وقال:
-هى مطلبتش منك لانها حبت انها تيجي منك لوحدها .. بس لو قولتلها يا ماما هتفرح أوى
أومأت برأسها وقالت مبتسمة:
-حاضر هقولها يا ماما
اتسعت ابتسامته وهو يقول برقه:
-عقبال ما تبقي انتى كمان ماما
ضحكت بسعادة وهى تنظر الى عيناه وتغوص فى بحارهما .. لم تشعر بشئ آخر الا ..زوجها .. والبحر .. والصخرة .. والهواء الذى يدغدغ وجهها

****

لم يكن اعلان خبر خطبة "رامى" الا ردا على خبر كتب كتاب "مهند" و "سامرين .. "قدم الجميع اليه التهنئة الواجبة على الرغم من النفوس التى لم تعد صافية ..فى الشهور التالية بدأ الضجر يتسرب الى نفس "حمدى "خاصة وهو يرى ويسمع "رامى" يتحدث بتفاخر عن شقة الزوجية التى يعدها لعروسه ..بينما "مهند" لم يستطع حتى الآن شراء شبكة لابنته .. بإستثناء الخاتم الذى توج به اصبعها يوم كتب الكتاب .. بدأ الشيطان يبث سمومه فى نفس "حمدى" بأنه تسرع فى الموافقة على "مهند "والذى سيحمله عبء مصاريف ابنته وجهازها .. ود لو زوجها لرجل مثل "رامى" لن يتوانى عن تحمل كل شئ خاصة مع والد كـ "عدنان" ورث من أبيه الكثير ولم يبخل على ابنه بشئ رغم أنه استزف ماله الى حد كبير .. لكنه أراد له أن يتفاخر خاصة أمام من رفضته وفضلت عليه من هو أقل منه مالا.

كان "حمدى" دائما يسخر من هدايا "مهند" البسيطة بينما كانت "سامرين " تطير بها فرحا .. فهى من زوجها وحبيبها ونبض قلبها .. بدأ "مهند" فى العمل لساعات أطول حتى يستطيع جمع المال اللازم ليغير أثاث بيت والدته بالكامل ..بعدما اتفق مع والدها أن بيت أمه سيكون بيت الزوجية.

فى أحد الأيام عاد "مهند" متأخرا من عمله الثانى الذى يمتد الى الساعة الثانية صباحا .. كان منهك القوى يكاد يترنج من النوم الذى غلب عيناه .. وقفت "سامرين" فى الشرفة بقلق تنتظر حضوره .. رآها والقلق بادى على محياها فارتسمت ابتسامه عذبة على محياه .. توجهت الى الباب وفتحته تنتظر دخوله من البوابة .. اقترب منها فرأت الاجهاد على وجهه .. لم تشعر الا وقد لمعت عيناها بالعبرات ..فقال بدهشة:

-ايه يا "سامرين" فى حاجه مضايقاكى

قالت بتأثر:

-صعبان عليا أوى .. انت مبترتحش خالص ..خد اجازه كام يوم يا "مهند" صحتك أهم حاجه عندى

على وجهه المتعب ابتسامه حانيه وهو يقول:

-أجازة ايه .. ده أنا نفسى أفضل صاحى ومنمش وأشتغل ال ٢٤ ساعة عشان أقدر فى أقرب وقت أجمع فلوس العفش .. نفسى بأه نبقى فى بيت واحد يا "سامرين"

ابتسمت وهى تنظر اليه بأعين مبلله وتقول:

-وأنا كمان نفسى أوى فى كده .. بس حرام عليك نفسك .. ارتاح يومين كده مش هتعرف تواصل انت حتى يوم الجمعة مبتريحش

تأمل نظراتها القلقة بسعادة ثم اقترب منها يمسح على وجنتها برفق وهو يهمس لها:

-فداكى يا حبيبتى .. فداكى أى حاجة .. المهم تبقى معايا وفى بيتى

أغمضت عينيها للحظات ثم دفنت وجهها في ذلك الصدر الذى طالما احتواها برفق وحنان

****

تلقى الجميع بأسى ولوعة خبر وفاة "رامى" ووالدته فى حادث مرورى عندما كانوا فى طريقهم لنقل أغراض "رامى" الى بيت الزوجية .. عم الحزن البيت الذى ما كان يخلو من الضحكات .. تأثر "عدنان" بشدة وترك كل شئ واختفى .. لا أحد يعلم مكانه .. لا يجدون له أثراً .. ترك كل شئ وانزوى فى احدى

الشقق يأكل ويشرب وينام .. كانت صدمته كبيرة فى فقد أسرته الصغيرة خاصة قبيل أيام من زواج ابنه الوحيد .. فى تلك الفترة بدأت ضغوط "حمدى" على "مهند "تتزايد .. وطلباته تكثر .. حاول "مهند "ارضاءه بكل السبل .. وحاول ألا يصطدم معه .. من أجل حبيبته وزوجته .. الى أن تصير فى بيته .. كان على استعداد أن يتحمل كل شئ .. رغم احساسه بالمهانة كلما طالبه والدها بما لا يستطع غير مقدراً لظروفه كشاب فى مقتبل العمر .. طلب النجدة من والده ..لكن والده فى تلك الفترة لم يطن ليستطيع مساعدته بشئ .. كان عمله فى بداياته خاصة بعدما ترك كفيله الأول لمشاكل بينهما بسبب خسائر فادحة تعرض لها والده بعدما نصب كفيله عليه ..فبعد مرور تلك السنوات الطوال كان كمن يبدأ من الصفر فوقف عاجزا عن مساعدة ابنه .. كان التواصل بين "فريدة "و "مهند" عبر الهاتف .. وكذلك مع والدتها التى علمت منها بسوء وضع "مهند" الذى لا يستطيع الزواج لنقص ما يحمله من مال لا يكفى لتجهيز عش الزوجية .. كانت "فريدة" تلوم والدها كثيراً على عدم مساعدته ل "مهند " رغم تأكيده لها بأنه لا يملك ما يساعده به غير ما يرسله كل شهر منذ أن سافر من نفقة خاصة به و بطليقته كانت تساعد فى المصاريف ومنها استطاع "مهند" طوال تلك السنوات أن يفتح دكانا خاصا به لبيع مستلزمات الكمبيوتر ..فكر كثيرا فى بيع محتويات الدكان وتجهيز البيت بالمال .. لكن عندها سيبقى بلا عمل .. بالإضافه الى رفض "حمدى" بتلك الفكرة تماما قائلاً:

-أنا مش هجوز بنتى لواحد عاطل مش هيقدر يصرف عليها

كانت تلك الكلمات كالخناجر فى صدر "مهند" مما دفعه للعمل الاضافى لتجهيز البيت بأفضل ما يبكون .. لكن شهر وراء شهر مر العام دون جديد .. لم يستطيعا لا شراء غرفة النوم .. والتى أصر "حمدى" على المشاركة فى اختيارها فقضت تكلفتها على ما مال "مهند" فلم يبقى معه الا القليل الذى يكاد يكفى للفرح ..حاول كثيراً استرضاء "حمدى" بأن يتم الزفاف بغرفة النوم التى اشتراها على أن يكمل تجهيز البيت فيما بعد لكنه قال بتزمت:

-ليه ان شاء الله انت واخد واحده من الشارع .. ازاى تدخل على عفش قديم .. مش كفاية انهاه تعيش مع أمك فى بيت واحد

عاد "مهند" الى الصفر مرة أخرى يحسب الأيام والشهور التى تفصله عن تحقيق حلمه .. حاول كثيرا البحث عن "عدنان" لطلب المساعده منه ..لكن لم

يهتدى اليه سبيلا .. سافر الى "حسنى" يستسمحه فى أن يسلفه بعض المال لاتمام زواجه ..لكنه قوبل بالصد .. حتى أنه توجه مرغما الى "كوثر "والتى لم يكن ردها بأفضل من رد أخيها .. كمحاولة أخيرة هاتف "انعام "يطلب منها أن تسلفه بعض المال لكنها بحسرة أخبرته بأنها لا تملك مالا خاصا بها ..
طلبت من زوجها مساعدة ابن أخيها لكنه رفض مساعدته لربما لأنه يعلم بظروفه ويعلم بأنه لن يستطيع در المال .. حاول أن يوازن بين ما تبقى معه وبين طلبات "حمدى" لكنه فشل .. بدا وكأنه "حمدى" يصعب عليه الأمر ويعسر أمر زواجه .. لم يعلم "مهند" بأن الشيطان لعب برأس "حمدى "حتى تملك منه .. خاصة بعدما أبدى أحد أصدقائه اعجابه ب "سامرين" وطلبها لابنه دون أن يعلم بأمر زواجها من"مهند .. "عند تلك النقطة صمم "حمدى "بكل ما أوتى من قوة على التفريق بين "مهند" و "سامرين" خاصة وأن له مصالح كثيرة مع هذا الرجل ولكم يريد أن تتوطد العلاقات بينهما بالنسب .. فعزم فى نفسه قائلاً:
-لازم أفرق بينهم بأى شكل!

الفصل السابع والعشرون

فتحت أم "فريدة" الباب وابتسمت في وجه "سامرين" قائله:
-تعالي يا حبيبتي
نظرت "سامرين" وهي "مهند" الذي افترش مرتبة علي أرض الصالة واستغرق في نوم عميق:
-هو لسه نايم
قالت أم "فريدة" وهي تتوجه الي المطبخ:

-أيوة غلبت أصحيه .. صحيه انتي علي ما أحضر السحور
جلست بركبتيها علي الأرض بجواره وهي تمسح بيدها علي شعره هامسه باسمه .. فتح عينيه بصعوبه ولاحت ابتسامه علي شفتيه وهو يتطلع اليها قائلا بصوت ناعس :
-حبيبتي.....
ابتسمت بنعومه وقالت:
-يلا يا كسلان قوم عشان تتسحر .. السحور سنة مينفعش تفوتها .. النبي صلي الله عليه وسلم قالنا ان في السحور بركة
ابتسم وهو يومئ برأسه فقالت:
-اوعي تكون مصلتش قيام .. دي أول ليلة في رمضان
نهض وجلس وهو يقول:
-لا صليت الحمد لله .. لازم الواحد يحتسب أجر " من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"
قالت بحماس:
-وكمان أجر الصيام " من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"
ثم نظرت الي حيث ينام وقالت بحزن اشفاقا عليه:
-انت برده مصر تنام كده علي الأرض
ابتسم وهو يداعب وجنتها قائلا:
-انتي عارفه ان ماما أخدت أوضتي وبتنام فيها .. وسبتلنا أوضتها الكبيرة اللي فرشت فيها أوضة نومنا .. فمفيش مكان تاني أنام فيه غير هنا
قالت بحنان:
-طيب نام في أوضتنا
قبل جبينها قائلا وهو ينظر الي عيناها بحنان:
-أديكي قولتي أوضتنا .. يعني مينفعش أنام فيها لوحدي .. وبعدين دي أوضة عروسة عايزاني أبهدلهالك يعني
قالت بسرعة:
-يا سيدي أنا راضية
همس قائلا وهو يتطلع اليها بحب:

-وأنا مش راضي .. مش هنام فيها من غيرك
كاد أن يعانقها لولا دخول والدته قائلا:
-يلا يا ولاد السحور
عاونتها "سامرين" في رص الأطباق فوق الطاوله والتف ثلاثتهم ينعمون بطعام السحور .. فقال "مهند" اليهما:
-متنسوش نية الصيام .. لان الصيام مينفعش من غير نية
قالت "سامرين" وهي تمضغ احدي اللقيمات:
-أنوي كل يوم يا "مهند" ولا أول يوم بس ؟
ضحك قائلا:
-كل سنة تسأليني السؤال ده .. بتنوي مرة واحدة بس في أول الشهر انك هتصومي رمضان كله فريضة لله .. لو حبيتي تنوي كل يوم انوي .. بس مش شرط طالما نويتي أول يوم انك هتصومي رمضان كله امتثالا لأمر ربنا في فريضة الصيام
أومأت برأسها وعادت لتكمل سحورها قائله وهي تنظر الي ساعتها:
-معدش الا دقايق علي الفجر اتسحرنا متأخر النهاردة
قال "مهند: "
-كده أحسن .. لان النبي صلي الله عليه وسلم قال : "ولا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور .. "يعني نعجل بالفطار أول ما المغرب يأذن ونأخر السحور
انتهوا من السحور وشرب الماء ولحظات وأذن الفجر .. نزل "مهند" لأداء الفريضة في المسجد بينما صلت "سامرين" مع والدته في جماعة .. عاد "مهند "بعد الشروق ليجد "سامرين" واقفه في الشرفه ساهمه دخل ووقف بحوارها قائلا:
-بتعملي ايه
التفتت اليه وابتسمت قائله:
-صليت الفجر ووقفت في البلكونة والوقت سرقني
صمت "مهند" قليلا ثم استند بمرفقيه الي سور الشرفه وهو يقول:
-انتي فضلتي واقفة في البلكونة تضيعي وقت .. وأنا خدت أجر حجة وعمرة
نظرت اليه ضاحكة وقالت:

-ايه ده هي مكة قريبة للدرجة دي
قال دون أن يبتسم:
-مبهزرش علي فكرة
نظرت اليه بدهشة فقال:
-النبي صلي الله عليه وسلم قال : " من صلي صلاة الغداة)الفجر) في جماعة ثم جلس يذكر الله حتي تطلع الشمس ثم قام فصلي ركعتين انقلب بأجر حجة وعمرة .. "يعني أنا دلوقتي ومن غير ما أدفع ولا مليم خدت أجر حجة وعمرة
نظرت اليه "سامرين" وهي لا تزال مندهشة من هذا الأجر العظيم علي عمل قليل المجهود .. فأكمل "مهند" قائلا:
-يعني انتي في رمضان تقدري كل يوم تاخدي أجر حجه وعمرة يعني تطلعي من شهر رمضان ب ٣٠ حجة و ٣٠ عمرة
قال "سامرين" بحماس:
-ان شاء الله هعمل كدة كل يوم .. بس قولي من الفجر للشروق أعمل ايه يعني اقرأ قرآن بس ؟
قال "مهند:"
-اقري قرآن .. استغفري ربنا .. قولي أذكار الصباح .. قولي أذكار ما بعد الصلاة .. مش شرط قراية قرآن بس .. وأول ما الشمس تشرق تقومي تصلي ركعتين ..بس خلي بالك طول الفترة دي متنشغليش بحاجه تانية .. تفضلي أعده في مكانك تذكري ربنا لحد الشروق عشان تاخدي أجر الحجة والعمرة
أومأت "سامرين" برأسها ايجابا فقال "مهند" مبتسما:
-ناوية تختمي كام ختمة السنة دي ؟
قالت "سامرين: "
-والله لو خلصت ختمة واحدة هبقي مبسوطة .. السنة اللي فاتت ملحقتش أختم
قال "مهند" بحماس:
-تعرفي انك لو ختمتي ختمة واحدة في الأيام العادية وربنا تقبلها منك .. تاخدي كام حسنة ؟
صمتت فقال:
-تاخدي ٣ مليون وربع حسنات

اتسعت عيناها دهشة فأكمل "مهند" بحماس
-تخيلي بأه ان في رمصان كل حاجة أجرها مضاعف .. يعني الختمة الواحدة عليها ملايين الحسنات .. يعني تمحيلك ملايين الذنوب
شردت فقال:
-تعرفي كمان انك في رمضان ليكي ٦٠ دعوة مستجابة ؟ .. يعني ٦٠ مشكلة من مشاكل حياتك ممكن تتحل .. يعني ٦٠ حلم من أحلامك ممكن تتحقق .. تخيلي لو واحد غني اداكي ٦٠ شيك علي بياض ..تخيلي هتكوني فرحانه ازاي .. ولله المثل الأعلي ربنا اداكي 60دعوة مستجابة في رمضان .. النبي صلي الله عليه وسلم قال ":ولكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة "
تمتمت "سامرين" وقد اقشعر بدنها:
-سبحان الله
فأكمل "مهند" مبتسما:
-تعرفي ان في الأيام العادية ربنا ينزل الي السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل ويقول هل من سائل يعطي .. هل من مستغفر يغفر له .. هل من تائب يتاب عليه .. لكن في رمضان ربنا بينزل الي السماء في آخر ثلثين من الليل .. يعني الفرصة أكبر في اجابة الدعاء
ثم أكمل:
-تعرفي ان ليلة القدر اللي هي ١٢ ساعة خير من ١٠٠٠ شهر ..يعني خير من 720، 000ساعة يعني تقريبا مليون الا ربع ساعة ..يعني اللي يفوته أجرها يبقي محروم فعلا .. لان ساعة واحدة عبادة فيها أفضل من انك تعبدي ربنا 60، 000ساعة في الأيام العادية ..وآية واحدة من القرآن تقرأيها فيها أفضل من انك تقرأي 60، 000آية في الأيام العادية .. و تركعي ركعة واحدة فيها أفضل من ركوعك 60، 000ركعة في الأيام العادية ..ولو فطرتي فيها صائم هتاخدي أجر أعلي من انك تفطري 60، 000صائم في الأيام العادية
تمتمت "سامرين" بتأثر:
-سبحان الله .. يعني الثواب ده كله الناس بتضيعه .. في ناس كتير بتفتكر ان رمضان هو صيام عن الأكل والشرب وبس ..وبيضيع منهم الثواب الكبير أوي ده
ربت "مهند" علي ظهرها قائلا:

-مش عايزك تضيعي الأجر ده .. عايزك تستغلي كل لحظة في رمضان .. عارفه ليه ؟

نظرت اليه فابتسم بعذوبة وقال بحنان:

-عشان نفسي نكون مع بعض في الجنة .. في نفس الدرجة .. ونفس المكان .. مش عايزك تتأخري عني

نظرت اليه مبتسمة وقد لمعت عيناها بالعبرات تأثرا

****

أتي العيد حاملا البهجة والسرور .. وبشريات الرحمة والمغفرة والعتق من النيران .. لكن شاءت الأقدار أن يقلب "حمدي "الفرح والسرور الي حزن وألم ..فبمجرد أن أتاه خبر وفاة والده الذي كان قاطعا عن وصله .. حتي طرب قلبه للميراث الذي أتي اليه علي طبق من فضة .. تغير الحال وبدأ "حمدي " يعلنها صراحة في وجه "مهند: "

-طلق بنتي .. انت مش من مستواها .. أنا ورثت في أبويا .. وعايز بنتي تعيش مرتاحه

قال "مهند" بوجوم:

-وأنا هعيشها مرتاحه .. مش هحرمها أبدا من حاجه

ضحك "حمدي" بسخرية قائلا:

-بأمارة ايه .. اذا كنت لحد دلوقتي بقالك أكتر من سنة معرفتش تجيب الا أوضة نوم

قال "مهند" بإقتضاب:

-ان شاء الله هجهز باقي الشقة في أقرب وقت

لكن "حمدي" قال ببرود حازم:

-وأنا مش هستني عليك أكتر من كدة .. بنتي يتمناها شباب كتير .. ايه يخليني أرميها الرمية دي

ثم قال بحزم:

-طلق بنتي يا "مهند" ده آخر كلام عندي

عندها تحول "مهند" الوديع الي وحش كاسر .. غلت الدماء في عروقه ونهض وهو يرمق "حمدي" بنظرات قاتله وهو يقول بصرامة شديدة:
-مش هطلقها .. وده آخر كلام عندي

وكــانت الحــرب!

****

صرخت "سامرين"بألم وهي تتلقي من "حمدي" احدي الصفعات القوية علي وجهها وهي تقول:
-برده مش هقوله يطلقني
فما كان من "حمدي" الا أن خلع حزام بنطاله وهوي به فوق جسدها .. أخذت تصرخ بألم وهي ترجوه أن يتوقف فصاح قائلا:
-اللي قولته يتنفذ .. هتطلعي للتيييييييت ده وتقوليله انك مش عايزاه .. وتطلبي منه الطلاق
بكت بحرقة واختلط بكائها بأنين عظامها المتألمة وهي تقول:
-حرام عليك يا بابا .. أنا مش عايزاه يطلقني .. أنا مش عايزة أتجوز غيره .. أنا راضيه بعيشته دي
صاح في وجهها بغضب قائلا:
-مش بمزاجك يا تيييييييت .. الحق عليا اني عايزلك جوازه تتشرفي بيها .. حاجه ترفع الراس مش الواد التيييييييييت ده
قالت بحزم ودموعها تتساقط فوق وجهها:
-وأنا مفيش راجل في الدنيا دي يملي عيني غير "مهند"
جذبها والدها من ذراعها فصرخت متألمة .. أوقفها والتقط اسدالها وألقاه في وجهها قائلا بصرامة وهي يرفع اصبعه مهددا:
-قسما بالله لو ما طلعتي دلوقتي قولتيله يطلقك لأكون مموتك بايدي
صعدت "سامرين" وهي تبكي وتأن من ألم جسدها وألم قلبها ..فتحت أم "فريدة "الباب فهالها وجهها الباكي وتلك الكدمات علي وجنتها فشهقت بقوة قائله:

-ايه اللي حصل يا "سامرين" .. أبوكي ضربك ؟
توجه "مهند" الي الباب فزعا بعدما سمع والدته .. اتسعت عيناه دهشة وهو يراها علي هذا الحال .. بمجرد أن رأته "سامرين "اندفعت بقوة تلقي بنفسها فوق صدره وهي تبكي قائله بصوت مرتجف:
-عايزني أقولك تطلقني .. أنا مش عايزة أطلق يا "مهند" .. مطلقنيش
أحاطها بذراعيه وقلبه يحترق علي ما أصابها من والدها .. مسح علي رأسها ثم ضمه اليه بقوة وهو يقول:
-متخفيش مش هطلقك
رفعت وجهها الباكي تنظر اليها برجاء قائله بصوت مرتجف:
-خليني هنا .. متنزلنيش عنده تاني .. لو نزلت هيموتني .. خليني هنا يا "مهند" أنا مش عايزة أبعد عنك
نظر "مهند" الي والدته التي قالت بحيرة:
-والله ما أنا عارفه الحل ايه .. بس لو مرجعتيش يا "سامرين" هتبقي حريقه
صاحت "سامرين" بحده:
-هيعمل فيا ايه أكتر من كدة
ثم التفتت الي "مهند" واضعة كفيها فوق صدره وهي تنظر اليه برجاء قائله:
-متسبنيش يا "مهند" .. احنا متجوزين .. محدش له حاجه عندنا .. اللي بيعمله ده ميرضيش ربنا .. خليني هنا .. مش عايزه أعيش معاه تاني .. ونقول للناس كلها ان احنا خلاص اتجوزنا ..عشان خاطري مترجعنيش له تاني
تنهد "مهند" بقوة وهو يقبل جبينها قائلا:
-متخفيش .. مش هخليه يأذيكي تاني

جلس "مهند" بجوارها علي الفراش يمسح علي شعرها بيده يرقيها حتي غطت في النوم .. أخذت أصابعه تتحسس بحنان ذلك اللون الأزرق الذي ظهر في أماكن متفرقه علي ذراعها .. تنهد بأسي وهو يقبل جبينها برفق .. ثم يحمل الكوب الفارغ الموضوع بجوار الفراش وينهض مغادرا الغرفة وهو يغلق الباب

في هدوء ..التفتت اليه أمه الجالسه علي الأريكة لتقطع شرودها قائله:
-نامت ؟
هز رأسه ايجابا وهو يضع الكوب في المطبخ ثم يعود ليلقي بنفسه فوق أحد المقاعد وهو يسند جبينه الي قبضة يده ويغرق في التفكير .. قالت أمه بقلق:
" -حمدي" مش سهل .. مش هيعدي الموضوع ده علي خير .. مش هيسكت ويرضي بالأمر الواقع
رفع "مهند" برأسه ونظر اليها قائلا بحنق وغضب:
-كنتي عايزاني أعمل ايه يعني .. أرجعهاله عشان يموتها .. انتي مشفتيش وشها ودراعها عاملين ازاي وأكيد باقي جسمها كمان متبهدل
ثم قال بحزم:
-أنا مش هطلق مراتي وأعلي ما في خيله يركبه
نهضت أمه وهي تشعر بالأسي الممزوج بالحيرة لهذا الوضع الذي وصل اليه الأمر ..دخلت غرفتها واستلقت علي فراشها بينما أحضر "مهند" المرتبة وأزاح الطاولة الصغيرة ليفترشها علي الأرض كعادته ويتوسد يديه محاولا التفكير في حل للخروج من هذا المأذق

في الصباح توجه "مهند" الي عمله بعدما قال لوالدته:
-خلي بالك منها يا ماما .. لو حصل مشاكل كلميني علي طول
في الظهيرة فوجئ بسيارة شرطة تقف أمام دكانه ويتوجه اليه أحدهم قائلا:
-انت "مهند"....
قال "مهند" باستغراب وهو ينظر الي ملابسه الميري والي السيارة التي تقف بالخارج:
-أيوة أنا
أشار رجل الشرطة الي السيارة قائلا:
-طيب اتفضل معانا شويه
قال "مهند" بقلق:
-خير في حاجة
قتل الضابط:

-في اتهام متوجهلك ومطلوب أقوالك
قال بدهشة:
-اتهام ايه
قال الظابط وهو يشير الي السيارة:
-اتهام خطف واغتصاب بنت أبوها مقدم فيك شكوي
تجمدت ملامح "مهند" واضطرب وهو متوجه الي السيارة .. شعر بالغضب الشديد وهو جالس في مكتب الضابط الذي يستمع الي أقواله بعدما أخبره بأن "حمدي "اتهمه بخطف "سامرين" واغتصابها ..قال "مهند" بغضب:
-الكلام ده محصلش .. وبعدين دي مش خطيبتي زي ما أبوها بيقول في المحضر .. دي مراتي
توجه "مهند" الي بيته لاحضار قسيمة الزواج التي تثبت أنه زوج "سامرين" وليس خطيبها كما ادعي "حمدي" .. أغلق المحضر دون توجيه تهمة الي "مهند .. "جلست أمه تبكي في غرفتها فاقترب منها قائلا:
-خلاص يا ماما حصل خير
قالت بفزع بصوت باكي:
-قولتلك الراجل ده قوي .. ومش هيسكت .. يا ابني أنا خايفه عليك .. أبوك مكنش بيحب "حمدي" أبدا وكان بيقول عليه انه واحد ميعرفش ربنا .. خايفه يأذيك يا ابني
قال "مهند" بحزم:
-ميقدرش يعملي حاجه .. وآدي المحضر بتاعه نزل علي فشوش
قالت أمه بقلق بالغ:
-انت فكرك الموضوع هيقف علي كده .. أكيد مش هيقف
تنهد "مهند" قائلا:
-يعني أعمل ايه يا ماما .. أطلق مراتي عشان يرتاح .. أنا مش ممكن أطلق "سامرين" .. انتي عارفه أنا بحبها أد ايه ..وهي بتحبني أد ايه .. محدش فينا يقدر يعيش من غير التاني ..أنا عندي أموت ولا اني أطلقها وأسيبها تتجوز واحد غيري
تنهدت أمه في حيرة وأسي .. نهض "مهند" ودخل الشرفة ليجد "سامرين" واقفة في وجوم تسقي الزهرة التي تفتحت وأينعت وظهر جمالها .. فقال

"مهند" بمرح وهو ينظر اليها:
-انتي عاملة زي الوردة دي بالظبط .. كبرتي وحلويتي ومحتاجة اللي يقطفك .. تسمحيلي أقطفك ؟
التفتت تنظر اليه بأعين دامعة ثم عادت لتسقي الزهرة .. اقترب منها وجذبها من يدها الي أن أجلسها علي أحد المقاعد وجلس جوارها وقال:
-متخفيش .. كل حاجة هتتصلح
بكت وهي تقول:
-خايفة أوي يا "مهند"
مسح علي ظهرها قائلا بحنان:
-خايفة وأنا معاكي
قالت بلهفة ممزوجة بالخوف والقلق وهي تتطلع الي عيناه تتشبث بهما:
-خايفه تعمل اللي بابا عايزه .. خايفه يضغط عليك لحد ما فعلا تطلقني .. عشان خاطري متسبنيش
خفق قلبه و احتوتها عيناه وهو يمسح عبراتها بأصابعه ويقول برقه:
-مش ممكن أطلقك مهما عمل فيا .. متقلقيش .. مش عايزك تخافي
ابتسم في وجهها بعذوبه فبثت ابتسامته الأمل فيها وابتسمت له برقه .. فاتسعت ابتسامته قائلا:
-أيوة كده خلي الدنيا تنور
مد يده مشبكا أصابعه بين أصابعها ثم رفعهما أمام وجهها قائلا بثقة:
-شايفه دول .. مستحيل حد يقدر يفكهم من بعض
اتسعت ابتسامتها وضغطت علي يده بأصابعها بقوة .. ففعل مثلها .. فتعانقت العيون والقلوب والأرواح

****

شعر "مهند" وكأن الدنيا تنهار من تحت أقدامه وهو يري دكانه وقد دك دكا .. والناس واقفه تضرب كفا بكف مشفقين علي مصدر رزقه الذي تحول الي فتات ..لم يجد في الدكان أي شئ سليم كل شئ مكسور .. وما لم يتكسر تحول الي رماد بفعل الحريق الذي ساعد أهل الحي علي اخماده .. وجد جملة مكتوبه علي

جدار المحل من الخارج بألوان الطلاء:
-مش هخليكوا تتهنوا وهفضل وراك لحد ما تنفذ اللي أنا عايزه يا تيييييييييت
احتقنت الدماء في وجه "مهند" وهو يتمتم:
-انا لله وانا اليه راجعون .. اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها

وقف "مهند" مع الشرطة التي تعاين الدكان .. رأى فجأة أمه مقبله تجاهه في لوعة وهي تتحسسه قائله بفزع:
-فيك حاجة يا ابني .. انت كويس
طمأنها قائلا:
-متقلقيش يا ماما الحمد لله أنا كويس
شهقت بقوة وهي تري دكان ابنها الذي تحطم وتهشم واحترق .. بكت وهي تقرأ الرسالة المكتوبة علي الجدار وتهتف:
-حسبي الله ونعم الوكيل .. ربنا ينتقم منه شر انتقام .. ربنا ينتقم منه .. منه لله الظالم المفتري
قال "مهند" بقلق وهو يتلفت حوله:
-ماما فين "سامرين" ؟ اوعي تكوني سبتيها لوحدها
قالت باكية:
-في البيت .. لما الجيران قالولي علي اللي حصل محستش بنفسي الا وأنا بلبس وبجري عليك .. منه لله .. منه لله
قال "مهند" بقلق:
-طيب يا ماما ارجعي البيت دلوقتي أنا خايف يعمل حاجة في "سامرين"

في تلك اللحظة نزلت "سامرين" باكية الي بيت والدها طرقت الباب في خوف وتوتر ..انتفضت بعدما فتح لها "حمدي "الباب ..نظرت اليه في ترقب للحظات تخشي أن يضربها .. ثم قالت:
-بابا لو سمحت ممكن نتكلم
نظر اليها بإحتقار قائلا:
-مفيش كلام بيني وبينك يا تيييييييييت .. اما علمتك الأدب انتي وهو مبقاش

أنا
قالت باكية بقلب مفطور ودموعها تنهمر بغزارة:
-ليه يا بابا .. ليه .. أنا مش عايزة أطلق ..أنا راضيه بعيشة "مهند" ليه عايزني أسيبه .. أنا مش حابه أعمل حاجة غصب عنك .. بس خوفت أرجع من غير ما يطلقني تقوم تعمل فيا حاجة أو تضربني تاني
قال بحدة وهو يجذبها من ذراعها ويغلق باب البيت بقوة:
-كدة كدة هقتلك يا تيييييييت .. خليتي الكلب ده يشمت فيا ويرفع عينه في عيني .. طبعا ما هو خد منك اللي هو عايزه وقدر يلوي دراعي
قالت بسرعة متجاهلة أظافره المحشورة في ذراعها:
-لا يا بابا .. "مهند" ملمسنيش
صمت للحظات ثم صاح بغضب:
-فاكراني هصدق كلامك ده
قالت بحماس:
-والله العظيم والله العظيم ملمسنيش .. الأيام اللي فاتت دي كنت ببات في أوضه لوحدي وهو كان بينام في الصالة علي الأرض
هدأت ثائرة "حمدي" وشعرت بأظافره يخف انغماسها داخل لحم ذراعها .. فقالت بألم:
" -مهند" مش عايز يكسر عينك يا بابا .. ولا عايز يبقي في مشاكل بينك وبينه ..رغم اني قولتله نعلن للناس اننا خلاص اتقفل علينا باب واحد .. بس مرضيش ..قالي انتي مش عاملة عملة عشان أخدك من بيت أهلك من غير فرح .. بس خلاني أعده عندهم عشان كان خايف عليا منك
ظنت أن تلك الكلمات من شأنها أن تسد الفجوة بين "حمدي" و "مهند" ويري "حمدي" في "مهند" الشهامة والرجولة .. لكنه لم يكن يبحث عن الشهامة والرجولة بل كان يبحث عن شئ آخر .. رفع اصبعه محذرا في وجهها وهو يقول بحدة :
-اسمعيني وافهمي الكلام اللي هقولهولك كويس .. أنا شاركت رجل أعمال غني همسك أنا الشغل بره مصر وهو يمسك الشغل جوه مصر .. الراجل ده كلمني انه عايزك لابنه وأنا قولتله انك مكتوب كتابك وبعدين رجعت قولتله ان حصل مشاكل بينك وبين خطيبك واطلقتوا

نظرا "سامرين" الي والدها بدهشة فأكمل بصرامة:

-ومن ساعة ما عرف وهو عايز ييجي يزورنا هو وابنه وانا عمال أأجل لحد ما نخلص من المصيبة اللي اسمها "مهند" ويحل عنك وعني

ظهر الغضب علي محياه وهو يقول:

-الراجل ده عايز أمسك فيه بايدي وسناني لان الشغل معاه هينقلني ناقله تانيه خالص .. ولو في نسب بينا أكيد العلاقات هتبقي أحسن وهيفكر دايما ان أنا أولي من غيري غيري بشراكته ..ده غير ان ابنه مرتاح وهيجبلك اللي انتي عايزاه ..يعني هتعيشي أحسن من العيشة اللي "مهند" بتاعك ده هيعيشهالك 100مرة

ضمت "سامرين" شفتيها الي بعضهما بقوة ثم قالت لحزم:

-أنا مش عايزه راجل غير "مهند"

أمسك بذراعها مرة أخري لكن هذه المرة لواه خلف ظهرها فشهقت ألما وهو يقول بغضب:

-قسما بالله لو ما طلقك لكون مدبرله حادثه تجيب أجله ..ولا أدبرله مصيبة ترميه في السجن وساعتها هطلقك منه وأخليكي ترفعي قضية تفريق ورجلك فوق رقبتك

شعرت "سامرين" بالخوف وقالت باكيه:

-عشان خاطري يا بابا سيبنا في حالنا .. عشان خاطري .. كفايه اللي حصل في دكان "مهند" أنا واثقه ان انت اللي حرقتهوله

صاح بغضب وهو يزيد من لي ذراعها:

-أيوة أنا اللي حرقتهوله .. والمرة الجاية هحرقه هوه

تركها فأخذت تفرك ذراعها وامارات الألم علي محياها .. ثم قال وهو ينظر اليها بغضب:

-قدامك ٣ أيام تقنعيه فيهم انه يطلقك يا اما انتي عارفه أنا هعمل ايه

بكت تتوسل اليه لكن دون جدوي فتح الباب ودفعها قائلا:

-وعلي الله تخليه يلمسك يا تيييييييييت والله ساعتها أقتلك انتي وهو

أغلق الباب في وجهها بعنف فصعدت مترنحة مرتعشة الي المكان الوحيد الذي تشعر بأنه بيتها!

****

عادت أم "فريدة" من الخارج فاستقبلتها "سامرين" بلهفة قائله:
-خير يا ماما .. "مهند" كويس ؟
قالت باكية:
-أبوكي حرقله الدكان .. كسرله كل حاجه .. الواد هيموت بحسرته
أجهشت "سامرين" في البكاء وهي تكتم فمها بكفها .. لحظات وفتح الباب ليدخل "مهند" فاندفعت تجاهه تعانقه وتهتف باكيه:
-أنا آسفه .. أنا آسفة
ربت علي ظهرها قائلا وقد بلغ التعب منه مبلغه:
-بتتأسفي علي ايه .. انتي ملكيش ذنب في حاجه
قالت أم "فريدة" بغيظ:
أبوكي سيبله رساله علي الحيطة بيهدده ورغم كدة "مهند" مرضيش يشتكيه رغم انه متأكد ان هو اللي حرقله الدكان
رفعت "سامرين" رأسها تنظر اليه بأعين دامعة متسائله فمسح على ذراعيها قائلاً:
-مرضتش أقيد النار أكتر ما هى قايده .. لو اشتكيته يبقى بقطع أى أمل فى ان الأمور تتصلح بينا وبينه
دفنت وجهها فى صدرة وهى تبكى بحرقة فمسح على شعرها قائلاً وهو يتنهد بقوة:
-الحمد لله على كل حال .. الحمد لله
نظرت اليه قائله:
-هتعمل ايه دلوقتى ؟
خفق قلبها بقوة .. لأول مرة تلمح الدموع في عينيه .. تلمح الحيرة والضعف والعجز .. لم يجيبها بل توجه الى الحمام وأغلقه ..وقف تحت الدش يحاول أن يستجمع شتات أفكاره .. ويفكر فى حل لهذه المصيبة التى قضت على مصدر رزقه ..انسابت عبراته الساخنة مع المياة الجارية لتمحو أثرها سريعاً .. خرج ليجد "سامرين "واقفة فى المطبخ تعد له الطعام فتمتم قائلاً:
-متتعبيش نفسك مليش نفس

توقفت عما تفعل وهى تنظر الى بأسى .. هم بالتوجه الى فرشته ليحملها فهتفت قائله:

-نام فى الأوضة .. أنا مش هنام دلوقتى

بدا وكأنه من التعب لا يستطيع المجادلة .. توجه الى الغرفة وألقى بنفسه فوق الفراش .. انتفض وهو يشعر بها تحكم وضع الغطاء على جسده .. ابتسم لها بوهن ..بضعف .. ابتسامه حملت الكثير من الألم وقلة الحيلة .. بادلته مثلها ..وخرجت من الغرفة!

****

بما تبقى معه من مال حاول اعادة ترميم الدكان من الداخل ..واتفق مع عدد من التجار الذى يعرفونه ويعرفون أمانته فى التعامل وسمعته فى السوق أن يأخذ منهم بضاعة بالآجل .. يضعها فى المحل ويدفع لهم على دفعات .. حمد الله أن يسر له ذلك .. وبدأ يستبشر خيراً .. لكن توالت المصائب فوق رأسه عندما داهمته الشرطة مصحوبة بأمر بتفتيش الدكان .. هاله ما وجده رجال الشرطة من أكياس صغيرة تحتوى على مسحوق أبيض .. هتف قائلا:

-ايه ده ؟

قال الضابط بحده:

-مش عارف ايه ده يا تيييييييييييييت .. خدوه على البوكس

فمنطق بعض رجال الشرطة هو أن المتهم متهم حتى تثبت براءته ! .. اتصل بوالدته وهو فى سيارة الشرطة وأخبرها بما حدث ثم اتصل بأحد جيرانه ممن يعملون فى مهنة المحاماة وطلب منه الحضور الى قسم الشرطة .. اندفعت "والدته برفقة "سامرين" الى قسم الشرطة تبحث عنه ..شعرت "سامرين" بمغص حاد فى بطنها وهى تعلم علم اليقين بأن والدها هو من دبر له هذه المصيبة كما هدد ..بعد عدة ساعات من الاستجواب والفحص و انتظار تقرير المعمل الجنائي ..تبين أن .. المسحوق ما هو الا دقيق .. ! لكنها كانت من الذكاء لتفهم الرسالة التى أرسلها والدها .. فهذه المرة قرصة ودن .. لكن التالية لن تكون كذلك .. وفى حاةل من الوجوم والأسى عاد الجميع الى البتي منهكون القوى .. صامتون وكأن على رؤسهم الطير .. لم يعد يجد أحدهم كلمة مواساة ليقدمها للآخر ..توجه كل منهم الى فرشته ..والدمعة فى عينيه!

لم تنم "سامرين" فى تلك الليلة .. بقيت ساهرة زاهدة النوم .. توضأت ووقفت بين يدي الله تبكى وتشكو له ضعف حالها وهوانها على الناس .. كانت تشعر بأنها كالطير المذبوح فى عنقه .. ستألم ويدور حول نفسه غير عالم بوسيله لتخفيف ألمه أو لوقف نزيف دمه .. هتف قلبها قائلا .. انت كنت لا أستطيع مداواة جروحى .. فعلى الأقل أحمى من تهفو اليه روحى .. أخذت العبرات تتساقط فوق وجنتيها .. تحرقها ..تلسعها .. دون ان تهتم بمسحها .. ظلت تنزف دمعاً الى أن نضبت الدموع فى عينيها .. سمعت طرقات خفيفة على باب الغرفة فنهضت من فوق الأرض لفتحه ..وجدت أم "فريدة "تنظر اليها بأعين دامعة وتغلق الباب خلفها ..ثم تقول بصوت باكى :

" -سامرين "

قالت "سامرين" بخفوت:

-أيوة يا ماما

قالت أم "فريدة" وهى تبكى:

-أنا اللى مربياكى من يوم ما أمك ماتت .. عمرى ما بخلت عليكي بحاجه .. ربا يعلم لو كانت "فريدة" بنتى عايشه معايا مكنتش هعاملها أحسن من كده

تساقطت العبرات من عيني "سامرين" بعد أن ظنت أن دموع عينيها قدنشفت من كثرة البكاء .. لكن اتضح لها أن هناك المزيد .. ! أكملت أم "فريدة" بلوعة:

-ابنى هيضيع منى .. يرضيكى ان "مهند" يضيع منى .. أنا مليش غيره بعد ربنا ..كان هيتسجن النهاردة .. لو كانوا لقوا مخدرات بدل الدقيق مكنش رجع معايا النهاردة

ثم أجهشت فى البكاء قائله:

-كان ممكن يبقى بايت النهاردة على البورش مع المجرمين والحراميه

اختلط صوت بكاء الاثناتان ببعضهما البعض .. فاقتربت أم "فريدة" من "سامرين" وأمسك كفها قائله:

-حلفتك بالله لتبعدى عن ابنى عشان أبوكى يسيبه فى حاله

نظرت اليها "سامرين" وكأنها تتمزق .. تحترق .. فقالت أم "فريدة" بأسى:

-أرجوكى يا "سامرين" .. أرجوكى يا بنتى . .أنا عمرى ما طلبت منك حاجة .. بالله عليكى مضيعيش "مهند" منى ده أنا ممكن أروح فيها

بكت المرأة مرة أخرى وهى تنظر اليها بألم قائله:
-أبوكى مش هيسيبه فى حاله .. أبوكى شرانى وأنا عارفاه من زمان .. لو بتحبى "مهند" هتخافى عليه ومش هتسمحى لحاجة تأذيه ..لو بتحبى ابنى بجد ابعدى عنه يا "سامرين"
أطرقت "سامرين" برأسها ولا تزال عبراتها تتساقط .. أغمضت عينيها للحظات ثم تمتمت بشفتين مرتجفتين:
-حاضر
رق قلب أم "فريدة" لحالها .. لكنها تمالكت نفسها وخرجت من الغرفة تغلق الباب خلفها .. لتتساقط "سامرني" فوق الفراش تتظر الى سقف الغرفة وقد أيقنت منذ هذه اللحظة أنها ستعيش ما تبقى من حياتها بجسد بلا روح!

****

هتفت أم "فريدة" قائله:
" -مهند" .. "مهند"
خرج من الحمام وتوجه اليها فقالت بدهشة:
" -سامرين" مش فى البيت
قال بدهشة:
-ازاى يعني ؟
قالت بحيرة:
-قمت ملقتهاش
ترك "مهند" المنشفة ونزل بسرعة الى الأسفل وطرق الباب بعصبية وتوتر .. اندهش عندما رآها تفتح له الباب فقال:
" -سامرين" بتعملى ايه هنا .. ليه نزلتى من غير ما تقوليلى ولا حتى تعرفى ماما
قالت وهى تحاول رسم البسمة فوق ثغرها:
-مفيش .. بابا وحشنى ونزلت أشوفه

قال بقلق:
-عملك حاجة ؟
اتسعت ابتسامتها وهى تقول:
-لا أبدا .. اتصالحنا خلاص
ابتسم وهو يقول:
-طيب كويس الحمد لله
اختفت ابتسامته عندما رأى "حمدى" خلفها .. انتبه لأول مرة الى ملابسها وقال:
-انتى خارجه
قالت وهى تنظر الى أبيها:
-أيوة خارجه مع بابا
ثم ابتسمت قائله بمكر:
-بابا وعدنى انه هيشتريلى لبس وحاجات كتير بمناسبة اننا اتصالحنا
ابتسم دون تعقيب .. نظر اليه "حمدى" بحدة وهو يغلق الباب ويتوجه مع "سامرين" الى السيارة الجديدة التى اشتراها ..ركبت "سامرين" بجوار والدها وانطلق بها تحت أنظار "مهند"

****

وقف "مهند" فى الشرفة يتمشى يمينا ويسارا فى عصبية .. ينظر الى ساعته بني الحين والآخر:
-دخلت أمه الشرفة وقالت:
-لسه مجتش برده
نظر اليها ثم هز رأسه نفيا .. ثم اخذ يطرق بقبضته على السور بقوة .. فقالت أمه:
-معلش زمانها جايه
التفت اليها يقول بغضب:
-جايه ايه وزفت ايه كل يوم على ده الحال
قالت أمه بحزن:

-ما هى مع أبوها يا ابنى مش مع حد غريب
سمع صوت سيارة فالتفتت ليجد سيارة يراها لأول مرة .. لحظات ورأى "سامرين "تهبط منها .. نزل مسرعا ووقف أمام البوابة ليرى "حمدى" يتضاحك مع رجلين فى السيارة أحدهما كبير والآخر شاب فى مقتبل العمر .. نزل "حمدى "وتوجه مع "سامرين" الى البناية ..ألقى على "مهند" نظرة ساخرة وهو يقول ل "سامرين: "
-متتاخريش
دخل البناية بينما وقفت "سامرني" فى مواجهة "مهند" الذى قال:
-مين اللى انتوا جايين معاهم دول
قالت وهى ترسم على شفتيه ابتسامة واسعة:
-ده صاحب بابا وابنه .. رجل أعمال كبير أوى وابنه كمان رجل أعمال زيه
أومأ برأسه وهو يعض على شفتيه ثم قال:
-جيتوا معاهم ليه ؟
قالت بمرح:
-أصل عربيتنا عطلت فهما وصلونا .. اسكت يا "مهند" لو شوفت بيتهم هتتجنن .. حاجة كده وهم مبنشفهاش الا فى الكتالوجات
ظل صامتا وهو ينظر اليها فأكملت بمرح وهى تخرج علبه من حقيبتها قائله بسعادة:
-شوف جابلى ايه
فتحت العلبة الظهيرة ليظهر خاتم ذهبى .. عقيد جبينه بقوة وهو يقول:
-مين اللى جابهولك
قالت وهى تتناول الخاتم أمام ناظريه وتضعه فى اصبعها قائله:
-صاحب بابا
قال بحده:
-وجابهولك ليه ان شاء الله
قالت بمرح:
-عشان نجحت .. جابهولى بمناسبة نجاحى
قال بدهشة ممزوجة بالضيق:
-ازاى يعني ؟ ..أنا لسه كنت فى كليتك النهاردة وقالولى ان النتيجة مبنتش

قالت بتفاخر:
-أصل صاحب بابا وابنه دول ما شاء الله ناس واصلين ويعرفوا دكاتره عندى فى الكلية فجابوهالى من الكنترول
شعر "مهند" بغصة فى حلقه وهو يقول:
-مبروك .. كان نفسى أبقى أول واحد يقولهالك
قالت مبتسمة:
-الله يبارك فيك
توجهت للداخل فتبعها .. وقفت أمام باب بيتها وقالت:
-تصبح على خير
التفتت فسمعته يقول هامسا:
-وحشتيني
أغمضت عينيها وهى توليه ظهرها .. ظهر الألم على محياها وهى تبلع ريقها بصعوبة شاعرة وكأن روحها تتمزق .. التفتت وقالت وهى ترسم بصعوبة ابتسامة على شفتيها بصوت حاولت أن يبدو باردا:
-وانت كمان .. تصبح على خير
دخلت وأغلقت الباب خلفها مسرعة قبل أن يرى عبراتها التى أخذت فى الانهمار ..وقفت ساكنة فى مكانها خلف الباب لا تتحرك ..لم تدرى كم مر عليها وهى واقفة مستندة بظهرها الى الباب ..لكنها رأت والدها يعبر الصالة بمنامته وهو يقول بحدة:
-مش هنخلص من الموضوع ده بأه .. قولتيلى اصبر وآديني صابر .. بس لحد امتى ..خلاص سفرنا قرب والواد مسافر معانا بس عايز يبقى فى ارتباط قبل ما نسافر ..يعني على الأقل تلبسوا دبل هنا وسط أهله .. ولما نسافر تبقوا تحددوا معاد الفرح
لم تجيبه "سامرين" بشئ .. توجهت الى غرفتها وألقت بنفسها فوق فراشها بملابسها .. وهى تتقوقع على نفسها فى نومة الجنين ..تغمض عينيها بشدة وهى تضم الغطاء الى صدرها بقوة

****

وقفت "سامرين" شاردة الى أن نزل "مهند" مرتديا بدلة رماديا خفق قلبها بشدة لمرآه .. ابتسم قائلاً وهو يعدل من وضع ربطه عنقه:

-يلا يا جميل

نظرت اليها بحنان واشتياق سرعان ما أخفته وهى تقول بصوت حاولت أن يبدو باردا:

-ايه ده يا "مهند" ؟

قال فى دهشة:

-فى ايه

قالت وعلى وجهها علامات الضيق وهى تشير الى بدلته:

-قولتلك اننا رايحين خطوبة بنت واحد صاحب بابا .. وقلتلك انه هيكون فى قاعة كبيرة

قال بدهشة وهى ينظر الى ملابسه:

-ما أنا عشان كده لبست بدلة

بلعت ريقها بصعوبة ثم قالت بحدة:

-بس شكلها بيئة أوى

عقد جبينه بضيق وقال:

-مش بيئة ولا حاجة يا "سامرين"

قالت بعصبية:

-لا بيئة وشكلها رخيص ومش قيمة .. ازاى هروح معاك كدة .. فى الحفلة هيكون فى ناس محترمة و.....

قاطعها قائلاً بصرامة:

-مش كل اللى معاه فلوس بأه محترم

قالت بتهكم:

-مش وقت فلسفة .. أنا مش هقدر أروح كده .. تعالى نشتريلك حاجة فى طريقنا

قال بوجوم وهو يشعر بألم يغزو قلبه وكأنها تسدد اليه طعنات تلو الأخرى:

-مش هينفع أشترى حاجة دلوقتى .. انتى عارفه انى بجهز الدكان من أول وجديد

قالت متأففة وهى تدخل البناية:

-خلاص مش مشكلة بأه مش هروح
قال بعتاب ونظراته تشع ألما:
-للدرجة دى يعني شايفه ان شكلى يكسف
خفق قلبها بقوة وتقطعت أنفاسها .. لكنها قالت بجمود:
-انا ما قولتش ان شكلك يكسف .. بس مش حبه ان حد يبصلنا بصه وحشه .. يعني أقصد.....
مقاطعا اياها .. تركها ودخل البناية .. غير قادر على سماع المزيد!

****

كعادته جلس على الاكل شاردا .. قالت والدته:
-كل يا "مهند"
أومأ برأسه دون أن يضع فى فمه شيئا فقالت بإشفاق:
-متخانق انت و "سامرين" ؟
قال بضيق:
-مش عارف ملها .. حاسسها متغيره .. متغيره أوى .. أكنها واحدة تانية .. من يوم ما رجعت لأبوها وعرفها بصاحبة وولاد صاحبه وأنا حاسسها متغيره معايا ..بارده .. وبعيدة .. وتفكيرها بأه غريب
عضت أمه على شفتيها وهى تنظر اليه بإشفاق غير قادرة على شرح سبب تغير "سامرين" .. نهضت وتوجهت الى المطبخ تعيد الأطباق التى لم ينقص منها الا القليل .. تنهدت وهى تتمتم:
-يارب .. يارب انت عارف الخير فين .. يارب

فتحت الباب فنظرا ليها بعتاب قائلاً:
-حرمانى منك ليه
تجمدت "سامرين" فى مكانها وهى تتأمل عيناه التى افتقدتهما بشده .. لكنها

قالت مبتسمة:
-مفيش .. أنا موجودة أهو

أخرج من خلف ظهره باقة زهور وابتسم لها قائلاً:
-عشان حبيبتى

تعالت خفقات قلبها حبا له .. وماتت الكلمات فوق شفتيها .. ودت لو فعلت كما كانت تفعل من قبل .. وتتوجه اليه لتلقى بنفهسا بين ذراعيه ملقية برأسها فوق صدره .. لكنها منعت نفسها بصعوبة .. أطرقت برأسها تنظر الى الباقى فما كان منه الا أن جذبها الى المكان الذى كانت تحلم بالوصول اليه منذ قليل ..وبشق الأنسف .. وبمجاهدة لمشاعرها التى تأمرها بأن تبقى أسيرة بين ذراعية .. ابتعدت عنه برفق .. لكن بحزم ..نظر اليها قاءلاً:
-مالك اي "سامرين" .. متغيره معايا ليه ؟
قالت وهى تهرب من عينيه:
-بصراحة فعلا أنا حسه نفسى متغيره
أمسك بذقنها يرفع رأسها ليجبرها على النظر اليه وقال:
-ايه اللى مغيرك ؟

أبعدت كفه عن وجهها وقالت:
-بصراحة الفترة الأخيرة شوفت حاجات كتير خليتنى حسه اننا مش عايشين ..فى ناس عندما فلوس ملهاش حصر .. وعايشة فى أرقى الأماكن وبتاكل أحسن أكل ..ليه منكنش زى الناس دول .. بدل ما نبات واحنا قلقانين يا ترى هيكون معانا فلوس بكرة ولا لأ .. لما شوفت الناس دى حسيت انى نفسى أكون مرتاحه زيهم
قال "مهند" برفق:
-ومين قالك انهم مرتاحين .. الراحة مش فى الفلوس .. دى مظهر من بره .. لكن من جوه انتى متعرفيش هما سعدا ولا لأ .. شايلين الهم ولا لاء
قالت بتهكم:
-هم ايه اللى هيشيلوه .. انت بتتكلم كده عشان عمرك ما عيشت زيهم

قال بهدوء:

-وأنا مش عايز أعيش زيهم .. أنا كفاية عليا انى أعيش فى بيت صغير مع الانسانة اللى بحبها .. مش مهم عندى أى حاجة تانية غير انها تكون معايا .. تعيني وأعينها على طاعة ربنا .. واننا نكون أسرة نراعيها ونحامى عليها .. يا ترى هى كمان نفسها فى كدة .. ولا حسه ان مشاعرها اتغيرت وأحلامها اختلفت ؟

تنهدت بقوة قائله:

-مش عارفه

قال بألم:

-مش عارفه ؟

صمت للحظات ثم قال:

-طيب لما تعرفى قوليلى

تابعته بنظرات أسى وهو يغادر البناية

****

لم يشعر "مهند" بنفسه الا وهو يجذب "سامرين" من ذراعها بقوة بينما كانت واقفة أسفل البناية بصحبة والدها وصديقه وابن صديقه الذى أخذ يتطلع اليها بنظرات ألهبت النار فى نفس "مهند" وهو واقف ينظر اليهم من الشرفة .. توجهت معه الى داخل البناية بينما التفت والدها وقال بتوتر :

-كنا بنقول ايه ؟

قال شريكه بدهشة:

-مين ده ؟ .. وازاى تسمحله يمسك بنتك كده ويسحبها لجوه ؟

قال ابنه فى حدة وهو متوجه الى البناية:

-ازاى يا عمو سمحتله ياخد "سامرين" كدة

حاول "حمدى" أن يوقفه لكنه كان قد توجه الى الداخل ليجد "مهند" يتحدث بحدة الى "سامرين" فقال له:

-انت يا كابتن .. فى حد يمسك بنت ويشدها كده

التفت اليه "مهند" قائلاً بقسوة:

-وانت مال أهلك ؟
نظر اليه الشاب بتهكم وهو يقول:
-لا مالى ونص
ثم نظر الى "سامرين" قائلاً:
-تعالى يا "سامرين"
وقف "مهند" بينه وبينها وهو يدفعه فى كتفه قائلاً:
-اجرى العب بعيد
كاد الفتى أن يدخل معه ىف شجار لكن "حمدى" صاح فيه:
-خلصنا يا ابنى خلاص
فصاح الشاب:
-انت مش شايف قلة أدبه يا عمى
قال "مهند" بعنف وهو يدفعه فى كتفه:
-قلة أدب ايه اللى بتتكلم عنها .. مالك انت تتدخل بيني وبين مراتى
فتح الشاب فمه وهو ينظر اليه بدهشة قائلا:
-مراتك ؟ .. هو انت اللى كنت كاتب كتابك عليها ؟
قال "مهند" بحزم:
-ايه كنت ايه ؟ .. أنا جوزها ..أفندم بأه حضرتك عايز ايه ؟
رمق الفتى "حمدى" بتهكمم ثم نظر الى "مهند" قائلك:
-سورى أصل حماك العزيز قالنا ان بنته اطلقت .. وكنا النهاردة بنتكلم فى تفاصيل الجواز
التفت "مهند" بحدة غير مصدقا ما يسمع يتطلع الى "حمدى" الذى بدا على وجهه الضيق والحرج .. ثم يلتفت الى "سامرين" التى نكسف برأسها .. خرج الفتى وتوجه الى والده يخبره بما حدث فانطلقا فى طريقهما مغادرين المكان ..
هدر "مهند" وهو يمسك بذراعها بحدة قائلاً:
-الكلام ده مظبوط ؟ .. انطقى ؟
ارتجف جسدها وشفتيها ولم تستطع النطق .. قال بغضب شديد وهو يلهث:
-معناه ايه الكلام ده .. بتتخطبى لواحد تانى وانتى على ذمتى .. مراتى .
.انطقى .. معناه ايه الكلام ده
تدخل "حمدى" بغيظ شديد وقد أغضبه افساد "مهند" لهذه الويجة وصاح فيه

:

-افهم ياللى ما بتفهمش .. البت مش عايزاك . .لو راجل و عندك كرامة طلقها
التفت "مهند" ينظر اليه بغضب ثم التفت ينظر الى "سامرني" قائلا وهو يشد على ذراعها:

-الكلام ده مظبوط ؟ .. انتى عايز تطلقى

صاح "حمدى" بتهكم:

-انت لسه هتسألها .. ده أعمى بصحيح

هتف فيها "مهند" بغضب:

" -سامرين" انطقى .. عايزه تطلقى ؟

بصوت مبحوح .. مرتجف .. مكسة الرأس قالت:

-أنا مكنتش عارفه ازاى أفاتحك فى الموضوع .. بس أنا .. أنا فكرت كتير .. وحسى انى اتسرعت شويه .. يعني.........

-انتى طالـــــق

توقف قلبها عن العمل .. وتمردت الدماء عن السير فى شرايينها لتغذى جسدها ..ترك ذراعها .. بقسوة .. بعنف .. وكأنه يلقيها من يده .. يلقها خارج حياته ..خرج من البناية يسير بغير هدى بخطوات مسرعة .. غاضبة ..جامحة .. وقفت للحظات ثم .. سقطت مغشيا عليها!

****

بأعين دامعة وقفت تنظر الى شرفة الطابق الثانى تودعها بعينها وبقلبها ..

وضع والدها الحقائب فى السيارة وقال:

-ثوانى وراجع يا "سامرين"

ترك السيارة وتوجه الى أحد جيرانه ليودعه .. لم تشعر "سامرين" بنفسها الا وهى تسير فى اتجاه البحر .. الى تلك البقعة التى لطالما توجهت اليها ..
تجمدت فى مكانها وهى ترى "مهند" هناك جالسا فوق الصخرة التى جمعتهما منذ أن أعلنا حبهما وتوج كل منهما الآخر بخاتمه .. رفعت كفيها تتحسس الخاتم الذى لا يزال فى أصابعها .. ثم نظرت الى "مهند "الذى يوليها ظهره

بأعين دامعه وقلبها يهتف:

-سامحنى .. سامحنى يا حبيبى .. لم أستطع أن أقف فى صفوف المشاهدين بينما أبى يذيقك ألوان العذاب .. لم أستطع أن أتحمل رؤيتك وأنت تضيع وتنسل من بين أصابعى .. لم أستطع أن أرى الألم وقلة الحيلة فى عينيك .. سامحنى ..فأنت لست فقط حبيبى .. أنت كل أصحابى وأهلى وخلانى .. أخشى عليك حتى من تلك الرمال التى تتقاذفها الرياح فتلسعك .. يخفق قلبى هلعا وأنا أرى الخطر يدنو منك ..كيف تريدنى أن أقف متكتفة الأيدي غير عابئه بما يصيبك ..سامحنى .. لم أستطع أن أكون أنانية وأفكر فيما يريده قلبي ..لم أستطع أن أفكر فى نفسى ..حاولت .. لكنى لم أستطع .. والدتك محقة .. ان كنت أحبك حقا فسأبتعد عنك ..سأحميك منى ومما يصيبك بسببى ..سامحنى .. عش حياتك ..لكن أرجوك لا تنسانى

انسابت العبرات من عينيها وهى تغادر بسرعة قبل أن يلمحها و يلتقى بعينيها .. فتفضحها أمام عينيه!

شعرت "سامرين" بالصدمة وهى تقف فى مطار القاهرة بينما يقدمها والدها الى تلك المرأة ويقول:

-أقدملك "فيروز" مراتى

كانت فى حالة يرثى لها .. جلست فى مقعد الانتظار كمن ينتظر الحكم بالإعدام ..لاتدرى ماذا يبكيها أكثر .. زواج أبيها الثالث والذى لا تعلم عنه شيئاً ..أم سفرها وتركها لكل ما تحبه .. صعدت الطائرة بجسد خاوى ..وتهالكت فوق أحد مقاعدها وهى تتطلع الى الشباك مودعة تلك البلد التى قضت فيها ١٨ عاماً من عمرها

خرج "عدنان" من قوقعته بعدما هزه رحيل "فيروز" المفاجئ .. تعرف عليها من خلال العمل .. تقربت منه بعد الحادث الذى أصاب زوجته وابنه ورحلا على أثره ..تظارهت بأنه القلب الحنوان الذى سيحتوى آلامه وأحزانه .. كان يجد معها سلوى لأيامه .. هرب من كل شئ و أى شئ .. لربما كان السبب فى تقربه

منها هو أنها لا تمت له بصلة .. كان يشعر فى تلك المرحلة بأنه يود الهرب حتى من نفسه .. استعاد عافيته ونشاطه بعدما أيقن بسخرية أنها ليست سوى مجرد كريستاله مزيفة براقة من الخارج لكن لا قيمة لها ..توجه الى القاهرة ليتسلم أعمال والده الراحل وميراثه الذى تركه من أجله ..باع كل ممتلكاته فى الاسكندرية حتى البيت الذى عاش فيه مع زوجته وابنه .. بدأ فى تكبير شركة والده والعمل على أن يصبح رجل اعمال ذا صيت ونفوذ .. فكان يرى فى عمله تعويض عن شعور النقص الذى خلفه رحيل أسرته الصغيرة

أما "فيروز" فكانت تعرف "حمدى" الذى كان بينه وبين "عدنان" أعمال مشتركة فى الاسكندرية .. تعبت من محاولة التقرب من "عدنان" وتليين رأسه واصطياده كزوج لها .. وبمجرد أن علمت بأمر ميراث "حمدى" من والده فنزعت شباكها من "عدنان" وألقتها على "حمدى" الذى كان اصطياده أكثر سهولة

عاش "مهند" لأربعة أشهر دون أن يستطيع أن يتخطى صدمته .. فالتفاة التى عشقها منذ أن تعلم العشق الهوى تركته من أجل دنيا زائلة تسعى ورائها .. بل طعنته فى قلبه وكرامته عندما وافقت على غيره وهى لا تزال فى عصنته .. !
لم تتحمل كرامته الجريحة وقلبه المطعون تلك الآلام فإنزوى بنفسه مبتعدا عن الجميع .. أصبح لا يرى من الحياة الا بيته وعمله وتلك الساعات التى يقضيها فى المسجد وهو يبث نحواه الى الله ..لكن الله أراد أن يزيد من ابتلاءه وعناءه .. مرضت والدته مرضا شديدا ألزم حضور "فريدة" لزيارتها .. كانت فى سكرات الموت .. ظل يدعو ويستغفر لها لكنه كان يعلم بأن أمر الله آت لا محالة .. لم تستطع وهى على فراشا لموت الا أن تعترف له بالحقيقة التى زلزلت كيانه وعصفت به:
" -سامرين" بتحبك .. بتحبك أوى .. ضحت بسعادتها وراحتها عشان تحميك من أبوها .. ازاى تتصور ان "سامرين" اللى اتعلمت الحب على ايديك ممكن تفرط فيك بالسهولة دى .. سامحنى يا ابنى .. أنا كمان قسيت عليها ..
وقولتلها لو كانت بتحبك لازم تسيبك .. سامحنى يا ابنى .. بس خوفى عليك هو اللى خلانى أعمل كده

اختلطت دموع "مهند" على فقد والدته بدموعه على فقد زوجته وحبيبته .. لكم كان يتمنى أن يأتى هذا الاعتراف مبكرا قبل أن تنقضى أشهر العدة .. لكن أمر الله نفذ!

لم تصدق "سامرين" نفسها وهى تستمع الى صوت "مهند" عبر الهاتف وهو يقول:
" -سامرين" .. ليه سمعتى كلامهم .. ليه عملتى كده ؟
بكت بحرقة شديدة وهى تقول:
-أنا اسفه .. أنا اسفه .. بس كنت خايفة عليك أوى
لمعت العبرات فى عينيه وهو يتمتم بخفوت:
-ماما اتوفت يا "سامرين"
شهقت بقوة قبل أن تنفجر فى البكاء .. حاول تهدئتها لكنه فشل .. شعرت كما لو أن روحها تسحب منها .. أنهى المكالمة حتى تفرغ ما بها من شحنات عاطفية متأججة .. هدأت وسكنت نفسها بعد وقت طويل نائمة باكية على الفراش فى غرفتها دون أن يعبأ بها أحد .. رأت رقمه من جديد .. فردت بلهفه وبصوت مبحوح من كثرة البكاء:
" -مهند "
قال بلهفة:
" -سامرين" انتى كويس ؟
أومأت برأسها كأنه يراها ثم قالت:
-الحمد لله .. طمنى عليك
قال بأسى:
-الحمد لله على كل حال
صمت .. وصمتت .. ود لو قال لها كلاما كثيرا .. لكنه يعلم بأنها لم تعد حلاً له .. لم تعد من محارمه .. صارت غريبه عنه .. علمت سبب سكوته فتساقطت عبراتها وهى تتنهد بقوة .. قال "مهند" وهو يحاول السيطرة على عواطفه الجياشة التى يريد أن يبثها اياها:

-لازم نرجع لبعض
قالت بلهفة وكأن تلك الكلمة أحيتها من جديد:
-ازاى ؟
قال بحزم:
-هكلم أبوكى مرة واتنين وعشرة ومليون .. مش ممكن تكون لغيري يا "سامرين" .. فاهمة .. مش ممكن تكونى لغيري .. انتى ليا أنا وبس
أغمضت "سامرين" عينيها وهى تشعر بقلبها ينبض من جديد داخل صدرها بعد أن فقد معنى نبضاته .. كبح "مهند" كباح نفسه بقوة شديدة ولم يهاتفها بعد تلك المكالمة .. ظل يعمل ويجتهد حتى يستطيع انهاء عش الزوجية الذى طال تجهيزه ..هاتف "حمدى" كثيرا وفى كل مرة يقابل بالرفض القاطع .. لكنه لم ييأس ..ولن ييأس .. حاول "حمدى" تزويجها .. لكنها كانت مصره على الرفض .. مصرة اصرار شديد .. غير عابئه بأى شئ .. فلم يعد يفرق معها أى شئ .. حتى لو ضربها . .حتى ولو قتلها .. لن تتزوج رغما عنها .. لن تتزوج رجلاً غيره .. دون كلام أو وسيلة اتصال .. بقيت القلوب على اتصال ..تزوره فى منامه .. ويزورها فى منامها .. فيطفئ اللقاء بعد من نيران اللهفة والاشتياق..

حتى أتى اليوم الأليم الذى طعنت فيه "سامرين" فى ظهرها بخنجر الخيانة من قلوب جبانه .. كانت البداية حادث رهيب هشم كل عظامها .. دخلت فى غيبوبة طويلة .. احتجات خلالها الى الكثير من العمليات الجراحية .. سقط "حمدى " بقلب نادم .. وبأعين باكية .. يتحسر على ابنته الوحيدة التى تموت أمام عينيه .. نصحه أحد الأطباء بسرعة أخذها الى أحدى المستشفيات الشهيرة فى تركيا .. حيث مجموعة من الأطباء الماهرين اللذين من شأنهم أن يعيدون له ابنته كما كانت .. وبلمح البصر طار من دبي الى تركيا .. غير عابئ بأعماله التى خلفها وراءه .. ومع "فيروز" المتبرمة على هذا التغيير المفاجئ .. خضعت فى تركيا للعديد من العمليات الجراحية .. التى استغرقت شهورا طوال ..دون أن يدرى الحبيب الولهان ما أصاب حبيبته من آلام .. هاتف والدها كعادته كل حين .. فزفر "حمدى "بضيق وهو يصيح وهو ينظر الى هاتفه دون أن يجيب

غير عابئ بوجوده فى المشفى:

-يا أخى حل عنى بأه

قالت "فيروز" بإهتمام:

-مين ده يا "حمدى" ؟

قال بغضب:

-ابن خالها .. كل مرة أديله كلمتين فى جنابه وبرده يفوت كام شهر وألاقيه بيتصل تانى

زفرت بضيق وهى تقول:

-ناقصينه هو كمان

قال "حمدى" بغضب:

-أهى اتشوهت خليه يرتاح

ثم أمسك بهاتفه فقالت:

-هتعمل ايه ؟

قال بحده وهو يتصل ب "مهند: "

-هقوله على اللى حصل يمكن يحل عنها بأه

خطفت منه "فيروز" الهاتف وأغلقت الخط وهى تقول:

-مظنش انه هيحل عنها بالسهولة دى .. سيبلى أنا الموضوع ده .. بس لما "سامرين" تخف هخلصك من الواد ده خالص

مرت شهور أخرى ووضع "سامرين" فى التحسن .. شعر والدها بشعور غريب وهو يرى ملامحها التى بدلت من شكلها كثيراً حتى أنه لم يتعرفها عندما رآها .. بكت وهى تلمح تلك النظرة فى عيني والدها وقالت:

-أنا مش حبه شكلى كده .. انا عايزه شكلى القديم

جلس بجوارها مربتا على كتفها .. بكت "سامرين" بحرقة .. فتلك التربيته هى أقسى ما سفعله والدها .. لا يضمها الى صدره أبدا .. بكت وهى تتذكر ذلك الصدر الذى لطلما ضمها اليه .. ولطالما بكت فوقه .. صرخت شوقا اليه وقلبه ايهتف .. أحتاجك بشدة .. أحتاجك تعالى سريعا .. هتاف تعلم بأنه لن يفيد .. فلا هو سيسمعها .. ولا هو سيأتى .. نظرت الى والدها بألم ..ودت لو قذفت فى وجهه كلمات قاسية .. عنيفة .. لكنها شعرت بإنهاك منعها من التحدث .. ألقت برأسها فوق وسادتها تنظر الى سقف الغرفة وهى تغمض عينيها علها

تحلم به .. وهو يضمها اليه .. فتختفى آلامها

بدأت الحية فى التفكير والتخطيط لبث سمومها فى أذن "سامرين" .. لم تكن تهتم بما فى صالح "سامرين" بقدر اهتمامها بنيل رضا "حمدى" الذى لم يكن سهلا كما تصورت .. لم يدع لها الحبل على الغارب فى تصرف فى ماله .. حتى عمله كان يحجبه عنها فلا تعلم حتى كم لديه فى البنك من أموال .. أرادت أن تثبت له بأنها شخص يعتمد عليه ويستحق ثقته .. وتعلم أن أكثر ما يؤرقه هو ذلك المدعو "مهند "والذى يتمنى من ابنته نسيانه محوه من ذاكرتها تماما .. فى أحد الأيام وبينما هما جالسان على مائدة الفطور قالت "فيروز" محاولة التذكر:

" -حمدى" انت فى مرة وانتى بتكلمنى عن "سامرين" قوللتى انها هبله ومبتعرفش تختار مين تقربه منها ومين تبعده عنها

توقف عن المضغ للحظات ثم قال:

-أيوة فعلا قولتلك كدة

قالت بإهتمام:

-يوميها قولتلى عن واحدة صحبتها بتحب اللى اسمه "مهند" ده وهى متعرفش

قال بتهكم وهى يحتسى من فنجان الشاى:

-وقال ايه صاحبته االأنتيم . .مكنتيش تشوفى نظراتها ليها وله كانت بتبقى عامله ازاى .. أقطع دراعى ان ما كانت البت دى بتحبه .. وبنتى الهبلة عملها صاحبتها ومقرباها منها ولحد دلوقتى بتتصل بيها

قالت "فيروز: "

-طيب ليه ما فهمتش "سامرين" وقولتلها على شكوك

قال بحده:

-هتتغابى انتى كمان .. وأقولها ليه .. أنا قولت يمكن البت دى تلف عليه وتخلصنا منه .. لكنها طلعت هبله زى بنتى بالظبط .. فضلت محلك سر .. أو يمكن حاولت وفشلت

قالت "فيروز" وهى تفكر بإمعان:

-اسمها ايه البنت دى ؟
" -نهلة"
معاك رقمها ؟
قال بدهشة:
-وعايزه رقمها فى ايه ؟
قالت بإصرار:
-معاك بس رقمها
قال بلا مبالاة:
-لا مش معايا بس ممكن أجيبه من "سامرين" قولتلك انهم بيتكلموا مع بعض على طول
قالت بلؤم شديد:
-طيب عايزاه ضرورى .. ضرورى أوى

حبكت "فيروز" خطتها الشيطانية والتى ساعدتهاعلى تنفيذها ذلك القلب الحقود والنفس التى تشتهى ما بيد غيرها .. بدا وكأنهما تفهمان بعض جيداً وتتحدثان بنفس اللغة .. عندما سألتها "فيروز" قائله:
-انتى بتحبى "مهند" مش كدة ؟
صمتت "نهلة" فضحكت "فيروز" قائله:
-متخفيش انا هساعدك تخلصى من غريمتك .. بس انتى كمان لازم تساعديني
قالت "نهلة" بلهفة وقد بأ الألم يدب فى قلبها منذ أن علمت بطلاقهما وبسفر "سامرين" .. قالت بلهفة:
-أساعدك ازاى
قالت "فيروز" بحزم:
-قوليلى الأولى .. بتحبى "مهند" ؟ .. ولا بتحبى "سامرين" ؟ .. أصل اللى هطلبه منك مينفعش تعمليه الا اذا كنتى بتحبى شخص واحد بس فيهم
صمتت "نهلة" للحظات ثم قالت بصوت مرتجف غلب فيه قلبها على عقلها:
-أيوة بحب "مهند" .. بحبه أوى .. فوق مالا تتصورى
قالت "فيروز" بحماس:

-تمام أوى .. اسمعيني كويس

****

هتفت "سامرين" بحدة وهى تغادر فراشها تود نزع الضمادة من فوق وجهها:
-انتى بتستهبلى مش كدة ؟ .. مش ممكن أصدق طبعا
أوقفتها الممرضة فصاحت فيها "سامرين: "
-عايزه أفك وشى بأه .. كفاية عمليات زهقت .. زهقت
جذبتها "فيروز" وأجلستها فوق الفراش وقالت:
-اسمعيني كويس
هبت فيها "سامرين" قائله وهى تلهث:
-مش هسمعك .. انتى واحدة كدابة .. "مهند" قالى اننا لبعض .. وانه بيجهزلى الشقة وهيكلم بابا تانى وتالت ومليون لحد ما يوافق
قالت "فيروز" بقسوة:
-حبيب القلب اللى انتى مستنياه واللى مسألش فيكي ولا مرة من ساعة ما عملتى الحادثة خلاص بيوضب شقته عشان يتجوز واحدة غيرك
دفعتها "سامرين" بيديها قائله:
-انتى كدابة .. ده محصلش .. وأنا معرفش هو اتصل بيا ولا لأ .. انتوا خدتوا موبايلى ومنعين انى أتكلم فى التليفون كل ما أقول للممرضة عايزة موبايل تقولى ممنوع . .انتوا اللى منعينهم يخلونى أتكلم فى التليفون مش كده ؟ .. خايفين انى أوصل ل "مهند" ويوصلى ..قولوا اللى تقولوه مش ممكن أصدق انه يحب ويتجوز واحدة غيرى
أخرجت "فيروز" هاتف "سامرين" من حقيبتها وضغطت بعض الأزرار ثم قالت:
-اتفضلى كلمى عروسته لو مش مصدقانى .. اتصلت عشان تعزمك على فرحها وأنا رديت عليها
خطفت "سامرين" منها الهاتف ونظرت بدهشة الى اسم "نهلة" وهى تقول بغضب:
-ايه اللى انتى بتقوليه ده .. دى صحبتى

أتاها صوت "نهلة" قائله:
-ألو "سامرين"
قالت "سامرين" بلهفة:
" -نهلة" .. "نهلة" ازيك
أتاها صوتها باردا وهى تقول:
-كويسة .. ازيك انتى
الحمد لله يا "نهلة"
عقدت "فيروز" ذراعيها أمام صدرها .. فهتفت "سامرين" بتهكم:
-تصورى "فيروز" مراة بابا بتقولى انك عروسة "مهند" وان "مهند" هيتجوزك .. لا وواقفة أدامى بكل برود .. وخلتنى أتصل بيكي كمان
ثم قالت ل "فيروز: "
-ارتحتى كده لما كذبتك اتكشفت ؟ .. انتى فاكرانى عيلة صغيره عشان أصدق الكلام اللى بتقوليه ده
تعالت خفقات قلبها وتسمرت فى مكانها وهى تسمع "نهلة" تقول:
-لا صدقى
عدلت "سامرين" من وضع الهاتف فوق أذنها وهى تقول:
" -نهلة "مسمعتكيش .. بتقولى ايه
أتاها صوت صديقة الطفولة محملا بكل الحقد والكره الذى لم تتوقع أن تسمعه منها يوما وهى تقول:
-بقولك صدقى .. "مهند" ده الراجل الوحيد اللى أنا حبيته .. واللى اتمنيت انه يكون من نصيبى .. لكنك طول الوقت كنتى واقفة فى طريقي زى الحيطة السد ..بسببك مكنش قادر يشوفنى ولا حتى يحس بيها رغم انى كنت بحاول كتير انى ألمحله .. أنا كنت بتعذب وبتقطع أدامك وانتى مش حسه بيه .. مش حسيه بالنار اللى فى قلبى وانتى بتحكيلى عن مشاعرك نحيته .. محستيش بيا وأنا بموت يوم كتب كتابك .. كنت بتقطع وانتى فى قمة سعادتك .. عمرك ما حسيتي اللى جوايا ..ولو كنتى حسيتى كنتى دبحتيني بسكينة تلمه ولا كنت هفرق معاكى المهم انتى تتهنى وتعيشي مرتاحه ومبسوطة .. مش هيهمك قلب صاحبتك اللى بيتقطع وهى شيفاكى مع حبيبها .. أنا بكرهك يا "سامرين "بجد بكرهك .. أنا طول الوقت وأنا بحبك وبكرهك فى نفس الوقت .. بحبك لما نكون

مع بعض زى أى بنتين صحاب ..وبكرهك لما بوشف فى ايدك دبلة "مهند" ولما بسمعك بتتكلمى عن "مهند" ولما بتوصفيلى مشاعرك ناحيته .. انتى معندكيش ذرة احساس والا كنتى حسيتى باللى فى قلبى .. يوم طلاقك كان يوم فرح بالنسبة لى لانى حسيت ان خلاص الأمل رجعلى تانى .. ما فرحتش قد ما فرحت بسفرك .. وبانى خلاص هخلص من العقبة اللى كانت واقفة فى طريقي .. كنت واثقة ان "مهند" لو عرفنى هيحبنى أنا .. وهيفضلنى عليكي .. أنا أحلى منك وأجمل منك وأشيك منك .. وأشطر منك .. كنت بتحسر لما بلاقيه يبصلك بحب وأنا حتى مبيرضاش يرفع عينه فى عيني .. بجد بكرهك يا "سامرين" .. وكرهتك أكتر لما كنتى سبب فى أذيته .. وباباكى حرقله دكانه وكان هيدخله السجن واستحمل كل ده عشانك .. بجد كرهتك أوى وقتها .. لكن دلوقتى خلاص "مهند" بأه معايا زى ما أنا عايزه وزى ما كنت بتمنى .. نساكى يا "سامرين" ومعدش فى قلبه حد غيري .. نساكى وقطع كل ذكرياته معاكى ..قطعها ورماها فى البحر أدامى ..خلاص خلص الشقة عشانى وحددنا معاد الفرح ..بقينا بنحلم مع بعض بحياتنا اللى جاية وبولادنا وبمستقبلنا مع بعض ..كان نفسى أقولك الكلمتين دول لانى كنت مخبياهم فى قلبي سنين طويلة .. وأخيرا جت اللحظة اللى طلعت فيها كل الى جوايا .. أنا دلوقتى ارتحت .. ربنا يوفقك فى حياتك .. بس أرجوكى ابعدى عنه وعنى وسبينا عايشين مبسوطين مع بعض كفايا اللى شافه بسببك ومن تحت راسك ..أنا هنسيه كل الألم اللى شافه معاكى .. وعلى فكرة كمان "مهند" قالى انه ملمسكيش .. ساعتها كنت طايره من الفرح .. قالى انى حبيبته الأولى والأخيرة ..ابعدى عنه يا "سامرين" ومتفرقيش بينى وبينه لانك حتى لو حولتى تفرقى بيننا مش هتعرفى " ..مهند" خلاص دبلته بقت فى ايدي .. وبكرة هينقلها فى ايدي الشمال .. معدلكيش أى وجود فى حياته .. ولا حياتى

لم تكن تلك كلمات تلقى على مسامعها .. بل خناجر تنهش فى قلبها .. حتى نزف كل قطرة من دمه .. وبقى كالخرقة البالية .. لا تصلح لشئ .. ولا نفع لها ..تقدمت "فيروز" لتطرق على الحديد وهو ساخن .. لم تأبى للحاله التى أصابت "سامرين" .. العبرات تتساقط من تحت الشاش الذى يغلف وجهها على جرحها ليزيدها ألماً بملحها .. ساكنه لا تتحرك .. تمسك الهاتف فى يدها

المرتجفة وهى فى حالة غريبه .. وكأنها غائبة فى عالم آخر .. أمسكت "فيروز" الهاتف وضربت بعض الأرقام وقالت:

-دلوقتى كلميه .. قوليله انك مش عايزاه وانك خلاص هتتجوزى .. ردى كرامتك واعتبارك فهميه انك نستيه زى ما هو نساكى .. وانك هتدورى على حياتك ومستقبلك زى ما هو عمل .. حسسيه ان خيانته موجعتكيش .. ردى اعتبارك يا "سامرين"

وضعت "فيروز" الهاتف على أذن "سامرين" وقلبها يخفق بإضطراب .. تخشى أن تتفوه "سامرين" بما يفسد عليها خطتها .. تسرب الى أذن "سامرين" صوته .. فانتفضت ..بدت وكأنها خرجت من الغيبوبة التى دخلتها لدقائق .. أتاها صوته بلهفة:

" -سامرين" .. "سامرين" .. ألو

حاولت التحدث لكنها شعرت بلسانها قد ألجم .. أخيرا خرج صوتها مبحوحا بفعل الشاش والعمليات التى أثرت على حنجرتها وأحبالها الصوتية .. قال "مهند "بإستغراب:

-مال صوتك يا "سامرين" .. ألو

أخرجت صوتها بصعوبة لتقول بنبرة عنيفة تقطر ألما:

" -مهند" أنا بكرهك .. سمعت .. أنا بكرهك .. انتى دبحتنى .. أنا مش هسامحك أبدا .. أبدا .. أبدا .. ومش ممكن أفكر فيك تانى أبدا .. عيش حياتك زى ما انت عايز عمر ما واحدة هتحبك زى ما كنت بحبك

هتف "مهند" بقلب وجل:

" -سامرين" ايه اللى بتقوليه ده

قالت والنار تنهش فى قلبها:

-انت ولا حاجة بالنسبة لى .. هنسى كل حاجة تفكرنى بيك وبالايام اللى عشتها فى اسكندرية ..مش هفتكر غير ماما الله يرحمها .. مش عايزة أفتكر أى حاجة ولا أى حد بعدها .. هنساكوا كلكوا .. وهعيش حياتى مش هوقفها عشانك ولا عشان أى حد .. وهييجى اليوم اللى هتصل بيك وأقولك باركلى أنا اتجوزت

قفز قلبه فى حلقه وهو يقول بحده:

-انتى بتقولى ايه .. انتى بتخرفى تقولى ايه .. جواز ايه .. "سامرين"

أمسكت الهاتف من يد "فيروز" وألقته فى الجدار المقابل وهى تصرخ باكية ..

جذب صوتها العديد من الممرضات اللاتى هرعن الى غرفتها لتهدأتها .. لكن هيهات .. كانت ثائرة كالبركان الغاضب الجامح .. لا يستطع أحد حبح جماح حممه الملتهبة الساخنة الحارقة .. فيقذفها يمينا ويسارا عله يرتاح وتبرد ناره !

****

ارتجف قلبه وهو يستمع الى "حمدى" الذى قال بحدة:
-ابعد عنها بأه وسيبها تشوف حياتها .. "سامرين" اتخطبت .. وكتب كتابها قريب .. حل عنها بأه
انتهت المكالمة لينهار "مهند" مادياً ومعنوياً فاقدا كل الخيوط اتلى توصله ب "سامرين" غير مدرك لما حدث .. ولماذا حدث .. وكيف حدث .. كل ما يعلمه أنها أصحبت حلم صعب المنال .. بعد عدة أشهر دب أمل بسيط فى كيانه .. وابتلع كرامته المهانه .. واتصل ب "حمدى" ليخبره بأنها قد كتب كتابها .. وعلى وشك الزواج .. لم يدرى "مهند" أتلك لعبة من "حمدى" .. أم أنها تزوجت بالفعل .. كاد أن يجن جنونه .. وأن يفقد عقله .. دون أن يجد اجابة شافية ..تذكر مكالمتها الأخيرة وكلماتها تخترق أذنه " وهييجى اليوم اللى هتصل بيك وأقولك باركلى أنا اتجوزت" .. صرخ قلبه بألم ..غير مصدقاً .. أن الحبيبة .. القريبة البعيدة .. التى كانت بالأمس حلاله ..صارت اليوم .. عشـق ممنـوع!

****

مرت السنوات كصحراء قاحلة لا تجد فيها "سامرين" ما يروى ظمأ روحها وقلبها ..أصرت "فيروز" على تقديمها الى المجتمع بإسم "سمر" تخفيفا لاسمها الذى لم ينل اعجابها .. وقفت خلف "سامرين" تنظرات الى المرآة وهى ترتدى ثوبا أنيقا وقد نزع حجابها وتكشف جسدها وكبر خواء روحها .. قالت "فيروز" من خلفها مبتسمة:
-اسم جديد وشكل جديد وحياة جديدة

لكن "سامرين" كانت تشعر بأنها فقدت كل معنى للحياة .. وكل رغبة فى التمسك بها . .فتركت الأمواج تتقاذفها كيفما شاءت .. دون ضابط أو رابط .. تأخذها الحياة يمينا ويسارا دون بوصلة تحدد وجهتها .. حتى أوقعتها الأقدار فى طريق "باهر" الذى عرض عليها الزواج فى لحظة اندفاع .. وبقلب ظمآن ..وروح تتمنى الخلاص وافقت .. وهى لا تعلم لما وافقت .. لكنها تعلم بأن قلبها يحتاج وليفا يعوض بحنانة قسوة أيامها ومرارتها

مرت تلك السنوات على "مهند" وهو يزداد قربا من الله .. شاكيا ضارعا اليه ..ان يرحمه من ذلك الألم الذى سكن فؤاده .. استخار واستشار فكان رد شيخه الوفى:

-حلك فى الجواز يا ابنى

لا يعلم لما اختار "نهلة" كزوجة يحاول بها ملء خواء أيامه .. ألأنها صديقها . .ألأنها جزء منها .. ألأنها أوقعت نفسها فى طريقه .. لا يعلم .. لكنه استخار وألقى بحموله على الله .. وقدم المهر للعروس .. وتم الزفاف

كان "عدنان" قد بدأ فى جمع ما تبقى من أشلاء عائلته المشتته .. حوله وتحت رعايته .. رفض "مهند" ترك الاسكندرية والقدوم الى القاهرة .. لكن الأقدار شاءت أن يتوفى زوج "انعام" وتعود الى القاهرة تعيش مع "عدنان" فيلته .. وبعد زواج "مهند" بعام توفى والده دون أن يراه الا مرات قليلة خلال تلك السنوات .. عادت "فريدة" لتنضم الى "مهند" فى بيته تقضى بضعه أشهر معه ومع "نهله" التى كانت تتباهى أمامها دائماً بالحب الذى جمعهما .. وأخفت عنها العبرات التى تزرفها كل ليلة .. بعدما أيقنت بأنها لم تمتلك فى "مهند " سوى جسده .. لكن قلبه ظل محصن .. بعيد المنال .. كان يعاملها برفق كما أوصى النبى الرجال .. لا يمنع عنها حقا من حقوقها .. يؤدى واجباته تجاهها كما الكتاب .. لكن قلبه ليس له عليه سلطان .. فهو بيد رب الأرباب!
ما هى الا شهور قليلة حتى وقع الحادث الأليم لتروح ضحيته "نهلة" وينجو "مهند" و "فريدة" .. شعر "مهند" بالذنب لفقدها .. لقلة خبرته فى القيادة .. رغم يقينه بأنه لم يكن المخطئ فى تلك الحادثة .. لكن بقى بداخله شعورا بتأنيب الضمير .. ظل ملازما له لفتره الى ان تناساه شيئا فشيئا .. ولم يبقى لها

فى قلبه سوى الدعاء لها بالرحمة والمغفرة
انضم بعدها "مهند" و "فريدة" الى "عدنان" و "انعام" يعيشون معاً كأسرة يعوض كل منهم الآخر عن الأسرة التى فقدها!

الفصل الثامن والعشرون

جيرانا فى الشارع فتحولنا بيوتهم نقعد نستنى فيها بدل وقفتنا فى الشارع .. سعتها حسيت ان الناس دى كلها عيلة كبيرة أوى .. ومتقسمة على بيوت جمب بعض ..بيحبوا بعض وبيخافوا على بعض .. حتى لو فيهم ناس وحشة .. وناس مؤذية ..هتفضل الأغلبية طيبة وكويسة

****

عمتى "انعام" عرف يضحك عليها ويطويها تحت جناحه .. لكن بقيت اخواته محدش بيطيقه .. حتى اللى ماتوا مكنوش بيطيقوه

****

استيقظت "سمر" فزعة من نومها بعدما رأت حلماً أفزعها .. وضعت يدها على صدرها الذى يعلو ويهبط بسرعة جنونيه .. أزاحت الغطاء ونهضت متوجة الى المطبخ لتشرب كوباً من الماء .. تذكرت الحلم الذى رأته منذ قليل .. رأت نفسها تقف فوق سطح أحد المنازل .. وفجأة هوت من ذاك المرتفع اختلطت صرخاتها ببكائها .. ظلت تهوى وتهوى .. الأرض تقترب ببطء .. الإصطدام آت لا محالة .. شعرت بألم حارق فى كل جسدها وكأنه جسدها تهشم الى قطع صغيره .. الأرض تقترب أكثر فأكثر .. لا يوجد ما تتشبث به لتنقذ نفسها .. أغمضت عينيها تفتح .. واستسلمت لمصيرها .. المسافة اضمحلت حتى حانت لحظة الإصطدام ..عينيها فجأة لتجد نفسها فى أحضان والدتها .. تتشمم رائحتها تتأمل ملامحها ..تستيقظ من حلمها .. وضعت كوب الماء الفارغ على طاولة المطبخ ..ثم

لكنه .. وعادت الى فراشها وهى تسترجع ذلك الحلم .. حاولت أن تستسلم للنوم
! خاصم جفونها .. وفقد قلبها سكينته

****

: قال "مهند" شارداً
أتعلم أيها البحر لما أحببتها ؟! .. لأننى شعرت بأنها تكملنى وبأننى أكملها .. -
أحببت ضعفها أيها البحر .. أحببت حاجتها الىّ .. لم تكن زوجتى فحسب .. بل
كانت طفلتى .. طفلتى الصغيرة المدللة .. كم كنت أحب أن أجلسها أمامى وأمشط
أحببت حبها لى أيها .. خصلات شعرها .. كنت أحب أن أهتم بكل ما يخصها
أحبب ..البحر .. أحبب نظرات القلق فى عينيها عندما أعود متأخراً من العمل
أحببت استكانتها .. نظرات الشوق فى عينيها ترمقنى بها فى لحظات وصالنا
وكأننى دعامتها ..بين ذراعى .. أحببت حاجتها الىّ كما لو كانت بدونى ضائعه
وأنوثتها .. أشعرنى ضعفها بقوتى .. التى ترتكز عليها فى هذه الحياة
أتذكر يدها الدافئه وهى توقظنى .. برجولتى .. قاسمتنى أحلامى وطموحى
لصلاة الفجر .. أتذكر ترتيلنا معاً للقرآن فى يوم الجمعة .. أتذكر كل ما علمتها
كانت طفلتى بالفعل .. طفلتى وحبيبتى ونصفى الآخر ..اياه .. وكيف علمتها اياه
****

... نفسى أكون دلوقتى حالاً فى اللحظة دى -
: صمتت قليلاً .. ثم قالت بنبره حالمه
على شط اسكندرية -
نظرت اليها "فيروز" بإستخفاف فأكملت "سمر" مبتسمه وهى تنظر الى
: السماء فوقها
وحشنى سماها و بحرها ورملها وأهلها وشوارعها وكل حته فيها -
: دخلت "فيروز" وهى تهمهم
أنا داخله -
ظلت "سمر" واقفة كما هى .. وكعادتها .. أغمضت عينيها .. لتهرب من واقعها
بحر .. الى تخيلاتها .. تخيلت أنها فى تلك اللحظة .. واقفه أمام البحر ..
! اسكندرية .. تداعب نسمات الهواء خصلات شعرها .. وتلفح وجهها فى نعومه

****

باهر" مليش غيرك دلوقتى .. اوعى تسيبنى" -
: قال لها "باهر" مستفهماً
ليه دايماً بتكررى الجملة دى .. مين قال انى هسيبك -
: تنهدت وابتسمت بتوتر وهى تقول بأعين دامعه
مفيش بس أنا طبعى كده .. لما بحب حاجه بخاف تضيع منى .. يمكن عشان - طول عمرى كل حاجه حبتها ضاعت منى .. فبقيت على طول بحس بخوف متزعلش منى .. لما بقولك كده مش معنى كده انى مش واثقه فيك .. .. وبقلق لأ .. أنا بس بحب أسمعك دايماً وانت بتقول هفضل معاكى يا "سمر" .. مش الكلام ده بيطمنى وبيقلل الخوف جوايا .. "سمر"هسيبك أبداً يا
****

أغمضت عينيها وتمنت لو كانت والدتها على قيد الحياة .. لتلقى بنفسها بين وتبكى الى أن تنضب دموعها .. شعرت بأنها فى أمس الحاجة لذلك .. ذراعيها الحضن الحانى .. يحيطها ويحميها ويبث الأمل فيها .. فتحت عينيها على واقعها أنتِ .. "سمر"المر .. تتذوقه كالعلقم فى فمها .. ليس لكِ أحد فى هذه الدنيا يا وحدك .. ستواجهين واقعك بمفردك .. يجب أن تصبحى أقوى حتى تستطيعي الاستمرار فى هذه الحياة .. لا تأملى أن يساعدكِ أحد .. أو أن يحنو عليكِ أحد .. سمر" .. لا تعنين لهم أى "أو أن يبكى عليكِ أحد .. أنتِ بالنسبة للجميع لا أحد يا ولا لأى أحد .. "شئ .. لا لـ "باهر" .. و لا لـ" فيروز

****

حمدي" عليا .. كنتي فاكراني هقف محلك سر ومش هعرف "انتي اللي فضلتي - اكبر ورثي .. طرتى علي "حمدي" اللي ورث في أبوه اكتر ما ورثت في أبويا اتجوزتيه وطرتي معاه علي تركيا .. حسبتيها غلط يا "فيروز" .. أهو فضل .. واقف محلك سر لحد ما مات
: ثم قال بكبرياء وهو يشير بذراعيه الى ما حوله
أما أنا بنيت امبراطورية كبيرة أوى -
: ثم أخذ نفساً عميقاً وهو ينظر اليها بتهكم ويقول بصرامة وكبرياء
جايه دلوقتى تقوليلى مفيش حاجه تبعدنى عنك !! .. أنا مخدش بواقي غيري - يا "فيروز" .. لما أحب أتجوز مش هتجوز واحده كانت ملك غيرى

ابتلعت "فيروز" كرامتها مع تلك المهانه التي سببتها كلماته .. وقبل أن يعى ما
..يحدث رجعت عدة خطوات الي الوراء وفتحت باب المكتب وأومات برأسها
دخلت سمر متوترة مضطربه .. ضاقت عينا "عدنان" وهو يتطلع الى تلك الفتاة
الشابة ممشوقة القوام بفستانها القصير الذي أبرز جمال ساقيها و ذراعيها
تأملها من .. وخصلات شعرها الأسود تتساقط فوق جبينها في رقه ..العاريتان
.. رأسها حتى أخمص قدميها وعينا "فيروز" تتابعان تعبيرات وجهه في شغف
شفتيها بلسانها وقد بلغ توترها أقصاه وهى تجعد فستانها بقبضه "سمر"بللت
عادت .. التفتت تنظر الي "فيروز" التي نظرت اليها نظرة مشجعه ..يدها
عدنان" الذي لمعت عيناه وهو يمرر نظراته علي صفحة وجهها "تنظر الي
..نظر الثلاثه الي بعضهم البعض وقد شعر كل منهم أنه وجد مبتغاه ..الأملس
كل منهم يبحث عن شئ وجده في الآخر .. فكان ثلاثتهم بمثابة حلقه تصل احداها
فأخيرا .. وخفق قلب ثلاثتهم ..بالاخري وتكمل احداها الاخري .. تلاقت العيون
وأحدهم ..سيحصل كل منهم علي ما أراد .. أحدهم سيحصل علي غنيمته
! وأحدهم سيحصل علي أقصى أمانيه .. سيحصل علي مبتغاه

: ساد الصمت طويلا الى أن قطعته "فيروز" قائله بابتسامه واسعة
"أيوة .. هى يا "عدنان -
: التفت "عدنان" ينظر الى "ٍمر" باعين متسعة وهو يتمتم
مش فاهم .. هى مين -
: تجمعت العبرات فى عيني "سامرين" وهى تهمس
أنا "سامرين" يا خالو -
كادت عيناه ان تخرج من محجريهما وهو ينظر اليها بعدم تصديق .. انسابت
: العبرات من عينيها وهى تقول
وحشتنى أوى .. كلكوا وحشتونى أوى -
: بلع رقيه بصعوبة وهو يقول
"ايه اللعبة دى .. بتهزرى يا "فيروز -
اقتربت "سامرين" منه تذكره بذكريات وأشياء لا يعلمها سوى من عاش وتربى
: بين يديه .. لم يصدق ما يرى وهتف
ازاى .. ازاى انتى "سامرين" بنت أختى .. ازاى شكلك اتغير -
قصت عليه "سامرين" بألم وبصوت مبحوح كل شئ .. كل شئ .. منذ أن
سافرت الى تركيا مع "حمدى" وحتى عثور "فيروز" على ايميله ضمن قائمة
اقترب منها "عدنان" يمرر عيناه على وجهها وهو يتمتم .. "رسائل "حمدى
: بتأثر

انتى "سامرين" .. "سامرين" ؟ -
أومأت برأسها وهى تنظر الى صدره تتمنى أن تلقى برأسها وبجسدها وبهمومها وبأحزانها فوقه ويحيطها بذراعيها يحميها من كل شئ .. وفعل .. أجهشت البكاء : وهو يعانقها والعبرات تتجمع فى عينيه ويقول
وحشتيني أوى .. وحشتيني أوى يا "سامرين" .. كلمت أبوكى كتير على - ..ايميله اللى كان معايا واللى كان وسيلة الاتصال الوحيدة اللى بتربطنى بيه اترجيته كتير انه يخليني أشوفك أو أسمع صوتك .. بعتله قولتله انى هجيلك لحد عندك أشوفك .. بس كان بيرفض .. ومكنتش أعرفلك عنوان ولا أعرف حتى الحمد لله انك ..والحمد لله ..سنين طويله وأنا بترجاه ..البلد اللى انتى فيها ربنا ردك ليا تانى .. متعرفيش فراقك أثر فيا أد ايه

استكانت "سامرين" بين ذراعى خالها وهى تشعر بأنه ملاذها وسندها فى هذه الحياة
جلسا معاً يتحدثان في أحوال كل منهما وما أصاب كل منهما .. تردد فى داخلها سؤال .. أرادت أن تسأله لكنها كبحت جماح نفسها الى أن فاقت قدرتها على : كتمانه فسألت بصوت مضطرب حاولت أن يبدوا طبيعيا
و "مهند" اخباره ايه هو و "نهلة" ؟ -
: نظر اليها "عدنان" بتأثر وقال
"نهلة" ماتت الله يرحمها يا "سامرين" -
: عقدت "سامرين" جبينها وقالت
من امتى .. وماتت ازاى ؟ -
فى حدثة عربية .. بعد سنة من جوازهم -
: تمتمت بصوت مخفض
سنة -
: هتف "عدنان" فجأة بحماس
جتيلى فى وقتك يا "سامرين" .. جتيلى فى وقتك مظبوط . .أنا محتاجك أوى - .. نفسى أربى العيلة اللى محتاجة تربية من أول وجديد دى
: قالت "سامرين" بدهشة
مش فاهمة يا خالو -
: قال "عدنان" بتأثر
عايزين يحجروا عليا .. ويورثونى بالحيا -
: قالت "سامرين" بدهشة
مين عايز يعمل كدة ؟ -

: قال بحدة
ده اللى عايز أعرفه .. عايز أعرف عدوى من حبيبى .. عايز أعرف اللى - بيتمنالى الخير .. واللى بيتمنى موتى .. عايز أوقف قضية الحجر وأمنعهم من انهم يرفعوها
: قالت "سامرين" بلهفة
أنا معاك يا خالو فى أى حاجة تطلبها منى -
: قالت بحماس
هنعمل لعبة على خيلانك وخالاتك .. هفهمهم انى اتجوزت وانتى هتساعديني - فى كدة
: تحدثت "فيروز" لأول مرة منذ أن بدأ حديثهما وقالت بلهجة ذات معنى
طيب ما تتجوز فعلا -
: نظر اليها "عدنان" بحزم وقال
لا أنا مبفكرش فى الجواز دلوقتى ولا بعدين .. بس لو الخطة اللى هعملها - منفعتش .. يبقى هضطر أتجوز بجد .. عشان أحمى نفسى من قضية الحجر
: قالت "سامرين" بإستغراب
طيب وازاى هتفهمهم انك متجوز يا خالو .. ما أكيد هيطلبوا يشوفوا العروسة -
: قال وهو يمسك بيدها
انتى العروسة -
: تراجعت الى الوراء وهى تنظر اليه بدهشة فأكمل بحماس
هفهمهم انك عروستى .. واننا اتجوزنا .. منها أنفذ خطتى .. ومنها انتى - ترجعى لعيلتك .. ولما أوصل للى أنا عايزه هنقولهم على الحقيقة
: ترددت "سامرين" فقا "عدنان" بحنق
كانوا عايزين يقتلونى يا "سامرين" .. بس جت فى الجنايني الله يرحمه -
: قالت "سامرين" بدهشة بالغ
معقوله .. معقوله يكون حد منهم اللى عمل كدة .. مش ممكن -
: قال "عدنان" بحزم
وده اللى أنا عايز أكتشفه .. عايز أعرف مين الخاين فى العيلة دى -
: أمسك بيدها بلهفة قائلاً
ها يا "سامرين" قولتى ايه .. هتساعديني -
: فكرت "سامرين" قليلا ثم قالت بتوتر
نفسى أساعدك بس خايفه .. يعنى أنا مش هعرف أمثل -
: قال بحماس

مش مطلوب منك تمثلى .. خليكي على طبيعتك .. وشكلك متغير تمام مستحيل - حد فيهم يعرفك .. ها قولتى ايه
: بعد تفكير أومأت "سامرين" برأسها قائله
ماشى يا خالو .. هساعدك -
: ابتسمت معانقاً اياها .. ثم نظر الى ذراعها بتأثر وهو يربت عليه قائلاً
متقلقيش يا حبيبتى .. هاخدك عند أحسن دكاتره .. أوعدك ان دراعك هيرجع - يتحرك تانى
: لاحت على شفتيها ابتسامه وهى تنظر اليه بأعين دامعه وتقول
نفسي يا خالو .. نفسى -
: قالت "فيروز" مبتسمة بخبث
وأنا ايه دورى فى اللعبة الجميلة دى .. لازم يبقالى دور مش كده -
: قال "عدنان" بتهكم
: دورك خلص لحد كده يا "فيروز" اختفت ابتسامتها وقالت بحده -
يعني ايه ؟ .. يعني ايه الكلام ده -
: قال "عدنان" وهو يخرج دفتر شيكاته .. ثم يكتب شيكا ويعطيه اياها قائلاً
تقدرى تعتبريها مكافأة عشان وصلتينى ب "سامرين" .. وتقدرى تقعدى فى - "الفيلا لحد ما تشوفى سكن تانى .. وكدة دورك يبقى انتهى فى عيلة "زياكيل
أخذت الشيك ونظرت بإحتقار الى المبلغ الذى لا يرقي لطموحها لكنها ابتلعت
: غضبها خشية أن يثور ويأخذه منها .. ثم قالت بعصبية
وهروح فين بعد كده .. أنا على الحديدة .. و "حمدى" كل اللى سابه خسرناه -
: أطلق "عدنان" ضحكة عالية ثم قال
انتى على الحديدة .. مصدقش .. أنا عارفك وحافظك كويس يا "فيروز" .. - العبى غيرها
ابتلعت غضبها مرة أخرى وهى تشيح بوجهها عنهما .. فيما كانت "سامرين" تنظر اليها بتشفى وكأنها تقول لها .. ها أنا قد عدت الى عائلتى وما عدت فى حاجة اليكي

****

آسف مبسلمش -
أعادت "فيروز" يدها الى جوارها وابتسامتها تتلاشى ليحل محلها شعور
: بالغضب لهذا الاحراج الذى تعرضت له .. التفت "عدنان" ليناد
"سمر" -

التفتت "سمر" التى كانت توليه ظهرها واقتربت منه .. وقفت أمام "مهند" مباشرة وهى تنظر الى "عدنان" الذى قال مبتسماً :

- أقدملك "مهند" ابن أخويا .. "مهند" أأقدملك "سمر"

بتلقائية رفعت "سمر" عينيها لتنظر الى "مهند" وهى تمد كفها اليه للمصافحة .. التقت عيناها بسواد عينيه القاتم فقط لتشعر بشعور غريب وكأنها تغوص فى بحر حالك الظلمات فى ليلة اختفى فيها القمر .. ثانيتين هى مدة الغوص فى ذلك البحر.. قبل أن يرفع "مهند" كفه لـ .. ليصافحها ملتقطاً كفها الرقيق فى .. كفه التى شعرت بقوته وخشونته بمجرد تلامس أيديهما وللمرة الثانية تشعر بشعور غريب حينما غاصت يدها فى بحر يده .. دام تلاقى أيديهما ثانيتين .. لتفترق مرة أخرى !

****

ابتسمت "فيروز" وهى تتأملها قائله :

- زى القمر .. أيوة كده عايزاكى تكيدي الأعادى

نظرت اليه "سمر" ببرود وقالت :

- حلى عنى يا "فيروز"

قالت "فيروز" وهى تتلفت حولها :

- خلى بالك دول عقارب

هتفت "سمر" بحده وبصوت خافت :

- بقولك حلى عنى

ثم نظرت اليها بقسوة قائله :

- أنا خلاص بدأت حياة جديدة .. حياة انتى ملكيش مكان فيها .. ولا هيكونلك مكان فيها .. وجودك هنا مؤقت .. انتى فاهمة

****

انتهت من السلام عليهم واحداً تلو الآخر .. ثم التفتت الى "مهند" الواقف مستنداً الى الجدار واضعاً كفيه فى جيب بنطاله .. اقتربت منه مبتسمة وهى تمد يدها قائله :

- صحيح انت من أهل البيت وعايش معانا فى الفيلا بس مبشوفكش خالص .. أهلاً بيك نورت

نظر "مهند" للحظة الى كفها الممدود .. ثـم بتبرم وبوجه متجهم أخرج كفه من جيب بنطاله .. ليصافحهـــا .. بلا مبالاة .. ثم تركها وذهب للجلوس على أحد المقاعد دون أن يلتفت اليها .. شعرت "سمر" بالحنق والضيق وهى تتطلع اليه دون أن يوليها أدنى اهتمام

****

انتى كده بعتى الفاكس ؟ -
: التفتت اليه وابتسمت بخجل وقالت
مش عارفه .. أصل أنا مبعتش فاكسات قبل كده -
: ثم أشارت الى الآلة قائله
ولا أعرف أصلا بيشتغل ازاى -
نهض "مهند" بتثاقل .. وأشار لها بيده لتبتعد من أمام الآلة ففعلت .. سألها : بهدوء
فين رقم الفاكس اللى عايزة تبعتى الورق عليه ؟ -
: أخرجت من هاتفها رقم مدون وأعطته له وقالت
هو ده الرقم -
أنجز "مهند" المهمة بسرعة .. ثم التفت ليعود الى مكتبه .. نقلت بصرها منه : الى الآلة وقالت
خلاص كده اتبعت ؟ -
: أومأ برأسه وهو ينظر الى حاسوبه ويقول
أيوة خلاص -
: ابتسمت بسعادة وقالت
.. ميرسى -
اختفت ابتسامتها ببطء عندما قابلها بتجاهل تام منه .. لم يرفع حتى بصره اليها .. التفتت تحمل الملف فى يدها وتغادر المكتب بهدوء

****

: نظر اليها قائلاً
صباح النور -

: ثم عاد للإنهماك فى مطالعة جريدته .. أقبلت احدى الخادمات لتخبرها
ثوانى يا فندم ويكون الفطار جاهز -
أومأت "سمر" برأسها .. ثم عادت لتنظر الى "مهند" الذى لا يعيرها أدنى
: انتباه .. قالت بهدوء
عدنان" نزل بدرى مش كده ؟" -
: قال "مهند" دون أن ينظر اليها
أيوة سافر بعد الفجر -
: أومأت برأسها وأخذت تنقر فوق الطاولة بأصابعها .. ثم قالت
هتوصلنى الشركة ؟ -
رفع "مهند" رأسه لينظر بضيق الى ملابسها المكشوفة .. طوى جريدته
: ووضعها جواره بينما أخذ فى تناول طعامه قائلاً
مفيش مشكلة -
: نظرت اليه "سمر" بإهتمام قائلة
شكلك اضايقت .. بفرض نفسى عليك مش كدة ؟ -
: قال بهدوء
لا مش كده -
حضرت الخادمة لترص الأطباق وتصب لـ "سمر" فنجان الشاى .. نظرت الى
: "مهند" مرة أخرى متفحصة .. ثم قالت بعدما انصرفت الخادمة
خلاص مفيش مشكلة هخلى السواق يوصلنى -
: قال "مهند" ببرود
مفيش مشكلة .. زى ما تحبى -
! أغاظتها ردة فعله البارده .. نهض ليغادر الغرفة وتبعتها بنظراتها الى أن خرج

****

: قالت "فيروز" بتهكم
أيوة خاصة شط اسكندرية -
: رفع "مهند" عينيه يتابع بإهتمام "سمر" التى تقول بشرود وبنبرة حالمة
معاكى حق .. خاصة شط اسكندرية -
: التفتت لتلتقى عيناها بعينيه .. لتبتسم فجأة وهى تقول متطلعة الى عينيه
"خاصة "المندرة -

عقد "مهند" جبينه وهو ينظر اليها .. والى تلك النظرة التى لم يستطع تفسير معناها .. خفق قلبه عند ذكرها تلك المنطقة تحديداً .. والتى تحمل ذكرياته مع زوجته الراحلة .. قالت "فريدة" بدهشة :

- ايه ده انتى من "المندرة" ؟

أومأت "سمر" برأسها .. فقالت "فريدة" وهى تنظر الى "مهند" :

- "مهند" شقته هناك .. كان عايش هناك

عادت لتلتقى أعينهما من جديد .. وفى عينيها تلك النظرة الغريبة .. أشاحت بوجهها عنه سريعاً

****

وقفت "سمر" فى شرفة غرفتها تنظر الى "مهند" و "فريدة" الجالسان فى الحديقه يتحدثان معاً كما لو كان صديقان حميمان .. ابتسمت وهى تتطلع اليهما والى هذه الألفة بينهما .. رأت "مهند" وهو يحيط كتفى "فريدة" بذراعه ويتحدث معها حديثاً بدا جدياً .. تطلعت الى اهتمامه بـ "فريدة" فاختفت البسمة من فوق شفتيها لتحل محلها عبرة فى عينيها .. ابتسمت "فريدة" ثم ضحكت وشاركها "مهند" الضحك والمزاح .. بدا كصديقى طفولة .. بل أكثر من ذلك .. شعرت بغصة كبيرة فى حلقها .. وبطعم مر فى فمها .. كلما تطلعت اليهما أكثر .. كلما ازدادت الدموع فى عينيها غزارة .. تمنت أن تنزل وتجلس معهما .. تمنت .. بل نادراً .. أخذت تنظر الى وجه "مهند" الضاحك .. قلما تراه هكذا .. تمنت "أن تكون جالسه بجواره الآن .. مكان "فريدة" !
****

- ممكن أعرف ايه اللى انت بتعمله ده .. ازاى تخون ثقة عمك كده

نظر اليها "مهند" مندهشاً وهو يقول :

- مش فاهم

قالت بحده :

- لا فاهم .. ايه اللى بينك وبين "نهال" ؟

اتسعت عيناه دهشة وهو يقول :

- "نهال" ؟ .. مفيش حاجه بيني وبين "نهال"

زمت "سمر" شفتيها وهى تنظر اليه بحدة وتقول بحزم :

لأ فى .. حرام عليك .. ازاى تضحك على بنت صغيرة زى "نهال" .. أنا مش -
مصدقه انك بتحبها بجد .. مفيش أى حاجه مشتركة بينكوا
: عقد "مهند" جبينه وهو يرمقها بنظرات نارية قائلاً
.. "انتى ازاى تتكلمى معايا كده .. بقولك مفيش حاجة بيني وبين "نهال -
نهال" بعتبرها زى "فريدة" وقولتلها الكلام ده كتير .. عايزة تصدقى صدقى "
مش عايزة تصدقى انتى حره
: نظرت اليه "سمر" وقد ضاقت عيناها قائله
يعني انت قولتلها انك بتعتبرها زى "فريدة" ؟ -
: قال بحزم ونظرات كالصقر
أيوة -
: أومأت برأسها وهى تقول معتذرة
طيب خلاص .. شكلى أنا اللى فهمت غلط -
! ظل يرمقها بتلك النظرات الثاقبة وهو يفتح باب المكتب ويغادره

****

ازاى عرفت ان "مهند" مبيحبش البسبوسة بالقشطة ؟ -
نظر الجميع الى "نهال" فى دهشة .. بينما تجمدت ملامح "سمر" وهى تنظر
"سمر"نقل "مهند" نظره بين الفتاتان فأكملت "نهال" وهى تنظر الى ..اليها
:بتحدى
الصنية كان عليها ١٠ أطباق .. ٩ منهم كان عليهم قشطة وواحد بس مش -
محطوط عليه قشطة .. عرفتى منين ان الواحد ده بتاع "مهند" ؟
تركت العيون "نهال" لتتجه الى "سمر" .. التى مازالت تعبيراتها خاليه من اى
: انفعال .. ألحت "نهال" قائله متظاهره بالمرح
ايه مش هتردى .. عرفتى منين انه بيحبها كده ؟ -
: قالت "سمر" بهدوء ونظرات بارده
هو اللى قالى انه بيحبها من غير قشطة -
ثم رفعت فنجانها ترشف منه بهدوء شديد متجاهلة نظرات "نهال" المصوبة
انهمك الجميع فى شرب الشاى وأكل الحلوى .. لكن "مهند" أخذ ..تجاهها
سمر" بتمعن .. شعر بالدهشة الشديدة .. ليس فقط بسبب علمها "يتطلع الى
لكن بسبب كذبها .. فلم يتحدث معها فى أى شئ من هذا ..كيف يحب حلواه
! القبيل قط

****

- فى حاجه ؟
: ابتسمت قائله
- لا أبداً .. بس كنت زهقانه ومش عايزة أعد لوحدي
: تجمدت ملامحه وقال ببرود
- فريدة" و "نهال" بره اعدى معاهم هيسلوكى"
: قالت وقد اتسعت ابتسامتها
- انت على طول متنشن كده ؟
: لم تتغير تعبيرات وجهه الجامدة وهو يتطلع اليها .. فأكملت بهدوء
- لأ انت مش كده .. بتبقى مختلف مع "فريدة" .. بتبقى على طبيعتك معاها ..
"طيب مش انت بتقول انى من محارمك ليه مش بتعاملنى زى "فريدة
: عقد جبينه بإستغراب وهو ينظر اليها قائلاً بحده
- انتى عايزه ايه بالظبط ؟
: اختفت ابتسامتها ونهضت بعصبية وقالت
- مش عايزة حاجه
أغلقت الباب خلفها بعنف وهو لا يزال يتطلع الى الباب المغلق وقد ازدادت تجاعيد جبينه حدة

****

- مفيش حاجه بينك وبين "مهند" .. أنا سألته وقالى انه بيعتبرك زى أخته "فريدة"
: امتقع وجه "نهال" ونهضت من فوق مقعدها وهى تهتف بغضب
- مش من حقك أصلاً تسأليه عن حاجه زى كده .. وبعدين تعالى هنا انتى ايه دخلك اذا كان "مهند" يحبنى ولا ميحبنيش
: نهضت "سمر" ووقفت أمامها بتحدى وقالت بحزم شديد
- لأ دخلى .. ودخلى ونص كمان
: رفعت "نهال" حاجبيها وهى تقول بعنف
- ايه مش مكفيكي راجل واحد ولا ايه ؟

توقعت ان تقذف تلك الكلمات الغيظ فى نفس "سمر" فتتقهقر وتتراجع .. لكن يبدو أنها كانت مخطئة .. ابتسمت "سمر" وهى ترفع أحد حاجبيها قائله بمياعه :

- لأ مش مكفيني

امتقع وجه "نهال" أكثر واحتقن بالدماء وهى تقول :

- انتى واحدة مش محترمة

عقدت "سمر" ذراعيها أمام صدرها وهى تقول بتهكم :

- هاا وبعدين ؟

هتفت "نهال" بعنف :

- وهقول لعمى "عدنان" على الكلام اللى قولتيه دلوقتى

أطلقت "سمر" ضحكة ساخرة وهى تقول :

- هتقوليله ايه كنت بحاول أفهم "سمر" ان فى حاجه بينى وبين "مهند" .. تؤ تؤ .. معتقدش .. شكلك هيبقى مش لطيف خالص

أدركت "نهال" بالفعل أنها لن تستطيع مواجهة عمها ولا أبيها وأمها بما قالت والا ستضع نفسها فى موقف صعب وسيسخر منها الجميع .. هتفت "نهال" وهى تشعر بالعجز والغضب :

- "سمر" ابعدى عن "مهند" انتى واحدة متجوزة .. "مهند" مش ممكن يفكر فيكي انتى مراة عمه

رفعت "سمر" حاجبيه وهى تنظر اليها بخبث قائله :

- ابعدى انتى عنه يا "نهال" .. لانه مش ممكن يفكر فى عيله تافهه زيك

ابتسمت "سمر" بوجهها فى تشفى قبل أن تدور على عقبيها وتنصرف تاركه اياها تتلوى من الغيظ .. والغيرة .. والغضب

****

- كان ممكن ترفضى

تلفتت "سمر" حولها لتتأكد من عدم وجون آذان متنصته ثم نظرت الى "نهال" بتحدى وقالت هامسه :

- وايه اللى يخلينى أرفض .. حد تجيله فرصة انه يقضى اليوم بطوله مع "مهند" ويقول لأ

أمسكتها "نهال" من ذراعها السليم بعنف وهى تقول بحده :

- "سمر" بطلى تستفزيني

: حررت "سمر" ذراعها من يد "نهال" وهى تقول بتحدى
وان مبطلتش هتعملى ايه ؟ -
: قالت "نهال" بغضب
ابعدى عن "مهند" .. هتتفضحي .. وعمى هيطلقك ويطردك بره الفيلا -
: قالت "سمر" بتحدى هامسه فى أذن "نهال
مش هبعد عنه .. لو تقدرى تبعديني ابعديني -

****

رفع "مهند" هديته أمام ناظريه وهو يعقد جبينه بشدة .. لم يكن مندهشاً فحسب من نوع الهدية التى اختارتها له وخصتها له دون سواه .. فلعلها لا تعلم بأنه غير مدخن .. لكن ما ادهشه .. وأصابه بالحيرة .. هو أنها أنفقت مبالغ كبيرة لم .. !على هدايا تحمل ماركات عالمية .. إلا هديته .. لم تكن حتى ذات قيمة تكن حتى موضوعه فى علبه .. بل كانت من تلك القداحات الشعبيه التى تباع ..حتى الغلاف بدا .. ! على الأرصفة والتى لا يتجاوز ثمنها خمسة جنيهات . رخيصاً .. ظهر الضيق على وجهه وهو يسأل نفسه .. ماذا تقصد بذلك ؟ رفع رأسه يبعد ناظريه عن ..أتقصد اهانتى ؟ .. اتقصد التحقير من شأنى ؟ . الهدية لينظر الى "سمر" .. التى وجدها تنظر اليه بنفس النظرة التى يحتار دائماً فى تفسير معناها .. تلك المرة لم يهرب بعينيه بل غاص فى عينيها أكثر ولا تهكم .. ولا تحقير ..يحاول فهم ما فيهما .. لم تكن نظراتها تحمل سخرية أطبق على القداحة .. من شأنه . .بل حملت شئ غريب لا يجد كلمات لوصفه بين أصابعه ونظراته تشع حيره وأخذت عيناه ترسم أمام عيناها علامة استفهام لكنها .. وليخرج من حيرته .. تمنى أن تستطيع محوها ليرتاح باله ..كبيرة ! أطرقت برأسها للحظات .. ثم قامت لتغادر الغرفة فى صمت

****

: ثم نظرت الى "مهند" قائله بجدية بالغة
طول ما أنا بره .. كنت حسه ان روحى هنا .. فى مصر .. فى اسكندرية .. فى - المندرة .. على شط البحر .. فوق الصخور
: عقد "مهند" حاجبيه قائلاً بإستغراب
فوق الصخور ؟ -
: أومأت برأسها وقالت وهى تنحنى الى الأمام وتستند بمرفقها الى الطاولة

- أيوة فوق الصخور .. عارف صخرة ليلى "مراد" اللى فى مطروح ؟
أومأ برأسه وهو لايزال ينظر اليها فى حيرة .. فأكملت بهدوء :
- أنا ليا صخرة هناك .. فى اسكندرية .. ملهاش اسم .. بس أنا مسمياها بإسمى
لانها بتاعتى أنا .. ولسه لحد دلوقتى فاكرة شكلها ..
قالت ذلك ثم أبعدت عينيها عن عينيه وهى تزيح مرفقها من فوق الطاولة ..
أكملت طعامها فى صمت .. ندم "مهند" على ذلك الحديث الذى بدأه معها .. لأن كلامهــا لم يزيـــده الا حيـرة فوق حيــرة !

****

وقفت "سمر" فى شرفة غرفتها تتابع "مهند" الذى عبر بسيارته بوابة الفيلا ..ليتوقف أمام بابها داعبت نسمات الليل شعرها الأسود فأعادت خصلاتها التى نزلت على عينيها لتحجب الرؤية الى الوراء .. وأخذت تتبعه الى أن نزل من سيارته.. توقف للحظات يستند بظهره الى السياره ويتحدث فى هاتفه .. بدا مندمجاً فى الحديث .. وكذلك هى مندمجة فى التطلع اليه .. شعر بشئ ما يدفعه لأن ينظر الى الأعلى .. لعلها حاسته السادسة التى أنبأته بوجود عينين "سمر"متفحصتين تنظران اليه فى اصرار .. التقت نظراتهما .. لم تحاول التوارى .. أو التظاهر بأنها تتطلع الى شئ آخر .. بل نظرت الى عينيه فى ثبات ثبات جعله يجفل .. وتضيق عيناه فى حيرة .. أنهى مكالمته .. ودخل الفيلا ..!

****

تجمد "مهند" فى مكانه عندما سمع صوتاً أنثوياً يقول :
- نفسك فى واحد زيه ؟
رفع رأسه لتصطدم عيناه بعيني "سمر" .. اتسعت ابتسامتها وهى تقول :
- أنا كمان لما شوفته وشيلته حسيت انى نفسى فى واحد زيه
عاد "مهند" ينظر الى الصغير مرة أخرى دون أن يعقب على حديثها .. ظلت واقفة على باب الغرفة .. ظن بأنها سترحل .. لكنه كان مخطئاً .. تقدمت فى خطوات تؤدة .. لتجلس الى جواره .. محافظة على مسافة بينهما .. مدت يدها لتلمس وجنة الصغير مبتسمة مداعبة اياه .. التفت الصغير اليها مبتسماً وهو يطلق أصوات تنم عن استمتاعه بحركة أصابعها فوق وجنته .. اتسعت ابتسامتها وهى تقول بسعادة :

أول مرة ألعب مع بيبى .. كل صحاب بابا مكنش عندهم أطفال صغنيين كده -
شعر "مهند" بالحرج لجلوسهما معاً بمفردهما وبهذا الاسترخاء وبذلك الحديث الودى بينهما .. فالتفت اليها يمد يده بالصغير قائلاً :
خديه أنا خارج -
حملت منه الصغير فوضعت كفها بدون قصد فوق كفه .. رفعت رأسها تنظر اليه وجهه الخالى من أى تعبيرات .. قبل أن ينهض قالت بلهفه :
مجاوبتنيش -
التفت ينظر اليها بإستغراب .. فقالت وهى تنظر الى عمق عينيه :
نفسك فى واحد زيه ؟ -
ازداد استغرابه من السؤال .. ومن اصراها على القاءه .. صمت ولم يجيب ..
فقالت هامسه وهى لا تزال تنظر اليه :
كنت بتحبها ؟ -
تحولت نظراته من الاستغراب الى الحده وهو يزم شفتيه فى غضب .. فأكملت هامسه وقد لاحت الدموع فى عينيها :
نهلة" .. اتجوزتها لمدة سنة .. حبيتها ؟ .. أد ايه ؟ .. لسه بتوحشك ؟ .. لسه " - فاكرها ؟
احتد قائلاً وهو ينهض من مكانه :
مبحبش أتكلم فى حاجة خاصة كده مع حد -
استمرت فى النظر اليه وتلك النظرة الغريبة فى عينيها وقد ازدادت تلك العبرات فى عينيها هى تقول بصوت مضطرب :
قولى بس .. فاكرها ولا نسيتها ؟ .. فى قلبك ولا بأت ذكرى ؟ .. نفسك ترجعلك - وتعيش معاك .. ولا نويت ترمى ذكرياتها ورا ضهرك وتكمل حياتك ؟
نظر اليها بدهشة قائلاً :
انتى ازاى تتكلمى معايا كده ؟ .. ازاى تتكلمى معايا فى حاجة خاصة كده ؟ .. - حاجة مبتكلمش فيها مع أى حد حتى مع أختى ؟
أطرقت برأسها تنظر الى الصغير .. بينما خرج "مهند" من الغرفة مسرعاً وامارات الغضب على وجهه .. حاولت رسم بسمة على شفتيها وهى ترجع بظهرها الى الوراء وتنظر الى الصغير هامسه :
جاوبنى انت .. طالما هو مش عايز يجاوب - !
وضعت أذنها على فم الصغير وكأنه يسرى اليها بالإجابه .. ثم رفعت رأسها تنظر اليه وهى تقول بأسى :
أنا برده قولت كده - !

****

قالت "سمر" شاردة :

- معرفش .. عارفه لما تحسى ان فى حاجة جواكى ضايعة منك .. انا حاسة بكدة فى حاجه مفتقداها .. وحشانى .. حاجه مش مخليانى حسه انى أنا ..

التفتت اليها قائله :

- فهمانى يا "فريدة" ؟

قالت "فريدة" بحيرة :

- بحاول أفهمك

نظرت "سمر" الى فنجان الشاى فى يدها وهى تقول بأسى ومرارة :

- نفسى أغمض عيني وأفتحها وألاقى كل السنين اللى قضتها فى تركيا اختفت من أدام عينى. نفسى اغمض وأفتح ما أشوفش أدامى الا ماما .. واسكندرية والبحر .. وكل الناس اللى بحبهم ..

نظرت اليها "فريدة" بحيرة تتأمل امارات الألم على وجهها وهى تقول :

- ايه اللى مضايقك يا "سمر" .. حسه ان فى حاجه مضايقاكى .. أكنك عايزة تعيطي

التفتت اليها "سمر" بأعين دامعة وهى تقول بصوت مرتجف :

- صح معاكى حق .. انا نفسى أعيط

اقتربت منها "فريدة" أكثر وهى تقول :

- طيب قوليلى ايه اللى مضايقك .. موضوع دراعك

نظرت "سمر" الذى ذراعها المعلق الى رقبتها وهى تقول بمرارة :

- انتى فاكرة ان دراعى بس هو اللى مشلول ؟

نظرت اليها "فريدة" بدهشه .. فأكملت "سمر" وقد هربت دمعة من عينيها لتسقط حارة على وجنتها الملساء وهى تترك فنجانها وتشير الى قلبها قائلاً بمرارة:

- أنا حسه ان ده كمان مشلول .. بيموت .. بيطلع فى الروح .. بيتحرق .. ومحدش حاسس بيه

****

تجمدت فى مكانها.. أمام الدولاب .. وهى تنظر الى نقطة ما على الأرض.. تقدمت ببطء.. والتقطت تلك الهدية التى أهدته اياها .. وانحنت .. قلبت القداحة بين يديها.. والدموع تتجمع فى عينيها يؤلمها بنغزاتها الحارقة..

ارتجفت شفتيها وهى تضمهما الى بعضهما بقوة .. رجعت عدة خطوات للخلف تنظر الى القداحة وعبراتها تتساقط فوق وجنتيها .. وجلست فوق الفراش .. .. الأرض .. الى حيث كانت القداحة ملقاة فى اهمال .. ثم تعود لتنظر الى .. أجهشت فى البكاء وهى تضع كفها فوق فمها تحاول كتم صوتها حتى لا يفضحها فيسمعه أحد القاطنين فى هذا الطابق من الفيلا .. ارتعدت فرائصها وأنتفض يدخل الغرفة "جسدها بشدة وهى تسمع صوت مقبض الباب يُفتح .. ثم "مهند ويغلق الباب خلفه .. وقف متجمداً فى مكانه وقد اتسعت عيناه دهشه وهو يراها : جالسة فوق فراشه .. هتف

انتى بتعملى ايه هنا ؟ -

تركت "سمر" القداحة من يدها فوق الفراش ونهضت وهى تجعد تنورتها .. بقبضة يدها فى توتر .. بدت كتلميذة صغيرة ضبطها معلمها بخطأ قد اقترفته : ازدادت حدة صوته وهو يقول

بتعملى ايه هنا ؟ -

: مسحت بكفها عبراتها المتساقطة وهى تقول بصوت مرتجف

.. أنا .. كنت -

صمتت وهى تضغط على شفتيها ببعضهما البعض بقوة بينما الدموع تتساقط من عينيها من جديد .. اقترب منها "مهند" والشرر يتطاير من عينيه ونظر اليها : بإحتقار قائلاً

.. انتى ايه ؟ .. مفيش عندك حدود ؟ .. مبتعرفيش تميزى الصح من الغلط - اللى يصح واللى ميصحش .. ازاى تدخلى أوضة راجل غريب .. وتقعدى فوق .. لو حد من البيت شافك هيقول ايه .. لو جوزك شافك هتقوليله ايه ..سريره بتعملى ايه هنا ؟ ..جاوبينى

:أطرقت "سمر" برأسها وقد ازداد انهمار عبراتها وهى تقول بصوت مرتجف

أنا .. كنت .. كنت بس .. كنت عايزة أتكلم معاك -

: قال بحدة شديدة دون اقتناع وهو يراعى ألا يرفع صوته عالياً

واللى عايز يتكلم مع حد يدخل أوضته بدون استئذان ؟ -

: قالت بصوت باكى وهى تطرق برأسها

أنا آسفة -

ودون أن تضيف كلمة أخرى خرجت مسرعة من الغرفة

****

"من غير ما حد يحس ملينى رقم "سمر -

فى دهشة فعلت "فريدة" ما طلب .. بينما كانت "انعام" مندمجة فى الحديث مع عادل" رأت "سمر" "مهند" وهو يعبث فى أزرار هاتفه .. ثم يرفع رأسه " وينظر اليها قبل أن تشعر بذبذبة هاتفها فى يدها .. بحركة سريعة ودون أن ينتبه أحد فتحت الرسالة وقرأت ما فيها :

- خلى بالك .. متتحركيش كتير .. ممكن يكون المسدس متعمر

لاحت ابتسامه عذبه على شفتيها وهى تقرأ رسالته .. أعادت قرائتها مرات ومرات .. ثم رفعت عينيها لتنظر اليه والى ذلك الإضطراب على وجهه .. والى الخوف الذى ظهر جلياً فى نظرات عينيه .. اتسعت ابتسامتها وهى تحرك ببطء .. ودون صوت .. شفتيها :

- متخفش عليا

قرأ "مهند" رسم شفتيها .. ومجدداً . . لمح تلك النظرة فى عينيها .. فهم .. برعب .. ..خفق قلبه بقوة ! .. وارتعدت فرائصه .. أخيراً معنى تلك النظرات .. وخوف .. وفزع ! .. !

****

اقتربت منهم وقالت :

- صباح الخير

- صباح النور

- صباح النور

لم يجب "مهند" ! .. فزادها ذلك ضيقاً .. نظرت اليهم قائله :

-بتعملوا ايه على الصبح كده ؟

قالت "نهال" وهى تنظر الى "سمر" بتحدى :

- مهند" بيشرحلى حاجات مش فاهماها .. وانتى عطلتينا"

نظرت اليها "سمر" ببرود فقالت "فريدة" على الفور :

- متزعليش أكيد "نهال" مش قصدها

قالت "نهال" ببرود :

- لا قصدى

ثم التفتت الى "مهند" مبتسمة وهى تقول :

- يلا نكمل

أكمل "مهند" ما يشرح وكأنه يستثقل المهمة الموكله اليه .. كان يتحدث بسرعة وبعجاله وتزيد "نهال" من ابطاء شرحه بكثرة أسئلتها .. الى أن قالت "سمر" بتهكم :

- ايه يا "نهال" شكلك مبتفهميش من أول مرة ... تعبتى "مهند" معاكى

نظرت اليها "نهال" ببرود وقالت :

- محدش اشتكالك

ثم قالت بلؤم :

- عمى "عدنان" فى المرسم .. روحيله سليه بدل ما هو آعد لوحده

احتقنت الدماء فى وجه "سمر" وغادرت .. ليس الى المرسم .. بل الى الفيلا !

****

التفتت اليه "سمر" قائله بإهتمام :

- فى حاجه مضايقاك ؟

هز رأسه نفياً بقوة دون أن ينظر اليها .. زفر بضيق أكبر عندما أغلقت الاشارة قائله "واضطر الى الوقوف مع طابور السيارات الطويل .. التفتت اليه "سمر ببنرة حملت الكثير من العتاب :

- خلصت مذاكره لـ "نهال" ؟

صمت ولم يجيب .. رأت الضيق على ملامحه .. وعينيه الغائرتان وكأنه شارد فى مكان آخر .. فأكملت :

- مش أخوها برده مهندس .. خليه هو يذاكرلها .. حتى لو تخصص مختلف بس أكيد هيفهم فى ....

قاطعها "مهند" وهو يلتفت اليها قائلاً بحده :

- لو سمحتى متدخليش فى أى حاجه تخصنى

شعرت بغصة فى حلقها وتجمعت العبرات فى عينها وهى تنظر اليه نظرة أجفلت قلبه فأشاح بوجهه عنها على الفور .. ازداد شعوره بالدهشه .. وأخذت نفسه صدق يا "مهند" صدق ما تراه .. فهتف عقله كيف أصدق .. بالتأكيد .. تهتف بالتأكيد ! .... تنهد بعمق وبدت متوتراً للغاية وهو يطبق بيديه .. أنا مخطئ على مقود السيارة .. تابعته "سمر" بعينيها بإهتمام .. فتحت الاشاره فإنطلق بالسيارة وهو لا يزال يعقد جبينه .. بدا وكأن الغضب مسيطراً عليه بشدة "مهند" .. بدت عيناه كشرارة غضب آخذه فى التزايد .. قالت" بهدوء "سمر :

- "مهند"

لم يجب .. كان شارداً بعمق فلم يسمعها .. مدت كفها لتلمس كفه فوق المقود
: وهى تقول
"مهند" -
جذب كفه بسرعة وهو يلتفت اليها ناظراً اليها بغضب شديد .. بلعت ريقها
: بصعوبة وهى تقول
ناديتلك مردتش -
عبرت السيارة مطبعاً صناعياً لم ينتبه اليه "مهند" فطاحت السيارة الى أعلى والى الأسفل فى حدة .. وقعت حقيبة "سمر" المفتوحة من فوق قدميها الى اليسار لتخرج محتويات الحقيبة متبعثرة داخل السيارة .. انحنت تجمع أشيائها لكنها تسمرت فى مكانها عندما امتدت يد "مهند" الى الصور الواقعة الى .. فريدة" دون علمها " صورتــه .. تلك الصورة التى أخذتها من ألبوم ..جوارها
:مهند" بغضب الى الصورة ثم التفت اليها قائلاً "نظر ..
صورتى بتعمل ايه فى شنطتك -
: ارتبكت بشدة وهى تقول
... أنا .. كنت -
: ضغطت قدمه على دواسة البنزين وهو يصيح
انتى بتعملى ايه بالظبط .. ايه اللى انتى بتعمليه ده ؟ -
أطيق "مهند" بأصابعه على الصورة بشدة فى قبضة يده .. قفذت العبرات الى سمر" . .أخذ "مهند" ينهج بسرعة وكأنه فى سباق للعدو .. زاد من "عين
: الضغط على الدواسة وقد بدا غضبه جامحاً وهو يقول
انتى ... انتى .... مش عارف أقولك ايه .. مش عارف .. قولتك ..انتى مش -
بس مراة عمى .. انتى من محارمى .. أنا مش قادر أفهم ولا أتصور البشاعه اللى انتى فيها .. انتى واحدة مش طبيعية .. أكيد مش طبيعية
: بكت "سمر" وهى تنظر الى عداد السرعة وتقول
مهند" براحة " -
ما زادة ذلك الا ضغطاً على الدواسة فزادت سرعة السيارة وهو يقول يتمتم
: بغضب
أستغفر الله العظيم .. أستغفر الله العظيم -
: أجهشت "سمر" فى بكاء هيستيري وهى تنظر الى العداد صائحة بخوف
عشان خاطرى براحه .. "مهند" كفاية -
.. أحاطت نفسها بذراعها وهى تنظر الى الطريق وقد أخذ جسدها يرتعش خوفاً أنحنت لتخفى وجهها بين قدميها وهى تصدر أنيناً من بين شفتيها .. انتبه الى

بكائها وارتجافتها فأوقف السيارة على جانب الطريق وهى لا تزال تبكى
: قال بإقتضاب وهو يتذكر أمر اصابتها فى حادثة سيارة من قبل ..وترتجف
أنا آسف مكنش قصدى أخوفك -
لم تتوقف عن البكاء أو عن الأنين .. كانت تمسك ذراعها المشلول وهى لا تزال تخفى رأسها فى قدميها
: رفعت وجهها وهى تصيح بأمل
دراعى مش قادره -
: نظر الى ذراعها ثم قال بقلق
فى ايه .. مالك ؟ -
: قالت وهى تستند بظهرها الى المقعد وتعببرات وجهها تنطق بألم شديد
مش قادرة .. بيألمنى أوى .. مش قادرة -
: نظر بخوف الى ذراعها وهو يتمتم بدهشه
ازاى يعني بيألمك مش المفروض انه مشلول -
لم تجيب .. سكنت فجأة .. وتوقفت عن البكاء .. والحركة ! .. ناداها "مهند" : قائلاً
"سمر" .. "سمر" -
: لم تجيب .. فهزها بيده
"سمر" -
التفت فجأة وانطلق بالسيارة بسرعة وتوجه بها الى المشفى وهو ينظر اليها ! بين الحين والآخر فى قلق

****

: قالت الطبيبة
حضرتك باباها -
: قال "مهند" بإقتضاب
ده جوزها -
: رفعت الطبيبة حاجبيها بدهشة ثم قالت
سورى أصلها أول ما فاقت فضلت تقول "مهند" فإفتكرت انك جوزها -

****

وعرفتى الأبريه منين ؟ .. ده مشروب نوبى ميعرفوش الا النوبيين بس -
عقد "مهند" جبينه بدهشه وهو يتناول كوبه وينظر الى السائل بداخله .. رشفت "فريدة" عدة رشفات ثم قالت :
مممممم مشربتوش من زمان أوى .. ماما الله يرحمها هى اللى كانت بتعمله -
ثم نظرت الى "سمر" وقالت بمرح :
انتى تعرفى ان ماما الله يرحمها كانت نوبيه ؟ -
ابتسمت "سمر" بهدوء قائله :
بجد ؟ -
قالت "فريدة" بحماس :
أهاا كانت نوبيه عشان كده الأبريه ده عندنا مميز جدا أنا و "مهند" بنموت فيه -
رفع "مهند" رأسه ينظر الى "سمر" التى قالت بهدوء :
مش هتشرب -
أخفض بصره ورشف عدة رشفات .. قالت "فردية" مبتسمه :
لا وعملاه مزز أوى -
قالت "سمر" بهدوء :
ايه مبتحبيهوش كده ؟ -
قالت "فريدة" بمرح :
بصراحة لأ .. أنا مش بحبه يكون مزز أوى - .
ثم التفتت الى "مهند" وقالت :
بس "مهند" بيحبه كده -
انحنى "مهند" الى الأمام يدير الكوب بين كفيه يرشف منه بين الحين والآخر وهى يعقد جبينه شارداً .. رفع رأسه ونظر الى "سمر" قائلاً بإهتمام :
اتعلمتيه فين ؟ -
نظرت اليه "سمر" قائله بهدوء :
فى اسكندرية -
قال بإهتمام :
بس ده مش مشروب مشهور فى اسكندرية .. ده ميعرفهوش الا اللى عاش فى النوبه .. انتى عشتى فى النوبة قبل كده ؟ -
هزت رأسها نفياً
فضاقت عيناه وهو يقول :
طيب تعرفى حد عاش فى النوبة ؟ -

ساد الصمت للحظات .. ثـم .. أومأت برأسها ايجاباً بهدوء .. والتقت نظراتـهما ليخفق قلــب "مهند" بقــوة .. نظر الى عينيها وهو يشعر بأنه يعرف تلك العينـــان جيداً .. شكلهــا .. رسمهــا .. نظراتهــا .. حديــث عيناهــا وشفراتهــا التى ترسمها أمام عيناه فى الهــواء .. بــدت عيناهــا البنيتــان كبحــر عميــق ! بل وغاص الى أعمــق أعماقــه ..شعــر بأنــه .. سبــح فيــه من قبــل ..

****

تساقطت العبرات بغزاره من عين "سمر " ووجهها يقطر ألما .. كانت "فريده" تنظر امامها فلم تنتبه لوجهها الباكي واكملت:

- بعد ما مراته ماتت في الحادثه اتالم اوي .. خاصة انه كان حاسس بالذنب مع انها مش غلطته

قالت "سمر" بشفتين مرتجفتين ونبرة حزينه:

- تفتكري لسه بيحبها؟

التفتت "فريده" بعدما التقطت اذنيها نبرة الحزن في صوت "سمر" .. نظرت اليها بفضول وهي مندهشة من تلك الدموع التي تتساقط من عينيها واحدة تلو الاخري وقالت :

- ايوة اعتقد انه لسه بيحبها بدليل انه مش راضي ابدا يتجوز تاني

اشاحت "سمر" بوجهها وهي تمسح عبراتها بكفها قائله :

- يمكن نساها .. ايه ضمنك انه لسه بيحبها

قالت "فريده" وهي لا تزال تراقب تعبيرات وجهها بتمعن:

- لا انا واثقه انه لسه بيحبها .. كانوا مبسوطين مع بعض ومرتاحين مع بعض .. صحيح انا معشتش معاهم الا كام شهر وبعدها حصلت الحادثه بس في الكام شهر دول حسيت ان مفيش اي مشاكل بينهم .. يمكن "مهند" مبيعبرش عن مشاعره بالكلام ومتقدريش تعرفي اللي جواه بس "نهلة" كانت بتموت فيه وانا واثقه انه هو كمان كان بيحبها ولايزال .. كانت بتحبه بجنون

اطرقت "سمر" برأسها وهي تغمض عيناها بألم ثم تفتحهما لتتساقط منهما العبرات غزيرة تحرق وجهها وهي تقول بصوت مرتجف :

- مش مهم أي حاجه .. المهم يرجع بالسلامة .. أي حاجه تانيه مش مهمة

شعرت "سمر" بغصه في حلقها بينما نظرت اليها "فريدة" قائله بدهشة:

- انتي بتعيطي بيه يا "سمر"

:مسحت "سمر" وجهها المبلل وهي تنظر اليها قائله بابتسامه باهته
اصلي اتاثرت بقصة حبهم .. يعني صعب انك تلاقي دلوقتي اتنين بيحبوا بعض -
كدة
نهضت "سمر" وتوجهت الي الفيلا بينما تتابعها "فريدة" باهتمام .. وهي لا
! تصدق التبرير الذي سمعته

****

غريبة أنا في بلدي .. وحيدة أنا بين الناس .. لا أجد لنفسي موطنا .. لا أجد لها - حاميا .. سوى قلب أسد لا يشعر بنبضات قلبي التي تصرخ بإسمه غير عابئ بتلك الصرخات .. يسمعها .. يفهمها .. لكنه لا يشعر بها وبي .. كم أريد نسيانه و منع ..ومحوه من حنايا عقلي .. واسكات قلبي وارغامه على نسيان اسمه روحي من أن تهفو اليه .. لكنني لم أستطع أن أفعل .. فسلطانه على نفسي قويا وصاحب القلعة .. يحترق .. مهيبا لا أستطيع الفكاك منه .. قلبي يئن .. يتألم يرفض ادخالي .. يرفض أن يمنحني رشفة من يداه أروي بها ظمأي.. وعطش .. أيامي .. يرفض أن يطفئ نيران قلبي المشتعل .. يا صاحب القلعة أستسلم فحصونك أنهكت قواي .. بنيتها عالية شامخة فأذاقتني العذاب والهوان .. يا رشقتني بسهام صفت ما .. صاحب القلعة أستسلم .. غلبتني حصونك بصلابتها بداخل جسدي من دماء .. وها أنا أسقط أمام عينيك القاسيتين أشلاء .. لن أمد بل سأدعك تنظر الي وأنا أحتضر .. يدي لتنقذني .. لن أصرخ طالبة أن تنجدني تتذكر صريعة حبك يوما .. اقترب من جسدي المسجى علي الأرض أمام .. أخرج خنجرك من جرابه .. ارفعه عاليا واهوى به فوق قلبي .. اطعنه .. قلعتك اطعنه وبعثر أشلاؤه .. هيا تقدم ولا تتردد .. ها أنا أراك تخرج ..وفجر دماؤه ها أنت ترفعه عاليا لتهوى ..خنجرك يا صاحب القلعة .. وتقترب مني في تؤدة لماذا التفت الي خنجرك .. هيا اطعن ولا ..به فوق قلبي .. لماذا توقفت يداك أتتعحب من الدماء التي تغلف خنجرك وأنت لم ..تنظر اليه .. لماذا أنت متعجب فالدماء علي خنجرك هي دمائي .. ..أخطأت يا صاحب القلعة .. تطعني بعد؟ .. طعنت قلبي بخنجرك من قبل .. ها أنا أغمض عيناي .. لعلك لا تتذكر ولكنك !اطعني الثانية ولا تتردد .. فقلبي لن يموت مرتين
عقد "مهند" جبينه وهو يقرأ تلك الكلمات التي لا يعلم كاتبها .. أراد قرائتها مرة
: أخرى لكنه سمع صوتا من خلفه يقول بصوت مشاكس
مش تستأذن قبل ما تقراها -

التفت بحدة ليجد "سمر" واقفة خلفه .. نهض من فوق الأريكة ومد يده بالمفكرة قائلا:
- أنا آسف مكنتش أعرف انها بتاعتك
أخذتها منه وابتسمت وهي تنظر اليها قائله :
- أنا طول عمري بحب الكتابة .. وكنت بكتب خواطر وأنا صغيرة .. بس لما سافرت تركيا نسيت الهواية دي .. بس من كام يوم لقيت نفسي بمسك بالقلم وبشخبط الشخبطة دي
ابتسمت بخجل .. ورفعت رأسها لتنظر اليه .. اختفت ابتسامتها وهي تنظر الي ذراعه المبتور .. لمعت الدموع في عينيها ونطق وجهها بالألم وهي تهمس :
- انت كويس؟ .. صعب عليك مش كده ؟ .. حتى لو انت بينت أدامنا كلنا انك كويس .. بس أكيد من جواك اتأثرت .. وحزنت .. أنا حسه بيك
رأته يغادر الغرفة مسرعا .. فارا منها .. ولم تكن مخطئة .. شعر "مهند" بأنه يفر بالفعل .. توجه الي غرفته وجلس فوق فراشه وهو يلهث .. بلع ريقع بصعوبة وقد تجمدت ملامحه .. أخافه ما يشعر به بداخله .. زفر في ضيق وهو يحاول أن يسيطر علي مشاعره الغريبه التي تجتاحه .. وتتسرب الي كيانه .. كالهواء الذي ينتشر في غرفة مغلقة الأبواب .. يتسرب اليها من فتحات خفيه وثغرات .. رأى أمامه صورتها .. عيناها .. تلك العينان .. لماذا يشعر دائما .. بذلك الشعور المخيف .. شعور بالحنين الي الغوص داخل عيناها والتسليم .. لأمواجها .. تأخذه الي حيث شاءت !

****

- مين الأموره دي ؟
أخرجت "سمر" الصورة وهي تنظر اليها بتأثر قائله :
- دي أنا
أخذت منها المرأة الصورة تنقل عينها بدهشة بينها وبين "سمر" وهي تقول :
- سبحان الله اللي يشوفها يقول واحدة تانية خالص
صمتت "سمر" وقد اكتسي وجهها الحزن وهي تقول :
- زمان حصلتلي حادثة .. حصلي كسور كتير في وشي .. وكان محتاج ترميم .. عملت عمليات كتير .. وده غير شكلي كتير
قالت المرأة بدهشة :
- فعلا يا بنتي شكلك اتغير أوي
ثم قالت تطيب بخاطرها :

بس انتي دلوقتي أحلي -
: ابتسمت "سمر" بوهن وهي تقول
كنت بحب شكلي الأول أكتر .. عشان اتعودت عليه .. أما دلوقتي ساعات لما - ببص في المراية بستغرب شكلي .. علي الرغم من ان الحادثة فات عليها سنين طويلة
****

لمعت عيناها بالعبرات وهي تتشمم رائحة اسكندرية وبحرها .. رائحة مميزة لا تجدها في مكان آخر .. أشعرتها تلك الرائحة بحنين جارف .. حنين الي أيام مضت وولت مدبرة .. أغمضت عيناها بألم تنهمر عبرة حزينه من بين أهدابها حانت من "مهند" التفاته الي مرآة السيارة .. فخفق قلبه لمرآى ..المغلقة عبرتها وتغبيرات وجهها المتألم .. تطلع أمامه وهو يتمتم بالاستغفار ويعقد جبينه بضيق شديد .. ضيق من نفسه ومن مشاعره .. ومن الشئ الغريب الذي .. يشعره اتجاهها بالألفة .. ومن عيناها وما بهما من أسرار يتمني حل ألغازهما :لتختفي علامات الاستفهام من داخله .. قال "مهند" بهدوء
تحبوا تروحوا فين ؟ -
: قالت "سمر" علي الفور
المندرة -
: خفق قلبه .. فتجاهله .. وصفت له "سمر" طريقا .. وقالت
المكان ده من أحب الأماكن لقلبي -
"سمر"خفق قلبه للمرة الثالثه لكن هذه المرة بقوة أكبر .. وهو يتبع تعليمات ..ويوقف سيارته أمام .. أحب بقعه له في اسكندرية ! .. بل في الدنيا بأسرها :ضاحكة "عقد جبينه بشده .. وعيناه تنطق بالحيرة .. قالت "فريدة
هو كل أهل المندرة بيحبوا المكان ده ولا ايه -
ابتسمت "سمر" مجاملة ونزلت من السيارة تعانق تلك البقعة بعيناها الممتلأة بعبرات شوق وحنين .. وقفت أمام البحر تنظر الي أمواجه المتلاطمة وهي ..تغمض عيناها .. تاركه زمنها لتعود سنوات الي الوراء .. وكأنها بنت الأمس فريدة" الي "سمر" التي كانت تبعد عنها عدة أمتار وهي تقول ل "نظرت :"مهند"
أول مرة أشوفها متأثرة كدة .. شكلها بتحب اسكندرية أوي -
التفتت "سمر" تبحث بعيناها عن شئ ما .. ثم تمتمت فجأة بنبرة حملت شوق : ولهفة

صخرتي -
"توجهت الي تلك الصخرة الكبيرة تتحسسها وتجلس فوقها .. تطلع اليها "مهند
.. بإهتمام شديد .. يراقب حركاتها وتعبيرات وجهها .. خفق قلبه من جديد
وشعر بحنين يدفعه اليها .. استعاذ بالله وأشاح بوجهه عنها متقدما في اتجاه
..البحر .. رأت "فريدة" اللسان الصخري الممتد في البحر يشقه بصرامه
تقدمت تجاهه تسير فوق صخوره المتراصه بجوار بعضها البعض .. التفت
.. ينظر اليها فيما كان البحر يهدر بأمواجه عاليا مصدرا صوته الرتيب ""مهند
مهند" شفتيه ليهتف ب "فريدة" أن تنتبه .. لكن الدماء تجمدت في "فتح
: "عروقه عندما هتفت "سمر
فريدة" خلي بالك .. في صخرة بتتحرك" -
التفت "مهند" بحدة ينظر الي "سمر" .. تلاقت نظراتهما في صمت .. للحظات
طويله .. دون أن يحيد أحدهما بنظره عن الآخر .. اقترب منها .. وهي جالسه ..
: فوق الصخرة .. وقال
كنتي بتيجي هنا كتير ؟ -
:أومأت برأسها .. فقال وهو يرمقها بنظراته الثاقبه
لوحدك؟ -
انتظر بلهفة أن يسمع اجابتها .. لكنها نظرت الي البحر دون أن تجيب .. سألها
: مرة أخري في اصرار لا يعلم هو نفسه سببه
لوحدك ؟ -
لكنها ظلت تنظر الي البحر .. دون أن تجيب

****

أدارت المفتاح في الباب فإنفتح بسلاسة .. تقدمت الي داخل البيت .. ثم التفتت
تنير المكان بالمفتاح المثبت علي الجدار جوار الباب .. امتلأت عيناها بالعبرات
وهي تتأمل البيت بآثاثه ومحتوياته .. هطلت الدموع غزيرة من عينيها
وجسدهت يرتعش من بكائها .. تقدمت الي احدى الغرفتين في المنزل وأنارت
مصباحها .. كانت غرفة نوم كبيرة .. دخلتها في هدوء ولا تزال دموعها تنهمر
فوق وجنتيها .. نظرت بتأثر الي الأشياء الموضوعة فوق التسريحة والتي
غلفها التراب .. مسحت بكفها جزء من التراب المعلق على المرآة ونظرت الي
وجهها الباكي في ألم .. التفتت لتلقي نظرة علي الفراش خلفها .. قبل أن تغمض
مهند" من حديثه "عينيها للحظات نطق خلالها وجهها بالألم .. في الأسفل انتهي
: التي اقترب منها قائلا "مع الرجل ليلتفت فلا يجد حوله سوى "فريدة
فين "سمر" ؟ -

: قالت بقلق
خدت المفتاح وطلعت فوق -
:نظر اليها بحدة قائلا
فوق فين؟ -
: أشارت بإرتباك الي شرفة بيته وقالت
في شقتك -
تطاير الشرر من أعينه فشعرت "فريدة" بالخوف وهي تراه متوجها الي البناية فالتفتت تكمل بعقل مشتت حديثها مع المرأة التي كانت نهمه تواقه لمعرفة .. أخبارهما .. وجد "مهند" باب البيت مواربا ففتحه ودخل .. بحث بعيناه عنها فرأى ضوء المصباح يتسرب من غرفة النوم .. توجه اليها ليتجمد في مكانه وهو ينظر الي "سمر" الي استندت بظهرها الي الجدار تغلق عيناها بألم بينما العبرات تقفز من بين أهدابها وارتجاف شفتيها وهي تطبق عليهما بشدة .. دخل الغرفة .. شعرت بحركته ففتحت عينيها وحاولت مسح عينيها ووجهها في توتر حاولت مسحه أكثر فلم ..فاتسخ وجهها من التراب الذي علق في يدها .. .. بإمعان كما لو أنه يراها لأول مرة "يزيدها ذلك الا اتساخا .. نظر اليها "مهند تأمل نظرات عينيها الدامعة المضطربة ووجهها الذي يعلوه التراب المختلط : حاولت تجاوزه فوقف أمامها قائلا .. بدموعها وهو يشعر برجفه في قلبه
ادخلي اغسلي وشك -
"وقفت ساكنه للحظات ثم أومأت برأسها وتوجهت الي المطبخ يتبعها "مهند بإصرار وهو ينظر اليها بتمعن .. وبتلقائية شديدة مدت "سمر" يدها خلف الثلاجة لتفتح محبس المياة ! .. ثم تتوجه الي الحوض وتغسل وجهها .. وقف : مهند" خلفها وهو يقول بصوت عميق كأنه قادم من كهف مظلم"
عرفتي منين ان محبس المية ورا التلاجه؟ -
توقفت عن غسل وجهها وقد تجمدت في مكانها .. وبحركة واحدة اقترب منها وأدارها لينظر الي وجهها الذي تتساقط منه قطرات الماء .. أطبق علي "مهند" : ذراعها بقوة وهو ينظر اليها بعيني صقر قائلا
اتكلمي .. عرفتي منين مكان المحبس -
نظرت اليه "سمر" بنظرة جمعت ما بين البرود و الألم والعتاب .. لهث بشدة وصدره يعلو ويهبط وهو يزيد من ضغط قبضته فوق ذراعها وهو يقول بصرامة :
انتي مين ؟ -
: ثم هتف بغضب

عرفتي منين مكان المحبس .. عرفتي منين الأكل اللي بحبه .. ايه معنى -
الولاعة اللي جبتهالي
: ظلت "سمر" ترمقه في ثبات بنفس النظرات وهي تقول
سيبني -
حاولت أن تفلت ذراعها من قبضة يده الحديدية ففشلت .. حاولت التحرك والابتعاد عنه فلم تستطع .. قال وهو ينظر اليها بنظرات ثاقبه تود النفاذ الي
: أعماقها
جاوبيني علي أسألتي .. كفاية غموض بأه -
: ثم قال بحيرة ممزوجة بالألم
انتي مين ؟ -
: نظرت اليه بتحدي وهي ترفع حاجبيها وتقول بقوة
أنا "سمر" مراة عمك -

****

عقدت "فريدة جبينها بدهشة ممزوجة بالضيق .. بينما نظر "مهند" في مرآة السيارة ليجد نظرة عتاب في عيني "سمر" قبل أن تشيح بوجهها عنه .. ظل محاولا تفسير تصرفاتها ونظراتها الغير مفهومه .. أكثر .. شاردا طوال الطريق ما كاد أن يصيبه بالجنون هو علمها بتفاصيل دقيقة في بيته الذي لم يسكن فيه .. الا مع زوجته "نهلة" .. وانضمت اليهما "فريدة" بضعة أشهر قبل الحادث هذا ما كان يدهشه .. ويشتت تفكيره .. شك بأنها احدي صديقات "نهلة" ولكن ولم .. لم يكن لها صديقات تودهن ويودونها .. ولم تدخل أحدا قط بيت الزوجية تطلع .. يكن لها سوي والدها ووالدتها .. حتي أنها ليس لها اخوة ولا أخوات مرة أخري في السيارة .. الي ملامحها التي يشعر تجاهها بأنها شخص غريب لكن تلك العينان .. لماذا يشعر بهذا الانجذاب وهذا الحنين اليهما .. فجأة .. عنه ..انفرج ما بين شفتيه وهو يتطلع اليها .. لا يحيد بنظره عنها .. عن عينيها وقلبه.. .. التفتت .. فرأت عيناه المصوبة تجاهها في مرآة السيارة .. خفق قلبها وتعالت أصواتهما حتي كاد كل منهما يسمع دقات قلب الآخر .. رأته يلهث .. قالت عيناه كلمة .. فتوترت واضطربت .. .. يتنفس بسرعة .. يركز علي عينيها
: استطاعت ترجمة تلك الكلمة التي نطقت بها عيناه
!عرفتك -

****

قاد "مهند" السيارة بغير هدى وعقله يعمل بلا توقف .. نعم عرفتك .. مهما وضعتي علي وجهك من أقنعه فسيعرفكي قلبي حتما .. استطعتي تغيير كل لكن بقيت عيناكي كما هي ليتعرفها قلبي .. لماذا .. لماذا فعلتي ذلك ..ملامحك لماذا غيرتي ملامحك .. لماذا تركتيني .. لماذا هربتي مني .. لماذا تركتيني .. وكأن شيئا لم ..أتعذب في بعدك .. لماذا .. لماذا عدتي الآن .. تظهرين من العدم يكن .. ما تلك اللعبة التي تلعبيها مع عمي .. لماذا أخفيتم الأمر عني .. من حقي أن أعرف .. نعم من حقي

أوقف "مهند" سيارته علي جانب الطريق وهو يلهث غضبا وقد ازداد انفعاله حتي خشى ألا يستطيع التحكم في مقود السيارة .. أغمض عينيه بألم وهو يقول لماذا تخفين نفسك عني .. لماذا؟ .. أتعاقبينني ؟ .. لست أنا من يحتاج الي .. العقاب .. سكن للحظات شاردا ثم أخذ نفسا عميقا وهو يقول وقد ظهرت ابتسامه : عذبه علي شفتيه

عادت يا بحر .. عادت -

عاد الي الفيلا قرب الفجر ليجد الجميع نيام .. توجه الي غرفته .. الي خزينته .. وأخرج منها القداحة التي أهدته اياها "سمر" .. جلس فراشه ينظر الي لهيبها المشتعل وهو يبتسم

****

.... فريدة" أنا كل ما أشوف "سمر" أحس انها" -

: صمت فحثته قائله

تحس انها ايه ؟ -

: زفر بقوة وهو يقول بعصبيه

مش مهم خلاص .. طلع احساسي غلط .. "فريدة" أنا عايز أسيب الفيلا .. -

علي الأقل مؤقتا .. حاسس اني مخنوق

: نظرت اليه بحزن وقالت

طيب هتروح فين .. وهتقول لعمي ايه -

: قال بضيق

هروح اسكندرية .. هقوله محتاج لأغير جو معتقدش انه هيمانع -

: أومأت برأسها وهي تشجعه قائلا بحماس

ماشي يا "مهند" سافر .. علي الأقل عشان تعيد حساباتك .. واستعيذ بالله -
كتير .. ربنا ينجيك ويعصمك من الفتن
: قال بخفوت
آمين -

****

لما فاقت شافت العصير المدلوق علي هدومها فاتخضت وطلبت مني اني -
يعني أنا متأكده من اللي بقوله .. وهي بخير الحمد لله .. الحمد لله ..أفحصها
انكوا خرجتوها بسرعة قبل ما تتخنق بالدخان
انصرفت الطبيبة وتركت "مهند" الذي يحاول أن يفيق من صدمته .. في تلك
: اللحظة حضر "عدنان" وقال بلهفة
هي فين ؟ -
أشار "مهند" الي الغرفه وهو ينظر الي عمه متفحصا اياه في امعان .. دخل
عدنان" الغرفة فتبعه "مهند" .. رآه وهو يجلس بجوار "سمر" ويمسك يدها "
: ويقول لها
انتي كويسه يا حبيبتي -
: أومأت برأسها وابتسمت بوهن قائله
أيوة الحمد لله -
!وقف "مهند" علي باب الغرفة يرمق كليهما في غضب .. غضب شديد

: ثم صاح فجأة
"سامرين" -
التفتت اليه "سامرين" تنظر اليه بخوف .. بإضطراب .. تزايدت سرعة ضربات
قلبها داخل صدرها حتى كاد أن ينخلع .. كذلك هو .. تسارعت أنفاسه ..
اضطربت نبضات قلبه .. رشقها بعيناه ل ايحيد بنظره عنها .. بدا مضطربا للغاية
"أطرق "عدنان" برأسه وقد أيقن أن لعبته قد انكشفت .. اقترب "مهند ..
: خطوة من الفراش .. وهو لا يزال ينظر اليها قائلاً بصوت أجش
"سامرين" -
رفعت رأسها تنظر اليه مرة أخرى .. أخذت عيناه تجول بوجها ذو الملامح
الغريبة .. الغير مألوفه .. اخذت عيناه تبحث بين تلك الملامح عن ملامح الفتاة
التى أحبها .. ورآها تكبر أمام عيناه .. وتحت جناحه .. لم يجد لها الا أثرا طفيفا
.. أكثره فى عيناها .. اللاتان استطاع قلبه أن يعرفهما رغم اختلاف ما حولهما ..

أطرقت برأسه .. يؤلمها تفرسه فيها .. تفرسها فى ملامحها الجديدة والتى لا دمعت عيناها وتساقطت عبراتهما فى ألم .. تحبها .. لا تحبها لأنه لم يحبها هكذا خفق قلبه بقوة .. ورق لمرآى .. .. حاولت أن توقف بكاء عيناها لم تستطع شعر بغصة فى حلقة .. ..دموعها .. اضطرب بشدة .. وبدت الدموع فى عيينه : عدنان" بهدوء"قال ..وبسخونه فى جسده .. وبالعرق يتصبب من جبينه اقعد يا "مهند" وأنا أحكيلك على كل حاجة -

.. مرت لحظات .. بدا وكأنه لم يستمع الى عمه .. وأخيرا استجاب .. و جلس .. محاولا أن يغض بصره عنها .. مذكرا نفسه بأنها الآن .. امرأة لا تحل له آلمته تلك الحقيقة المرة .. أخذ يستمع الى "عدنان" فى ذهول .. قص عليه "عدنان" كل شئ .. دون أن يتطرق الى خدعة "حمدى" و "فيروز" و "نهلة" "سامرين" و "مهند" .. ترك تلك المهمة ل "سامرين" و "مهند"للإيقاع بين ليكشف كل منهما عن الخداع الذى مورس عليه ليبتعد عن الآخر وهو يظن أنه بالأسى لما أصابها من تلك الحادثة "طعنه فى قلبه وأرداه قتيلاً .. شعر "مهند التى غيرت تلك الملامح التى عشقتها عيناه .. تمتم مستغفرا ربه وهو يحاول أن .. يخرج من قلبه مشاعره تجاهها .. لكن هيهات .. عاد قلبه ينبض من جديد : ولن تستطيع قوة على ايقاف نبضاته .. قال "عدنان" وهو ينقل نظره بينهما

ياريت الموضوع ده يفضل بينا .. لحد ما أعرف مين اللى بيحاول يقتلنى -

: شرد "مهند" قائلا

معقول يفكروا فى موضوع الحجر ده -

: قال "عدنان" بمرارة

الحقد يعمل أكتر من كده .. فى ناس حب المال بيعميها عن أى حاجة تانية .. - حتى عن صلة الرحم وأخوة الدم

رمق "مهند" "سامرين" بنظراته والتى أطرقت برأسها دون أن ترفعه : لتواجهه .. ثم نظر الى عمه بأسى قائلاً

ليه ما قولتليش يا عمى .. ليه خبيت عليا .. حتى انا مكنتش واثق فيا ؟ -

: تنهد "عدنان" وقال

ماقولتلكش لسببين .. السبب الأول انى كنت عارف طبعا انك مستحيل تحاول - تقتلنى .. أنا عارفك وعارف معدنك كويس ومتربي أدام عيني .. بس كنت حابب أشوف هتحبلى الخير ولا لأ .. فرحت جدا لما لقيتك بتحذرنى من انى اتجوزت بنت صغيرة ممكن تكون طمعانه فى فلوسى .. بس فى نفس الوقت خفت تكون بتقول كده عشان خايف على ميراثك منى .. عشان كدة قولتلك ان ثقتى فيك لسه بس الحمد لله اتأكدت ان خوفك عليا وحبك ليا صادق ومخلص زيك ..ما كامله بالظبط

: ثم قال
أما السبب التانى .. هو انى خفت لما تعرف ان "سمر" هى "سامرين" - تتعامل معاها على انها مش من محارمك .. وبالتالى هتكشف نفسك أدام العيلة ويحسوا انها لعبه وانى متجوزتهاش بجد ..
: قال "مهند" بعناد
ودلوقتى ؟ .. ايه اللى المفروض يحصل -
: قال "عدنان" بحزم
لازم أستمر فى اللى بدأته -
صمت "مهند" مطرقا برأسه .. ثم لمعت فى عقله فكرة خبيثة .. يطبق بها على تلك الفتاة الجامحة التى كانت دوما مثل الزئبق كلما حاول الامساك بها انزلقت
: من بين أصابعه .. رفع عيناه يلقى نظره عليها ثم نظر الى عمه بمكر قائلا
زى ما انت قولت يا عمى .. مش هعرف أتعامل مع "سامرين" على انها من - وخاصة دلوقتى بعد ما اتحجبت .. يعني مستحيل هتقدر تعد أدامى ..محارمى وده ممكن يشككهم .. بشعرها
لمعت عينا "عدنان" وهو يتطلع الى "مهند" ويلمح تلك النظرة الخبيثة فى عينيه ويفهم مراده .. فظهرت ابتسامه على شفتيه سرعان ما أخفاها وهو يقول
:
ممم .. طيب والحل -
: "قالت "سامرين" بإباء وهى تنظر الى "عدنان
.. ممكن تطلب من "علاء" انه يكون موجود فى الفليا الفترة الدل جايه - وبكدة هفضل طول الوقت بالحجاب .. وأصلا أنا مبتقابلش مع "مهند" كتير فى الفيلا يعني محدش هيكتشف ان معاملته اتغيرت معايا
: قال "عدنان" بمكر وهو يحك رأسه
.. سامرين" أنا تعبت أوى فى الخطة دى .. ومعنديش استعداد انها تبوظ" - عامة أنا سرعت اللعبة بخبر الحمل .. وده كل حاجة تظهر وتبان .. وكل اللى فى نفسه فى حاجه هيقولها أو هيعملها .. دلوقتى مفيش الا حل واحد عشان الخطة تستمر صح ومنتكشفش
: عقدت جبينها وقالت
ايه هو الحل -
: قال بحزم
لازم انتى و "مهند" تكتبوا الكتاب -
: شهقت "سامرين" قائله
لأ طبعا -

بينما بدت ملامح "مهند" خاليه من أى تعبير وان كان يشكر عمه فى نفسه
: لالتقاطه ما يفكر به عقله .. وما يهواه قلبه .. قال "مهند" ببرود مصطنع
انا شايف برده كده يا عمى .. نكتب الكتاب مؤقتا لحد ما القاتل يتكشف -
: صاحت بحده وهى تنقل بصرها بينهما
لأ طبعا .. مش ممكن أوافق .. الخطة مش هتتكشف ولا حاجة .. و ممكن أوى -
البشمهندس "مهند" يسيب الفيلا زى ما كان عايز يسيبها النهاردة وبكدة
مفيش حاجة هتتكشف
: قال "عدنان" بحزم
.. أنا محتاج "مهند" جمبى اليومين دول .. الله أعلم ايه اللى هيحصل -
وبعدين يا "سامرين" انتى مش هتخسرى حاجة .. مجرد ورقة وبعد ما القاتل
يتكشف ابقوا قطعوها
: "أخذت تحرك قدميها بعصبيه .. فالتفت "عدنان" قائلاً ل "مهند
"روح مع "بشير" دور على مأذون وادينى تليفون وهجيلك انا و "سامرين -
ودور على اتنين يشهدوا على العقد .. بس خلى بالك "بشير" و "دياب" ..
مش عايزهم يحسوا بحاجه
: نهض "مهند" بسرعة وقال
طيب ما أمشيهم أحسن -
: فكر "عدنان" وقال
لأ .. ممكن الىل فى البيت يسألوا ليه مشيناهم .. عايز الأمور طبيعيه .. مش -
عايز أى حد يشك فى أى حاجه
: خرج "مهند" مسرعا بينما التفتت "سامرين" الى خالها قائله بغيظ
أنا موافقتش على اللى هيحصل ده -
: قال "عدنان" مربتا على كفها وهو ينظر الى عينيها بحنان
ادوا لنفسكوا فرصة كل واحد يفهم التانى ويعرف ايه اللى حصل وخلى كل -
واحد منكم يفتكر ان تانى باعه
: قالت "سمر" بألم
مهند" باعنى فعلا .. باعنى واتجوز صحبتى" -
: قبل "عدنان" رأسها قائلاً
متتسرعيش فى حكمك .. هو أكيد عنده كلام كتير نفسه يقولهولك .. لازم -
تتكلموا مع بعض وتشرحوا مشاعركوا لبعض .. اللى فرق بينكوا زمان خلاص
تحت التراب دلوقتى .. اتمسكى بيه يا "سامرين" .. "مهند" راجل .. راجل بجد
ومستحيل تلاقى زيه ..

رنت فى أذنيها كلمات .. "خفق قلبها وهى جالسه أمام المأذون بجوار "عدنان لكنها عندما وافقت .. أن العقد مؤقت يمزقاه متى انتهت اللعبة .. "عدنان" على الزواج وأوكلت "عدنان" وليا لها .. لم تشعر فى قلبها بأى رغبة فى مهند" وقلبها "أو الفكاك من قيده .. رفعت بصرها تنظر الى ..تمزيق العقد ..احبك حتى لو طعنتى بخنجرك .. حتى لو سالت دمائى بين أصابعك .. يهتف لا أملك الا أن أحبك

عندما قال بلسانه .. كلماته الموافقة والقبول .. لم يكن فى قلبه ذرة رغبة فى لن ..تركها تفلت مرة أخرى من بين يديه .. رفع رأسه نظر اليها وقلبه يهتف ! تفلتى من قلعتى هذه المرة .. ستبقى سجينتى الى الأبد

****

: "همس بالقرب من أذن "سمر

هستناكي في أوضتي بعد ما الكل ينام -

: خفق قلبها بقوة وهمست وهي تتطلع الي الجميع بقلق

مش هاجي -

: همس بحزم

هتيجي -

زمت شفتيها بقوة بينما عاد "مهند" الي مكانه وهو يرمقها بنظراته بين الحين والآخر

****

انت اتجننت .. اتفضل اطلع بره .. افرض حد شافك -

فجأة صاحت "سمر" بألم عندما قبض "مهند" بقوة علي شعرها ودفعها الي الخلف ليلتصق ظهرها بالجدار .. أصدرت آهات ألم وهي تحاول الفكاك من : قبضة يده وهي تهتف

مهند" انت اتجننت .. سيب شعري" -

سحب شعرها للخلف فاضطرت أن ترفع رأسها فالتقت عيناها بعينيه التي تشع : غضبا وسمعته بقول بغضب شديد وهو يزيد من ضم قبضة يده علي شعرها

فرحانه بيه وبجسمك وعاملالي عرض أزياء من أول ما جيتي ؟ .. عارفه أنا - عايز أعمل فيكي ايه دلوقتي .. أديكي كام قلم علي وشك أطفي بيهم النار اللي جوايا

هتفت بغضب وهي تحاول من جديد أن تفلت شعرها من بين أصابعه المتشبثة : بها بقوة

سيب شعري .. انت ملكش حكم عليا .. ملكش دعوة أبين شعري ولا مبينوش - .. ألبس متغطي ولا عريان .. أنا حرة .. آآآآآه

أطلقت صرخة ألم أخري عندما اشتدت قبضته علي شعرها حتي تمزقت شعرتين أو ثلاث بين أصابعه وهو يقول بغضب شديد:

- قسما بالله لو شوفتك من غير حجاب تاني ولا شوفتك لابسه حاجه تبين مللي واحد من جسمك لهديكي حتت علقة .. وأدامهم كلهم ولا هيهمني

علي الرغم من قسوة قبضته علي شعرها وما تشعر به من ألم الا أنها لم تستطع أن تمنع شعور السعادة الذي تسرب اليها وجعل قلبها يخفق بقوة .. لكنها أخفته بداخلها وهي ترسم تعبيرات غاضبة علي وجهها قائله بحده :

- ممكن تسيبني بأه

ترك "مهند" شعرها فأعادت جمع الخصلات المشعثة وهي تتطلع الي عيني "مهند" التي تحولت من الغضب الي الحنان في لمح البصر .. أخفضت بصرها لا تقوي علي مواجهة نظراته التي تتأمل في ملامحها بإمعان خشية أن يفضحها وجهها معلنا عما يعتمل في داخلها من أحاسيس .. سمعته يهمس متنهدا :

- هحتاج فترة عشان أتعود علي شكلك الجديد

رفعت رأسها قائله بكبرياء :

- تتعود أو متتعودش دي حاجة متهمنيش

لكن كبريائها تحطم ومقاومتها تلاشت عندما رفع كفه يمرره علي وجنتها بحنان وهو يحتضنها بعينيه .. اضطربت "سمر" .. ثم .. لاحت في عينيها العبرات تصرخ معلنة عن ألم يشعل النيران داخل صدرها .. همس "مهند" بحنان وهو يمسح بأصابعه احدي العبرات الهاربه من عينيها :

- متعيطيش .. عشان خاطري متعيطيش

اضطرب تنفسها وتسارع وهي تنظر اليه برجاء هاتفه بألم :

- اخرج .. أرجوك اخرج

أطرقت برأسها .. فما كان من "مهند" الا أن أومأ برأسه بهدوء ثم غادر الغرفة في صمت وامارات الأسى علي محياه

****

- أنا عرفت كل حاجة

توترت "سمر" وقالت :

- عرفت ايه

قال "مهند" والغضب علي محياه :

- الدكتوره قالتلي انك لما فوقتي اتخضيتي لما شوفتي العصير اللي كان علي هدومك وطلبتي منها تفحصك

بلعت "سمر" ريقها بصعوبة وقد احمرت وجنتاها خجلا وغضبا في نفس الوقت .. فأكمل "مهند" بغضب :

- اتكلمي .. عايز أفهم .. ليه عملتي كده .. انطقي ليه عملتي كده .. كان كتب كتاب بس مش كده ؟ .. ولا مكتبتوش الكتاب اصلا ؟ .. انطقي

هتفت بغضب :

- "مهند" ابعد عني .. أنا معنديش استعداد أفهمك أي حاجه أو أشرحلك أي حاجه

نزعت ذراعها من يده وسارت متوجهة الي باب المرسم لكن قبل أن تصل اليه أمسكها "مهند" مرة أخري وأدارها تجاهه .. وقبل أن تعي ما يحدث وجدته يحيط جسدها بذراعه يضمها اليه بشده .. بشوق .. بحنان .. سكنت فجأة .. لحظات بدت كسنوات خفق خلالها قلبها بقوة وأغمضت عيناها .. همس في أذنها بعذوبه :

- يااااه .. أخيرا

تنهد بقوة ثم أبعدها قليلا ينظر الي أعماق عينيها هامسا :

- بحبك

خفق قلبها بشدة واضطرب تنفسها .. حاولت أن تبعده عنها لكنه كان مطبقا عليها بقوة .. نظرت اليه وقالت وهي تحاول أن تتصنع البرود :

- وأنا مش حسه بأي حاجه نحيتك

قال بحنان وهو يغوص بنظراته في عيناها :

- كدابه .. عنيكي بتقول غير كده .. عنيكي بتصرخ وتقول أنا كمان بحبك يا "مهند"

لمعت العبرات في عيناها وهي تهتف بألم:

-لو عنيا قالت كدة هغمضهم ..مش هفتحهم أبدا .. هغيرهم زي ما غيرت وشي

نظر اليها "مهند" هاتفا بأسي بصوت متهدج:

-الخنجر اللي اتكلمتي عنه في خاطرتك خنجرك انتي .. واللي علي الخنجر ده دمي أنا

قالت بتهكم ممزوج بالغضب:

-بتحاول تخدع نفسك ولا تخدعني ؟

أطرقت برأسها فوقعت عيناها علي فراغ البدلة مكان ذراعه الأيسر المبتور .. ازداد لمعان عينيها .. ودون تفكير .. رفعت كفها تتحسس ذلك الفراغ بطول ذراعه من أعلي الي أسفل والعبرات تتساقط فوق وجنتيها علي وجهها الذي ينطق ألما .. نظر "مهند" الي كفها الذي يرتعش متحسسا ذراع البدلة الفارغ ثم

نظر اليها يضمها اليه بشدة .. ما ان لامس وجهها صدره حتي انفجرت في البكاء .. بدت وكأنها تحبس بداخلها بركانا تفجر فجأه لا تريد حممه أن تهدأ .. مسح "مهند" بيده علي ظهرها وقبل رأسها وهو يقول بحنان بالغ متأثرا لبكائها :

-حبيبتي أنا كويس .. صدقيني كويس .. وراضي باللي ربنا اختارهولي .. حالي أحسن من حال شباب كتير اصاباتهم كانت أكبر .. الحمد لله علي كل حال

رفعت وجهها المبلل العبرات وهي تنظر اليه هامسه:

-انت جميل أوي .. و قوي أوي .. ياريتني كنت قوية زيك

مسح عبراتها بأطراف أصابعه وهو يقول برقه:

-الحمد لله ان ربنا شافاكي .. الست ردتلي الجميل بأحسن حاجه ممكن أي حد في الدنيا يقدمهالي

نظر الي ذراعها الذي عاد كليا الي طبيعته .. متحسسا اياه .. ثم نظر اليها متطلعا الي تلك العينان التي لطالما رآهما تتطلعان الي .. بحب .. وعشق ..تحسس وجنتها بأنامله قبل أن ينحني ليطبع قبل رقيقه علي شفتيها دون مقاومة منها وعلي مقربة منهما شهقت "يسرية" التي كانت تصورهما بهاتفها .. وقفت للحظات أخري فرأتهما يتحدثان قليلا وتنظر "سمر" الي ساعتها ثم يستعدان لمغادة المرسم .. أسرعت وتوجهت الي داخل الفيلا وهي تقبض علي هاتفها وكلها عزم واصرار علي فضح .. "مهند" .. و .. "سمر! "

توجهت الي غرفة المعيشة حيث اجتمعت العائلة بأسرها وصاحت بقوة:

-شوفت "مهند" بيبوس "سمر" في المرسم

بدا وكأن صاعقة ضربت في المكان ونزلت فوق رؤسهم!

الفصل التاسع والعشرون ((والأخيــر))

سكتوا كأن علي رؤسهم الطير .. يحاول كل منهم استيعاب الحقيقة التى شرحها "عدنان" والتي زلزلت كيانهم ..أول من فاقت من صدمتها هي "فريدة" التي عانقت "سامرين" بقوة قائله:

-يااه .. مش قادرة أصدق .. انتي "سامرين"

ابتعدت عنها لتنظر الي وجهها قائله:

-العمليات اللي عملتيها غيرتك أوي .. صحيح مشفتكيش من زمان .. بس شكلك مختلف أوي عن "سامرين" اللي في خيالي

ابتسمت "سامرين" بوهن .. اقتربت منها "انعام" معانقة اياها وهي تقول بحنان:

-بنت أختي....

ثم ضحكت قائله وهي تنظر اليها:

-وأنا اللي كنت فاكراكي مراة أخويا طلعتي بنت أختي

اتسعت ابتسامة "سامرين" وهي تنظر اليها قائله:

-وحشتيني أوي يا خالتو

قالت "انعام" بتأثر:

-انتي كمان وحشتيني أوي .. للأسف كلنا كنا بعاد عن بعض لدرجة ان محدش فينا يعرف أخبار التاني

تنهدت في خسرة وهي ترمق عائلتها بنظراتها وتقول:

-ياريتنا كنا سند لبعض .. وحمى لبعض وقت الشدة

قاطعها صوت سرينة سيارة الشرطة فاندفع "عدنان" الي الخارج وكأنه كان يتوقع تلك الزيارة .. خرج من الفيلا ليجد "عادل" متوجها ومعه اثنان من الحرس الي جراج الفيلا .. فاندفع "عدنان" من خلفه وعلي أثره "مهند" و "سامرين" .. وقف "عادل" في منتصف الجراج ومن خلفه الجميع تتسع أعينهم في دهشة .. قال "عادل" بتهكم :

-كنت عارف انك هتيجي تدوري علي الورقة في الجراج

صرخ "عدنان" قائلا:

-انتي ؟ .. ازاي .. مش فاهم حاجه

هتفت "سامرين" بدهشة:

-بتعملي ايه هنا يا "فيروز" ؟

-وقفت "فيروز" مرتبكة وهي تقول:

-عادي يعني هكون بعمل ايه .. بركن العربية

قال "عادل" بسخرية:

-الجراج متركب فيه كاميرات مراقبة من ساعة ما قولت عن موضوع الورقه اللي القاتل سابها .. وواضح في الكاميرات انك مكنتيش بتركني العربية بس .. لا كنتي بتدوري علي حاجة في كل شبر من الجراج

قالت"فيروز" بتوتر شديد:

-كان فعلا في حاجه وقعت مني وبدور عليها .. فيها ايه دي
قال "عادل" بحزم:
-خلاص يا "فيروز" لعبتك اتكشفت والبنت اعترفت بكل حاجه
امتقع وجه "فيروز" وهي تهتف:
-كدابه .. البنت دي كدابه
قال بسخريه:
-وعرفتي منين انها كدابه .. مش تعرفي الأول هي قالت ايه
هتف "عدنان" بعدما تجمعت العائلة في الجراج يروون فضولهم مما يحدث ..
فقال "عادل" وهو ينظر الي "عدنان: "
-الشخص اللي استخدم القاتل اللي قتل الحارس لما اكتشفوه وهو خارج من الجراج .. يبقي مدام "فيروز"
هتفت "سامرين" بدهشة:
-ازاي .. ليه تعمل كدة
قال "عادل" بثقه وهو ينظر الي "فيروز" بتشفي:
-مدام "فيروز" حبت تنتقم وتوقع العيلة في بعضها .. خاصة لما عرفت ان كان في محاولة قتل وهي في تركيا قبل ما تيجي مصر وبكدة الشبهات هتكون بعيد عنها تماما .. هدفها مكنش القتل .. هدفها كان ان الشخص اللي استخدمته يضرب كام طلقه في الهوا .. أو يعمل أي حاجة تدل علي انه جاي يقتل "عدنان" بيه .. عشان شكوكه تزيد حولين اخواته أكتر وبكدة تنتقم منه لانه طردها من بيته ومن حياته .. ثم التفت قائلا:
-مش كده برده يا مدام "فيروز" ؟
قالت وهي ممتقعة الوجه:
-كدب كل ده كدب .. معنكش أي دليل
قال بثبات:
-وجودك هنا والكاميرات بتصورك وانتي بتفتشي في كل حته في الجراج ده دليل قوي .. ده غير طبعا شهادة القاتل لما فاق تماما من الغيبوبة
قالت باضطراب شديد وبعصبية:
-حتي لو ده حصل .. أنا مليش ذنب انه كان غبي وقتل الحارس .. أنا قولتله يخوفهم بس .. ما قولتلوش يقتل حد ..أنا مليش دعوة بجرية القتل

صفق "عادل" بيديه ثم نظر الي احدي الكاميرات المثبته في زاوية الجراج ولوح أمامها ثم نظر الي "فيروز" قائلا منتشيا:
-وبكده نبقي خدنا من حضرتك اعتراف صوت وصورة .. علي فكرة القاتل مات من يومها ومدخلش غيبوبة أصلا
اختفت الدماء من وجهها وقفزت العبرات الي عينيها ورجال الشرطة يسحبونها وهي تقاومهم صارخة الى أن تغلبوا عليها وكبلوا أيديها بالأصفاد وسحبوها خارج الجراج .. تمتمت "سامرين" بخفوت:
-اللهم لا شماته
نظر الجميع الي بعضهم البعض في دهشه عندما قال "عادل: "
-نحل بأه اللغز التاني .. اللي هو لغز الحريقه
التفت ينظر الي "فريدة" وبدا وكأن كل منهما يفهم الآخر .. ثم قال ل "سامرين:"
-الحريقة مكنش مقصود بيها أذيتك ولا أذية "عدنان" بيه .. الحريقه كان مقصود بيها أذية شخص تالت
قالت "سامرين" بإستغراب:
-ازاي مقصود بيها أذية شخص تالت .. محدش بيدخل الأوضة الا أنا وخالو
قال "عادل" علي الفور:
-المفتاح مع ٣ أشخاص .. انتي و "عدنان" بيه
ثم نظر الي "لميس" الواقفه خلف الجميع وقال:
-و مدام "لميس"
وضعت "لميس" كفها على صدرها وصاحت بهلع:
-والله ما أنا .. أنا ليه هأذيهم
هتفت "كوثر" فجأة:
-لحظة .. لحظة .. "سامرين" قالت خالو .. وحضرة الظابط معلقش .. ده معناه ايه
ابتسم "عادل" قائلا:
-معناه اني كنت عارف ان "سامرين" هي بنت أخت "عدنان" بيه .. بس أوهمتكوا اني كشفت علي القسيمة عشان محدش يشك قي جوازهم .. لان كان همنا اننا نوصل للقاتل الحقيقي

هتفت "الميس" مرة أخري:
-مش أنا .. والله مش أنا
قال "عادل" بهدوء:
-عارف
قال "مهند" بدهشة:
-مش فاهم أمال مين اللي عمل الحريقة ؟
قال "عادل" وهو ينظر الي "مهند: "
-هو نفس الشخص اللي حط المسدس في أوضتك عشان يوهمنا ان انت القاتل
ازدادت دهشة "مهند" .. ونظر الجميع الي بعضهم البعض في شك .. شخص واحد وقف متقطع الأنفاس .. متوتر ..يحاول التظاهر بالثبات .. التفت "عادل" مشيرا الي ذلك الشخص قائلا :
-مدام "يسرية"
تجمدت في مكانها وقد أخذ قلبها يطرق علي باب صدرها بجنون .. هتف "حسني: "
-ازاي يعني .. انت بتقول ايه .. "يسرية" معهاش مفتاح أوضة "عدنان" و لا عمرها دخلت أوضة "مهند"
قال "علاء" موافقا:
-بالظبط كده .. لا عمرها دخلت أوضة "عدنان" ولا أوضة "مهند"
هتف "حسني: "
-أمال ازاي عملت الحريقة وخبت المسدس
قال بثقه:
-زي ما عملت مدام "فيروز" بالظبط .. استعانت بشخص تاني
ثم قال بحزم:
-خدامة "سامرين"
شهقت "سامرين" واضعة كفها فوق فمها وهي تقول:
-ازاي دي بنت طيبة .. ابه اللي يخليها تأذيني
قال "عادل: "
-قولتلك مكنش قصدها تأذيكي ..كان قصدها تأذي مدام "المبس" لان محدش غيرها معاه مفتاح الأوضة وكل الشكوك هتتجه ناحيتها لانه هيكون التفسير

المنطقي الوحيد لدخول المجرم الاوضه .. وعشان كدة الحريقه كانت في البلكونه مش في الأوضة نفسها .. عشان يقدر الحرس اللي علي البوابة بشوفوها وبطفوها قبل ما تمتد لجوه الأوضة وده اللي حصل فعلا ..بس خطة مدام "يسرية" فشلت لما "عدنان "بيه رفض بشدة و بإصرار انه يوجه الاتهام لمدام "لميس" وبكده مقدرناش نتهمها بحاجه

هتف "عدنان" وهو يتطلع الي "يسرية" بقسوة:

-خاينة.. خاينة .. والله ما أنا عاتقك .. ليه كنتي عايزه تأذيها .. مش كفاية اللي حصلها بسببكوا

أجهشت "لميس" في البكاء وعيناها تترجان "عدنان" ألا يقوم بهتك سترها والبوح بالسر الدفين .. فامتثل لرجاء عينيها وصمت .. فأكمل "عادل: "

-اللي فهمته من الآنسه "فريدة" هو وجود عداوة بين مدام "يسرية" و مدام "لميس" وده اللي خلانا نشك ان مدام "يسرية" ليها يد في الموضوع .. استدعينا خدامة "سامرين "واستجوبناها .. وتحت ضغط شديد مننا انهارت واعترفت بكل حاجه .. اعترفت ان مدام "يسرية" ادتها فلوس مقابل انها تحط منوم لمدام "لميس" في الشاي اللي متعودين يشربوه بعد الغدا ..تمام زي ما "سامرين "متعودة تطلب عصير بعد الغدا .. بعد ما حطت المنوم في شاي مدام "لميس" خدت منها المفتاح اللي دايما بتشوفها حطاه في جيبها .. ادت العصير ل "سامرين "اللي برده كان فيه منوم .. وخرجت من الاوضه بعد ما "سامرين" أقلت وراها بالمفتاح ..ولما سمعتها بتقع علي الارض عرفت ان المنوم بدأ مفعوله ..دخلت بمفتاح مدام "لميس "وولعت في ستارة البلكونه الخارجية اللي سهل ان الحراس يشوفوها من علي البوابه .. وخرجت وأقلت وراها بالمفتاح

ساد الصمت للحظات .. ثم أكمل:

-كان هدفها انها تخلي "عدنان" بيه يشك في مدام "لميس" انها ورا قتله ويسجنها أو في أفضل الظروف يطردها .. بس "عدنان" بيه كانت ثقته في مدام "لميس" كبيره

تنهد "مهند" بأسي وهو يقول ناظرا اليها:

-طيب وأنا .. أنا أذيتك في ايه عشان تأذيني كده

قالت بحقد دفين:

-من يوم ما جيت القاهرة و "عدنان" مخليك الكل في الكل أكن محدش بيشتغل

في الشركة غيرك .. كان لازم أدافع عن حق ولادي
أجهشت "نهال" في البكاء وهي تنظر الي والدتها بعتاب شديد .. غادرت الجراج مسرعة وهي تبكي فلحقتها "لميس" الي غرفتها وعانقتها لتحاول التخفيف من مصابها

ساد الصمت طويلا .. والوجوه يعلوها الرجوم بعدما سيقت "يسرية" الي قسم الشرطة يصاحبها "نهاد" الذي رفض تركها بمفردها في هذه الظروف .. هتف "عادل "بمرح وقد استمتع بدور كاشف الألغاز:
-نيجي بأه لأكبر قطعة ناقصة في البازل .. مين اللي قتل الجنايني ؟!
هتف "عدنان" بحنق شديد:
-متقولش ان لسه في خونه وسطنا .. كفايه عليا اللي اكتشفتهم
ابتسم "عادل" قائلا:
-للأسف لسه في خاين أخير
نظر "حسني" و "علاء" و "كوثر" الي بعضهم البعض في توتر .. فأكمل "عادل" كأنه يقص حدوته:
-الحكاية بدأت بقتل الجنايني اللي كلنا ظنينا انه اتقتل غلط واللي مقصود بالقتل هو "عدنان" بيه
هتف "عدنان" بدهشة:
-أمال مين اللي كان مقصود .. وازاي القاتل دخل الفيلا وازاي خرج
حانت من "عادل" التفاته الي "فريدة" وابتسم لها .. ثم نظر الي "عدنان" قائلا:
-القاتل كان أدامك طول الوقت .. دخل أدام عنيك وخرج أدام عنيك وفضل واقف أدامك بكل قوة وجبروت
أكمل تحت عيونهم المندهشة:
-المعطيات اللي عندنا بتقول ان القاتل شخص محترف .. صوب مباشرة في اتجاه القلب .. مستحيل شخص أول مرة يشيل سلاح ويقدر بالدقة الشديدة دي ومن طلقة واحدة انه يصيب هدفه ..لاننا ملقيناش الا فارغ واحد لرصاصة واحدة .. وكمان أجهزة الانذار كانت علي السور واللي مكنش حد يعرف عنها أي حاجه الا "مهند"

هتفت "سامرين" بحدة:
-لا مش "مهند" .. مش هو اللي قتل
نظر اليها "مهند" نظرة جعلت قدماها تصطكان ببعضهما البعض وقلبها يرتجف بقوة .. فأشاحت بوجهها المضطرب عنه .. بينما أكمل "عادل" قائلا:
-وكمان احنا لما جينا فتشنا كل حاجة .. الفيلا والمرسم والجنينة حتي العربيات .. ومع ذلك ملقتاش القاتل لانه بمنتهي البساطة كان واقف وسطنا طول الوقت
هتف "علاء" بعصبية:
-قصدك ايه .. أنا الوحيد اللي بعرف أشيل سلاح .. معني كدة انك بتتهمني بالقتل
هز "عادل" رأسه نفيا وقال:
-لا مش انت يا "علاء"
هتف حسني" بعصبية:
-أمال مين .. مفضلش غيري أنا و "كوثر" و "انعام" و "نهاد" و "نهال"
قبل أن يفتح "عادل" فمه ليخبرهم بإسم القاتل هتفت "فريدة" بدهاء:
-حاميها حراميها!
ابتسم "عادل" وهو بنظر اليها معجبا بذكائها وهو يقول:
-بالظبط كده .. حاميها حراميها
ثم نظر الي "عدنان" وفجر قنبلته قائلا:
-قاتل الجانيني هو......
صمتت للحظات ثم قال:
-الحارس اللي مات
هتف "مهند" بدهشة:
-نعم ! .. الحارس اللي مات ! .. ليه وازاي ؟!
قال "عادل" شارحا:
-طبعا كان بعيد تماما عن الشبهات .. لكن "دياب" الحراس اللي اتجوز بنت الجنايني اللي مات جالي النهارده القسم وقالي معلومة خطيرة جدا عرفها من مراته .. عرف منها ان عم "مرزوق" أبوها رجع في يوم من الشغل وهو مضايق وقالها انه شاف حد من الفيلا وهو بيقطع الكهربا عنها
قال "مهند" شاردا:

-يوم ما الحرامي نط علي السور
قال "عادل" بحزم:
-مفيش حرامي ولا حاجه دي لعبة ألفها الحارس عشان يوهمكوا ان في حرامي بيحاول يدخل الفيلا عشان يبعد الشبهات عنه وبدخل الفيلا وياخد اللي هو عايزه .. يوميها قطع الكهربا عن الفيلا وضرب كام طلقه في الهوا وقال ل "دياب" بدخل يطمنهم وأوهمه انه هيجري ورا الحرامي .. بس حظه ان الجنايني شافه وهو بيقطع الكهربا .. وأكيد في حوار دار بينهم وقتها .. لكن الجنايني حس بالتعب فجأة ورجع البيت وقال ل "دعاء" بنته انه شاف حد من الفيلا بيقطع الكهربا عنها .. وقالت انه حاول يتصل ب "عدنان" بيه يومها لكن مردش .. من انفعاله دخل في غيبوبة سكر ..والضغط علي عليه .. فضل علي الحال ده أيام ولما فاق قال لبنته انه هيروح يشتكي الحارس ل "عدنان" بيه .. أول ما وصل الفيلا الحارس شافه ..وفهم انه هيبلغ عنه .. مشي وراه .. ولما جه الجنايني يكلم "عدنان "بيه لقاه مشغول في مكالمة التليفون وقاله ياخد اللوحة من المرسم ويطلعها الفيلا .. مخدش باله من الحارس اللي مشي وراه لحد المرسم وطلع سلاح تاني كان معاه .. شكله كان عامل حسابه انه يستخدمه لو الجنايني أصر انه يبلغ عنه "عدنان" بيه .. وده الي حصل وضربه الطلقة وبإحتراف شديد ..وفضل طول الوقت واقف أدامنا وبيساعدنا في التفتيش عن القاتل!
صمت قليلا يأخذ نفسه ثم قال:
-ولأن اللي بدر لتفكيرنا كلنا ان "عدنان" بيه هو المقصود بالقتل خاصة بعد الحادثة الوهمية بالتهجم علي الفيلا .. محدش شك ان الجنابني هو المقصود .. حتي بنته مشكتش وعشان كده ما جاش في بالها تبلغنا بحاجه زي كدة .. لكن "دياب "لما عرف منها الكلام ده .. ربط انه يومها مشفش الحرامي بنفسه .. الحارس قاله ان هو اللي شافه ..ف "دياب" شك ..طالما الجنايني شافه وهو بيقطع النور عن الفيلا .. يبقي أكيد مكنش في حرامي ولا حاجة وكانت تمثيليه من الحارس عشان يبعد الشبهات عنه لما ييجي يتهجم علي الفيلا بنفسه .. وجه "دياب "بلغنا علي طول
قال "عدنان" بإستغراب ووجهه يعلوه الوجوم:
-وايه يخلي الحارس يعمل حاجه زي كده ؟

قال "عادل" وهو يمط شفتيه:
-حاجه من اتنين .. يا اما كان هدفه انه يسرق فلوس من الخزنه .. يا يسرق منها ورق ويبيعه لأحد منافسينك .. طبعا بعد ما "دياب" بلغنا فتشنا مكان سكنه .. ومن حسن حظنا ان أهله مكانوش فرطوا في حاجته .. ولقينا في هدومه مسدس من نفس النوع اللي اضربت منه الطلقه .. ده غير اننا لقينا المسدس متعمر وناقص منه طلقه واحده بس

****

تجمعوا في غرفة المعيشة بعد رحيل الشرطة وكل منهما غارق في النكبة التي أصابتهم .. نهض "حسني "وكاد أن يتوجه الي قسم الشرطة من أجل "يسرية " ..لكنه التفت قبل أن يغادر ووقف أمام "عدنان" قائلا:
-شكيت فينا كلنا .. اننا ممكن نفكر نقتلك .. صحيح احنا اتصرفنا تصرفات كتير غلط .. بس متوصلش للقتل يا "عدنان "
قالت "كوثر" بأسي:
-فعلا كان معاك حق تشك فينا ..لان بابا الله يسامحه بدل ما يعلمنا ازاي نحب بعض ونخاف علي بعض ..علمنا ازاي نحسد بعض ونحقد علي بعض
ثم قالت بعتاب:
-بس متوصلش للقتل يا "عدنان"
تنهد "عدنان" قائلا وهو ينظر الي "حسني: "
-اوعي تفتكر يا "حسني" اني نايم علي وداني ومعرفش الصفقات اللي بتعملها باسم شركتنا مع الشركة التركية بدن ما يدخل مكسبها في الحسابات أو تتثبت علي ورق .. واوعوا تفتكروا اني معرفش بقضية الحجر اللي كنتوا بتخططوا انكوا ترفعوها عليا .. كان لازم أعمل كده عشان أمنعكوا .. وعشان أعرف المخلص من الخاين .. حبيبي من عدوي
أطرق "حسني" برأسه خجلا .. فقال "عدنان" بحزم:
-أنا مغلطتش في حق واحد فيكوا .. ليه تعملوا فيا كدة
تحدث "مهند" قائلا:

-اسمحلي يا عمي .. حضرتك غلطت .. وغلطت غلط كبير أول
نظر اليه "عدنان" بإستغراب فأكمل "مهند" بأسى:
-غلطت لما طاوعت جدي في اللي عمله وحرمت كل واحد في اخواتك من ميراثه .. حتي لو كان جدي ظلم ولاده ..انت بموافقتك ورضاك ساعدته في ظلمه ده .. وظلمتهم زيه بالظبط
ثم قال:
-اوعي تفتكرني بقول الكلام ده عشاني أو عشان "فريدة" و "سامرين .. "لا احنا التلاته شرعا ملناش ميراث لان والدي وأم "سامرين" اتوفوا قبل ما جدي يموت .. لينا بس وصية واجبة فرضها القانون .. بس أنا برده مش بتكلم عشان الوصية الواجبة .. أنا بتكلم عشان عمي "حسني" وعمتي "كوثر" و عمتي "انعام .. "حرمتهم من ميراثهم الشرعي اللي ربنا أمر بيه .. اذا كان جدي زرع الحقد والحسد فانت سقيته وكبرته يا عمي
أطرق "عدنان" برأسه وهو يتنهد بقوة مستشعرا بخطأه .. فقال "مهند" بحزم :
-مينفعش تنتظر من اخواتك الحب والود والرحمة وانت مانع عنهم حقهم .. مينفعش تزرع شوك وتنتظر نبته طيبه .. محدش بيحصد الا الحاجة اللي زرعها ..قدم الخير تلاقي الخير ..ابدأ بالحب والعدل وهتلاقيهم حواليك .. حواليك مش عشان فلوسك .. لا ..حواليك عشان بيحبوك .. عشان صلة الرحم اللي بينك وبينهم

تقدم "حسني" ووقف أمام "عدنان" تماما وفي غفله منه أمسك برأسه وقبلها قائلا:
-سامحني يا "عدنان" .. سامحني علي كل اساءة عملتها أو فكرت أعملها في حقك
اغرورقت عينا "عدنان" بالعبرات وهو يمرر عينيه علي وجوه اخوته ويقول:
-انتوا اللي تسمحوني اني حرمتكوا من حقوقكوا .. لكن كل ده هيتصلح ان شاء الله
ثم نظر الي "مهند" وعانقه قائلا بألم:
-سامحني يا "مهند" كل اللي حصلك انت و "سامرين" كان بسببي .. لو كنت

اديت لكل واحد حقه كنتوا قدرتوا تجهزوا شقتكوا وتتجوزوا
انسابت العبرات بمرارة علي وجنتي "سامرين" فاقترب منها "عدنان" معانقا اياها مقبلا رأسها هامسا:

-سامحيني يا بنت أختي

****

رفع "دياب" طرحة عروسه وهو يقبل جبينها قائلا:

-مبروك يا حبيبتي

ابتسمت له "دعاء" وقالت بخفوت:

-الله يبارك فيه

دخلت غرفة النوم تبدل فستانها .. أخذ "دياب" يجول بعيناه في منزلها قديم الأثاث والذي لم يستطع تجديد أثاثه .. تنهد بأسي وهو يدعو الله أن يرزقه ويوسع في رزقه ليعوض "دعاء" عن ظروفه التي منعته حتي من شراء شبكة لها .. خرجت "دعاء" وهو تشد المئزر عاي جسدها وتنظر اليه بتوتر .. دق الباب فنظر الاثنان الي بعضهما البعض بدهشه .. فمن ذا الذي يزورهم في هذا اليوم .. وهذا الوقت ..أشار ل "دعاء" بدخول الغرفة .. سقط قلبه أرضا وهو يري "سحر "حاملة طفلتهما الباكية وتقتحم البيت عنوة .. تراجع الي الوراء بدهشة .. خرجت "دعاء" بعدما سمعت صوت بكاء الصغيرة .. وصوت "سحر" وهي تقول بتهكم:

-مبروك يا عريس

نظرت بإحتقال الي "دعاء" من رأسها الي أخمص قدميها وهي تقول:

-بأه هي دي بأه اللي رايح تتجوزها .. يا راجل مش كنتي تنقي حاجه أنضف من كده

لم تستطع "دعاء" تحمل المزيد من كلماتها الجارحة فدخلت غرفتها وأغلقت الباب وجلست علي الفراش باكية ..أمسكها "دياب" من ذراعها بقوة ورفع كفه عاليا وهو يصيح:

-والله لو ما مشيتي لأكون رنك حتت علقه لحد ما يبانلك صاحب

قالت "سحر" بتهكم وهي تلقي بالطفله بين ذراعيه:

-ماشيه يا أخويا متقلقش .. بس خد بنتك بأه .. تتربي في عزكوا
قالت ذلك ثم خرجت وهي تغلق الباب خلفها بعنف .. نظر "دياب" الي ابنته الباكية والتي تنفذ منها رائحة كريهة مع ابتلال ملابسها .. تمتم قائلا:
-حسبي الله ونعم الوكيل
دخل الغرفة ليجد "دعاء" جالسه تكفكف دمعها وتنظر بدهشة الي الطفله ..
تقدم خطوات ونظر اليها بأسي وهو يقول بصوت مختنق:
-أنا آسف يا "دعاء" .. بجد آسف
نهضت من فوق الفراش وقالت بدهشة:
-هي سابتها ومشت ؟
أومأ برأسه وهو يتنهد بقوة .. صمت قليلا ثم قال:
-هروح أوديها لأمي مش هتأخر عليكي
قالت وهو تتأمل الطفله التي زحف النوم والتعب الي جفونها:
-بس مامتك ست كبيرة ومريضة مش هتعرف تخلي بالها منها
نظر "دياب" الي طفلته بحيرة وألم وقد لمعت العبرات في عينيه وهو يقبلها ويمسح علي ظهرها .. خفق قلب "دعاء" بقوة وهي تتطلع اليه وابتسمت قائله :
-انت حنين أوي يا "دياب"
التفت ينظر اليها .. أراد الابتسام ولكنه لم يستطع فعقله كان منشغلا بتلك الصغيرة التي بين يديه ..أين يتركها في هذا الوقت .. اقتربت "دعاء" من الصغيرة ربتت علي ظهرها ..حاولت حملها .. لكن "دياب" أشار الي ملابسها المبللة بأسي وهو يقول:
-هتوسخ هدومك
لم تعبأ "دعاء" وحملت الصغيرة بين ذراعيها .. عادت الصغيرة الي الصراخ فقالت "دعاء: "
-أكيد مضايقه من هدومها .. وممكن كمان تكون جعانه
وقف "دياب" حائرا .. فتوجهت الي احدي الغرف وتركت الصغيرة فوق فراش صغير وبحثت في الخزانه عاليا حتي أتت ببعض الملابس التي تبدو بأنها مناسبة لها ..بدأت مهمتها في تحميم الصغيرة وتبديل ملابسها بأخري نظيفه .. طلبت من "دياب" التوجه الي الصيدلية ويأتي بطعام مخصص للأطفال في سنها

.. فعل .. وعندما عاد وجد ابنته قد سكنت بين ذراعي "دعاء" وهي تنشد لها .. انتهت من اطعامها ووضعتها علي الفراش وظلت بجوارها بعض الوقت الي أن نامت .. خرجت من الغرفة بهدوء .. فنهض "دياب" الذي بدل ملابسه واقترب منها معانقا اياها وهو يقول:

-معلش .. حقك عليا

ابتسمت وهي تقول:

-مفيش مشكله .. حصل خير

فما كان منه الا أن أمسك بيديها مقبلا اياهما ومقبلا جبينها فقالت بخجل:

" -دياب" خلاص مفيش حاجة

زفر بقوة وهو يقول بحنق:

-مكنتش متخيل انها ممكن تعمل حركة تيييييييييت زي دي

قالت بهدوء:

-خلاص ربنا يسمحها ويديها علي أد نيتها

نظر اليها بشغف قائلا:

-عارفه يا "دعاء" أنا حاسس انك نعمة كبيرة ربنا رزقني بيها .. وأوعدك اني هحافظ عليكي وهعاملك بما يرضي الله

عانقها بقوة يرويان سويا عواطفهما التي وهبها كل منهما طوعا للآخر

****

عاد "نهاد" الي بيته صباحا بعد أن خارت قواه .. ألقي بنفسه فوق الأريكة وهو يطلق زفرات حارة تجثم فوق صدره .. انتفض عندما رأى "بيسان" تخرج من غرفة النوم .. اعتدل في جلسته وهو ينظر اليها وهي تتقدم منه وتجلس علي الأريكة تاركة مسافة بينهما .. قالت:

-ازي طنط .. الموضوع رسا علي ايه ؟

عاد الي زفراته وقال:

-حجزينها في القسم .. وهتتعرض علي النيابة

فجأة انفجر "نهاد" في البكاء كطفل صغير .. نظرت اليه "بيسان" بهلع .. فلم يسبق أن رأته في مثل هذه الحاله من قبل .. ظلت بجواره قليلا ثم تحركت تبغي

النهوض .. لكنها أمسك يدها وجذبها الي أن أجلسها بحواها ثم عانقها وهو يبكي فوق كتفها قائلا:

-سامحيني يا "بيسان" .. من يوم ما سبتيني وأنا بتعذب .. أنا محتجلك جمبي في الظروف دي .. أرجوكي متتخليش عني .. لو مليش خاطر عندك فعشان خاطر "فؤاد"

قالت وهو يشعر بارتجافة جسدها بالبكاء:

-مش قادرة أسمحك .. مش قادرة

رفع رأسه ونظر اليها بأسف وقال:

-أنا آسف .. مستعد أكفر عن غلطتي بأي طريقة انتي عايزاها .. بس متبعديش عني .. والله بحبك انتي ومحبتش غيرك .. كانت ساعة شيطان" .. بيسان" عاقبيني بس متتخليش عني .. أنا موافق اني اتعاقب .. لاني أستحق العقاب

قالت "بيسان" بحزم وهي تكفكف دمعها:

-مش أنا بس اللي المفروض تعتذرله وتستسمحه .. انت غلطت وأذنبت في حق ربنا قبل ما يكون في حقي .. أغضبت ربنا قبل ما تغضبني أنا .. بتطلب مني أسامحك هل طلبتها من ربنا ؟

أطرق "نهاد" برأسه في خجل .. فقالت "ببسان" دامعة وبصوت مرتجف:

-نفسي تكون زي "مهند" ابن عمك

رفع "نهاد" رأسه ينظر اليها فأكملت:

-عمره ما بيبص لوحده ست .. عمره ما ايده بتلمس ايد واحده ست .. علي طول عامل حدود مع الكل حتي معايا .. نفسي تكون كده .. تخاف من ربنا قبل ما تخاف مني .. عينك ما تشوفش غيري .. عينك تخاف انها تبص لوحده غيري وتتأمل في مفاتنها .. ايدك تخاف انها تلمس غيري .. حتي لو لمسه عاديه .. حتي لو لمسة بريئة .. لان الذنوب الصغيرة هي الطريق للذنوب الكبيرة .. نفسي نكون قريبين من ربنا أكتر من كدة يا "نهاد .. "نفسي نخاف من غضبه أكتر ما بنخاف اننا نغضب بعض .. نفسي بيتنا يكون فيه جو ايماني زي اللي بحسه لما بزور صحبتي اللي اتعرفت عليها من المسجد .. بحس براحه في بيتها والقرآن شغال علي طول .. عمرها ما أعدتني مع جوزها ولا حتي أعرف شكله .. علي طول كلامها جميل وبتدكر ربنا .. بحس ان ربنا مباركلها في حياتها أوي .. نفسي في كده .. نفسي نكون كده

شرد"نهاد" في كلماتها .. ثم نظر اليها قائلا:
-ساعديني نكون كده
قالت بحماس:
-نساعد بعض .. تساعدني وأساعدك .. اللي يقع منه حاجه التاني يكملهاله .. ناخد بايد بعض يا "نهاد "عشان ربنا يباركلنا في حياتنا وفي "فريد"
ابتسم لها براحه قائلا:
-وأنا موافق .. وراضي بكل اللي هتقوليه .. بس طمنيني .. سامحتيني ؟
تنهدت قائلا بنظرات ألم:
-أبقي بكدب عليك لو قولتلك اني سامحتك .. بس أنا من جوايا عايزة أسامحك ..يمكن لاني حسه ان الغلط ده كان مشترك .. أنا برده سمحت بحاجات كتير مكنش المفروض أسمح بيها
ابتسم وهو يشد علي يديها قائلا بثقه:
-أوعدك اني هخليكي تسامحيني .. وعد

****

في الصباح خلت طاولة الطعام من الملتفين حولها علي غير العادة .. فكل منهم في مكان يجلس شاردا يفكر في حاله وحال تلك العائله المفككه ..سمعت "سامرين" طرقات علي باب غرفة الضيوف التي باتت فيها ليلتها ..فتحت الباب لتجد "فريدة "تقف أمامها مبتسمة وتحمل كوبين من مشروبهما النوبي المفضل .. دعتها "سامرين" للدخول ..جلسا متجاورين علي الاريكة فقالت "فريدة: "
-بحاول أتعود علي انك "سامرين" مش "سمر"
ابتسمت "سامرين" وهي تقول:
-أنا كمان خدت فترة عشان أتعود علي شكلي الجديد
قالت "فريدة" بإهتمام:
-احكيلي علي اللي حصل .. أنا طبعا سمعت اللي عمو "عدنان "حكاهولنا امبارح ..بس أنا بتكلم عنك انتي و "مهند" اللي أعرفه انكوا كنتوا كاتبين كتابكوا وفجأه اطلقتوا وسافرتي و "مهند" مشرحليش سبب طلاقكوا

قالت "سامرين" وهي تتنهد بقوة:
-مش حبه أتكلم في الموضوع ده .. مش حبه أفتكر حاجه
احترمت "فريدة" رغبتها وتجاذبتا أطراف الحديث في أمور أخري

****

جلس "عدنان" برفقة محاميه وأفراد عائلته يعيد لهم ورثهم الضائع .. بسعر اليوم .. كما لو كان يعمل طوال تلك السنوات علي نماء ذلك الميراث له ولاخوته .. صفيت النفوس و خزي الشيطان لفشل مسعاه
قدم "عدنان" ل "دياب" مكافأة كبيرة أسعدت قلبه لمساعدته في معرفة القاتل الحقيقي والتي أخرجت عائلته من دائرة الاتهام ..
ترجي "حسني" أخيه ليتنازل عن المحضر المقدم في "يسرية" زوجته .. فعل "عدنان" من أجل خاطر أخيه ولكنه اشترط علي "حسني" ألا تطأ قدما "يسرية "الفيلا طالما في صدره نفس يتردد .

ظن الجميع أن تلك هي نهاية المشاكل والأحزان .. لكن الله عاجل "حسني " بإبتلاء شديد عندما أتاه خبر وفاة "علاء" في منزل أحد أصدقاؤه علي اثر جرعة زائدة من تلك المواد المسمومة التي عاش عليها ومات عليها .. بكت عينا "حسني" لأول مرة .. ليس علي فقد ابنه "علاء" فحسب ..بل علي احساسه بالذنب والتقصير في تربية ابنه ..حتي مات وهو يحمل علي أكتافه أوزار تهد الجبال ..تمتم "مهند "بأسي وألم:
-الله يرحمه .. مات علي معصيه
تصدق "مهند" عن ابن عمه لعل الله يغفر له وتخف كفة ذنوبه

وقفت تتأمل حركة الأغصان المتناغمة مع حركة الرياح وهي شارده .. شعرت بيد تلمس كتفها فجفلت والتفتت ترتطم نظراتها بنظرات "مهند "تأملت للحظات تلك الملامح التي لطالما ذابت حبا لها .. ثم أطرقت برأسها بسرعة وهمت بالانصرف ..لكن يد السجان سبقتها لتتشبث بذراعها بقوة .. نظرت اليه قائله

بتوتر:
-سيبني لو سمحت
همس مبتسما:
-مش هسيبك أبدا
بلعت ريقها وحاولت تحرير يدها دون جدوي فقال بحنان:
-متحاوليش .. مش هسيبك .. لازم نتكلم
نظرت اليه ببرود قائله بحدة:
-مفيش حاجة نتكلم فيها يا باشمهندس "مهند"
اتسعت ابتسامته وهو يقول:
-باشمهندس "مهند" .. ايه البواخه بتاعتك دي
خفق قلبها لتلك البسمة التي لطالما عشقتها .. اختفت ابتسامته وهو يقول بجدية :
" -سامرين" لازم نتكلم مع بعض .. انتي فاهمة غلط .. اللي حصل ....
نظرت اليه بعيون تشع ألما وهي تهتف بغضب:
-اللي حصل انك بعتني يا "مهند" طعنتني في ضهري .. الخنجر خنجرك يا "مهند" والدم دمي
ثم قالت بمرارة:
-متطعنتش منك لوحدك .. اطعنت من أقرب صديقه ليا .. انت وهي .. دبختوني سوا
انهمرت العبرات من عينيها وارتحف جسدها وهي تهتف:
-حبيتها ؟ .. أد ايه ؟ .. أكتر مني مش كده ؟ .. ده ان كنت حبتني أصلا .. ليق قولتلي أستناك .. ليه ضحكت عليا وقولتلي انك بتجهز البيت عشاني .. ليه يا "مهند" ليه
قال بإنفعال وبصوت متهدج:
-أنا فعلا كنت بجهز البيت عشانك .. عشانك انتي .. عمري ما اتمنيت ان واخده تدهله غيرك انتي .. وانتي عارفه كده كويس .. لكنك كلمتيني لاخر مرة وقولتياي انك هتنسيني وهتتحوزي وهتعيشي حياتك وهتنسي كل أيامك معايا .. الخنجر خنجرك يا "سامرين" و الدم دمي
نظرت تليه بإحتقار قائله:

-اضحك علي نفسك .. لكن مش هسمحلك تضحك عليا تاني
همت بالانصراف لكنه جذبها من ذراعها مرة أخري يوقفها أمامه بقوه وهو يهتف بغضب:
-ليه ضحكتوا عليا وفهمتوني انك اتجوزتي .. ردي يا "سامرين" ليه سبتبني أتعذب من غيرك .. ليه
قالت بغضب:
-انت مكنتش بتتعذب يا "مهند" انت كنت عايش حياتك مع "نهلة" مع صحبتي .. مع أقرب صاحبه ليا
هتف بغضب:
-أنا متجوزتش الا بعد ما استنيتك سنين طويله .. استنيتك خمس سنين يا "سامرين" خمس سنين وأنا مش قادر أتخيل اني ممكن أتجوز واحدة غيرك .. خمس سنين وأنا كل يوم بسأل نفسي يا تري اتجوزت بجد .. يا تري مبسوطة معاه .. يا تري نسيتني
شلت الصدمة حركتها .. تظرت اليه بأعين غائره وهي تتمتم:
-خمس سنين ! .. ازاي
قال بحدة:
-أيوة خمس سنين يا "سامرين"

قالن بحيرة واضطراب:
-ازاي .. "نهلة" قالتلي انكوا هتتحوزوا .. والكلام ده بعد سنه واحدة من سفري .. ايه اللي أخر جوازك من "نهلة" ده كله
تجمدت الدماء في عروق "مهند" وقال:
-أنا مفكرتش اني أتقدم ل "نهلة" الا بعد خمس سنين يا "سامرين" ووقتها بابا بعتلي فلوس كملت بيها فرش الشقه ومستنتش كتير
أجهشت في البكاء وهي تهتف بلوعة:
-ازاي .. دي قالتلي انكوا هتتجوزوا .. ازاي .. الكلام ده قالتهولي بعد سنه واخدة .. قالتلي انكوا بتحبوا بعض واتخطبتوا وهتتجوزوا .. قالتلي انك زميت كل ذكوي ليا في البحر ..قالتلي انك نسيتني ومفيش في قلبك غيرها
قال "مهند" مصدوما:

ازاي تقولك الكلام ده .. وقتها أنا مكنتش أبدا بفكر فيها .. ولا اتقدمتلها .. ولا عمري كلمتها ولا وجهتلها كلام

صمت قليلا ثم هتف:

-ده اللي خلاكي تقوليلي الكلام اللي قولتيه في أخر مكالمه

أومأت برأسها وهي تحاول استيعاب صدمتها وهي تتمتم:

-يعني ايه .. كدبت عليا .. ليه .. ليه كدبت عليا .. ايه مصلحتها .. ليه تعمل فيا كده .. ليه تدبحني كده

صمت قليلا ثم قال بمرارة:

-أكيد مستحيل تعمل كدة من نفسها .. أكيد كان باتفاق مع باباكي لانها قالتلي نفس الكلام اللي باباكي قالهولي .. انك اتكتب كتابك وهتتجوزي

قال شارده في أحداث ذلك اليوم:

" -فيروز" أكيد هي كمان كانت مشتركة معاهم

نظر كل منهما الي الآخر وهو يحاول استيعاب الخداع الذي مورس عليه ليظن كل منها بأن الآخر خانه وباعه وفضل غيره عليه .. تجمعت العبرات في عينيها ..ودت لو بكت حتي تريح ذلك الحمل الذي يجثم فوق صدرها .. نظرت الي ذلك الصدر الذي كان دائماً مفتوح لها ..لحظة ووجدت وجهها مدفون في ذلك الصدر تسقيه من دموعها التي هطلت كالأمطار محملة بألم ومرارة سنوات طوال تتمني لو محيت من ذاكرتها تماما

****

-أفندم يا "عدنان" بيه

قالت "الميس" تلك العبارة وهى واقفة أمام "عدنان" الذى استدعاها فى المرسم .. بدا عليه التردد قليلاً .. فقالت بقلق:

-فى حاجة ؟ .. حضرتك لسه شاكك فيا ؟

قال بثقه:

-أنا عمرى ما شكيت فيكي يا "الميس" .. وأظن لو شكيت فيكي مكنتش اديتك مفتاح أوضتى .. اللى مديتهوش لحد من اخواتى

شعرت بالارتياح .. ثم قالت:

-وأنا مستحيل أبدا أخون الثقة دى .. ياريت حضرتك تتأكد من كده
اتسعت ابتسامته وهو يقول:
-وأنا واثق من كده
نهض ودار حول المكتب ووقف أمامها قائلاً:
-أنا راجل عملى مليش لا فى اللف ولا فى الدوران
أخذ نفسا ثم قال:
-تقبلى تتجوزيني يا "لميس"
نظرت اليه وقد فغرت فاها واتسعت عيناها حتى كادتا أن تخرجا من محجريهما .. قالت بصوت مضطري:
-أفندم .. حضرتك قولت ايه ؟
ابتسم قائلاً:
-بقولك تتجوزيني يا "لميس"
صمتت قليلا تحاول أن تستجمع شتاتها .. ثم قالت بتوتر بالغ:
-بس ازاى .. يعين حضرتك عارف .. عارف ان
ترقرقت العبرات فى عينيها وهى تهمس:
-عارف ان كان ليا ماضى اسود
قال بقوة:
-لا مش اسود .. انتى معملتيش حاجة تغضب ربنا
قالت بألم وهى مطرقة برأسها:
-بس عملت حاجة الناس شيفاها غلط .. ورمونى بكلام كتير .. أظن حضرتك عارف كويس الكلام اللى اتقال عليها
قال بحزم:
-واللى يجيب سيرتك على لسانه أقطعهوله
رفعت رأسها تنظر اليه وقد طرب قلبها لدفاعه عنها .. فأكمل قائلاً:
-انتى اتجوزتى على سنة الله ورسوله .. ايه الغلط فى كده
قالت بخفوت:
-الغلط انى اتجوزت واحد كنت بشتغل خدامه عنده
قال "عدنان" بقوة:
-لا الغلط مش منك .. أنا عارف كويس انك مرضتيش تغضبى ربنا معاه رغم

محاولاته المستميته و "حسنى" بنفسه اللى قالى الكلام ده ومكنش فى قدامه حل الا انه يتجوزك .. وانتى وقتها كنتى بنت صغيره وملكيش خبره .. متقدريش تحكمى كويس على الشخص اللى قدامك .. واتجوزتى جواز شرعى سليم .. انتى معملتيش حاجة غلط يا "لميس"

قالت بمرارة:

-نسيت حضرتك تقول ان لما مدام "يسرية" عرفت جت فضحتنى فى مكان سكني .. وبسببها ولدت قبل معادى وابنى مات أول ما اتولد من غير حتى ما أشوفه

تجمد للحظات .. ثم قال بحنان:

-انسى اللى فات يا "لميس" وارميه ورا ضهرك .. خلاص دى حاجه انتهت من سنين طويلة أوى .. انسى

رفعت رأسها تنظر اليه قائله وقد اغرورقت عينها بالعبرات:

-فى سؤال نفسى أسأله من زمان أوى

قال بهدوء:

-ايه هو ؟

قالت بفضول:

-ليه جيت دورت عليا أنا بالذات وجبتنى أشتغل فى فيلتك .. يعني أنا كنت بشتغل عندهم من سنين طويلة أوى .. ليه فجأة جيت ودورت عليا وأصريت انى أشتغل عندك .. لولا وقتها حاجتى للفلوس أنا مكنتش قبلت .. بس بصراحة لما اشتغلت هنا ارتحت جدا .. خاصة من المعاملة وان محدش هنا بيضايقنى .. بقالى هنا ٦ سنين بشتغل فى الفيلا ونفسى أسأل حضرتك السؤال ده .. ليه جيت دورت عليا وأصريت انى أشتغل عندك

تنهد "عدنان" وهرب بعيناه قائلاً:

-مش لسبب محدد .. ممكن يكون عشان حسيت أد ايه "حسنى" أخويا ظلمك .. أنا مكنتش أعرف قصتك معاه الا من ٦ سنين .. وساعتها حسيت انى عايز أدور عليكي وأجيبك تشتغلى هنا .. أنا كنت بشوفك فى بيت "حسنى" زمان .. وكان انطباعى عنك انت بنت هادية وخجولة وطيبة وأمينة .. لما سمعت قصتك مع "حسنى" اضايقت عشانك .. وحسيت انى عايز أعوضك ولو عن جزء بسيط من الأذية اللى سببهالك "حسنى" و مراته

قالت متنهدة:
-أنا خلاص نسيت الموضوع ده من زمان ومعدتش بفكر فيه أبدا .. بدليل انى لما بشوفه أو بشوفها بتصرف عادى جدا .. لانى فعلا نسيت
ابتسم قائلاً:
-مردتيش على سؤالى
على رغم من سنوات عمرها التى تجاوزت الخامسة والأربعون الا أن حمرة الخجل عرفت طريقا لوجهها وهى تقول:
-خايفة تندم فى يوم من الأيام
اتسعت ابتسامته وهو يقول:
-لا مش هندم .. واثق انى مش هندم .. حطيتك فى اختبارات كتير يا "الميس" من غير ما تحسى .. وكل مرة كنتى بتنجحى وبجدارة .. كفاية اختبارات بأه .. عايز أقضى الأيام الباقيه من عمرى معاكى .. مع واحدة حابه انها تكون معايا عشانى أنا مش عشان فلوسى وثروتى .. أكتر حاجة كانت بتشدى ليكي هى معاملتك ل "نهال" رغم اللى قاسيتيه من أمها وأبوها الا انك بتعامليها كأنها بنتك ..وبتحبلها الخير
تمتم "الميس" قائله:
" -نهال" بنت طيبة .. ومحتاجه اللى يوجهها للصح .. وأنا ملقتش حد بيعمل معاها كده الا "فريدة" .. وعشان كده حبه انى أكون جمبها وأنصحها .. ومش معنى ان أبوها وأمها ظلمونى زمان انى أعاملها وحش" *وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى*"
ابتسم قائلاً:
-طيب قولتى ايه ؟
صمتت قليلا ثم قالت بتوتر:
-بس أنا واحدة بشتغل عندك يعني فى فرق كبير بينا
قال "عدنان" على الفور:
-لا مفيش فرق .. احنا الاتنين سننا مناسب لبعض .. من نفس الجيل .. اهتماماتنا قريبه من بعض .. حتى الطباع والشخصية فيها حاجات كتير مشتركة ..والتعليم أظن انتى أدرى الناس بانك أعلى منى فى التعليم .. أما لو بتبصى للمادة فهقولك ان هو ده الطبيعي .. ان الراجل يبقى له القوامة على الست بما

أنفق .. الفرق الوحيد بيني وبينك ان الفلوس جتلى على طبق من فضة .. وانت أهلك كانوا فقرا وعيشتى فى نفس مستواهم .. يعني الفرق ظروف لا أنا ولا انتى لينا دخل فيها .. ومتنسيش انى مكنتش غنى وصاحب قصور طول عمرى .. أنا كنت فى اسكندرية عايش على أدى فى بيت صغير مع مراتى وابنى الله يرحمهم ..ها قولتى ايه

ابتسمت وهى تطرق برأسها .. فاتسعت ابتسامته وهو يقول بمرح:

-على خيرة الله

خرجت "لميس" من المرسم وقلبها يقفز فرحا .. لا تصدق ما حدث منذ قليل .. لم تكد تخرج حتى دخل "حسنى" المرسم وهو يشاهدها تبتعد .. فدخل على أخيه قائلاً وهو ينظر اليه بتمعن:

-انت كنت بتتكلم مع "لميس" فى ايه

قال "عدنان" ببرود:

-وانت ايه دخلك يا "حسنى"

تنهد "حسنى" قائلاً بمراره:

-سيب اللى فات يموت يا "عدنان" .. هو أصلا خلاص مات .. مفيش داعى تفتح فى الجروح

قال "عدنان" بحزم:

-انت غلطان .. أنا مجبتلهاش سيره

تنهد "حسنى "بإرتساح وهو يقول:

-افتكرتك قولتلها

قال "حسنى" بتهكم:

-أقولها ايه .. أقولها الحقيقة عشان قلبها يتدمر للمرة التانية .. أقولها الحقيقة عشان تحس بموت ابنها مرتين

ثم تنهد قائلاً:

-لولا انك مأمنى على السر كنت كشفتهولها من زمان .. اتأملت كتير .. كفاية ألمها لموته زمان .. وهى فاكرة انه ميت .. خليها فاكرة انه ميت .. طالما خلاص مات .. واتدفن

تمتم "حسنى" بخفوت:

-الله يرحمك يا "علاء! "

****

كانت سعادة "فريدة" غامرة وهى جالسه أمام "عادل" فى غرفة الصالون مطرقة برأسها فى خجل وهى تتحدث عليها على مرآى من أخيها الذى ابتعد قليلا فى جلوسه ليترك لهماا حرية التحدث .. أطرقت برأسها شاعرة بخجل شديد .. كثيرا ما تعرضت لهذا الموقف لكن هذه المرة تشعر بأن قلبها يقفز فرحا ..
تنحنح "عادل" قائلاً:
-ها .. مش حبه تسأليني عن أى حاجه
صمتت ولم تجيب .. فقال بمرح:
-طيب أسألك أنا .. اسمك وسنك وعنوانك
لم تتمالك نفسها من الضحك .. فابتسم قائلاً:
-طيب الحمد لله انى عرفت أضحكك
ظلت مطرقة برأسها فقال:
-هو نتى كل ما تشوفيني توطى راسك كده .. بصيلى طيب مش يمكن معجبكيش
تمتمت بخوف:
-ما أنا شوفت حضرتك قبل كده
فصاح بمرح:
-آه ده انتى طلعتى مايه من تحت تبن .. مش تقولى انك حاطه عينك عليا من زمان .. أنا برده كان قلبى حاسس
اختفت ابتسامتها ونظرت اليه وهى تهتف قائله بجدية:
-لا والله .. ايه اللى حضرتك بتقوله ده
فصفق قائلاً بمرح:
-برافو عليك يا "عادل" .. ضحكتها وخلتها تبصلك وكل ده فى دقيقة واحدة .. أنا بقول نخلى اخوكى ييجى يعد معانا قبل ما أجردك من كل أسلحتك
ضحكت للمرة الثانية فصاح بمرح:
-طيب نقول مبروك
صمت قليلا ثم قالت:

-فى أسئلة حبه أسألها
اتسعت ابتسامته وهو يقول:
-أأمر يا باشا .. تحت أمر معاليك
قالت بخفوت:
-اشمعنى أنا الىل حضرتك اخترتنى
قال "عادل: "
-ممم .. اشمعنا انتى .. هقولك اشمعنا انتى .. عجبنى فيكي هدوءك وخجلك ولبسك المحترم .. ولما اتكلمت معاكى فى التحقيق حسيت انى ارتحتلك .. ونضيف لده كله انك ذكية ولماحة .. وأنا أحب زوجتى تكون كدة .. تفهمنى من غير ما أتكلم .. من الآخر تسبر أغوارى زى ما أنا بسبر أغوار المجرمين ليل نهار
قالت بهدوء:
-بتصلى الفجر ؟
ابتسمت فقال:
-الحمد لله وفى المسجد .. ومش بس الفجر اللى بصليه فى المسجد .. الحمد لله مبفوتش فرض الا لو كنت فى مأمورية ومفيش مسجد قريب منى
نظرت اليه بدهشة ثم أطرقت برأسها .. فأكمل وكأنه أراد أن يزيد من دهشتها:
-وخاتم القرآن كله .. حفظ وتجويد .. ومعايا اجازة فى الاتنين
نظرت اليه مرة أخرى فى دهشة فاتسعت ابتسامته وهو يقول:
-ايه هما الظباط مينفعش يكون فيهم حد عارف ربنا ولا ايه
قالت بإستغراب وحيرة:
-لا مش كده .. بس بصراحة يعني أول مرة أشوف ظابط وحافظ قرآن وكمان معاه اجازه
قال مبتسما:
-لا فى ظباط أحسن منى بكتير .. ونفسى أكون زيهم .. الشركة مهنة زى أى مهنة تانية فى الدنيا .. فيها الكويس وفيها الوحش .. فيها اللى عنده ضمير وبيتقى ربنا وفيها اللى ضميره مات وربنا نزع من قلبه الرحمه .. فيها اللى بيكون سيف على رقبة كل ظالم وفيها اللى بيعين الظالم على ظلمه .. فيها اللى بيخدم أهله وبلده وفيها اللى بيسرقهم وينهبهم ويبقى مصدر هلع ليهم ..ما

تتعوديش تطلقى أحكام عامة على أى حاجة .. لان كل حاجة فيها الكويس والوحش ..مينفعش تاخدى واحد بذنب التانى .. كل واحد يتحاسب على عمله شعرت "فريدة" بالارتياح وهى تستمع الى كلماته التى تطابق مبادئها فى الحياة ..شعرت بإرتياح كبير جعلها ترفع رأسها لتنظر اليه مرة أخرى .. التقطت بعيناه البنيتان اللاتان تشعان ذكاءا ومكرا فأخفضت رأسها على الفور لتهرب من سحرهما ! .. عندما سألها "مهند" عن رأيها .. لم تملك سوى أن تومئ برأسها بالموافقة وشفتيها تتسعان فى بهجة!

****

اقترب " بشير" من "دياب" قائلاً ببشاشه:

" -دياب"

التفت اليه "دياب" فقال "بشير" ببهجة:

-انت معزوم ان شاء الله يوم الجمعة على خطوبتى .. هى خطوبة على الضيق كده بس قولت لازم أعزمك

هتف "دياب" بمرح:

-ما شاء الله ربنا يباركلك يارب ويتمملكوا بخير .. ألف مبروك يا "بشير" تستاهل كل خير والله

نظر اليه "بشير" بإمتنان قائلاً:

-انت اللى تستاهل كل خير .. لانك كنت سبب كبير فى انى أخرج من وهم كنت معيش نفسي فيه .. انت ليك فضل كبير عليا يا "دياب" أكتر مما تتصور

ربت "دياب" على كتفه قائلاً:

-يا راجل متقولش كده ده احنا اخوات .. المهم ألف مبروك وربنا يعجل بجوازك أوام أوم

هتف "بشير" ببشاشه:

-يارب

****

هدر البحر بأمواجه فرحا بعودة الحبيبان اللذان افتقدهما طويلا .. رفعت "سامرين" رأسها ونظرت اليه بعتاب قائله:
-عارف .. أنا لسه حسه اني زعلانه منك
نظر اليها قائله وقد عقد ما بين حاجبيه:
-ليه يا حبيبتي .. أنا شرحتلك كل حاجه .. وعرفتك احساسي كان ايه
قالت بلوم:
-زعلانه لانك معرفتنيش .. كان نفسي تعرفني بقلبك حتي لو ملامحي اتغيرت
ثم أشارت بأصابعها الي صدره قائله:
-المفروض ده كان يعرفني
تنهد طويلا .. ونظر الي البحر بلحظات .. ثم عاد ينظر اليها وهو يقول:
-لو كنت سبت نفسي وسبت مشاعري كنت أكيد هحس بيكي و أعرفك .. لكني مكنتش بدي لنفسي الفرصه أبدا اني أشوفك بصورة غير صورة مراة عمي اللي في مقام مراة الأب .. كان عقلي لاغي أي احساس أو أي فكرة غير الواقع اللي كنت شايفه أدامي وقتها .. رغم اني ساعات كتير كنت بحس بانجداب شديد جدا نحيتك .. أكني أعرفك .. أكني حاسس بيكي .. كان دايما في حاجه في عنيكي بتشدني عايزه تغرقني جواهم .. بس أنا كنت بطرد من قلبي أي احساس ممكن يتملك منه .. وكان عقلي مبيفكرش غير انك واحدة محرمة عليا
صمت قليلا ثم نظر اليها قائلا:
-بس لما كنت في سوريا .. وكلمتيني في التليفون .. رغم اني مسمعتش منك غير كام كلمة .. الا ان بحة صوتك فكرتني بآخر مكالمة ليكي كان فيه نفس البحة ..حسيت ان مشاعري بتتحرك نحيتك .. عشان كدة أفلت ومرضتش أكلمك ..ونبهت علي "فريدة" متدلكيش رقمي
قالت وهي تنظر اليه بحب وتمسح علي وجنته بأصابعها:
-امتى حسيت ان أنا "سامرين" ؟
ابتسم قائلا:
-لما كنا هنا في شقة اسكندرية .. لما دخلت عليكي ولقيتك واقفه في أوضة النوم بتعيطي ودموعك علي خدك .. حسيت وقتها انك جزء من المكان ده .. ولما عرفتي مكان المحبس كنت هتجنن .. حسيت ان عقلي هيشت .. لما رجعنا يومها القاهرة ووصلتكوا الفيلا ومشيت بالعربية .. سبت احساسي يدلني .. وقتها

عرفتك بقلبي يا "سامرين "
ابتسمت قائله:
-أمال ليه قررت فجأة انك تسيب الفيلا ؟
تنهد قائلا:
-لما عمي أعلن خبر الحمل حسيت اني رجعت أتشتت تاني .. خفت يكون احياسي بيكي غلط .. كنت عارف اني لو سألتك مش هتريحيني .. عشان كده قررت أبعد عشان أقدر أفكر بوضوح .. لكن لما الدكتورة قالتلي ان مفيش لا جواز ولا حمل .. اختفي كل الشك من جوايا .. واتأكدت انك حبيبتي "سامرين"
وضعت رأسها مرة أخري فوق صدره وهي تقول شارده:
-كنت طول الوقت نفسي أقولك اني "سامرين" وفي نفس الوقت كنت حسه اني مجروحه منك أوي .. لاني طول السنين اللي فاتت وأنا فاكره انك بعتني وحبيت غيري
شد ذراعه حولها وهو يضمها اليه قائلا بصوت متهدج:
-ازاي صدقتي حاجه زي كده .. ازاي صدقتي اني ممكن أحب غيرك يا "سامرين"
رفعت رأسها تنظر اليه بأعين دامعة وهي تقول بمرارة:
-كلام "نهلة" دبحني .. متتصورش كان قاسي عليا ازاي .. ولما قالتلي انها عارفه انك ملمستنيش رغم اني ما قولتلهاش حاجه .. اتأكدت أكتر من كلامها .. مجاش في بالي أبدا انها تكون لعبة من بابا و "فيروز" عشان يكرهوني فيك ويبعدوني عنك
قبل رأسها وتنهد قائلا بحنان:
-انسي .. مش عايزك تفتكري السنين اللي بعدنا فيها عن بعض .. افتكري بس أيامنا سوا .. وأيامنا اللي جايه اللي هتكون أحلي من اللي فات ان شاء الله .. نفسي أعوضك عن كل دمعة نزلت من عينك وانتي بعيد عني
قالت هامسه والحب يرسم بريشته داخل عينيها فبرقتا بشده:
-وأنا نفسي أنسيك الأيام اللي عشتها مع غيري
همس بحب:
-أنا نسيتها خلاص
قبل "مهند" رأس "سامرين" وقال بحنان:

-فاكرة لما كنا بنيجي هنا زمان .. ونقعد على نفس الصخرة دى احنا الاتنين
ابتسمت قائله:
-طبعا فاكرة
أطرق "مهند" برأسه واستعاد ذراعه التى يلفها على كتفيها ثم مسح على بطنها المتكور وهو يقول وفى عينيه نظرات لهفة واشتياق:
-دلوقتى بقينا ٣
ابتسمت "سامرين" وهى تضع كفها فوق كفه وهى تقول:
-قولتلى زمان لو جت بنت مش هتزعل .. لسه عند كلامك ولا غيرته
أحاطها بذراعه مرة أخرى ومقربا اياها منه وهو يقول:
-طبعا لسه عند كلامى .. اللى ربنا يرزقنى بيه أنا راضى بيه
تأملت أمواج البحر الثائر ثم قالت:
-عارف نفسى فى ايه ؟
قبل رأسها قائلاً:
-نفسك فى ايه ؟
قالت بهيام:
-نفسى نفضل هنا على طول فوق الصخرة دى وأدامنا البحر وفوقينا السما
حرك رأسها لتنظر اليه فغاص بعينيه فى عينيها التى لطالما أحبها .. والتى لم تتغير قط .. يرى عبرهما ما بداخلها بوضوح وكأنه يلمس قلبها ويشعر بنبضاته وهو يقول بصوت رخيم:
-أنا بأه نفسى أرجع البيت .. حالا
اتسعت ابتسامتها .. وذابت فى بحر عينيه

****

استيقظت "سامرين" من نومها فلم تجد "مهند" بجوارها .. نهضت بصعوبة ثم توجهت الى الغرفة الصغيرة .. لاحت ابتسامه عذبة على شفتيها وهى تنظر اليه وهو ينحنى على ذلك المهد الصغير يتطلع بعيون ممتلأع بالحب والحنان الى ذلك الرضيع النائم فى سكينه وأمان .. اقتربت منه فرفع رأسه ينظر اليها .. لمع ضوء القمر المتسلل من زجاج الشرفة فى عغينيه لترى بها تلك العبرات المتلألأة .. وقفتبجواره تنظر الى ذلك الرضيع ثم تنظر اليه قائله برقه:

-ايه اللى مصحيك
عاد لينظر الى الرضيع بنفس النظرة وهو يقول:
-حبيت أطمن عليه
مدت أصابعها لتمسح على رأس رضيعها وهى تقول:
- -ربنا يباركلنا فيه
قبل رأسها وضمها اليه قائلاً:
-آمين
استيقظ الصغير وأصدر أنينه قبل أن يبدأ فى البكاء .. حاولت "سامرين" حمله .. لكن "مهند" عاجلها بلهفة:
-خليني أشيله
حملته "سامرني" من المهد ووضعته فوق ذراعه "مهند" .. أخذت العبرات تلمع مرة أخرى فى عينه وهو يقبل رأسه بحنان بالغ .. بينما "سامرين" تقف أمامه تداعب وجنته وتقبل أصابعه الرقيقة .. فسكن الرضيع بمداعبات والده ووالدته الحانية .. رفعت "سامرين" رأسها لتنظر الى "مهند" قائله:
-هنطلعله شهادة الميلاد امتى ؟
قال دون أن يبعد نظره عن ابنه:
-بكره ان شاء الله
ابتسمت وهى تنظر الى "مهند" قائله:
-ليه مصر على الإسم اللى اخترته
نظر اليها "مهند" قائلا:
-هو مش عاجبك
اتسعت ابتسامتها وهى تقول:
-بالعكس عاجبنى جداً
عاد "مهند" لينظر الى ابنه ويضمه الى صدره ويقول :
-النبي صلى اللّه عليه وسلم قال "إنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيامَةِ بأسْمائكُمْ وأسماءِ آبائِكُمْ فأحْسِنُوا أسْماءَكُمْ" .. وأنا اخترتله اسم "باســل"
ثم لاحت على شفتيه ابتسامه وعلى عينيه نظرات حالمة وهو يقول بحماس:
-نفسي يكون له نصيب من اسمه .. وأشوف فيه الشجاعة والإقدام والقوة والصلابة والشهامة والرجولة وقوة الإيمان

قبل الصغير مرة أخرى ونقل نظره بين حبيبته وابنه وهو يحمد الله عز وجل أن استجاب دعاءه ورزقه بما تمنى!

13/6/2013 11:07pm .. تمت بحمد الله ..

سُئلت كثيراً عن سبب محاكاتى لقصة مسلسل تركى هابط كمسلسل "العشق الممنوع"
كان هدفى هو تغيير صورة البطل فى المسلسل والذى أهيمت بحبه فتيات كثيرات وارتفعت أرصدة ايراداته ومشاهداته فى الوطن العربي ! .. وفى الوقت الذى كان بطل المسلسل هو انسان خائن زانى لم يتوانى عن فعل الرذائل والإنغماس فى مستنقع قذر والتهاون فى تعاليم ديننا واسلامنا .. نجد صور لرجال عندها من قوة الإيمان والخوف من الله ما يعصمها عن تتبع شهواتها والوقوع فى الحرام وتنفر من كل ما يخالف فطرتها السلمية
فأحببت تقديم نموذج لرجل يستحق أن يطلق عليه .. "بطل"